

الحركات الأمازيغية في شمال إفريقيا

النخب، أشكال التعبير والتحديات
المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا ومصر

الحركات الأمازيغية في شمال إفريقيا

النخب، أشكال التعبير والتحديات

المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا ومصر

تحت إشراف ناصر جابي

ومشاركة

نورالدين هرامي، خالد مونة، ادريس بن العربي، ديدا بادي

نوح عبد الله، سمير لراي، محمد كرو، أسماء نوييرة

هويدا بن خاثر، بلال عبد الله، هاني الأعصر

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب، 2018.

ردمك : 6-324-39-9947-978

الإيداع القانوني : أكتوبر 2018.

إهداء

هذه الدراسة مهداة إلى روح زميلنا الدكتور نورالدين هرامي من الفريق المغربي بجامعة مكناس، الذي وافته المنية قبل أن يرى العمل منشوراً.

الدراسة المنشورة في هذا المؤلف تم انجازها بفضل التمويل الذي قدمه مركز بحوث التنمية الدولية الكندي CRDI. الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبر بالضرورة عن مواقف وآراء المركز وهيئة تسييره.

التقديم العام

كانت البداية من بيروت في سنة 2014 عندما ألقيت محاضرة حول المسألة الأمازيغية في شمال إفريقيا. بمناسبة نشاط علمي، نظمه المجلس العربي للعلوم الاجتماعية. ما اكتشفته أثناء المحاضرة لم يكن مفاجئاً لي. عدم دراية واضحة لدى مثقفي بيروت من الحضور، بالكثير من تفاصيل المشهد الأمازيغي، بسبب قلة ما كتبناه نحن أبناء الشمال الإفريقي أساساً. فقد ساد خلال النقاش الذي أعقب المحاضرة حواراً لم يكن بعيد عن الطرح الذي كان سائداً ولا يزال في المشرق العربي، المبني على قراءة متوجسة من أي خصوصية ثقافية أو عرقية مهددة لاستقرار الدول والمجتمعات في هذه المنطقة التي عانت ولا زالت من ويلات الطرح العرقي الطائفي والثقافوي، كما هو حاصل في أكثر من حالة وطنية. دون الانتباه لما يميز الحالة الأمازيغية المختلفة وتاريخها.

تجربة جعلتني أصّر على الانطلاق في إنجاز هذا المشروع المخصص لدراسة المسألة الأمازيغية وعلاقتها بالمجتمع والدولة، في دول شمال إفريقيا الخمس (المغرب/الجزائر/تونس/ليبيا/مصر) من قبل فريق أكاديمي¹ متعدد التخصصات من أبناء المنطقة، من الجنسين. إلتقى في ثلاث مدن خلال السنتين اللتين استغرقتها الدراسة (في كل من الجزائر العاصمة/جربة/غرداية) لمناقشة إشكالية البحث. محاوره الأساسية، أديباته ومناهجه، بما فيها أسئلة دليل المقابلة، قبل تبنيها كإطار مشترك لكل فريق البحث الدولي.

1. يتكون فريق البحث المغربي الذي أنجز هذه الدراسة خلال سنتي 2016/2017. من خالد مونة (أنثروبولوجي)، د. نورالدين هرامي عالم اجتماع ود. ادريس بن العربي كمنسق للفريق المغربي (عالم اجتماع. جامعة مولاي إسماعيل بمكناس). في حين تكون الفريق الجزائري من د. ديدا بادي (أنثروبولوجي) بمركز البحوث فيما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا بالعاصمة ود. نوح عبد الله أستاذ القانون واللغة الأمازيغية بجامعة مولود معمري تيزي وزو وأخيراً سمير لراي (سوسيولوجي).

أنجز الدراسة الليبية زيادة على د. ديدا بادي. الباحث بلال عبد الله (باحث مستقل في العلوم السياسية). أما الدراسة المصرية فقد أنجزها هاني الأعصر. من مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية بالقاهرة وبلال عبد الله. في حين تكون الفريق التونسي من أستاذ العلوم السياسية بجامعة تونس، محمد كرو ود. أسماء نويرة أستاذة الحقوق والعلوم السياسية وأخيراً الباحثة هويدا بن خاثر من جامعة تونس دائماً.

ومع ذلك فإن القارئ للأوراق الوطنية، يمكن أن يتلمس كيف أثر التخصص الأكاديمي وترك بصماته على بعض طرق التحليل وحتى التركيز على بعض القضايا، دون غيرها، في بعض الأوراق الوطنية. تركيز فرضه في بعض الأحيان خصوصيات كل حالة وطنية احتراماً لما يميزها تفادياً لسقوط الدراسة الكلية في تعميمات لا تراعي تفرد الحالات الوطنية التي أكدتها نتائج الدراسة النهائية.

تم إنجاز هذه الدراسة المقارنة خلال سنتين من البحث في عينة من تسع مناطق² داخل الدول الخمس التي شملها هذا البحث، الأول من نوعه بهذه المقاربة والإتساع، في تاريخ الدراسات الأمازيغية التي سيطرت عليها تاريخياً المدارس الغربية، قبل ظهور جيل من الباحثين، من أبناء المنطقة، على قتلهم حتى الآن، إهتمام بالموضوع من داخل المؤسسات الأكاديمية الغربية هو كذلك لوقت قريب، ليركز اهتماماته على قضايا اللغة والثقافة، نتيجة الموقف المعادي الذي وجدته من قبل الأنظمة السياسية بالمنطقة التي لم تشجع البحث حول الموضوع داخل مؤسساتها العلمية والجامعية كتفصيل من موقف عام معادي للأمازيغية كمطلب من قبل الدولة الوطنية بنت الإستقلال ونخبها الحاكمة. دول لا تحتل داخلها المسألة الأمازيغية مع ذلك نفس الحضور ولا نفس الأهمية كمصر على سبيل المثال التي يمثل فيها الناطقون بالأمازيغية أقلية عديدة داخل ديموغرافيا وطنية كبيرة وحضور سياسي جد محتشم وهو نفس حال تونس التي تحول فيها الناطقين بالأمازيغية إلى أقلية عديدة، مقارنة بالجزائر والمغرب اللتان تعرفان حضوراً كبيراً للناطقين بالأمازيغية، ليس ديموغرافياً فقط، بل كأشكال تعبير سياسي وثقافي، مقارنة بليبيا التي تحتل فيها المسألة الأمازيغية موقعا محورياً، لازال في مفترق الطرق، منذ التغيير السياسي الحاصل في البلد في 2011 الذي اتخذ منه الأمازيغ بشقيه النفوسي والترقي مواقف متباينة، زادت من صعوبات المشهد الأمازيغي الليبي الذي يملك امتدادات دولية في علاقته بأزمة دول الساحل الإفريقي، زادت من تعميق شروخه.

عرف انطلاق الدراسة بعض التأخير في حالات وطنية محددة كليبيا ومصر مرتبطة بالأوضاع السياسية والأمنية التي لا تخفى على أحد. وضع فرض أخذ كل الإحتياجات المطلوبة لتجنب اثارها السلبية على الباحثين كجزء من الشروط الأخلاقية التي أصر الباحثون طول مدة إنجازها على احترامها والتقييد بها بصرامة أثناء كل مراحل البحث

2. شملت المناطق المدروسة في المغرب منطقة الريف بالشمال والاطلس الأوسط. أما في الجزائر فقد اهتمت هذه الدراسة بمنطقة القبائل، غرداية واقصى الجنوب، في بلاد التوارق. في ليبيا تمت الدراسة في منطقة الشمال الغربي بجبل نفوسة والجنوب بمنطقة التوارق، كما كان الحال بالجزائر. أما في تونس فقد مست الدراسة المناطق التي لازالت فيها الأمازيغية كلغة وثقافة حاضرة على قلتها مثل الدويرات وبعض قرى قفصة. أخيراً كانت واحة سيوة مجال الدراسة الأساسي في مصر. علماً ان البحث قد انطلق في جانفي 2017 واستمر سنتين كاملتين.

الذي عانى من ندرة المراجع والمعطيات وحتى قلة الباحثين المهتمين بالمسألة الأمازيغية في هذين البلدين. صعوبات حاولت الدراسة التغلب عليها بالاستعانة بباحثين من أصحاب التجربة والإنتاج العلمي في الموضوع المدروس وتكييف أكثر مناهج البحث حتى تراعي هذا النقص في المراجع. كما كان ذلك واضحا في الحالة الليبية على سبيل المثال التي نوعت في مقارباتها المنهجية.

اعتمدت هذه الدراسة المقارنة، على المناهج النوعية من خلال مقابلات مطولة مع فاعلين سياسيين وجمعويين أمازيغ، من الجنسين ومختلف الأجيال، في المناطق المدروسة، وفي العواصم التي تتواجد فيها مقرات الأحزاب السياسية والجمعيات الأمازيغية بنخبها الوطنية، كما هو مبين بالتفصيل في الجوانب المنهجية للأوراق الوطنية التي قامت بالعودة إلى الدراسات الأكاديمية المعروفة، بعد تحديثها لاستغلالها مثلها مثل المعطيات التي تم جمعها من الميدان، الصادرة عن المؤسسات الرسمية المحلية والوطنية والأحزاب والجمعيات الأمازيغية الكثيرة التي تم الاقتراب منها خلال هذا البحث، إنطلاقا من إشكالية ركزت على أشكال التعبير التي يتمظهر من خلالها المطلب الأمازيغي في الدول الخمس وداخل كل حالة وطنية، في مختلف الجهات المدروسة وكيف تطور مع الوقت، من بداية ظهوره التي افتترضت الدراسة أنها كانت مختلفة تاريخيا من حالة وطنية لأخرى وداخل كل حالة وطنية، كما هو مبين بالتفصيل داخل الدراسة التي بينت أسبقية الحالتين الجزائرية (منطقة القبائل) والمغربية تاريخيا، مقارنة بالحالات الوطنية الأخرى التي تأخر فيها المطلب الأمازيغي لأسباب موضوعية متعلقة بتاريخ كل حالة وحجم حضورها الديموغرافي. لدرجة كاد أن يتحول في البعض منها إلى « ظاهرة فلكلورية » في هذه البلدان التي تحتل فيها السياحة مكانة مهمة كمنشأ اقتصادي ومصدر دخل مالي كمصر وتونس عبر الصناعة التقليدية.

دراسة مع ذلك لم تهتم كثيرا لا بالبعد التاريخي ولا اللغوي الذي كان حاضرا ولا يزال داخل النقاشات المجتمعية وبين النخب المنقسمة بحدّة حول هذه القضايا، كمسألة الحرف الذي تكتب بها اللغة الأمازيغية (التيفيناغ، الحرف العربي أو اللاتيني). في ظل تسارع الأحداث، بعد الاعتراف باللغة الأمازيغية دستوريا في المغرب (2011). والجزائر التي تم الاعتراف بها كلغة وطنية بعد التعديل الدستوري الذي أعقب أحداث منطقة القبائل (2002)، قبل دسترها كلغة وطنية ورسمية، جاء مقرونا بالاعتراف بالنابر كعيد وطني ورسمي (رأس السنة الأمازيغية) في التعديل الدستوري (2016). إقرارا واكب انتشار تعليمها داخل المنظومة التعليمية الرسمية العمومية. كتكريس إضافي لانتشارها الإعلامي العمومي والخاص (قنوات تلفزيونية وإذاعية) الذي تشترك فيه الجزائر والمغرب

مع ليبيا جزئياً بعد التغيير السياسي في (2012). مما يجعل الحالة الليبية أقرب في قوة حضورها نسبياً للحالتين الجزائرية المغربية، رغم ما يميزها على أكثر من صعيد وليس الحالة التونسية أو المصرية المتشابهتان في ضعف الحضور الأمازيغي وسيطرة الدولة المركزية بنخبها وعقائدها الوطنية.

كما كان متوقعا، لم يمر توسيع استعمال اللغة الأمازيغية داخل المنظمة التعليمية والإعلامية من دون أن يطرح من جديد مسألة الحرف واللسان الأمازيغيين المستعملين في التدريس والتخاطب إعلامياً مع المواطنين محلياً ووطنياً. صراعات، بيّنت الشروخ الجيلية والعقائدية التي تعاني منها النخب الأمازيغية ووطنياً وحتى داخل الحالة الوطنية. إشكاليات تبنتها الدولة الوطنية، تبقى منوطة بالمؤسسات الأكاديمية التي ظهرت للوجود، كما كان الحال في المغرب (المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2001) أو الجزائر التي يُنتظر تنصيب أكاديمية وطنية للعناية بالأمازيغية بها في نهاية (2018)، تطبيقاً لما نص عليه التعديل الدستوري الأخير (2016) اعتماداً على ما سيفرزه النقاش الاجتماعي الذي انطلق على المدى المتوسط والطويل.

انطلقت الدراسة في المقابل من المعطى الجغرافي-البشري للمسألة الأمازيغية، المتنوع والمختلف من حالة إلى أخرى وداخل كل بلد، لمنح معلومات لقارئ هذه الدراسة غير المتخصص، تساعده على متابعة التحليل الذي ركز على عينة من المناطق التي لازالت تتعامل بالأمازيغية بمختلف ألسنتها كلغة حياة يومية، في دول شمال إفريقيا الخمس التي شملتها الدراسة. مناطق ناطقة بالأمازيغية لم تُعزل من الناحية المنهجية في هذه الدراسة، عن محيطها الوطني العام الذي تشترك معه في العمق الأنثروبولوجي والتركيبية الاجتماعية والكثير من نقاط التشابه الأخرى حتى وهي تتكلم بالعربية الدارجة عموماً. فالطرح الذي تتبناه هذه الدراسة لا ينطلق من قراءة عرقية أثنوية للمسألة الأمازيغية، بل هو طرح سوسيو-ديموغرافي، يؤمن بأن المجتمعات المدروسة عرفت تلاحقاً ثقافياً، امتزجت فيه مكوناته البشرية، عبر تاريخها الطويل، رغم عمقها الأمازيغي المشترك الذي استمر عبر التاريخ. فالأمازيغ في شمال إفريقيا لا يكونون أقلية عرقية حتى ولو فقدت لغتهم مع الوقت حضورها المهيمن الذي زاحمتها حوله لغات أخرى، غير تاريخهم الطويل (العربية أساساً منذ دخول الإسلام). فالأمازيغ لا يتعاملون بمنطق الأقلية مع محيطهم الثقافي والاجتماعي الذي نسجوا معه علاقات متعددة، حاولت الدراسة التعرف عليها وقياسها، بدءاً من البعدين الجغرافي والديموغرافي الذي انطلقت منه.

فالناطقون بالأمازيغية بالشمال الإفريقي، يمكن أن يكونوا من سكان المناطق الصحراوية القاحلة، كما هو حال التوارق-الأموهاج في جنوب ليبيا والجزائر. كما يمكن أن يكونوا

من سكان الجبال والمناطق الريفية، كما هو حالهم في منطقة القبائل والأطلس وجبل نفوسة بليبيا. أو الواحات كما هو شأن بني ميزاب بجنوب الجزائر وسيوة، بمصر أو حتى الجزر، كما هو الوضع بالنسبة لسكان جربة التونسية، إذا اكتفينا فقط بالعينة المدروسة. جغرافية لا يمكن تفسير حدودها الجغرافية الحالية، دون العودة إلى تاريخ هذه المجتمعات، لمعرفة كيف تقلص استعمال اللغة الأمازيغية، بمختلف ألسنتها التي فصلت فيها الدراسات الوطنية، لصالح لغات أخرى كالعربية مع الوقت. وهو ما يفسر بكل تأكيد هذه الجغرافية الأمازيغية المتنوعة التي اكتفت بالأطراف الصحراوية، في مناطق معزولة عن بعضها البعض فقدت تواصلها فيما بينها جغرافيا كمناطق داخل كل حالة وطنية، يصعب الولوج لها كالجبال والجزر، كما تبينه الخرائط المعروضة في الدراسة.

الأمازيغ الذين سكنوا الريف والمدينة وهاجروا كثيرا خارج مناطقهم الأصلية، كعمال وتجار وطلبة علم، بكل التبعات التي يمكن تصورها على أكثر من صعيد، كمسألة تقلص استعمالهم للغتهم الأصلية واحتكاكهم بالشعوب الأخرى ودخولهم في علاقات من كل نوع بما فيها علاقات المصاهرة، لدرجة أن باريس، العاصمة الفرنسية، تعد الآن من أكبر المدن الأمازيغية، زيادة بالطبع على الجزائر العاصمة وبجاية وأكادير وجربة وطرابلس وغيرها من المدن المغاربية، أمازيغية الأصل.

مدن استوطنها الأمازيغ تاريخيا أو دخلوها بكثافة، في بعض الأحيان ليمتزجوا فيها مع مكوناتها الأخرى وليعيشوا داخلها تحولات عميقة كمواقع اجتماعية-اقتصادية واستراتيجيات فردية وجماعية. هجرة كان ورائها الفلاح القبائلي الجزائري والريفي بالمغرب. مثل التاجر السوسي والمزابي والجربي، الذين يشتركون في عدة نقاط ليس أقلها حفاظهم على استقلالهم الاقتصادي ونزعتهم القوية إلى الهجرة خارج مناطقهم الفقيرة التي عُرفوا بها تاريخيا، للقيام بنشاطهم الاقتصادي الذي اشتهروا به : تجارة التجزئة.

من هنا جاء الاهتمام بالمحور الديموغرافي ضمن هذه الدراسة. للتعرف عما يميز الأسرة الأمازيغية في مختلف مناطق تواجدها، بالتركيز على بعض القضايا، كمكانة المرأة التي عوّلت عليها تاريخيا المجتمعات الأمازيغية في الحفاظ على ثقافتها ولغتها واستراتيجيات الزواج المنتشرة التي حاولت أن تتعرف عنها الدراسة وهل هي مختلفة، ليس من حالة وطنية إلى أخرى بل وداخل كل حالة. ضمن البعد الديموغرافي الذي حاولنا التطرق له رغم الصعوبات المتوقعة في الوصول إلى معطيات كمية دقيقة حول الحضور الأمازيغي كواقع ديموغرافي متحرك وكلغة تعامل يومي يتم التعامل بها في نفس الوقت مع لغات أخرى في الغالب مثل الدارجة وحتى الفرنسية في بعض الحالات كما هو حال مدن منطقة القبائل بالجزائر.

علما بأن كل الإحصائيات الوطنية - باستثناء الحالة المغربية - لا تقوم باعتماد المنطلق اللساني وهي تقوم بإحصاء السكان، كما هو واضح بالتفصيل في الدراسة المغربية. فالمعينة الديموغرافية تخبرنا أن عدد السكان الناطقين بالأمازيغية مختلف من حالة وطنية إلى أخرى. فعدد سكان منطقة القبائل بالجزائر أكبر بكثير من السكان التوارق وبني ميزاب، إذا اكتفينا بهذا المثال الجزائري المعروف بالعدد الكبير للناطقين بالأمازيغية على غرار المغرب، كما وضحته الدراسات الوطنية بالتفصيل، اعتمادا على أرقام متداولة. عكس الحالة التونسية أو المصرية التي تتميز بديموغرافية ضعيفة. ناهيك عن الحالة الليبية التي يحتل فيها الصراع حول المعطى الإحصائي لنسبة المتحدثين بالأمازيغية بشقيها النفسي والترقي مكانة حارقة والبلد يمر بأزمة سياسية وأمنية لم تساعد على النقاش الهادئ حوله كمعطى إحصائي وحول تداعياته السياسية.

دون إهمال تلك الصراعات وأشكال التخوف الأخرى التي يمكن تلمسها لدى أبناء المناطق الأمازيغية ضعيفة الحضور الديموغرافي على غرار أبناء غرداية والتوارق، داخل مجتمعات تعرف الكثير من الحراك الديموغرافي (هجرة وطنية ودولية) وأنواع عديدة من الصراع على العقار ومصادر الرزق وفرص الترقية الاجتماعية. خاصة عندما يتزامن ذلك مع شح في الموارد الطبيعية (الجفاف) والمالية، كما هو الحال في الفترة الأخيرة.

حجم ديموغرافي حاولت هذه الدراسة التعرف عليه، اعتمادا على التقديرات الإحصائيات الرسمية وغير الرسمية المتواترة التي عرضتها الدراسة وناقشتها بالتفصيل وعلى آثارها المختلفة، بكل الصراعات الناشئة حولها، كما يمكن توقع ذلك، في بلورة الاستراتيجيات التي تلجأ لها هذه المجموعات السكانية في علاقاتها ومحيطها الاجتماعي الوطني الأكبر، بما فيه مؤسسات الدولة الوطنية ذاتها التي ترفض الإفصاح عن عدد السكان الناطقين بالأمازيغية كجزء من السكوت على الحضور الأمازيغي ذاته وبحجة عدم التمييز بين المواطنين على أساس عرقي أو لساني يمنع القانون. خاصة إذا تم ربطها بالمتغير الجغرافي والمذهبي الديني، كما هو حال بني ميزاب في الجزائر أو سكان جربة بتونس أو جبل نفوسة بشمال غرب ليبيا الذين يتميزون بحالات ثلاث بخصوصية مذهبية (إباضية) في محيط سني مالكي، غالب. حاولت الدراسة أن تتعرف على آثار هذه الخصوصية المذهبية عندما يتعلق الأمر باستراتيجيات الزواج ومستويات الاندماج الوطني داخل مؤسسات الدولة الوطنية المختلفة في الحالات الإباضية الثلاث المدروسة كجزء من عملية تسيير التنوع التي تحصل في هذه المجتمعات، بكل الصعوبات التي تعرفها.

الاعتراف بالمذهب الإباضي الذي تحول إلى مطلب أساسي وحلقة مهمة في طريق الاعتراف بالخصوصيات الثقافية واللغوية الأمازيغية لدى أبناء هذه المناطق الإباضية التي

تعرف تجديدا كبيرا على مستوى نخبها عقائديا وجيليا، بعد الانفتاح الذي قامت به على الحالات الأمازيغية الناضجة وطنيا وإقليميا، عبر الجامعة أو الوسائط الإعلامية والفعاليات الثقافية، الفنية والدينية. في وقت تعرف فيه منطقة الشمال الإفريقي استقطابا دينيا ومذهبيا كبيرين، كما تبينه الحاليتين الجزائرية والليبية تحديدا. التي عاشت احتكاكات عنيفة بين أبناء المذهب الإباضي ومحيطهم الاجتماعي أكثر من مرة في السنوات الأخيرة، عكس الاتجاه التاريخي الثقيل المعروف عنه حسن الجوار والتعاون في تسيير التنوع الاجتماعي-الثقافي والمذهبي كاتجاه ثقيل تاريخيا. احتكاك مذهبي يحصل في وقت ازداد فيه حضور تيارات دينية جديدة كالسلفية بمختلف مدارسها التي دخلت في تنافس مع نمط التدين الشعبي الصوفي السائد تاريخيا في هذه المجتمعات، كما هو مبين في الحالة المصرية بواحة سيوة. ليكون الاحتكاك أكثر حدة وعنفا في حالة غرداية بالجزائر كما بينته الدراسة.

ضمن هذا الإطار تساءلت الدراسة أن كانت الديموغرافيا تسعفنا في فهم لماذا ينتشر الزواج المختلط بين أبناء وبنات المناطق الأمازيغية ذات الحجم الديموغرافي الكبير كمنطقة القبائل والأوراس بالجزائر والريف والأطلس بالمغرب على سبيل المثال لتكون قاعدة موضوعية لبناء النسيج الوطني الاجتماعي الواحد. في حين يسود الزواج الداخلي بين أبناء وبنات بني ميزاب الإباضيين وأبناء جربة التونسية، فهل المذهب المختلف وحده هو الذي يحدد استراتيجيات الزواج الداخلي هذه، أم أن الأمر مرتبط كذلك بالحجم الديموغرافي الضعيف وآثاره النفسية -الاجتماعية وربما حتى بنوع من العزلة الجغرافية، كما هو حال التوارق الصحراويين وأبناء واحة سيوة المصرية الذين يتميزون باتباع المذهب المالكي كتراث مشترك مع المجتمعات المغاربية، عكس أغلبية المصريين المسلمين السنة، الشافعيين والأحناف.

بعد التعرف على المعطيات الجغرافية والديموغرافية بكل تداعياتها السوسيو-سياسية الممكنة، اهتمت الدراسة بالحامل الاجتماعي الموجود وراء المطلب الأمازيغي للتعرف عليه كقوى اقتصادية واجتماعية وكيف تطورت مع الوقت. في مختلف الحالات الوطنية ودخلها في المناطق المدروسة. اختلاف الحامل الاجتماعي الذي قد يكون عامل تفسير مهم لفهم مختلف الاستراتيجيات التي تلجأ إليها الحركة الأمازيغية في كل حالة وطنية ودخل كل بلد وقدرتها على تحقيق أهدافها وهي تتعامل مع محيطها الاجتماعي والسياسي المؤسسي.

حامل اجتماعي حاولت الدراسة التعرف عليه عن قرب وكيف يكون مختلفا من حالة وطنية إلى أخرى ودخل كل حالة وطنية كجزء من التحولات غير المتساوية بالضرورة الذي عرفتها مجتمعات شمال إفريقيا، بعد الاستقلال تحديدا وحتى قبله، اعتمادا على عوامل مشتركة كالهجرة إلى أوروبا ودخل نفس البلدان وهو ما عرفت به وعلى آثاره بالتفصيل الدراسات الوطنية. فقد تحول الفلاح الفقير الذي لفظته منطقة القبائل الجبلية، المكتظة

ديموغرافيا، مع الوقت إلى عامل بمصانع فرنسا، لتكون النقلة النوعية على مستوى جيل الأبناء والاحفاد الذين كونوا نواة برجوازية قبائلية تجارية وخدمائية، توزعت بين فرنسا الجزائر. مسار صعود عرفته الحالة القبائلية ليس غريبا عن النجاحات التي حققها المطلب الأمازيغي في الجزائر بقاطرته القبائلية التي استفاد منها أبناء مناطق أخرى حتى خارج الجزائر.

نفس الهجرة التي كانت من الاستراتيجيات التي اعتمد عليها الفلاح، ابن الريف بالمغرب، داخل البلد وخارجه وهو يتوجه نحو أوروبا (اسبانيا/بلجيكا وهولندا)، كما توضحه الدراسة المغربية. تماما كما كان النشاط التجاري المستقل عند التاجر السوسي (المغرب) والمزابي (الجزائر) والجربي (تونس)، مما سمح لهم بخلق نسيج من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كانت القاعدة في التنقل والعيش ولو مؤقتا، في مختلف مناطق البلاد وخارجها، كما هو حال التجار الأمازيغ في فرنسا. الذين تحول جزء منهم نحو النشاط الصناعي والخدماتي مكونين نواة برجوازية حاضرة وطنيا تقوم في بعض الحالات بمنافسة البرجوازيات التقليدية المعروفة في هذه البلدان.

حاولت الدراسة في هذا الصدد التعرف على كل الحالات الوطنية الأخرى انطلاقا من قراءة من أسفل للحامل الاجتماعي، بكل تنوعه وتحولاته التي عاشها مع الوقت كجزء من التحولات الاقتصادية والاجتماعية الوطنية العامة، لفهم استراتيجيات الحركة الأمازيغية، بالنجاحات التي حققتها وبالإخفاقات التي لازالت تعاني منها. من خلال مؤشرات سوسيو-اقتصادية وديموغرافية تم تجميعها حول المناطق الناطقة بالأمازيغية للإجابة عن هذا السؤال المهم. ما هو نصيب المناطق الأمازيغية من التنمية بمفهومها الواسع (تعليم/صحة/شغل/خدمات) وهل هو بمقدار المناطق الأخرى؟ داخل كل حالة وطنية، أم أن التعامل معها كان مختلفا لأنها مناطق أمازيغية مشاكسة ومغضوب عليها؟ كما يشعر بذلك سكان بعض المناطق الأمازيغية ونخبها وهي تطالب بحقها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتربطها في أحيان كثيرة مع المطلب الأمازيغي الذي تنادي به، كما كان واضحا في حالة منطقة الريف بالمغرب (في المدة الأخيرة (2017) التي صادفت أحداثها إجراء البحث الميداني والمقابلات المنجزة في إطار الدراسة.

حاولت الدراسة من جهة أخرى التعرف على الرهانات والصراعات الاجتماعية الكثيرة التي طفت على السطح السياسي وهي تواكب الدور الاقتصادي الذي قامت به الدولة الوطنية بعد الاستقلال كفاعل اقتصادي ورب عمل ومستثمر، ليس في المناطق الريفية فقط، كما مبين في حالة واحة سيوة المصرية(على غرار الدور الاقتصادي للجيش المصري) أو منطقة القبائل بالجزائر أو الجنوب التونسي أو الريف المغربي ومنطقة الأطلس، بل في المدينة كذلك التي ظهرت كمجال جديد للحراك الأمازيغي في شمال إفريقيا، كما يظهر

في الدراسات الوطنية المعروضة التي تبرز دور المدن الكبرى والمتوسطة كمسرح للحدث السياسي بالمناطق الأمازيغية، من خلال تعبيرات كثيرة كانت ورائها نخب كثيرة ومتنوعة، استفادت من دخولها للمدن القريبة منها وحتى البعيدة للتعليم والعمل لاحقا كجزء من بيروقراطية الدولة الوطنية التي كوّن أبناء المناطق الأمازيغية جزء مهم منها في أكثر من حالة وطنية (أبناء الجبل في طرابلس أو القبائل في الجزائر العاصمة على سبيل المثال). لتكون الجامعة والحركة الطلابية على رأس المؤسسات التي تبنت المطلب الأمازيغي وعبرت عنه تاريخيا. قبل انتقاله إلى فضاءات شعبية أرحب داخل المدينة المغاربية (مدينة تيزي وزو والجزائر العاصمة كمثال في 2001 والحسيمة في 2017)، زيادة بالطبع على المناطق الريفية التي عُرف داخلها المطلب الأمازيغي تاريخيا.

في هذا الإطار اهتمت الدراسة بالنخب التي عبرت عن المطلب الأمازيغي ودافعت عنه بمفهومها الواسع، كالنخب السياسية والتجارية والصناعية وحتى النخب الثقافية (سي محند أومحمد/مولود معمري) والفنية على غرار المغنين (معطوب لونس)، كما كان الحال في منطقة القبائل بالجزائر على سبيل المثال التي اشتهرت بهذا التنوع الكبير في انتاج النخبة تقليديا. نخب كان لها دور أكيد في الدفاع عن المطلب الأمازيغي، من داخل المؤسسات التي عبرت من خلالها كالحزب السياسي والجمعية التي كانت أكثر حضورا في الحالات الأمازيغية التي تأخر ظهورها كالحالة التونسية، ناهيك عن الاشكال التقليدية للتمثيل التي قام بها أعيان وشيوخ قبائل، كما هو الوضع في حالة في سيوة المصرية ومنطقة التوارق بالجزائر التي تحول فيها الاعتراف بمؤسسة الأمنوكال (القيادة الترقية التقليدية) إلى مطلب أساسي لدى أبناء المنطقة، ضمن مطالب أخرى مرتبطة بتحسين وضعيتهم الاقتصادية-الاجتماعية كمنطقة صحراوية فقيرة وتمثيل أكبر لأبنائهم داخل مؤسسات الدولة الرسمية، ضعيفي الحضور داخل مؤسساتها، بعد وصول التعليم العالي إلى مناطقهم في السنوات الأخيرة وبداية انتاج نخب متعلمة. عكس الحزب السياسي الذي انتجته الحالات الأمازيغية الناضجة، كما هو الحال في المغرب، مع المحجوب احرضان تاريخيا وفي الجزائر مع أكثر من وجه سياسي وحزبي (د. سعيد سعدي وقبله حسين آيت احمد على سبيل المثال).

اهتمت الدراسات الوطنية من جهة أخرى بالآليات كالانتخابات السياسية وما تمثله من لحظة سياسية معبرة عن المطلب الأمازيغي ونخبه وكاتجاهات طويلة المدى كذلك، بما تعبر عنه من تجنيد والتفاف شعبي وجد في الكثير من الحالات صعوبات في تجاوز الطابع المحلي والارتباط بالأشمل الوطني حتى عندما تعلق الأمر بالحالات الناضجة كالحالتين الجزائرية والمغربية اللتان لم تنجحا حتى الآن، رغم إنجازاتها في الخروج من المحلي نحو الوطني الذي استمر عصيا على الخطاب الأمازيغي والنخب المدافعة عنها، رغم التطور

الكبير الحاصل في السنوات الأخيرة كما عبرت عنه الحركات الاجتماعية المختلفة التي تميزت بمشاركة قوية لأبناء المناطق الأمازيغية داخل وخارج مناطقهم كالحركة النقابية العمالية والطلابية والحركات الاجتماعية الجديدة، ساهمت كلها في تسريع الاعتراف الدستوري والقانوني بالمطلب الأمازيغي في الجزائر والمغرب، بما عكسه من درجة قبول اجتماعي بالمطلب في حد ذاته مجتمعيا ولدى النخب الرسمية التي كانت معادية له أو متحفظة عليه. الدراسة التي حاولت التعرف على التنوع الذي يميز هذه النخب واشكال التعبير التي تبنتها، ليس داخل كل حالة وطنية بل داخل الحالات الوطنية ذاتها. تعدد في نوعية النخب وفي حضورها الاجتماعي واشكال تعبيرها العقائدية (نخب عصرية علمانية/تقليدية/أعيان). تساءلت الدراسة عن الطريقة المثلى لدراستها التي لن تكون الا بربطها بالإطار الوطني الأشمل. باعتبار أن المطلب الأمازيغي لم يتم في فراغ، بل داخل مجتمعات وأنظمة سياسية، دافعت عنها نخب أخرى منافسة حاضرة على المستوى الوطني كالنخب العروبية، الوطنية والإسلامية لاحقا، التي اشتبكت معها النخب المدافعة عن المطلب الأمازيغي، منذ ما قبل تكوين الدولة الوطنية ذاتها، كما كان الحال في الجزائر والمغرب. ليستمر حتى الآن في كل منطقة الشمال الإفريقي.

لتعرف محطة التغيير في 2011/2012 داخل الشمال الإفريقي حراكا نوعيا متميزا سمح للمطلب الأمازيغي بالتعبير عن نفسه بحرية أكبر، كما شرحته الدراسات الوطنية بالتفصيل، بما فيها تلك التي كانت مغمورة كالحالات الليبية، المصرية والتونسية تحديدا التي ارتبط فيها النضال من أجل القضية الأمازيغية بمسألة الحريات بمفهومها الواسع كحريات فردية وجماعية. لتنجح الحالة التونسية في انجاز تغيير سياسي توافقي ونوعي لم تعرفه الحالات الوطنية الأخرى المتعثرة بل والمنتكسة في بعض الأحيان، مما يعيق بكل تأكيد إمكانيات تطور المطلب الأمازيغي كجزء من الحالة الوطنية العامة. حالات وطنية جديدة بالمتابعة مستقبلا وهي تعرف مسارات سياسية مختلفة كما هو الوضع في ليبيا التي لازالت مسألة الاعتراف بدستورية اللغة الأمازيغية فيها من المطالب المطروحة بحدة في وضع سياسي وأمني مضطرب. قد يكون التعامل الإيجابي مع المطلب الأمازيغي أحد مؤشرات انفراجه على المدى القريب والمتوسط.

نخب واشكال تعبير مؤسساتي وعقائدي حاولت الدراسة تتبع كيف تغيرت مع الوقت، بالتركيز على البعد الجيلي فيها، بدءا من مرحلة الحركة الوطنية والحركة الطلابية التي توسع تأثيرها لاحقا، بعد بناء الجامعات الوطنية ووصولها إلى الحواضر الأمازيغية الكبرى بعد ذلك. منح المسألة الأمازيغية خارج العواصم والمدن الكبرى فضاءات جديدة للتعبير والتجنيد، للوصول إلى مرحلة الانتشار الشعبي الذي عبرت عنه الحركات الاجتماعية الشعبية

التي برزت بقوة أكبر نتيجة التغيير السياسي في المنطقة، بعد الربيع العربي الذي افضى إلى النجاحات التي حققها المطلب الأمازيغي في أكثر من حالة وطنية عبرت عن نفسها بالاعتراف الدستوري باللغة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية في المغرب والجزائر. نجاحات قابلتها بالعكس تيارات حاضرة بين النخب الأمازيغية، على قلتها حتى الآن، بتبني اتجاه معاكس لمنطق الاندماج الغالب وطنيا وإقليميا للمطالبة بالعودة إلى التقوقع حول الجهات وصلت لحد المطالبة « باستقلال منطقة القبائل »، كما هو الوضع في الحالة الجزائرية التي انتكس فيها جزء من النخبة الأمازيغية إلى ما دون-الوطني في مطالبه واشكال تجنيده.

نخب حاولت الدراستين المغربية والجزائرية على الخصوص التساؤل عن مصيرها وسيرورة تطورها مستقبلا وهي تعيش بداية اندماج داخل مؤسسات الدولة الوطنية، كاتجاه ثقيل، بعد تحقيقها للكثير من المطالب التي نادى بها اجيال سابقة على غرار الاعتراف الدستوري بالأمازيغية كلغة وثقافة وطنية ورسمية. مع كل ما يمكن أن يتبع هذا الاندماج من تداعيات على حيوية الحركة الأمازيغية ذاتها التي أطرتها هذه النخب التي كانت تاريخيا أقرب لمنطق المعارضة السياسية ولمركزية الدولة الثقافية واللغوية من منطلق فكري أقرب للطرح العلماني في الحالتين الجزائرية والمغربية على وجه التخصيص. نجاحات وطنية في الجزائر والمغرب افترضت الدراسة أنه سيكون لها الأثر الإيجابي على المطلب الأمازيغي في كل منطقة الشمال الإفريقي التي خلقت لنفسها الكثير من وسائل التشبيك الافتراضي على صفحات الوسائط الاجتماعية وعلى أرض الواقع من خلال آليات كثيرة ومتنوعة كالكونغرس الأمازيغي والعديد من المهرجانات واللقاءات الثقافية والعلمية التي تزخر بها المنطقة وخارجها. في تجاوز للمنطق الوطني الذي فرضته حدود الدولة الوطنية.

محور النخب كان المدخل لكي تهتم الدراسة بالنقاش الحاصل في المنطقة الشمال افريقية حول مركزية الدولة، ونوعية علاقاتها المختلفة بالمواطنين، ليس في المجال اللغوي والثقافي الذي طالبت الحركة الأمازيغية بإعادة النظر فيه ونجحت في تحقيقه داخل الحالات الناضجة (الجزائر/المغرب)، بعد عقود من النضالات، بل في شكل الدولة ذاتها وتوزيع مؤسساتها إقليميا وتقسيم مجالها الجغرافي لكي يراعي الخصوصيات الجغرافية والثقافية والاقتصادية، كما هو مطروح في أكثر من حالة كالجزائر، المغرب وليبيا تحديدا. رغم التخوف الذي لازالت تبديه النخب الرسمية الحاكمة من مثل هذه النقاشات التي لازالت ترى فيها تهديدا للوحدة الوطنية، كما تصورتها هذه النخب الرسمية ودافعت عنها لعقود.

بالفعل تعرف منطقة الشمال الإفريقي نقاشات متفاوتة الحضور حول اللامركزية بمختلف أنواعها، بادرت بها الدولة الوطنية ذاتها وجزء من الحراك الاجتماعي والسياسي

الذي تبنته بعض النخب بعد أن تبين، مع الوقت أن التنظيم الإداري يعقوبي الذي تبنته الدولة بعد الاستقلال كقاعدة عامة وصل إلى حدوده القصوى، كشكل تنظيمي وكمحرك للتنمية وكعلاقة مع المواطنين، في شبه القارة التي تمثلها المنطقة.

نقاشات عمومية شاركت فيها بقوة الحركة الأمازيغية ونخبها بأشكال ومستويات مختلفة في اتجاه المطالبة بمنح حريات أكثر وأوسع للمواطن الذي تحسن مستوى تعليمه وارتفع سقف مطالبه خاصة عندما يتعلق الأمر بالشباب الذين عبروا بمختلف الأشكال عن عدم رضاهم عن أوضاعهم التي يطالبون بتغييرها، كما بينه الحراك الذي شهدته المنطقة في 2011. في وقت بقت مؤسسات الدولة جامدة من دون تغيير جدي. بل وتوقفت حول مؤسساتها العميقة أكثر، كما حصل في الحالات الوطنية التي انتكست.

نقاشات تطرح كبديل الانطلاق من المعطى الجهوي-الإقليمي كقاعدة للتنظيم الإداري. وهو المقترح الذي لا يعني المناطق الأمازيغية فقط، بل كل جهات الوطن التي تتوق إلى مشاركة أوسع في تسيير شأنها المحلي والوطني العام للوصول إلى توزيع أكثر عدلا للثروة الوطنية، بدل السياسات التي تفرضها النخب البيروقراطية المعزولة والمتحكمة في مؤسسات الدولة المركزية وثوراتها. بعد أن بينت تجربة ما بعد الاستقلال ما للجهة من حيوية وحضور فعلي كعامل تفسير لمستويات التطور والتنمية المختلفة التي تميز بعض الجهات عن أخرى داخل هذه البلدان، مما قد يحيل إلى الثقافة وقيم التنشئة ومؤسساتها التي تميز جهات دون غيرها. يكون من المفيد الاستفادة منها كمحرك للتنمية. في إطار وطني وإقليمي أشمل.

سيكون من المفيد متابعة هذا النقاش لمعرفة ما سيضيفي إليه مستقبلا، ليس داخل الدولة الوطنية فقط، بل بين دول المنطقة المغاربية، كجماعة سياسية متخيلة، تلعب فيها الأمازيغية كثقافة، وهوية وتاريخ مشترك ونسيج جمعي وسياسي عابر للحدود، دور الرافعة الأساسية. في اتجاه بناء كيان سياسي جماعي يتجاوز أزمة الدولة الوطنية ومشاريع الاتحاد المتعثرة.

- أنجز هذا العمل في إطار التعاون بين مركز بحوث التنمية الدولية الكندي CRDI ومركز البحث في الاقتصاد التطبيقي للتنمية بالجزائر CREAD.

ناصر جابي.

المشرف العلمي على المشروع.

الحركة الثقافية الأمازيغية في المغرب الأقصى : سيرورة تحول

نموذج الريف والأطلس الأوسط

المنسق : ادريس بن العربي

هرّامي نور الدين

خالد مونة

جامعة مولاي اسماعيل - مكناس

ترجمة حميد بوحبيب.

الفهرس

- مدخل 25
- I- المسألة الأمازيغية في المغرب الأقصى : الإطار التاريخي، السوسيوديموغرافي، والاقتصادي 27
- 1 - الأمازيغية في قلب الأبنية المتعارضة للتاريخ الوطني 27
- 2 - خريطة الناطقين باللغات البربرية في المغرب 35
- 3 - الجانب الاجتماعي الاقتصادي للجهات البربرية 38
- 3 - 1 - الريف : عمالات الحسيمة، الدريوش والناظور 38
- 3 - 2 - المناطق الأمازيغية في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير 41
- 3 - 3 - بلاد تاشلحيت : سوس وعمالات ورزازات وسيدي إفني 44
- 4 - الديناميات الهجرية وتشكل الجاليات البربرية 47
- II- الريف : السيرورة المعقدة لميلاد الحركة الأمازيغية 49
- 1 - الخلفية التاريخية 49
- 2 - إعادة تشكيل جديد للحركة الأمازيغية في الريف 52
- 3 - يقظة الوعي بالهوية 55
- 4 - حراك الريف 58
- III- الأطلس الأوسط ومبلاد وعي محلي 60
- 1 - تشكّل المطالب الأمازيغية 60
- 2 - الانخراط في الإدماج الوطني للأمازيغية 62
- 3 - نحو مطالب سوسيو اقتصادية وثقافية 67
- 4 - الفاعل الأمازيغي والتحديات الاجتماعية والسياسية 68
- خاتمة 72
- ملحق الفاعلين 73
- الببليوغرافيا 75

مدخل

ظلت الإسهامات المتعلقة بالمسألة الأمازيغية محصورة لأمد طويل في الإشكالية اللغوية وتاريخ الحركة الأمازيغية . فقد هيمنت مفاهيم الهوية والثقافة والحركة على معظم الكتابات في هذا المجال. إذ شكلت علاقة الدولة الوطنية ما بعد الكولونيالية بالمكون البربري مدخلا مميزا لتلك الكتابات حول المسألة الأمازيغية. وقد شهدت الستينيات إعادة السؤال حول عدد من المفاهيم، ومن بينها « الهوية » من خلال رفض لكل إقصاء وخصوصا على المستوى الاصطلاحي، حيث فُرضت كلمة أمازيغ/الانسان الحر ورفض لمصطلح، « بربر » الذي حُمل دلالة قدحية.

وعلى الرغم من ذلك، فإن أي انتقاد لسياسة التعريب التي انتهجتها الدولة، كان يواجه بالقمع، بل وكان يعتبر مساسا بوحدة الأمة، باعتباره مرادفا للتقسيم الكولونيالي بين العرب والبربر.

وقد تميزت عشرية السبعينيات والثمانينيات بقمع سياسي لعدد من الجمعيات، وهو ما اضطرها إلى الدخول في السرية، على غرار معظم الحركات الاحتجاجية والمعارضة. وعلى الرغم من وجود نوع من التمثيل السياسي للأمازيغ من خلال حزب الحركة الشعبية التي كان يتزعمه محجوبي أحرسان، فإن الحركة الثقافية الأمازيغية بقيت في غالبيتها خارج دواليب السلطة، للحفاظ على طابعها النضالي.

إن ملاحظة المشهد السياسي الحالي في المغرب، تبين تطور المسألة الأمازيغية عبر مراحل الاعتراف باللغة والثقافة الأمازيغيتين، بحيث أن عملية التجديد المعقد لهذا الاعتراف مر بعدة مراحل منذ 1960. فإلى غاية تلك الفترة، كان الاعتراف بالهوية الأمازيغية وثقافتها ظاهرة حضرية ونخبوية، على أن تطور الأمازيغية وتوسعها سيأخذ أبعادا أخرى خلال التسعينات، بحيث ستستثمر الحركة الأمازيغية الوسط القروي من خلال المطالب السوسيو-اقتصادية. هذه السنوات سجلت مرحلة سياسية حرجة في تاريخ الحركة، وتمثل ذلك في اعتقال سبعة أعضاء نشطاء من جمعية تيلي(الحرية) في كلميمة والراشيدية سنة 1994. وقد تولد عن هذا الاعتقال موجة تعاطف دولية، وهو ما فتح مرحلة تدويل الحركة الأمازيغية في المغرب الأقصى.¹

1. El Khatir A., *Aux origines de la politisation de l'action culturelle amazighe au Maroc*, in *Asinag*, Revue de l'IRCAM, 8, Rabat, 2013, pp. 74.

وفي السياق ذاته، سيتغير خطاب الـ MCA (الحركة الثقافية الأمازيغية) ليتحول من المطالبة بالاعتراف بأمازيغية كل المغاربة، إلى خصوصية جهوية عابرة للحدود الوطنية. وفي نفس السنة سيقوم الملك الحسن الثاني بفعل استباقي، من خلال الاعتراف بالإسهام الثقافي لـ «اللهجة البربرية»، معلنا في نفس الوقت إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة المدرسية. غير أن هذه المناورة السياسية لم تجد نفعاً، ولم تتغير شيئاً في وضعية ومكانة اللغة الأمازيغية، بقدر ما كانت مجرد مناورة سياسية. ولو أنه وعلى إثر خطاب الملك، استحدثت ولأول مرة نشرة أخبار ناطقة بالأمازيغية من عشر دقائق في التلفزة المغربية.

على أن إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في عام 2003 IRCAM، سيشكل استحواداً حقيقياً للحركة الأمازيغية الثقافية من طرف الملكية. في هذا السياق سيتم اعتماد رسم « تيفناغ »² للكتابة بالأمازيغية بالمغرب، على أساس أن هذا الرسم الذي يعتبره الأمازيغيون أصيلاً وسابقاً على الإسلام من شأنه إحداث قطيعة مع الموروث المرتبط بالإسلام. هذا الاختيار يعكس موقفاً سياسياً، من حيث أن لغة تيفناغ يتحدد ضمنها البعد الترابي لـ تامزغاي (أو بلاد الأمازيغ)³.

إن إسهامنا هذا إذ يولي اهتماماً أكبر لخطاب الفاعلين إنما يهدف إلى رسم مسار الانبثاق والتطور الذي عرفته الحركة الأمازيغية في المغرب. فالغاية هي فهم مشوار الحركة وتحولاتها، بمعنى آخر كيف تم الانتقال من تنسيقية وطنية إلى عمل محلي، وكذا الانتقال من مطلب ثقافي إلى حركة احتجاجية اجتماعية اقتصادية وسياسية.

إن هذه المساهمة تسعى إلى التعرف على طبيعة هذا التحول، انطلاقاً من تحليل « المحلي » وتأثيره على « الوطني » والعكس بالعكس. إن مسعانا يتمثل في إعطاء الكلمة للفاعلين. ولتحقيق ذلك، قمنا بعمل ميداني، أجرينا فيه زهاء ثلاثين مقابلة نصف موجهة (semi-structurés) مع فاعلين أمازيغيين في مناطق الريف والأطلس المتوسط، في الفترة الممتدة بين ديسمبر 2016 وجوان 2017.

في حالة « الريف » لم يكن العمل الميداني سهلاً، لأنه تزامن مع « الحراك »، حيث كان معظم الفاعلين منشغلين أساساً بالحركة الاحتجاجية. أما فيما يخص الأطلس المتوسط، فقد واجهتنا صعوبة من نوع آخر، تمثلت في كون شريحة هامة من الفاعلين يقطنون بعيداً عن المنطقة، وهو ما جعل من الالتقاء بهم وإجراء مقابلة معهم أمراً غير ميسر دائماً. إن ما يميز هؤلاء الفاعلين، هو التزامهم الثقافي والاقتصادي والسياسي إزاء المجال الذين ينتمون إليه. وقد تشكلت عينتنا من نشطاء أمازيغيين قدامى وجدد. هذا الاختيار أملاه سعينا المنهجى الرامي إلى الإمساك بشكل أفضل بالتغيرات الجيلية في علاقتها مع المسألة الأمازيغية.

2. Pouessel S., *Les identités amazighes au Maroc*, Non Lieu, Paris, 2010.

3. *Ibid.*

I- المسألة الأمازيغية في المغرب الأقصى : الإطار التاريخي، السوسيوديموغرافي، والاقتصادي.

يتشكل السكان الناطقون بالبربرية في المغرب من ثلاث مجموعات إثنولسانية. وكل مجموعة تمثل مجالا جغرافيا. الشلوح، الناطقون بتاشلحيت يغطون مساحة تمتد إلى جنوب البلاد، من سهل سوس ومدينة سيدي إيفني إلى ورزازات. أما الإقليم التاريخي للأمازيغيين، الناطقين بتامازيغت، فهو الأطلس الكبير والأطلس المتوسط في وسط البلاد، في حين أن أهل الريف الناطقين بالريفية يتمركزون في جبال الريف وما قبل الريف في شمال المغرب.

هذه التشكيلة الإثنولسانية لسكان المغرب هي موضوع رهانات سياسية وهوياتية بصمت بعمق التاريخ المعاصر للبلاد. أساس هذه الرهانات هو مسألة خصوصية هذه الجماعات السكانية الناطقة بالبربرية والاعتراف بها من قبل الدولة.

1 - الأمازيغية في قلب الأبنية المتعارضة للتاريخ الوطني

إن انبثاق الأمازيغية كمسألة مجتمعية في المغرب، يعود إلى بداية القرن الماضي. إذ يعدّ إعلان ما عُرف بالظهير البربري بتاريخ 16 ماي 1930⁴، من طرف سلطات الحماية الفرنسية، وما تبعه من حركة احتجاجية، بداية حقيقية للحركة الوطنية المغربية⁵. لقد تضمن هذا المرسوم إنشاء محاكم عرفية، واعترافا بالقيادات المحلية الممثلة في الأعيان والقياد ورؤساء القبائل في المناطق المعروفة « بالتقاليد البربرية ». وقد كان علماء جامعة القرويين في فاس أول من ندد بهذا القانون، الذي اعتبر وضعه زرعا « للفتنة بين أبناء الشعب المغربي المسلم »، وفصلا للبربر المسلمين عن الشريعة الإسلامية، تمهيدا لـ « تنصيرهم »⁶ في مرحلة لاحقة.

4. ظهر 16 ماي 1930، ينظم عمل القضاء لدى القبائل ذات التقاليد البربرية التي ليس لها محاكم لتطبيق الشريعة. ويمنح هذا المرسوم للمحاكم العرفية صلاحيات خاصة ويخول للقيادات المحلية (قياد ورؤساء قبائل) سلطات هامة في المناطق البربرية. يمكن الاطلاع على نص المرسوم كاملا على الموقع التالي. -

<http://www.unesco.org/culture/fr/indigenous/Dvd/pj/IMAZIGHEN/DAHIR%20BERBERE.pdf>

5. Ageron Ch. R., *La politique berbère du protectorat marocain de 1913 à 1934*, in *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, Année 1971, Volume 18, n° 1, pp. 50-90.

يشير المؤلف إلى غاية 1934 كانت الحركة الوطنية الفتية لا تتحدد إلا بمدى معارضتها للسياسة البربرية. (ص88).

6. في هذا الصدد يمكن العودة إلى بعض كتابات ممثلي الحركة السلفية في الوطنية المغربية مثل علال الفاسي وأبوبكر القادري.

وعلى إثر هذا التنديد انطلقت من المساجد مظاهرات بسلا وفاس وتطوان وطنجة. كما تم تحرير مذكرة من طرف المناضلين الوطنيين وإرسالها للسلطان محمد الخامس، مطالبين فيها بإلغاء المرسوم المذكور. وقد أسفرت هذه الدينامية عن ميلاد أو حزب مغربي مناهض للاستعمار وهو حزب « الكتلة » للحركة الوطنية، وكان ذلك سنة 1934. تقوم الأطروحة التي قدمها المناضلون الوطنيون الأوائل، في مواجهة ما اعتبروه سياسة بربرية لحماية الفرنسية⁷، متجسدا في ظهير⁸ 1914 و1930، على المسلمات التالية :

كل مكونات الشعب المغربي يوحدها الإسلام. والبربر، السكان الأصليون للبلاد تقبلوا الإسلام عن قناعة ودافعوا عنه وشاركوا بحماس في نشره.

العربية هي لغة القرآن. والمغرب عضو من المجموعة الناطقة بهذه اللغة وهي الأمة العربية.

الشخصية المغربية متأثرة متأثرا عميقا بالإسلام ولغته العربية⁹.

هذا، ويذهب علال الفاسي، زعيم حزب الاستقلال إلى الدفاع عن أطروحة مفادها أن بربر المغرب قبل الإسلام أصبحوا ساميين بفضل دخول اللغة الفينيقية قرونا قبل الفتح العربي. وفي زعمه، كانت الفينيقية لغة المبادلات التجارية والإدارة، حتى في عهد الحكم الروماني. وهذا ما يفسر حسب علال الفاسي التقبل للإسلام، والاستيعاب السريع للغته العربية¹⁰.

وإجمالا، فالأمازيغية من منظور الحركة الوطنية هي مكّون استوعبه الإسلام والعروبة، بحيث أن هاتين المرجعيتين تتداخلان بسبب القرابة الإيديولوجية والتاريخية. فالانتماء إلى الأمة الإسلامية يمثل الهوية العليا التي تلغي كل الانتماءات الأخرى على هذه الصورة، طُرحت المسألة الأمازيغية مند بداية الحماية الفرنسية بالمغرب. وغداة استقلاله، ستستمر هذه المسألة في إثارة مقاومات شرسة وعداء واضح من قبل القوى الاجتماعية المنتهية بإزالتها للاستعمار.

7. Ageron Ch. R., *op. cit.*

8. الظهير المتعلق بشؤون القبائل البربرية، المؤرخ بيوم 11 سبتمبر 1914، يمكن العودة إليه على الموقع التالي : http://www.amazighworld.org/countries/morocco/documents/dahir_berbere/dahir_my_youssef.php

9. يمكن العودة على سبيل المثال إلى علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، 1948. مؤسسة علال الفاسي، طبعة جديدة، الرباط 2003. في هذا الكتاب يرى علال الفاسي أن هذا النموذج ينطبق على بلدان المغرب الثلاثة : المغرب والجزائر وتونس.

10. يستشهد علال الفاسي بأنشودة أمازيغية تقول : « كل ما نعرفه منذ الأزل، هو أننا والعرب إخوة متحدون. أليس أب إسلام البربر عربيا ». المرجع نفسه.

العناصر الأساسية للحركة الوطنية المغربية، المتمثلة في حزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي (PI)، والاتحاد الوطني للقوى الشعبية (UNFP) بزعامة مهدي بن بركة، الذي سينجب لاحقا الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية، كلها انخرطت في المشروع القومي العربي الذي كان مهيمنا في تلك الفترة. وكانت تدافع عن مفهوم معين للأمة المغربية، يستمد مصادره من اللغة العربية والتاريخ المشترك المزعوم لكل الناطقين بها، بالإضافة إلى كما هو الحال بالنسبة إلى حزب الاستقلال الدين الإسلامي.

أما الإسلاميون الذين سينتظمون في حزب العدالة والتنمية، بعد نصف قرن لاحقا، فإنهم سيواصلون نفس النهج مع طرح الإسلام كعامل موحد للأمة بامتياز. أما « البربرية » فلا مكان لها في هذا التمثيل للأمة والتاريخ الوطني. بل إنها ستُعامل على أنها من مخلفات الاستعمار، وسيعمد غالبا إلى التذكير بظهير 1930 المسمى « بربريا » للتأكيد بـ« الأصول الكولونيالية » للمطالب الأمازيغية.

لقد دفعت التجاذبات بين القصر وحزب الاستقلال غداة الاستقلال بالمخزن، إلى خلق كيان سياسي جديد « الحركة الشعبية » 1957، بهدف إضعاف حزب الاستقلال وإحداث توازنات سياسية جديدة في البلاد. هذا التشكل السياسي سيتعين عليه المواجهة والتصدي لحزب الاستقلال باعتباره قوة سياسية ممثلة للبرجوازية الحضرية ذات الأيديولوجية القومية العروبية، انطلاقا من القرى وخصوصا مناطق الأطلس الأمازيغية.

وسيتولى قيادة هذا التشكل السياسي رجلاان: المحجوبي أحرضان، وهو ضابط سابق في الجيش الفرنسي، ضمته الدولة الفتية ما بعد الكولونيالية. والثاني هو الدكتور الخطيب، أحد قادة المقاومة المناهضة للاستعمار.

وكانت فكرة المخزن من وراء ذلك هي خلق حزب قروي¹¹ يعمل على التصدي لهيمنة حزب الاستقلال. وهكذا أنشئت الحركة الشعبية تحت شعار « لم نحارب من أجل الاستقلال لنخسر حريتنا»¹²

وعلى امتداد عقود كاملة، اشتغلت الحركة الشعبية كحزب للأمازيغ، واستطاعت أن تستقطب النخب البربرية التي لم تجد لنفسها مكانا ضمن الأحزاب القومية العروبية الحضرية المنبثقة عن الحركة الوطنية. ومع ذلك فإن هذه التشكيلة السياسية لم تقدم أي مطلب ثقافي بشكل رسمي، على الرغم من كونها جندت الهوية الأمازيغية في إطار تحركاتها السياسية، كما في الانتخابات. وفي هذا الصدد يذهب أحد وجوه المؤتمر الأمازيغي، وهو ر. راحة إلى حد وصف الحركة الشعبية بأنها حركة قومية عروبية، بقوله: « على الرغم من كون نخبه هذا الحزب وقاعدته الشعبية من الناطقين بالأمازيغية

11. قروي بمعنى قاعدة اجتماعية ريفية، مقابل الطابع الحضري لحزب الاستقلال

12. Perrault G., *Notre ami le roi*, Gallimard, Paris, 1990, p. 39.

أساسا، إلا أن الحركة الشعبية كانت دوما حزبا «عروبيا» كغيرها من التشكيلات السياسية المغربية.¹³

أما أحمد عصيد، رئيس المرصد الأمازيغي للحقوق والحريات، فيقول بشأن محجوبي أحرضان، مؤسس هذه الحركة ورئيسها: « كان يردد علينا بأن القضية الأمازيغية مثل البابوش¹⁴ الذي يتعَيَّن علينا خلعه عند عتبة المسجد، لنستطيع الحصول على مكان لنا في دواليب السلطة.¹⁵ »

هذا وستشهد نهاية الستينيات، ميلاد أول حركة أمازيغية صريحة، إنها: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي AMREC. هذه الجمعية التي تأسست سنة 1967 في مدينة الرباط على أيدي علي أزايكو وإبراهيم أخياط وأحمد بوكوس، كان من أهدافها نشر الوعي بالمروروث الثقافي الأمازيغي، من خلال الدفاع عن الثقافة والفنون الشعبية ومحاربة الأمية.¹⁶ بحيث لم تكن الحقوق الثقافية ولا الاعتراف باللغات الأمازيغية والثقافات الأمازيغية، ضمن جدول أعمالها، لكون هذه المطالب في تلك الآونة كانت تبدو متماهية مع فكرة الاستعمار والظهير المسمى «البربري» لسنة 1930، فضلا عن التحفظ الذي كانت تبديه أحزاب اليسار إزاء الحركة الشعبية للمحجوبي أحرضان، المنظور إليها كحاملة لمطالب أمازيغية، ولكنها في نظرهم حزب إداري رجعي موالي للقصر.¹⁷

في نهاية السبعينيات ستعرف الحركة الأمازيغية، تحولا عميقا في توجهها. وستتشكل في الرباط سنة 1978 جمعية جديدة تعرف باسم « الجمعية الجديدة للثقافة والفنون الشعبية ANCAP ou Tamaynut»، وذلك على يد مثقفين سوسيين مقيمين في الرباط، وستعمل هذه الجمعية على نقل المطالب من مجال المحافظة على الموروث الثقافي إلى مجال الحقوق الثقافية واللغوية. وسيُتَّوَج هذا التحول في نشاط المناضلين الأمازيغ بتنظيم « جامعة صيفية » في أكادير سنة 1980، والذي فتح لأول مرة نقاشا عاما حول المسألة الأمازيغية من خلال ندوة وطنية جمعت الفاعلين الأمازيغيين، كما تلت هذا الحدث محاولة ثانية لتنظيم جامعة بأكادير سنة 1982، إلا أنها جوبهت بالرفض من طرف السلطات الإدارية.

13. Raha R., *Le Mouvement populaire et l'Amazighité* :<http://www.amadalpresse.com/RAHA/Mouvement.html>

14. النعل التقليدي المغربي

15. Jeune Afrique, 11 mai 2017 : <http://www.jeuneafrique.com/mag/433563/politique/maroc-amazighs-ont-conquis-pouvoir/>

16. Rollinde M., *Le mouvement amazigh au Maroc : défense d'une identité culturelle, revendication du droit des minorités ou alternative politique ?* In *Insaniyat, Revue algérienne d'anthropologie et des sciences sociales*, 8/1998, p. 2.

17. *Ibid.*

كل هذه الإرهاصات ستؤدي إلى تقوية النضال من أجل المطالب الثقافية الأمازيغية، والذي سيثمر بعد عشر سنوات - على هامش أشغال اللقاء الرابع لجمعية « الجامعة الصيفية لأكادير » في أوت 1991 - بتوقيع ميثاق من أجل الدفاع عن الثقافة الأمازيغية، والمشهور بـ « ميثاق أكادير للغة والثقافة الأمازيغيتين ».¹⁸ من طرف ممثلي ست جمعيات أمازيغية.

هذا البيان يؤكد على ضرورة تثمين الأمازيغية والاعتراف بها كمكون أساسي للهوية الوطنية، ويندد بالتهميش الذي تتعرض له الثقافة الأمازيغية، كما يطرح تصورا يتضمن شروط « سياسة لغوية وثقافية ديمقراطية قائمة على أساس الاعتراف بالحقوق اللغوية والثقافية المشروعة لكافة مكونات الشعب المغربي ».¹⁹

إن أهمية ميثاق أكادير، يتجاوز نطاق التعريف العام بالمطالب الثقافية واللغوية، ليصبح بسرعة مرجعا يجمع مجموعة من الفاعلين الأمازيغ في المغرب ويبدأ سلسلة من الإجراءات ذات الامتداد الدولي. كما هو الشأن بالنسبة للمذكرة التي أرسلتها مجموعة من الجمعيات الأمازيغية إلى الندوة الدولية لحقوق الإنسان بفيينا في يونيو/حزيران 1993. كل هذه الديناميات، والتي تزامنت مع أحداث الجزائر، سمحت بميلاد المؤتمر العالمي الأمازيغي سنة 1995، وهو منظمة عبر وطنية تسعى لتمثيل جميع « الأمازيغ ».

وأمام تكثيف التعبئة الأمازيغية، أعلن الملك الحسن الثاني، في خطاب 20 أوت 1994، عن نيته في إدماج « اللهجات الأمازيغية » في المنظومة التعليمية. وستشرع التلفزة الوطنية بداية من 1995 في بث نشرات الأخبار باللغات الأمازيغية ضمن جريدتها اليومية.

أما الأحزاب التقليدية (حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية)، فإنها ستعتمد إلى تلطيف مواقفها العدائية إزاء المطالب الثقافية للحركة الأمازيغية. إلا أن مواقفها تلك، اعتبرت من قبل المناضلين الأمازيغ مجرد دعاية انتخابية، مجردة من أية رؤية لمسألة التعددية الثقافية واللغوية للمجتمع المغربي.

على أن هذا الانفتاح، سيعرف انتكاسة سنة 1996، مع الدستور الجديد المعتمد والذي تجاهل المطالب الأمازيغية، مما دفع الحركة الأمازيغية - ممثلة آنذاك بمجلس التنسيق الوطني - إلى التصعيد من خطاباتها، معلنة استعدادها لخوض كل أشكال النضال من أجل انتزاع « الحقوق المشروعة للأمازيغ ».

18. El Khatir A., *Aux origines de la politisation de l'action culturelle amazighe au Maroc*, in *Asinag, Revue de l'IRCAM*, 8, Rabat, 2013, pp. 59-76.

19. Extrait de la Charte cité dans : El Khatir, A., *ibid.*, p. 62.

وبحلول سنة 2001، أي بعد اعتلاء الملك محمد السادس العرش، ستبني الدولة مقاربة جديدة في تعاطيها للمسألة الأمازيغية، تقطع مع سياسة الحذر، وحتى مع القمع الذي كانت الدولة تنتهجه اتجاه الحركة الأمازيغية.

هكذا، ستسند الدولة مهمة تدبير المسألة الأمازيغية إلى مؤسسة أنشئت بموجب ظهير (مرسوم) ملكي مؤرخ بيوم 17 أكتوبر 2001، وهي المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (IRCAM)، مستغلة ضعف التنظيم الامازيغي الوطني وعدم نجاحه في تجاوز مجموعة من الإكراهات، خصوصا بعد تراجع تجربة «مجلس التنسيق الوطني».

هذا المعهد الجديد والذي سيحول مسار الحراك الأمازيغي في المغرب من خلال دخول فاعل جديد (الدولة) في المطالب الأمازيغي²⁰. ولئن كان المعهد الملكي قد استحدث من أجل الحفاظ على الثقافة الأمازيغية والنهوض بها في جميع تعابيرها وضمن إشعاعها على كافة المستويات (مثلما ينص عليه مرسوم التأسيس)، فإن القرارات المتخذة في إطار المعهد ستصبح محل تنسيق بين السلطات الحكومية والفاعلين الأمازيغ²¹. أما التحكيم فيها فهو من صلاحيات المؤسسة الملكية.

ومع كل هذا، فإن إنشاء المعهد الملكي IRCAM لم يمنع من تطور النضالات في صفوف الامازيغ بقدرما ازدادت كثافة. إذ التصعيد استمر في مواجهة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية من طرف بعض الجمعيات الامازيغية التي رأت في المعهد المنشأ انحرافا عن المسار النضالي إيمازيغين، وخيانة لمبادئ ميثاق أكادير، سيما وأن فشل المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في تحقيق الغايات التي أنشئ من أجلها، بعد خمس سنين من تواجده، راح يغذي مواقف خصومه ومنتقديه، وبالتالي ف« مأسسة الأمازيغية وإدماجها في الإعلام والتعليم والإدارة وسائر المرافق العامة لا يتحقق بالارتقاء في أحضان المقاربات المخزنية للملف الأمازيغي، وإنما عبر التصعيد النضالي من أجل دسترة رسمية للغة الأمازيغية كمدخل لإدماجها في سائر مناحي الحياة العامة»²².

وقد جاء رد المناضلين الأمازيغ قويا في هذه الفترة، كتنديد بسوء تدبير المسألة الأمازيغية من طرف الدولة، وتنصلها من الاعتراف بالأمازيغية كلغة رسمية في الدستور المغربي، مما دفع بثلة من الأمازيغيين من تأسيس حزب سياسي، أطلق عليه اسم

20. Feliu L., *Le Mouvement culturel amazigh (MCA) au Maroc, L'Année du Maghreb*, I, p. 274-285, 2006.

Aït Mous F., *Les enjeux de l'amazighité au Maroc.*, Confluences Méditerranée, 3/N° 78, p. 121-131, 2011.

21. Texte du dahir est consultable sur : <http://www.ircam.ma/?q=ar/node/4670>

22. انظر بيان التنسيق الوطنية للجمعيات الأمازيغية الديمقراطية المستقلة في : Amiyaouai Imazighen, [http://amaghnas.blogspot.com/Omaawai imazighen](http://amaghnas.blogspot.com/Omaawai%20imazighen), 12 décembre 2007.

« الحزب الديمقراطي الأمازيغي المغربي » (PDAM) بزعمامة المحامي أحمد أدغرني سنة 2005، وهو حزب يدعو إلى إقامة دولة علمانية فدرالية على أساس جهات تتمتع بحكم ذاتي، على أن وزارة الداخلية رفضت الاعتراف بالحزب، مبررة ذلك بقانون الحريات العامة الذي يمنع تأسيس أي حزب على خلفية عرقية أو دينية أو غير ذلك.

كما تمثل الرد على المعهد وعلى سياسة الدولة اتجاه الأمازيغية بتأسيس تنظيم سياسي « مجموعة الاختيار الأمازيغي » يناير 2007، والتي تضم مجموعة من الفعاليات التي انسحبت من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في فبراير/شباط 2005، تنتقد فيه أعمال المعهد التي شلت بسبب « قصور وسائله القانونية على إنجاز المهام الموكولة إليه، خاصة منها تلك المتعلقة بالحفاظ على التوازن الثقافي واللغوي للمجتمع الذي يشهد خلا ممنهجا، على حساب الأمازيغية، كما رتبته سياسة التعريب » ويتضح من خلال البيان التأسيسي للمجموعة أيضا أن « الوقائع كلها من الممارسة الفعلية، تشهد بأن الدولة، في توجهاتها الجديدة بخصوص الأمازيغية، لا تستند إلى سياسة واضحة وصارمة، بشأن تدبير التعدد اللغوي والتنوع الثقافي. فهي تفتقر بالأساس إلى منظومة قانونية، تحمي الأمازيغية وتعيد لها الاعتبار وتحدد المسؤوليات ثم تلزم مختلف الأجهزة التنفيذية بالقيام بواجباتها، تجاهها، تحت طائلة المحاسبة والجزاء عند الاقتضاء. وعلى خلفية هذا المناخ المتأزم، يكتسي قرار الانسحاب الجماعي، لسبعة أعضاء، من مجلس إدارة المعهد أهمية سياسية».²³

وسيعطي « الربيع العربي » نفسا جديدا للأمازيغية في المغرب. فمنذ المظاهرات الأولى، عدت الجمعيات الأمازيغية فاعلا أساسيا في الحراك الذي عرفته البلاد سنة 2011. وقد أدت هذه المشاركة إلى اعتماد بعض الجمعيات الأمازيغية من طرف لجنة صياغة دستور 2011. وبالفعل فقد شدد الدستور الجديد لسنة 2011 على كون العنصر الأمازيغي يشكل مكونا أساسيا للأمة المغربية، كما جعل هذا الدستور من الأمازيغية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية للبلاد.²⁴

23. أرضية الاختيار الأمازيغي، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=96821>

24. يمكن العودة إلى نص الدستور على الموقع التالي :

http://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/---ed_protect/---protrav/---o_aids/documents/legaldocument/wcms_127076.pdf

المؤطر 1

الفقرة 3 من ديباجة دستور 2011 المحددة لمكونات الأمة وروافدها :

المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشعبة بوحدتها الوطنية والترايبية، وبصيانة تلاحم وتنوع مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية-الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية. كما أن الهوية المغربية تتميز بتبوء الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء.

المادة 5 من دستور 2011 المخصصة للمسألة اللغوية :

تظل العربية اللغة الرسمية للدولة. وتعمل الدولة على حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها. تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة بدون استثناء. يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وكيفية إدماجها في مجال التعليم، وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية. تعمل الدولة على صيانة الحسانية، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الهوية الثقافية المغربية الموحدة، وعلى حماية اللهجات والتعبيرات الثقافية المستعملة في المغرب، وتسهر على انسجام السياسة اللغوية والثقافية الوطنية، وعلى تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر تداولاً في العالم؛ باعتبارها وسائل للتواصل، والانخراط والتفاعل مع مجتمع المعرفة، والانفتاح على مختلف الثقافات، وعلى حضارة العصر.

يُحدّث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية، مهمته، على وجه الخصوص، حماية وتنمية اللغتين العربية والأمازيغية، ومختلف التعبيرات الثقافية المغربية باعتبارها تراثا أصيلا وإبداعا معاصرا. ويضم كل المؤسسات المعنية بهذه المجالات. ويحدد قانون تنظيمي صلاحياته وتركيبته وكيفية سيره.

في ختام هذا العرض، ينبغي أن نركز على المظاهر التالية :

إن المسألة الأمازيغية بصمت التاريخ المغربي المعاصر. إن الديناميات التي أعقبت الظهير المسمى بربريا، لسنة 1930، ستضغط بكل ثقلها على التوجهات الإيديولوجية للوطنية المغربية التي ستجعل من التوجه العربي - الإسلامي هوية مركزية للبلاد.

لقد أدت الديناميات ما بعد الكولونيالية، منذ نهاية عهد الحماية إلى ظهور أول تنظيم سياسي « موجّه » إلى الأمازيغ، وهو الحركة الشعبية. هذا الحزب الذي أنشأته السلطة لمواجهة الحركة الوطنية انطلاقا من « القروي »، مثل طيلة عقود من الزمن

في نظر الناس حزبا للأمازيغ، دون أن يقدم أية مطالب ثقافية. وبداية من نهاية الستينيات، ستظهر أشكال جديدة من التنظيمات الوطنية، والتي اتخذت في البداية طابعا تراثيا. وفي مرحلة لاحقة سنشهد بداية السبعينيات شكلا تنظيميا جديدا وحركية أمازيغية مركزة حول الهوية الأمازيغية والحقوق الثقافية. وقد تمثل ردّ الدولة بالاعتراف بالمرجعية الأمازيغية، إذ تصبح الدولة نفسها فاعلا في الحقل الأمازيغي، من خلال المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ومن خلال دسترة الأمازيغية كـمكون للهوية الوطنية، وأخيرا من خلال الاعتراف بالأمازيغية كلغة رسمية.

2 - خريطة الناطقين باللغات البربرية في المغرب

استنادا إلى الإحصاء العام للسكان والسكنى (RGPH) لسنة 2014، تبقى الدارجة (اللهجة المغربية) اللغة الأولى المستعملة بالمغرب (91% من الاجابات المحصل عليها). أما اللغات البربرية أي تاشلحيت وتاريخيت وتامازيغت، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الدارجة²⁵. 14% من الإجابات المحصل عليها تذكر تاشلحيت كلغة مستعملة، وهي بذلك اللغة البربرية الأولى المستعملة في المغرب، وتأتي في المرتبة الثانية تامازيغت بنسبة 8,8%، بينما لم تحصل تاريخيت إلا على 5% من الإجابات المحصل عليها، وهي بذلك تأتي في المرتبة الثالثة.

إن هذه النسب المذكورة لا تختلف إطلاقا عن النتائج المحصل عليها أثناء إحصاء عام 2004، وهو ما يظهر في الجدول التالي :

جدول رقم 1 : اللغات المحلية المستعملة في المغرب (غير حصري)

المؤشر	حصري	قروي	المجموع 2014 RGPH	المجموع 2004 RGPH
الدارجة	96,3	82,7	90,9	89,8
تاشلحيت	11,5	18,2	14,1	14,6
تأمازيغت	5,1	12,2	7,9	8,8
تاريخيت	3,8	4,4	4,0	4,8
الحسانية	1,2	0,3	0,8	0,7

المصدر : الإحصاء العام للسكان والسكنى لعامي 2014 و2004 RGPH

25. حصر اللغات الأمازيغية في تاشلحيت وتاريخيت وتامازيغت فقط، يُقصي بعض التنوعات الأخرى المختلفة عن الفئات الثلاث المذكورة، مثل الصنهاجية في إقليم ما قبل الريف. يمكن العودة في هذا الباب إلى التحليل

النقدي لـ :

Ramo H., *La carte linguistique du Maroc*, p. 119 et suivantes, in *Asinag, Revue de l'IRCAM*, n° 8, Rabat, 2013.

إن المعطيات التي يتضمنها إحصاء RGPB 2014 يظهر مدى حيوية اللغات البربرية في الفضاء القروي أساسا بالنسبة إلى تاشلحيت وتامازيغت. أما في الفضاء الحضري فإن هذه اللغات أقل استعمالا (11,5% مقابل 18% بالنسبة إلى تاشلحيت في القرى، 5,1% مقابل 12,2% بالنسبة إلى تامازيغت). أما تاريقت فإن نسب استعمالها بين الوسط القروي والحضري فهي متساوية تقريبا (3,8% في الوسط الحضري و4,4% في الوسط القروي).

حسب الإحصاءات المسجلة، بخصوص الجهات أكثر استعمالا للغات البربرية، فإن هذه الأخيرة تسجل أعلى نسب الناطقين بها في مناطقها التاريخية. فتاريقت تسجل أعلى نسبة استعمال لها في جهة الشرق (36,5%) أي الجهة التي تضم عمالات الناظور والدريوش وجزءا من الريف التاريخي، وجهة طنجة وتطوان والحسيمة (10%)، بتواجد عمالة الحسيمة في هذه الجهة.

أما تاشلحيت فهي تسجل نسبة 66% في معقل سوس (جهة سوس-ماسة). وفي المناطق المحاذية لجهة كلميم - واد نون (عمالة سيدي إفني وشمال عمالة كلميم) تستعمل تاشلحيت بنسبة 52%. في شمال سوس في عمالة مراكش أسفي (حاحا وجبال الصويرة انطلاقا من إيمتانتوت بنسبة (26,3%)). وفي الشمال الشرقي لجهة درعة - تافيلالت بنسبة (22%).

تسجل نسبة الناطقين بالأمازيغية بشكل مكثف في المناطق الجغرافية لكل من بني ملال-خنيفرة (خاصة في عمالة خنيفرة وعمالة أزيلال) بنسبة 30%، درعة- تافيلالت (خاصة عمالة ميدلت) بنسبة 48% وفي فاس-مكناس بنسبة 13%.

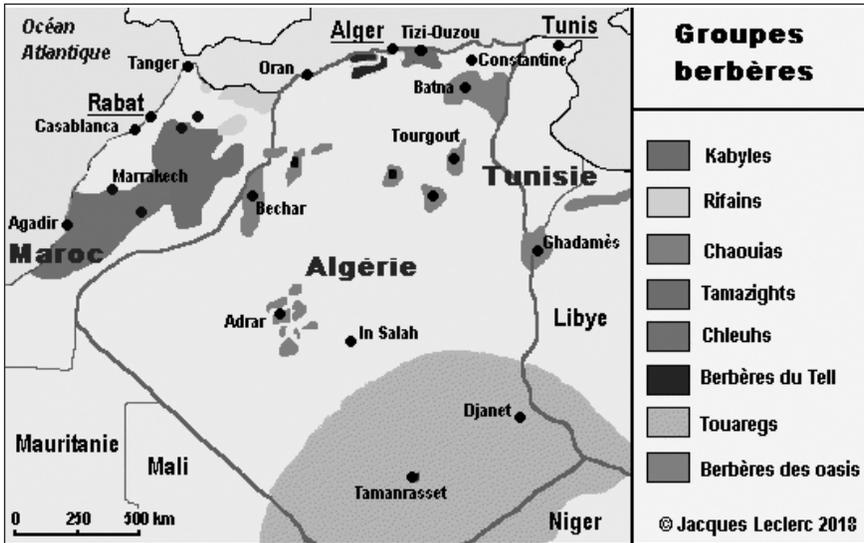
ومما يجدر الاهتمام إليه في الخريطة اللغوية للمغرب، هو أن تاشلحيت وتامازيغت تتوفران على جيوب للناطقين بها خارج مجالاتها التراثية التاريخية في جهات كثيرة من البلاد، وذلك بسبب حركة الهجرة. (الجدول أسفله). وتشير معطيات الإحصاء العام لسنة 2014 إلى أن تاريقت قليلة الانتشار خارج جهة الريف.

الجدول 2 : اللغات المحلية المستعملة بحسب المناطق (غير حصري)

النسبة المئوية من مجموع السكان	عدد سكان الجهة	الحسانية	تاريقت	تامازيغت	تاشلحيت	الدارجة	
10,5	3540 012	0,0	10,3	0,6	1,7	96,8	طنجة- تيطوان- الحسيمة
6,8	2 302 182	0,0	36,5	6,5	2,9	88,1	الشرقي

12,5	4 216 957	0,0	2,4	12,9	1,9	97,8	فاس-مكناس
13,5	4 552 585	0,1	0,4	6,3	5,2	99,1	الرباط-سلا- القنيطرة
7,5	2 512 375	0,0	0,1	30,2	10,6	84,5	بني ملال- خنيفرة
20,3	6 826 773	0,0	0,2	0,7	6,9	99,4	الدار البيضاء- سطات
13,4	4 504 767	0,1	0,1	0,5	26,3	89,0	مراكش-سافي
4,8	1 627 269	0,2	0,1	48,5	22,0	63,2	الدرعة- تافيلالت
7,9	2 657 906	0,5	0,1	1,1	65,9	70,8	سوس-ماسه
1,2	414 489	20,8	0,2	1,3	52,0	63,7	فلميم-واد نون
1,0	340 748	39,3	0,3	2,7	12,8	78,8	العيون- الساقية الحمراء
0,3	114 021	18,7	0,4	4,6	17,9	89,5	الدخلة-وادي الذهب

RGPH 2014



خريطة الناطقين باللغات البربرية في المغرب

3 - الجانب الاجتماعي الاقتصادي للجهات البربرية

3 - 1 - الريف : عمالات الحسيمة، الدريوش والناظور

هذه المنطقة الواقعة في شمال البلاد لا تشكل جهة إدارية في المغرب. فقد تم تقسيمها بين جهتين : الجهة الشرقية وجهة طنجة - تطوان - الحسيمة، بمكونات ثلاث أساسية وهي عمالات الحسيمة والدريوش والناظور. وبالإضافة إلى عنصر اللغة تاريفيت فإن الجغرافيا والتاريخ يمنحان لهذه المنطقة وحدة طالما تم الالتفاف حولها إبان التقسيمات الجهوية للبلاد. الريف يحيلنا بالدرجة الأولى إلى سلسلة الجبال الواقعة أقصى شمال المغرب، وهي سلسلة تتقاسمها العمالات الثلاث المذكورة أعلاه. هذه الجهة كانت مع جنوب البلاد، انطلاقاً من عمالة سيدي إيڤني « تاشلحيت » (الجدول أسفله) تحت الحماية الإسبانية، خلافاً لبقية المغرب الذي كان محتلاً من طرف فرنسا.

إن نسبة الناطقين بتاريفيت في المقاطعات الثلاث يتراوح بين 63% في الحسيمة و78% في الناظور، ليصل إلى 92% في الدريوش. ومقارنة مع عمالة الناظور والدريوش، فتاريفيت يتحدث بها بشكل كبير في الحسيمة بنسبة 85% في الوسط الحضري مقابل 52% في الوسط القروي.

إن معطيات الإحصاء العام، تبين أن تاريفيت هي اللغة الأساسية في عمالة الدريوش. هذه العمالة تسجل أدنى نسبة استعمال للدارجة (53% مقابل 92% لتاريفيت).

الجدول 3 : اللغات المحلية المستعملة (غير حصري)

في مقاطعات الحسيمة والدريوش والناظور (الريف).

المؤشر	عمالة الحسيمة			عمالة درويش			عمالة الناظور		
	ح	ق	م.الوطن	ح	ق.	م.الوطن	ح.	ق	المجموع
الدارجة	71.5	76.5	74.8	62.9	44.6	53.5	80.9	71.1	77.9
تاشلحيت	1.1	6.1	4.4	0.8	0.6	0.7	1.7	1.4	1.6
تأمازيغت	0.8	0.6	0.7	0.7	0.6	0.7	2.2	2.4	2.2
تاريفيت	85.6	51.8	63.3	92.1	93.0	92.5	77.6	78.5	77.9
الحسانية	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0

تضم العمالات الثلاث (الحسيمة، الدريوش والناظور) نحو مليون ومائة ألف ساكن، وهو ما يمثل نحو 3,5% من مجموع سكان البلاد. ويعتمد اقتصاد المنطقة أساساً على القطاع الأول والثالث. هكذا، ففي الحسيمة وهي عمالة مغلقة ذات رصيد زراعي وصناعي ضعيف يشكل الصيد البحري دعامة أساسية للاقتصاد المحلي،

ويشغل جزءا هاما من الساكنة النشيطة²⁶. فضلا عن ذلك، فإن محيط الحسيمة يضم بعض النشاطات الزراعية (زراعة الحبوب والأشجار المثمرة مثل التين واللوز)، إلى جانب تربية المواشي (الماعز) في المرتفعات. أما في عمالة الناظور والدريوش، فإن الاقتصاد يتوفر على إمكانات زراعية وصناعية أكثر أهمية. فالعمالتان تستفيدان من نشاط قطاع ثالث أكثر دينامية، يكاد يشكل المحرك الأساسي للاقتصاد المحلي، والذي يعود مصدره من الموارد التي يسمح بها تموقع مدينة الناظور على حدود مدينة مليبية المحتملة وعلى مقربة من الحدود الجزائرية.

هذا التموقع الجغرافي سيسمح بتنمية الأنشطة المرتبطة بتسويق وتوزيع السلع المهزّبة. وتقدّر إيرادات هذه النشاطات نحو ستة ملايين درهم²⁷. ولكن المنطقة تعرف نشاطا آخر أكثر أهمية وهو إنتاج القنب الهندي (cannabis)، إذ يقدر إنتاجه وفق تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية بحوالي بـ 700 طن. وهو نفس التقدير الذي أشار إليه مكتب الأمم المتحدة لمحاربة المخدرات والجريمة (ONUDC) لسنة (2015-2016).

إن الرقم المذكور في التقرير والذي يمثل إجمالا نحو 23 % من الناتج الداخلي الخام PIB للمغرب (نحو 100 مليار دولار)، قد اعتمد تحديده على التقديرات المحسوبة على أساس المساحة المزروعة، وكذا على أساس الكميات المحجوزة في المجال الأوربي المغربي، ولم يأخذ بعين الاعتبار الأصناف الهجينة التي تسمح بإنتاج أكثر من الكمية المذكورة (700 طن) من قبل تلك الهيئتين. هذه التقديرات تتغافل التغيير الذي لحق طريق القنب المغربي، والذي أصبح جزء كبير منه يمر عبر إفريقيا جنوب الصحراء²⁸.

أما من زاوية المؤشرات السوسيو-تربوية، فإن الحسيمة والدريوش تتميزان بوضع أكثر هشاشة. فمن بين عشرة أفراد ينتمون للعمالتين المذكورتين، نجد أربعة منهم أميين. وتمسّ هذه الظاهرة النساء أكثر من الرجال، بحيث أن نصف عدد النساء في الحسيمة أميات. وفي الديروش تصل نسبة الأمية إلى نحو ست نساء من بين عشرة نساء. (6/10). أما الرجال فيعاني الربع منهم من الأمية في الحسيمة (1/4)، والثالث (1/3) في الديروش. أما في عمالة الناظور، فإن الظاهرة تمسّ نحو ثلاثة من عشرة رجال، وأربع نساء من أصل عشر. كما يسجل تأخر كبير في نسبة التمدرس بعمالتي الحسيمة والديروش، وخصوصا بين الإناث، حيث نسبة التمدرس أقل من المعدل الوطني.

26. Monographie de la région de Taza-Al Hoceima-Taouante, 2013, HCP, Direction régionale Taza-Al-Hoceima-Taouante, Al Hoceima, 2013, p. 43 et suivantes.

27. La région de l'Oriental, monographie générale, Ministère de l'Intérieur, Direction des collectivités territoriales, 2015, p. 61.

28. Mouna Kh., *Borders, Drugs and migrants in Northern Morocco. Perspectives. Political analysis and commentary*, 2016.

أما فيما يعود للتشغيل، فالمؤشرات تكشف عن معدل نشاط للسكان قريب جدا من المتوسط الوطني، خاصة في الحسيمة. ويحضى النشاط الاقتصادي في صفوف الرجال بأهمية كبرى مقارنة بالنساء، بحيث سجلت نسبته (77% في العمالات الثلاث، مقابل انخفاض كبير في صفوف الساكنة النسائية وخصوصا بالدريوش). هذه الأخيرة إلى جانب عمالة الناظور تتميزان بمعدل بطالة أعلى من المعدل الوطني (19%) و24,7% مقابل 16% على المستوى الوطني).

أما عمالة الحسيمة، فمعدل البطالة فيها يعادل المستوى الوطني. ووفقا لفئات الجنس، فالبطالة تمس النساء أكثر من الرجال ب (63% ; مقابل 19% في الدرريوش، 40% مقابل 13% في الناظور و30% مقابل 15% في الحسيمة).

أما فيما يخص مؤشرات الفقر والهشاشة (الأفراد المهددون بالفقر)، فتبقى أقل من المعدلات الوطنية في العمالات الثلاث، مثلما يوضحه الجدول أسفله :

الجدول 4 : مؤشرات السوسيو-اقتصادية لعمالات الناظور، الدرريوش، الحسيمة (الريف) سنة 2014

مجموع المغرب	الدرريوش	الناظور	الحسيمة	
084 610 33	211049	561070	397708	السكان
32,2	46,3	32,3	39,3	نسبة الأمية
42,1	59,0	42,9	52,7	نسبة الأمية : إناث
22,2	32,4	21,7	25,8	نسبة الأمية : ذكور
95,1	90,6	94,8	92,5	نسبة التمدرس من 7 إلى 12 سنة
94,4	88,9	94,1	91,4	نسبة التمدرس من 7 إلى 12 سنة إناث
95,7	92,2	95,5	93,5	نسبة التمدرس من 7 إلى 12 سنة ذكور
47,6	39,7	45,7	47,6	نسبة النشاط
20,4	8,7	13,5	18,2	نسبة النشاط : إناث
75,5	74,4	77,8	77,5	نسبة النشاط : ذكور
16,2	24,7	19,0	16,3	نسبة البطالة
29,6	63,5	39,3	29,9	نسبة البطالة : إناث
12,4	19,7	15,5	13,1	نسبة البطالة : ذكور
4,8	3,72	2,37	2,23	نسبة الفقر النقدي

9,5	4,85	5,61	3,06	نسبة الفقر النقدي قروي
1,6	0,60	0,94	0,65	نسبة الفقر النقدي : حضري
12,5	10,51	7,69	9,35	نسبة الهشاشة
19,4	12,60	14,40	12,39	نسبة الهشاشة : قروي
7,9	4,75	4,72	3,49	نسبة الهشاشة : حضري

المصدر : RGPB 2014

3 - 2- المناطق الأمازيغية في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير

تتوفر تمازيغت على مجال ترابي واسع يمتد من جبال الأطلس (الكبير والمتوسط) إلى مناطق ما قبل الصحراء في جهة درعة-تافيلالت. وتتعايش هذه اللغة في بعض المناطق مع تاشلحيت.

وفي سبيل إيضاح الوضعية السوسيواقتصادية لأقاليم تامازيغت، سنرجع إلى خمس مقاطعات : ثلاث منها في الأطلس المتوسط وهي (خنيفرة وإيفران وميدلت)، الرابعة في الأطلس الكبير وهي عمالة أزيلال، والخامسة تمثل منطقة ما قبل الصحراء وهي تنغير. وهذه المناطق تنتمي إلى جهات إدارية مختلفة.

في ثلاث من بين العمالات الخمس يسجل استعمال لغة تامازيغت نسبة عالية تتراوح بين 71% في خنيفرة و79% في ميدلت و95% في تنغير. ونلاحظ أن تامازيغت حاضرة بقوة في المجال القروي، إذ يصرّح 9 أفراد من بين 10 استعمالهم لهذه اللغة. كما نلاحظ أن الدارجة (العامة المغربية) قليلة الانتشار في تنغير إذ لا يستعملها سوى 30% من السكان، مقابل 64% في ميدلت و79% في خنيفرة و88% في إيفران.

أما في مقاطعة أزيلال، فإن تامازيغت هي اللغة البربرية الأولى، إذ يستعملها السكان بنسبة 54%، تليها في المرتبة الثانية تاشلحيت بنسبة (36,4%)، في حين تسجل الدارجة نسبة استعمال متوسطة (53%).

الجدول 5 : اللغات المحلية المستعملة (غير حصري) : عمالات خنيفرة،

إيفران، ميدلت، أزيلال، وتنغير

المؤشر	عمالة خنيفرة		عمالة أزيلال			عمالة ميدلت			عمالة إيفران		عمالة تنغير		
	حضري	قروي	مجموع الوطن	حضري	قروي	مج	حضري	قروي	مج	حضري	قروي	مج	
الدارجة	92.4	59.1	79.6	98.4	76.9	88.5	89.1	45.0	64.1	81.9	47.3	51.1	
تاشلحيت	1.7	0.7	1.3	2.4	1.1	1.8	1.8	1.8	1.8	31.2	37.6	5.0	
تامازيغت	59.9	89.3	71.2	37.5	81.8	57.7	62.6	92.0	79.2	48.8	55.5	90.4	

0.1	0.1	0.1	0.0	0.0	0.1	0.1	0.0	0.2	1.1	0.8	1.3	0.2	0.1	0.3	تاريخية
0.1	0.1	0.1	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.1	0.0	0.0	0.1	0.1	0.0	0.1	الحسانية

تعتمد اقتصادات هذه العمالات المكوّنة للتراب الامازيغي على القطاع الأول بشكل اساسي (الغابات والزراعة) فضلا عن السياحة²⁹. وتكشف العمالات الخمس عن مؤشرات سوسيوترابية رديئة بالمقارنة مع المعدلات الوطنية، بل وحتى بالمقارنة مع إقليم الريف. فنسبة الأمية تصل إلى 47% في أزيلال و43% في خنيفرة و41% في ميدلت و38% في إيفران و37% في تنغير، وهي نسب تفوق كثيرا المعدل الوطني المحدد بـ32%.

وتمس الأمية فئة النساء بنسب أعلى بكثير، فحوالي خمسة نساء من عشرة أميات (5/10) في خنيفرة، إيفران، ميدلت وتنغير، أما في أزيلال، فإن النسبة أعلى، إذ تصل إلى ستة نساء من عشرة (6/10)، في حين أن المعدل الوطني يصل إلى نحو42%. وهذه الظاهرة تمس الرجال أيضا وإن بنسب أخف مما هو عند النساء، باستثناء مقاطعة تنغير التي تسجل نسبة قريبة من المعدل الوطني.

إن تدرس الأطفال من 7 إلى 12 سنة في المقاطعات الأساسية لتأمازيغت تبقى شبيهة بالوضع العام على الصعيد الوطني، سواء تعلق الأمر بعمالة تنغير أو إيفران أو خنيفرة. أما في عمالتي أزيلال وميدلت، فإن نسب التمدرس لدى الفتيات بلغت على التوالي 89% و90%، وهي نسبة أقل من المعدل الوطني الذي يصل إلى 94%.

أما فيما يتعلق بالمؤشرات السوسيو اقتصادية، فإن العمالات الخمس تقدّم نسب نشاط منخفضة بالمقارنة مع المعدل الوطني، خاصة في تنغير التي تسجل نسبة نشاط لا تتجاوز (37,8%) مقابل 47,6% على المستوى الوطني.

وباستثناء عمالة إيفران، فإن نشاط النساء يبقى ضعيفا جدا في الأقاليم الناطقة بتأمازيغت. والنسب في ذلك تتراوح بين 8,2% في تنغير و11,6% في أزيلال و14,8% في ميدلت و16% في خنيفرة، في حين أن المعدل الوطني يصل إلى 20,4%. وتقدّم لنا هذه العمالات نسب بطالة أقل من المعدل الوطني (16,2%)، ما عدا تنغير التي يصل فيها معدل البطالة إلى 18%.

إلا أن ما يميّز حقا المناطق الناطقة بتأمازيغت، عن باقي الجهات الناطقة بالبربرية التي قدمناها في هذه الدراسة، وعن باقي مناطق الوطن عموما، هو مؤشرات الفقر. فما يقارب خمس (1/5) السكان في تنغير وأزيلال يعيشون في فقر. وما يقارب الربع (1/4) من نفس السكان يعيشون في وضعية هشاشة اقتصادية أي تحت تهديد الفقر.

29. Cf. La région de Beni Mellal-Khénifra, monographie générale, 2015, Ministère de l'Intérieur, Direction des collectivités territoriales & Monographie régionale de Tadla-Azilal, 2010, HCP, Direction régionale de Tadla-Azilal.

وهذا الأمر يمكن أن ينطبق أيضا على عمالة ميدلت التي تسجل نسبة فقر تصل إلى 14%، ونسبة هشاشة تصل إلى 20%. أما خنيفرة، فهي في حدود المعدلات الوطنية فيما يخص مؤشر الفقر 5,5% في مقابل 4,8% كمعدل وطني. ونشير هنا إلى أن الوسط القروي أكثر تضررا من الفقر والهشاشة في مجموع العمالات الأربع.

الجدول 6 : المؤشرات السوسيواقتصادية عام 2014، بلاد تمازيغت (مقاطعات خنيفرة، إيفران، ميدلت، أزيلال، وتنغير)

مج المغرب	تنغير	أزيلال	ميدلت	إيفران	خنيفرة	
33 610 084	321 184	552 884	288 990	153 771	370 178	السكان
32,2	37,1	47,6	41,4	38,0	43,7	نسبة الأمية
42,1	49,8	59,9	51,9	47,4	53,5	نسبة الأمية إناث
22,2	23,9	35,2	30,5	28,2	33,3	نسبة الأمية : ذكور
95,1	93,3	91,1	91,4	93,1	94,2	نسبة التمدرس 7 إلى 12 سنة
94,4	92,2	89,2	90,4	92,3	93,5	نسبة التمدرس 7 إلى 12 سنة : إناث
95,7	94,4	92,9	92,5	94,0	94,4	نسبة التمدرس 17 إلى 2 سنة : ذكور
47,6	37,8	43,6	43,7	48,7	44,1	نسبة النشاط
20,4	8,2	11,6	14,8	22,2	16,0	نسبة النشاط : إناث
75,5	69,0	76,1	73,9	76,8	73,9	نسبة النشاط : ذكور
16,2	18,6	8,8	14,9	14,8	16,5	نسبة البطالة
29,6	40,1	23,6	32,5	32,0	36,2	نسبة البطالة : إناث
12,4	15,9	6,5	11,3	9,5	11,9	نسبة البطالة : ذكور
4,8	20,23	20,68	14,20	5,05	5,52	نسبة الفقر النقدي
9,5	24,57	23,34	22,20	10,47	9,04	نسبة الفقر النقدي : قروي
1,6	5,74	8,55	3,81	0,49	3,31	نسبة الفقر النقدي : حضري

12,5	21,98	25,63	20,06	11,69	16,16	نسبة الهشاشة
19,4	25,40	27,35	27,42	21,72	22,31	نسبة الهشاشة : قروي
7,9	10,54	17,80	10,50	3,24	12,31	نسبة الهشاشة : حضري

المصدر : RGPH 2014

3 - 3 - بلاد تاشلحيت : سوس وعمالات ورزازات وسيدي إيفني.

في العمالات المذكورة أعلاه، نجد أن تاشلحيت هي اللغة البربرية الوحيدة التي يتكلم بها السكان. فهي تصل على رأس قائمة اللغات المستعملة قبل الدارجة، في جميع عمالات سوس، ورزازات وسيدي إيفني تقريبا. أما في أكادير إيدوتان وإنزكان، فهاتان العمالتان تعرفان دينامية اقتصادية وهجرية قوية، وتتصدر الدارجة اللغات المستعملة بنسب تتراوح على التوالي 78% و86%، مقابل 64% و58% بالنسبة إلى تاشلحيت. ويبدو اقتصاد هذه المنطقة أكثر تطورا من باقي المناطق البربرية التي فحصرناها في هذه الدراسة. ويعتمد هذا الاقتصاد على زراعة حديثة، وقطاع صيد بحري متطور جدا، وسياحة متقدمة وعدة نشاطات أخرى متصلة بالتجارة والتوزيع. وتمثل عمالة أكادير وإنزكان القلب النابض لمنطقة تاشلحيت. فهما يحتكران معظم الأنشطة الاقتصادية، مما يؤثر طبعاً على مستوى التنمية الاجتماعية لمختلف مكونات الجهة. وهكذا، فقراءة للمؤشرات السوسيو-تربوية، والاقتصادية للعمالات الرئيسية لمنطقة تاشلحيت يمكن تمييز منطقتين :

- عمالتا أكادير وإنزكان اللتان تتوفران على مؤشرات إيجابية.

- باقي العمالات (سوس، ورزازات، سيدي إيفني) فهي في وضعية إشكالية.

كذلك، فإن معدلات الأمية هي أقل من المعدل الوطني في كل من أكادير وإنزكان، (23,5% في أكادير، و26,5% في إنزكان، مقابل 32% في المعدل الوطني. أما في باقي العمالات، فمن بين عشرة أفراد من الساكنة، هناك ثلاثة إلى أربعة أفراد أميين (المعدلات تتراوح بين 34% في ورزازات و43% في سيدي فني). هذه الظاهرة تمس النساء بشكل أكبر، حيث من أصل عشرة نساء توجد خمسة منهن أميات.

وتتميز جل عمالات جهة « تاشليحت » عن الريف وبلاد تامازيغت بمؤشرات إيجابية في مجال التمدرس، والذي من شأنه أن يخفف من مشكلة الأمية. إذ نسب التمدرس الإجمالية وحسب الجنس، تبقى أعلى من المعدل الوطني أو مساوية له في أسوأ الحالات.

أما النشاط الاقتصادي، فهو يتجاوز المعدل الوطني في أكادير وإنزكان، بينما يبقى أقل من ذلك في باقي العمالات. وأحيانا ينحدر هذا النشاط الاقتصادي لأدنى مستوياته

بسبب ضعف النشاط الاقتصادي في صفوف النساء. كما هو حال عمالات تيزنت و طاطا وسيدي إيفني، والتي سجلت معدلات 11،11%، 8،5%، و 11،7% على التوالي (مقابل متوسط وطني يصل إلى 20%).

أما فيما يتعلق بنسب البطالة، فإنها تبدو مرتفعة في طاطا 24،8% وسيدي إيفني 22،3%، مقابل معدل وطني لا يتجاوز 16،2%. في باقي الجهة، نجد أن نسبة العاطلين عن العمل بين الساكنة النشيطة أعلى قليلا من المعدل الوطني، (تيزنت بنسبة 18%)، أو أقل منه في باقي العمالات.

أما من منظور مؤشرات الفقر والهشاشة، فإن الجهة تأتي بعد الريف، وفي وضع أحسن مقارنة بمنطقة تامازيغت، إذ مؤشر الفقر النقدي منخفض جدا في أكادير 2،4%، إنزكان 2،2% وشتوكة آيت باها 4 %، ومعتدل في تيزنت 6،1%، سيدي إيفني 6،5%، ورزازات 8،5%، مقابل معدل وطني يصل إلى 4،8%. وحدها عمالة طاطا تسجل معدلا مرتفعا بـ 17%. وعموما وبالنسبة للبلد ككل، فالفقر يمس الوسط القروي أكثر من الوسط الحضري.

**الجدول 7 : المؤشرات-السوسيو اقتصادية لسنة 2014 : بلاد الشلوح
عمالات أكادير، إيداوتنان، إنزكان، آيت ملول، شتوكة آيت باها، تيزنت،
سيدي إيفني، ورزازات**

مج المغرب	ورزازات	سيدي إيفني	طاطا	تيزنت	شتوكة- آيت باها	إنزكان	أكادير إيداوتنان	
33 610 084	295 622	115 055	114 758	205 182	369 777	534 525	598 757	السكان
32,2	33,9	43,3	36,7	35,9	39,1	26,5	23,5	نسبة الأمية
42,1	45,6	57,3	48,3	50,8	53,0	36,4	32,6	نسبة الأمية : إناث
22,2	20,9	26,9	20,8	18,5	24,7	16,6	14,4	نسبة الأمية : ذكور
95,1	96,7	95,8	97,0	96,6	95,9	98,1	97,8	نسبة التمدرس : 7-12 سنة
94,4	96,0	94,1	96,3	95,6	94,8	98,0	97,5	نسبة التمدرس : 7-12 سنة إناث
95,7	97,3	97,5	97,7	97,6	97,0	98,2	98,2	نسبة التمدرس : 7-12 سنة ذكور
47,6	43,6	36,2	30,0	36,2	46,6	48,6	48,6	نسبة النشاط
20,4	18,9	11,7	8,5	10,9	18,1	21,1	23,0	نسبة النشاط : إناث

75,5	71,7	65,3	60,6	66,7	76,5	76,2	74,1	نسبة النشاط : ذكور
16,2	12,3	22,3	24,8	18,3	9,7	15,6	15,7	نسبة البطالة
29,6	20,2	37,2	57,9	44,5	15,8	27,9	28,6	نسبة البطالة : إناث
12,4	10,0	19,2	18,2	13,2	8,2	12,2	12,3	نسبة البطالة : ذكور
4,8	8,57	6,86	17,01	6,13	4,07	2,23	2,44	نسبة الفقر النقدي
9,5	12,59	6,98	20,36	8,53	4,92	6,37	8,53	نسبة الفقر النقدي : قروي
1,6	1,97	6,54	10,15	2,40	2,13	2,01	1,33	نسبة الفقر النقدي : حضري
12,5	15,99	16,62	26,67	15,84	12,76	8,99	7,24	نسبة الهشاشة
19,4	22,30	17,62	29,56	20,25	14,16	17,83	20,75	نسبة الهشاشة : قروي
7,9	5,63	13,98	20,77	8,99	9,57	8,52	4,78	نسبة الهشاشة : حضري

المصدر : RGPH 2014

الجدول 8 : اللغات المحلية المستعملة (غير حصري) سنة 2014 :
مقاطعات أكادير، إيداوتنان، إنزكان، أيت ملول، شتوكة آيت باها، تيزنيت، طاطا،
سيدي إفيني، ورزازات.

عمالة تيزنيت			عمالة شتوكة أيت باها			عمالة إنزكان أيت ملول			عمالة أكادير وإيداوتنان			المؤشر
مج.	ق.	ح	مج.	ق.	ح	مج	ق.	ح	مج	ق.	ح	
50.8	40.0	67.7	56.0	47.2	75.9	86.2	89.3	86.0	78.8	31.9	87.4	الدارجة
90.6	92.0	88.5	75.5	85.3	53.4	58.5	51.3	58.8	64.1	97.1	58.1	تاشلحيت
0.3	0.1	0.6	3.4	1.2	8.2	1.0	0.5	1.0	1.2	0.2	1.3	تأمازيغت
0.1	0.0	0.1	0.1	0.0	0.1	0.2	0.0	0.2	0.3	0.0	0.3	تاريفيت
0.3	0.2	0.6	0.4	0.3	0.4	0.5	2.6	0.4	0.8	0.2	0.9	الحسانية

عمالة ورزازات			عمالة سيدي إفيني			عمالة طاطا			المؤشر
مج	ق	ح	مج	ق	ح	مج	ق	ح	
59.3	44.6	83.1	35.7	21.3	74.7	59.7	49.5	80.6	الدارجة

80.5	89.5	65.7	88.1	95.3	68.3	78.9	86.7	63.3	تاشلحيت
2.7	0.9	5.7	0.2	0.1	0.6	0.8	0.2	2.1	تأمازيغت
0.1	0.0	0.2	0.0	0.0	0.1	0.0	0.0	0.1	تاريفيت
0.1	0.0	0.2	0.5	0.3	1.2	1.9	1.2	3.5	الحسانية

المصدر : RGPB 2014

4 - الديناميات الهجرية وتشكل الجاليات البربرية

إن المناطق التاريخية للغات البربرية في المغرب، كانت طيلة القرن الماضي مسرحا لهجرات نازحة، ولاحقا هجرات داخلية في بعض العمالات (مثل أكادير وإنزكان). فبداية من 1850، شهد الريف بداية هجرات عابرة للوطن وموسمية اتجاه الجزائر أولا، ثم إلى فرنسا انطلاقا من الجزائر بين سنتي 1958 و1961. وعلى خلاف بقية المغرب، كانت هذه الجهة تحت الحماية الإسبانية، ولم تعرف هجرات كولونيلية نازحة إلى إسبانيا، على الرغم من أن السلطات الإسبانية كانت تشجع هذه الهجرات، بحثا عن أيدي عاملة لقطاع الزراعة في بلادها الأصلية. وعند نهاية عهد الحماية، عرف إقليم الريف بداية من سنة 1960 هجرات عمل نحو ألمانيا وهولندا³⁰. وكانت هذه الهجرات الأخيرة تدار من خلال اتفاقيات بين المغرب والبلدان المشغلة.³¹

أما في جبال الأطلس وسهل سوس (إقليم تامازيغت وتاشلحيت)، فإن الاحتلال الفرنسي الذي استقر رسميا بداية من سنة 1912، شرع في حركة تهجير خارجة. وقد أدت عمليات الإخضاع والهيمنة (أو استتباب السلم، وفق الاصطلاح الكولونيالي) في هذه الأقاليم المناوئة للسلطة المركزية السلطان ثم الحماية الفرنسية إلى هجرات نحو فرنسا والجزائر وتونس، فضلا عن الهجرات داخل المغرب³².

وفي هذا الصدد، في سنة 1936 لاحظ ج. راي J. Ray صاحب أول أطروحة جامعية حول المغاربة في فرنسا بأن : « الغالبية العظمى للمغتربين المغاربة في فرنسا، ينتمون إلى قبائل الجنوب، وهي في معظمها قبائل بربرية مستقرة. »³³.

30. Aziza M., *Un siècle et demi d'émigration rifaine : de l'émigration saisonnière à l'émigration permanente*, in *Migrance*, n° 24, 2015, pp. 73-85.

31. Aziza M., *ibid.*

32. Montagne R. (dir.), *Naissance du prolétariat marocain*. Enquête collective exécutée de 1948 à 1950, Coll. Les rééditions du CJB, Centre Jacques-Berque, Rabat, 2016, p. 72 et suivantes.

33. Ray, J., *Les Marocains en France*, Thèse de Doctorat, Université de Paris, Maurice Lavergne, Paris, 1937, p. 125

أما التحقيق الكبير الذي أشرف عليه روبر مونطاني Robert³⁴ Montagne حول الهجرات في جنوب المغرب بين سنتي 1948 و1950³⁵، فقد كشف عن موجات هجرة انطلاقا من هذه الجهات إلى المدن الكبرى في الشمال، وإلى فرنسا. وتشكل الهجرات التجارية للشلوح أحد أوجه هذه الهجرات، والتي شبهها المؤلف بهجرات بني مزاب في الجزائر، وأهل جربة في تونس، يقول بصدد ذلك :

« إن الهجرة التجارية التي عرفت نجاحا باهرا منذ عشر سنوات في منطقة الأطلس الصغير، هي ظاهرة أخذت مدى غير مسبوق في شمال إفريقيا، بحيث لا يمكن مقارنتها إلا بتخصص المزابيين في الجزائر وأهل جربة في تونس، والذين هم أقل حيوية من شلوحنا. بالفعل فإن غزو سوق التغذية قد قام به الشلوح بعزم كبير، إلى درجة أن المزابيين أنفسهم عجزوا عن منافستهم في الغرب الوهراني، الذي طردوا منه. فمن وهران إلى طنجة ومن طنجة إلى أكادير، أصبح الشلح القادم من الأطلس الصغير، مَلِك بلا منازع لمحلات البقالة » (l'épicerie)³⁶.

إن هذه الحركة المجالية الجارية في سوس والأطلس تفسّر في جزء منها سبب الانتشار القوي للغتين تاشلحيت وتامازيغت في المغرب. فكما أشرنا إليه آنفا، فهاتان اللغتان تتوفران على جيوب من الناطقين بها في كل مكان في المغرب، خلافا لتاريخيت التي لا تنتشر إلا في مجالها التقليدي التاريخي.

هذا، ومازالت الهجرة العابرة للحدود الوطنية مستمرة في هذه المناطق، خاصة مع ظهور وجهات جديدة مثل إسبانيا وإيطاليا. فمجتمعات الريف والأطلس وسوس تستفيد اليوم من موارد تشكلت بالتراكم عبر قرن من الزمن من الممارسات الهجروية العابرة للحدود الوطنية. وتتضح هذه الموارد من خلال الشبكات التي يعبئها الأفراد والجماعات من أجل تحقيق مشاريع الهجرة إلى الخارج. كما تتضح أيضا من خلال العمل الذي تقوم به الجالية الأمازيغية السوسية، أو غيرها من الجماعات المكونة لجماعة « تاشلحيت ». أو جماعة « تاريخيت » المقيمة في فرنسا وألمانيا وهولندا وإسبانيا.³⁷

34. Montagne R., *op. cit.*

35. همت : R. Montagne التحقيقات التي قادها

- سكان البربر المستقرون في جهات مراكش وأكادير

- الحراطنة في الواحات (تازارين، درعة، واحة باني)

القبائل العربية جنوب الأطلس الصغير من درعة إلى المحيط.

36. Montagne R., *ibid.*, p. 72 et

37. Pour l'Atlas, cf. Harrami N., *La mobilité transnationale dans le Tadla : une lecture comparée de deux vagues de migration (1960-70 et 1980-90)*, in Alami Mchichi, H. (éd.), *Migrations internationales des Marocains et changement social*, Publisud, Paris, 2016. Pour

تؤثر هذه الجاليات على مجتمعاتها الأصلية من خلال أعمال تنموية وتضامنية، كما هو الحال خلال زلزال الحسيمة سنة 2004، أو مع الحراك الجاري حاليا في الريف.

II- الريف : السيرورة المعقدة لميلاد الحركة الأمازيغية

1 - الخلفية التاريخية

إن طبيعة الريف كمنطقة الهامش التي ورثتها من زمن الاستعمار، سمحت بظهور تعارض بين منطقتي حماية متباينتين سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي. لقد تجلى الريف كضاحية مشحونة بالرموز السياسية والتاريخية على الخصوص : حرب الريف التي قادها زعيمها عبد الكريم الخطابي، وانتفاضة 59-1958... إلخ

إن احتلال الريف من قبل دولة استعمارية إسبانيا ضعيفة من حيث التنمية الاقتصادية شكل عبئا على الدولة الوطنية بعد الاستقلال، سواء على المستوى الاقتصادي [انعدام البنية التحتية]، أو على المستوى السياسي الذي أفرز نخبة ناطقة بالإسبانية وجدت نفسها مهمشة من قبل دولة الاستقلال [وحزب الاستقلال الحاكم]. من هنا فإن فهم الوضعية المعقدة لريف يتطلب منا مسعى ارتدادي من خلال فهم الماضي، لأن التاريخ والذاكرة سيستثمران بقوة من طرف الجيل الجديد من النشطاء الأمازيغ في الريف. وبالفعل، فإن هيمنة النموذج الكولونيالي الفرنسي على التنظيم السياسي، من خلال نخبة تكونت على الطريقة الفرنسية وتهميش نخبة الريف الناطقة بالإسبانية، والنظر إليها على أنها معارضة للسلطة المركزية، تسبب في إحداث القطيعة الأولى بين الريف والسلطة المركزية.

إن خصوصية الريف تتمثل في اشتغال النظام القبلي في هذه المنطقة. ومن الجدير بالذكر أن ننبّه إلى أن حركة التحرير المسلحة قد نشأت أول الأمر في الريف بالذات سنة 1955 بقيادة محمد بن عبد الله بن الطيب بن الحبيب، المعروف باسم عباس المسعدي الذي ينحدر من قبيلة فزناية. وقد تشكلت هذه الحركة التحررية أساسا من قبائل فزناية وأيث أورباغال وأيث توزين وأيث أمارت ومريسة وبن عيسى وإيديراسن. وكان « جيش هذه الحركة متكونا من قدماء العسكر الذين كانوا في الهند الصينية أو أسروا في الفيتنام، ثم فرّوا من الجيش ومعهم أسلحتهم وعدتهم، وبمجرد وصولهم إلى الريف أبهروا السكان

le sud et le Souss, Mter A., *La population ksourienne du sud du Maroc et l'émigration internationale : le cas des vallées du Dadess et du Draa dans la province de Ouarzazate*, Thèse de doctorat : Géographie : Poitiers : 1995 ; Ait Ouaziz R., *Les commerçants soussis dans l'agglomération parisienne : insertion spatiale et relations avec le pays d'origine (Maroc)*, Thèse de géographie, Poitiers, 1989.

المحليين بأزيائهم وعتادهم. وبذلك انضمت إليهم قبائل فزنائية ومرنيسة وبنو عيسى، وهي أهم القبائل، لأنها كانت متأكدة من النصر بفضل ما تتمتع به من حسن التأطير.³⁸

وعلى إثر هذه الحركة التحررية تفاقم التوتر بين الريف والسلطة المركزية. وبعد الاستقلال عرفت منطقة الحماية الإسبانية هيمنة من قبل نخبة حزب الاستقلال الذي استلم مقاليد الحكومة. لقد عمل حزب الاستقلال على تهميش نخبة المنطقة الإسبانية باستبعاد أهل الريف من تشكيل الحكومة الأولى لمرحلة ما بعد الاستعمار. وفضلا عن ذلك، فقد قام هذا الحزب الحاكم بإلغاء البكالوريا الإسبانية سنة 1958، بينما أبقى على البكالوريا الفرنسية. وقد غذى هذا الإقصاء الشعور بالتهميش لدى الفاعلين في الريف، وهو ما سيعمّق المواجهة مع السلطة المركزية، وقد تجلى ذلك بوضوح في انتفاضة 1958-59 وما تلاها من قمع عنيف على يد الجيش.

هذا الشعور بالتهميش، يبدو في تصريحات كل من أجرينا معهم مقابلات :
 « إن الحركة الوطنية كان همها أن تستولي على السلطة، لقد ذهبوا ووقّعوا على اتفاقيات إيكس لوبان Aix-les-Bains، ولهذا السبب فقد تخلوا عن موريطانيا، وخلقوا مشكلة في الصحراء فما كان يهمهم الحكم. ان انتفاضة 1958-59 ما هي إلا نتيجة للقمع الذي مارسه المخزن على جيش التحرير. لما لم تكن نخبة الريف مقربة من السلطة، ولما كانت لغتها ليست لغة السلطة الحاكمة، فإن أهل الريف وجدوا أنفسهم على الهامش. إن هذا الشطر من التاريخ المحلي شحذ وعيا بالهوية لدى شباب تلك الفترة، مثلما يؤكد أحد المناضلين، إذ يقول :

« ليس سهلا أن تنتمي إلى الريف، فالأمر دائما مثار للحذر، وحتى مشاركة شباب هذه المنطقة في الحركة الأمازيغية سنة 1960 لم تكن محلّ قبول بالرضى من قبل السلطة. ما كان لنا أن نتحدث عن عمليات القمع التي حدثت سنتي 1958-59، إن ذلك من الطابوهات التي لا يستطيع الشباب المناضلون من أهل الريف أن يخترقوها ». [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

لقد كان المسرح والموسيقى والشعر هي القنوات المتاحة لتمرير رسالة الاحتجاج السياسي. وقد كانت الحركة الأمازيغية حاضرة بقوة في الناظور. وطيلة ثلاثة عقود تقريبا بعد الاستقلال، في الريف كما في جهات أخرى من المغرب، ظلت الحركة الأمازيغية محصورة في بعدها الثقافي. وقد كان لأهل الريف حضور في هذه الحركة، خاصة من خلال طلبة جامعة محمد الخامس، وزملائهم ممن التحقوا بفرنسا لمتابعة دراستهم. إلا أن مناضلي الريف عامة، كان عليهم ان يعيشوا نوعا من الكبت لتاريخهم المحلي، تفاديا للظهور بمظهر العداء ضد المشروع السياسي الوطني للسلطة الجديدة.

38. Gaudio A., *Guerres et paix au Maroc*. (Reportages : 1950-1990), Khartalla, Paris, p. 68.

« حين كنت طالبا في كلية الآداب في الرباط، خلال الستينيات، كان يدرّسني الأستاذ محمد لحبابي، وكان في محاضراته يتحدث عن الأقليات في الوطن العربي. وفي نهاية المحاضرة، اقتربت منه وسألته عن مفهوم الأقليات في المغرب، وكانت إجابته: "ولكن، أنتم لستم أقليات في المغرب!"

وكان لابد من مرور سنوات، لأدرك ما كان يقصده، وهو أننا لسنا أقلية، بل أغلبية. والحق أنه في تلك الفترة، لم نكن نتحدث عن هذه المسألة الأمازيغية ولا عن الريف، فالمغرب خرج للتوّ من الاستعمار، والحديث عن الأمازيغية كان مرادفا للخروج عن الوفاق الوطني. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

وبحسب ما يقوله محدثنا هذا، فإن المسألة الأمازيغية لم تكن موجودة إطلاقا غداة الاستقلال، وحتى مهدي بن بركة، أحد أيقونات الحركة الوطنية كان يزعم بأن اللغة البربرية ستقرض. « المسألة الأمازيغية بالنسبة إلى بن بركة، هي مسألة تعليم وتطور اجتماعي، وتجهيز فكري وتقني في الأرياف والبوادي. ومجرد تحقيق التنمية في البلاد كلها، لن يبقى أحد يتحدث البربرية. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

ونجد هذا النكران لمكانة الأمازيغية مدعوما في الأدبيات التاريخية المعاصرة، وكذا في التاريخ الرسمي الوطني. من ذلك مثلا أن كتب التاريخ المدرسية في موضوع النضال من أجل الاستقلال تتجاهل تماما أيقونات مثل محمد أمزيان وعبد الكريم الخطابي، مثلما تتجاهل آخرين أو تذكرهم ذكرا عابرا في أحسن الحالات. بينما نجد نفس تلك المقررات المدرسية في نفس الموضوع تحتفي بأسماء بلافريج والفاسي ومحمد الخامس... إلخ.

نجد أيضا هذا التهميش للمسألة الأمازيغية لدى أحزاب أقصى اليسار (حركة إلى الأمام و23 مارس) التي كانت تعتبر المسألة الأمازيغية رجعية وشعبوية.

إن القمع الذي حدث سنتي 1958-59، والمنع (غير الرسمي) لتشكيل الأحزاب السياسية في الريف طيلة السنوات التي أعقبت القمع، تسبب في إحداث فراغ سياسي. إذ لم تظهر أية جمعية أمازيغية خلال تلك الفترة، وكان يتعين انتظار نهاية السبعينيات لرى أول جمعية، خاصة في الناظور. إن أهمية الأحداث التي تعاقبت في هذه المنطقة تسمح لنا أن نفهم جيدا الالتفاف على السياسي عن طريق الثقافي. « لقد انبثقت الأحداث الثقافية في الريف من رحم النشاطات الفنية، وذلك عبر جمعية « الانطلاقة الثقافية » التي أسست في الناظور سنة 1978. وفي نفس هذه العشرية سيقوم عدة شعراء من هذه المنطقة بنشر أشعارهم بتاريفيت في الإذاعة الجهوية. وهكذا ستظهر الأنوية الأولى للنضال الأمازيغي في الريف انطلاقا من البعد الثقافي. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

وقد كانت هذه النشاطات الأمازيغية ثمرة مجهودات مجموعة من النشطاء الفاعلين مثل : محمد شامي، مرزوق الورشاشي، قاضي كادو... إلخ. كما كانت سنوات السبعينيات في الريف فرصة لإنشاء عدة فرق موسيقية ملتزمة مثل :

فرقة إستافداوَن، وفرقة إيني أمازيغ، وفرقة بن نارمان، وإيثري نامريتاش في مليلة... إلخ. وكانت جمعية « الانطلاقة الثقافية » في الناظور تطرح مسائل سياسية حساسة على الرغم من الحالة الاستثنائية التي كان يعيش فيها المغرب على إثر المحاولة الانقلابية التي حدثت سنة 1972.³⁹

إن ميلاد النشاط والحركة في الريف خلال السبعينيات سيتضرر كثيرا من جراء التغيير السياسي الذي جاء مع بداية الثمانينيات، وتساعد الحركات الاحتجاجية ذات الطابع الاقتصادي. « عرفت بداية الثمانينيات تراجع ملحوظا في النشاط الثقافي الأمازيغي، خاصة مع انتفاضتي 1981 و1984، فعلى إثر انتفاضة 84، وجد الكثير من النشطاء أنفسهم في السجن، وهم النخبة الثقافية المناضلة. لقد خيم جو من الخوف والتهديد ضد كل المناضلين في هذه السنوات ». [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

ولقد أخبرنا أعضاء هذه الجمعية بأن أحد مؤسسيها كان يعيش دوما تحت مضايقات الـ [المخابرات] DST سواء في المغرب أو خارجه. وقد أدت تلك المضايقات والضغوطات إلى حل جمعية « الانطلاقة الثقافية » سنة 1981. لقد كانت فترة عصيبة سياسيا، خاصة على إثر انتفاضة جوان 1981 في الدار البيضاء.

2 - إعادة تشكيل جديد للحركة الأمازيغية في الريف

في بداية التسعينيات سيشرع المغرب في تغييرات توحى ببعض مؤشرات الانفتاح، وبذلك حان أوان انطلاقة جديدة للحركة الأمازيغية في الريف « لغة المطالبة بدأت تتعالى، كما بدأت أولى الحركات المنسقة بين الجمعيات. ولعل أهم وثيقة صدرت عن الحركة الثقافية الأمازيغية MCA في هذه الفترة، هي ميثاق اللغة والثقافة الأمازيغيتين، التي عرفت باسم ميثاق أغادير [1991]⁴⁰. « على هذا النسق، بدأت عدة جمعيات في الريف تسترجع ديناميتها، فضلا عن تأسيس جمعيات جديدة لدعم جهود المطالبة، ومن أشهرها جمعية « إلماس للثقافة » التي كان يرأسها محمد شامي. وفي هذا الإطار ستقدم عدة مسرحيات تعالج إشكاليات سياسية واجتماعية في نفس الوقت، مثل مسرحيات فؤاد أزوال، ونوهمان أوار، وفخر الدين العمراني، وكامري الحسين... إلخ. وسنشهد في الفترة ذاتها ميلاد صحف محلية تعالج المسألة الأمازيغية.

39. Feliou L., *op. cit.*

40. Filou L., *op. cit.*

ولعل ما يثير الانتباه هنا، هو تمركز تجنيد واسع في مدينة الناظور، أكثر من مدينة الحسيمة، التي كانت تلعب دورا ثانويا في المطالبة الثقافية الأمازيغية في الريف. وستحلّ سنوات التسعينيات كمرحلة هامة في مسيرة المطالبة بالاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية. كما أن السلطة السياسية ستعتمد إلى تغيير خطابها، انطلاقا من خطاب العشرين من أوت 1994 سيعترف الملك الحسن الثاني بما يعتبره « لهجات بربرية »، وسيدعو الملك إلى تعليم اللهجات المغربية الثلاث [تاريفيت، تاشلحيت، تامازيغت] في كل المدارس الابتدائية. وسيصف هذه الحاجة بـ« الضرورة الملحة » من أجل إحداث تغيير في المغرب، بالشروع في وضع آليات لإدخال الأمازيغية في المدارس الابتدائية. ومع ذلك فإن الخطاب أكد على استمرار اللغة العربية كـ« اللغة الأم » للمغرب.

وعلى الرغم من الحيطة والحذر الذي ميّز الحركة الجمعوية المغربية، فإنها وصفت هذا الخطاب بـ« التاريخي ». على اعتبار أنها المرة الأولى في تاريخ البلاد تعترف فيه السلطة بالأمازيغية.

كان لسياسة الاعتراف هذه تأثير على طريقة التنسيق بين الجمعيات الثقافية الأمازيغية على المستوى الوطني. كما كان للموقف الجديد الذي يجعل من الدولة فاعلا ثقافيا في المسألة الأمازيغية حافزا للجمعيات في الريف أن تهتم بالجانب المحلي.

حيث شكل الخطاب الجديد المرحلة الأولى في طريق انغلاق الجمعيات الريفية على المعطى المحلي. فمن خلال هذه المقاربة الجديدة التي تعترف بالأمازيغية بصورة فولكلورية، كانت الدولة تسعى إلى تغيير موقفها من معاداة الأمازيغية إلى موقف مغاير يجعل منها فاعلا « حياديا ». إلا أن انغلاق الجمعيات على المعطى الجهوي والمحلي أدى إلى ظهور دينامية جديدة، إذ أنشئت عدة جمعيات وفيدراليات ذات طابع قروي منها على سبيل المثال : كونفدرالية الجمعيات الأمازيغية لشمال المغرب، وجمعية ماسينيسا في طنجة، وجمعية بويا في أيث بوعياش، وجمعية تاليوين في أيث عبد الله، وجمعية تافسوث إمزوران، وجمعية تيموزغا في الحسيمة، وجمعية أيث حديفة للثقافة والتنمية... إلخ.

إنها بداية تحول في دينامية الحركة الأمازيغية على المستوى المحلي. وقد تحقق هذا التحول على مستوى الفضاء، بانتقال الحركة الأمازيغية من الفضاء الحضري إلى الفضاء القروي، يتجلى ذلك مثلا في جمعيات أيث حديفة وأيث عبد الله وأيث بوعياش وغيرها. أما التحول الثاني فيتميّز بالانتقال من المستوى الوطني إلى المستوى الدولي. ففي منتصف التسعينيات شرعت الجمعيات الثقافية الأمازيغية بالاتصال بالهيئات الدولية لنيل الاعتراف بالحق الثقافي. هكذا بدأت الحركة توظف مفاهيم مثل :

السكان الأصليون، الشعوب الأصلية، المجموعات الأصلية التي صارت أقليات. ولقد اتخذ هذا التدويل بعدا رسميا لأول مرة مع إنشاء المؤتمر العالمي الأمازيغي سنة 1995⁴¹. إن هذه التحولات في بنية الحركة الأمازيغية عمّقت أكثر فأكثر الشقاق بين جمعيات الريف وباقي الجمعيات على المستوى الوطني. وعلى الرغم من ذلك فإن العودة إلى المعطى الوطني ستتم على قاعدة سياسية بإنشاء الحزب الديمقراطي الأمازيغي المغربي (PDAM) في شهر أوت 2005 على يد أحمد دغرني، إذ سيشكل عدد كبير من المناضلين المنحدرين من إقليم الريف القاعدة الشعبية لهذا الحزب الجديد. وعلى حسب رأي بعض من أجرينا معهم مقابلات، فإن مناضلي الريف، على الرغم من وعيهم بضرورة البعد الوطني، فهم يعملون ضد هيمنة أهل سوس على الحركة. وقد استطاع أحمد دغرني باعتباره أمازيغيا من الأطلس الأوسط على تعاطف واسع وسط مناضلي الريف الذين يمثلون الأغلبية. ولكن هذا الحزب حُلّ في أفريل 2008 بدعوى عدم مطابقته للقانون المغربي الذي يمنع إنشاء أحزاب على قاعدة عرقية أو دينية.

وبداية من 2008 ستركّز الحركة في الريف جهودها على البعد الجهوي، ففي رأي محاورينا، فإن هذه الاستراتيجية تبررها التنافس على المشروع الخاص باللغة الأمازيغية وهيمنة اللهجة السوسية.

تمثل هذه الحقبة أيضا مرحلة نضج عمل الفاعلين الجمعويين، وبداية وعي بالبعد السياسي المحلي. إن هذا النشاط الجهوي سيتوّج بإنشاء تعاضديات الجمعيات الأمازيغية على المستوى القروي في الريف سنة 2004: « في 2004 أنشئت تعاضدية مولاي أمحاند التي تضم الجمعيات الأمازيغية على مستوى الريف. وقد كلفت هذه التعاضدية بتنظيم الأنشطة الثقافية، كما أنها نشرت ميثاق الريف من أجل ترسيم اللغة الأمازيغية. ويشمل هذا الميثاق عدة مطالب، ويلخص وجهة نظر التعاضدية ومكانة الأمازيغية في المغرب، وقد سلّم نص الميثاق إلى المسؤول الأعلى في الدولة. بمعنى الدعوة إلى الانتقال من الاعتراف بالأمازيغية كلغة وطنية إلى الاعتراف بها كلغة رسمية، فضلا عن المطالبة بعلمانية الدولة وفصلها عن الدين، وأخيرا المطالبة بدولة فيدرالية للريف على وجه الخصوص. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

يركز خطاب المناضلين الأمازيغ على المكانة الخاصة لإقليم الريف، سواء على المستوى التاريخي أو السياسي واللغوي. وتكشف مطالب تعاضدية الريف عن نزوع هوياتي لدى الريفيين في مواجهة هيمنة لغة تاشلحيت السوسية التي تتمتع بانتشار أوسع في المغرب واستعمال أوفر في المراكز الحضرية الكبرى⁴².

41. Callo Á-S., *op. cit.*

42. أنظر تحليل الإحصائيات أعلاه.

وبالإضافة إلى الأعمال المنجزة على الصعيد القروي، ستسعى الحركة إلى اقتحام فضاء المدن الكبرى في الشمال، خاصة في طنجة من خلال تعاضدية تويزة. وسيقوم مناضلو الحركة من طلبة كلية العلوم الاقتصادية والقانونية في طنجة بدور فعال في هذه الدينامية بداية من سنة 1997. وسيتركز عمل « التويزة » على تنظيم لقاءات علمية ونشر مقالات في الصحف المحلية، إلا أن هذا الانغلاق على المعطى الجهوي سيؤدي إلى نتائج عكسية من خلال تحول في مسار الحركة، وظهور حركة المطالبة بالحكم الذاتي :

« تطورت الحركة الأمازيغية في الريف من خلال ظهور المطالبة بالحكم الذاتي للريف. تهدف هذه الحركة إلى توحيد أهل إقليم الريف، مع الأخذ في الحسبان الخصوصيات السوسيولسانية والتاريخية للإقليم. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

إن هذه الجمعيات المحلية شكلت أيضا القواعد الأولى للقطيعة مع ممارسات الأحزاب السياسية. فقد استطاعت دينامية هذه الجمعيات أن تمتلك إطارا مرجعيا جديدا يستند إلى قيم جديدة حول المسألة الأمازيغية. وبصرف النظر عن المطلب الثقافي البحت، فإن هذا التغيير في المسعى سيدفع هذه الجمعيات الأمازيغية إلى محاور أوسع انطلاقا من مطالب ذات طبيعة سوسيواقتصادية. وستعمل على توسيع مجال تدخلها ليشمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وفي هذا السياق بالذات ستقتحم الحركة الأمازيغية مجال التعبئة الوطنية في إطار حركة 20 فبراير.

ومن نتائج هذا التغيير فيما يتصل بالتنظيم والمرجعية ما تجسد في التاسع عشر من أبريل 2014، إذ اجتمع نحو مائة مناضل أمازيغي من إقليم الريف، من مناطق : بن الطيب، مدرار، كاسيطة، أزرف، تافرسيت، أيث بوعياش، إيمزورن، الناظور، أنوال... إلخ واختاروا قبيلة تامسامن في قرية بودينار، مقرا لاجتماعهم لأنها رمز مقاومة الريف، وكان ذلك بمناسبة الذكرى الرابعة والثلاثين للربيع الأمازيغي⁴³، وجعلوا اجتماعهم تحت شعار « تمجيدا لشهداء المقاومة الريفية، ومن أجل رفع التهميش عن الريف ».

3 - يقظة الوعي بالهوية

لقد أدى هذا البعد الجديد للحركة الأمازيغية في الريف إلى انتشار وعي سياسي أكثر أهمية. ففي سنة 2012 ستظهر إلى الوجود جمعية صنهاجة سربار، وقد خلقت هذه الجمعية قطيعة جديدة، ولكنها هذه المرة قطيعة من الداخل. لقد دعت هذه الجمعية إلى ثقافة قديمة-جديدة. فأنصارها لا يعرفون أنفسهم كريفيين، بل كجماعة بهوية خاصة قائمة بذاتها. وسرعان ما تأججت هذه الدعوة وأصبحت تمثل لسان حال هامش الهامش،

43. https://www.siwel.info/printemps-amazigh-le-mouvement-du-rif-marche-pour-la-premiere-fois-atemsamen_5455.html

هامش أمازيغي يرى نفسه مهيمنا عليه من قبل الريفيين من أهل بني ورياغال. وعن سؤالنا بشأن ظهور هذه الحركة، يجيبنا مسؤول الجمعية، ويسرد علينا مسار ميلادها قائلا: « كنت أبحث عن هويتي منذ صباي، ولدت في مدينة الحسيمة، وهي مدينة قبلية بامتياز. عانيت من عنصرية أهلها، وكنت على الدوام أتساءل: من أنا؟ هل أنا ريفي، جبلي أم لا شيء! إن لم تكن ريفيا، فمن الصعب أن تعيش في هذه الجهة. وكنت أتساءل كيف يمكنني العيش في جهة يراني أهلها غريبا بل نشازا، على الرغم من أن والدي من صنهاجة سريار التي تنتمي إلى مقاطعة الحسيمة، ووالدي من قبيلة بكوية، وهي قبيلة ريفية. ورأيت كيف أن المواطنين المنحدرين من قبيلتي تامسمان وبني توزين وهم غرباء حقا يعاملون كمواطني الريف تماما، بينما أنا يُنظر إلي كغريب. وعلى الرغم من ميلادنا أنا وأختي في الحسيمة، في قبيلة بكوية، وعلى الرغم أيضا من أننا نتكلم تاريفيت بطلاقة، اعتبرونا دوما جبالا، (أي من الجماعات المعربة من الريف الغربي). [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

إن التجربة التي عاشها هذا المناضل ستلعب دورا حاسما في إنشاء الجمعية، فقد استطاع رفقة شباب آخرين ممن يقاسمونه الشعور بالتهميش من قبل سكان إقليم الريف في الحسيمة، أن يوقظ وعيا هوياتيا خاصا.

يجب التذكير بأنه قبل إنشاء هذه الجمعية، كانت لهجة صنهاجة محصورة في فئة المسنّين والمناضلين.

ويقول محدّثنا في هذا الشأن، بأن إقصاء صنهاجة من طرف أهل الريف ليس مبنيا على أي أساس علمي، بل على أساس قبلي. إن الحركة الأمازيغية الجديدة تخلصت من العقدة إزاء الإسلام، وخلافا للنضال الذي كان يقوم به نشطاء السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، فإن الحراك الجديد يعترف بإسهام الممالك البربرية في إرساء الإسلام ونشره في شمال إفريقيا، ويتبنى إسلاما أمازيغيا مختلفا عن إسلام المشرق. ويرمي هذا الخطاب إلى إقامة حدود بين القومية العربية والإسلام. يقول محاورنا في هذا الشأن: « حين أسمع أحدهم يقول «المغرب العربي» يتنابني الغضب، لأن هذا الخطاب عنصري. فقبل اللغة العربية، كانت بلدان شمال إفريقيا قد استعملت عددا من لغات المحتلين، مثل الفينيقية واللاتينية والتركية والفرنسية والإسبانية، ومع ذلك لم نسمع أحدا من قبل يقول إن شمال إفريقيا تركي أو فرنسي. ولئن كان الأفارقة يتكلمون الفرنسية فإن ذلك لا يعني أنهم فرنسيون... نفس الشيء بالنسبة إلى أمريكا اللاتينية مع اللغة الإسبانية. وأنا لا أفهم كيف أن مجرد الكلام بالعربية (المعيارية) في وسائل الإعلام وفي المدرسة يجعل منا عربا. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

إن ما يجمع بين الأجيال القديمة والجيل الجديد هو المطالب الثقافية. ونشير هنا إلى أن حركة صنهاجة نجحت في إدماج نساء مدينة تارقيست في نضالها، تقول إحدى

المناضلات في هذا الصدد : « لقد تغيرت الأمور في تارقيست، إذ أصبح الناس يتقبلون اندماج الفتيات في العمل الجماعي، في أيامنا هذه يمكنني أن أخرج مع الفتيان، ولم يكن هذا متاحا لنا من قبل، لقد سمحت لي جمعية صنهاجة أن أتعرف على هويتي الأمازيغية الحقيقية. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

إن هذه الحركة، تنتقد موقف بعض أهل الريف من قبيلة أيث ورياغال في علاقتهم بالمخزن، وتتهمهم بأنهم باعوا تاريخ المنطقة مقابل الحصول على مناصب في السلطة، وقبلوا الانضمام إلى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية IRCAM دون أي حرج أو تساؤل. وفي هذا يصرح محاورنا قائلا : « لقد قام المخزن هنا كما في مناطق أخرى بخطوات كبيرة في سياسته نحو الأمازيغية. ومع ذلك فإننا بعيدون جدا عن أفق توقعاتنا في مجال الاعتراف باللغة الأمازيغية وثقافتها. إن المخزن أفلح في استمالة النخبة الأمازيغية من خلال المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. ويجب أن نعلم بأن مجلس إدارة هذا المعهد لم يجتمع منذ ثلاث سنوات، أما قناة الأمازيغية فهي مجرد وسيلة لفلكرة الأمازيغية. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

إن ما يميّز حركة صنهاجة سريار لا يكمن في التعددية التي تقترحها في الدفاع عن الثقافة الأمازيغية فحسب، بل في إدخالها عنصرا جديدا في تشكيل هذه الثقافة. فمن خلال هذه الجمعية نشهد اليوم انبعاتا للثقافة المحلية، عبر الاستثمار في الموروث المحلي مثلما نرى ذلك في مهرجان باشيخ. والفعل الثقافي هنا مصحوب بمطالب سياسية، لأن الحركة ترفض التقسيم الرسمي الذي يكرس التنوعات الثلاث المتمثلة في : تاشلحيت، تاريفيت، تامازيغت، دون غيرها، لأن مناضليها يرون في ذلك إقصاء لعدد كبير من المناطق مثل صنهاجة سريار. بل إنهم يذهبون أبعد من ذلك، ويرون أن إقصاء صنهاجة وعدم اعتبارها واحدة من التنوعات الأمازيغية، هو بطريقة ما محاولة لضم إقليم صنهاجة إلى الفضاء العربي. يقول محدثنا في هذا الباب : « من الناحية العلمية، اللغة الأمازيغية تدعى تاشلحيت، الشلحة بالدرجة، وكل أمازيغ شمال إفريقيا يستعملون هذا المصطلح : تامازيغت أو تاشلحيت. أما مصطلحات مثل تاريفيت، تاقابليت، تاصنهاجيت، تامازيغت، تاشاويت... إلخ فهي تستعمل فقط للتمييز، أي أنها تحدد الفضاء والإقليم. إن اللهجات الأمازيغية في شمال إفريقيا متشابهة. وتنقسم إلى ثلاث فئات :

1- أمازيغية صنهاجة وتضم بلاد القبائل في الجزائر، الأطلس الأوسط، وصنهاجة سريار.

2- أمازيغية مصمودة وتضم السوس وغمارة.

3- أمازيغية زناتة وتضم الريف الشرقي، الشاوية، مزاب، نفوسة، جربة... إلخ

وهذا ما يسمح لنا أن نفهم كيف أن أمازيغيا من منطقة بركان (المغرب الشرقي) يتواصل بسهولة مع أمازيغي من الشاوية. « [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

إن وراء هذا الخطاب العالم الذي يبين الروابط الموجودة بين أمازيغ شمال إفريقيا، يختفي أيضا رفض أمازيغ صنهاجة سريار لهيمنة قبيلة أيث ورياغال الريفية. ففي زعم محاورينا، فإن هذه القبيلة المعتربة على الصعيد التاريخي والسياسي تمنع صنهاجة من أي مشاركة في مختلف مراحل النضال التاريخي في الريف.

والمخزن من جهته، على الرغم من كونه يعتبر قبيلة أيث ورياغال وهي قبيلة عبد الكريم الخطابي خصما له، فإنه كان يسعى دوما إلى استمالة نخبها. إن الأمر يتعلق في الحقيقة بصراع من أجل الهيمنة على الإقليم. فلئن كان الفاعلون المنحدرون من أصول أيث ورياغال يسعون سعيا حثيثا إلى اقتحام المؤسسات السياسية، فإن الجيل الجديد من صنهاجة سريار يرون أنفسهم هامش الهامش، باعتبارهم أمازيغ من بلاد الكيف. إن هذا الجيل الجديد من الأمازيغ يرون أنفسهم أكثر أصالة في الدفاع عن تامازيغت، لغة وثقافة⁴⁴. فصنهاجة ليست إقليما لغويا فحسب، إنها أيضا إقليم اقتصادي لإنتاج الكيف. والشبان المنتمون إلى هذا الإقليم يتواصلون فيما بينهم عبر شبكات التواصل الاجتماعي للحديث عن آلاف المزارعين المنتجين للقنب الهندي، ممن تبحث عنهم وحدات الدرك، بل إن هذه الحركة تقدمت باقتراح يطالب بتقنين زراعة القنب الهندي والسماح بإنتاجه والتجارة فيه على اعتبار أنه ثقافة محلية.

4 - حراك الريف

في هذا الإطار، تحولت الاحتجاجات الاجتماعية إلى مطالب هوياتية أمازيغية أيضا. كانت شرارة الانطلاق لهذا الحراك بداية بمقتل محسن فكري يوم 28 أكتوبر 2016، الذي مات مسحوقا تحت آلة سحق النفايات، ثم تأججت مدينة الحسيمة قاطبة للتنديد بالظلم والهوان « الحقرة » التي يعاني منها البسطاء، وللمطالبة بالكرامة. وبسرعة فائقة اكتسب الحراك أيقوناته التي ستصبح وجوها رمزية للحراك. ففي مساء مقتل محسن فكري، بدأت الأنوية الأولى للحراك تتشكل. وكانت رايات جمهورية الريف والعلم الأمازيغي تسيطران على المشهد. إن هذا الربط بين المطالب الاجتماعية والديموقراطية والثقافية يعيدنا إلى التاريخ الخاص لإقليم الريف.

في هذا السياق المضطرب، ظهر مناضل من الريف، إنه الزفرافي، شاب يبلغ من العمر 39 سنة، وقد ظهر أول مرة على فيديو يوم مقتل محسن فكري. لم يكن لهذا الشاب

44. Mouna K., *La dynamique de l'inclusion et d'exclusion des jeunes du bled Du kif*, Saloua Zerhouni (dir), *The Challenges to social inclusion in Morocco*, Edition & Impression Bouregreg, Rabat, 2016.

ماض سياسي حافل، ولا ينتمي إلى أي تنظيم سياسي، كما لم يكن معروفا على الساحة المحلية كمناضل، ولكنه استثمر في ماضي عائلته، فوالده من قدماء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية [حزب يساري USFP] أما جدّه فقد كان وزيرا للداخلية في حكومة عبد الكريم الخطابي⁴⁵، أما خاله فقد كان من ثوار انتفاضة 1958-59. في كلمته التي ألقاها في معظمها بلغة تاريفيت، ليلة مقتل فكري، ندّد بظلم المخزن.

يتمتع الزفازي بقدرة هائلة على التواصل، فضلا عن تعلقه بلغته الأم تاريفيت فهو معتر بتاريخ الريف، خاصة ما يتعلق منه بمحمد أمزيان وعبد الكريم الخطابي أيقونتا مقاومة الريف ضد الاستعمار. هذا ما يفسر كونه في كل الفيديوهات يضع بجواره صورة امحمد [الاسم الذي يطلقه أهل الريف على عبد الكريم الخطابي]. ويعتبر الزفازي شمال إفريقيا منطقة أمازيغية، ويرفض كل محاولة لتعريبها، يقول الزفازي: « إن ما يجمعنا هو الإسلام، وإسلامنا أمازيغي، إسلام متسامح. وقد خصص في تدخله دقيقتين للرد على مراسلة قناة الجزيرة، خديجة بن فنة التي وصفت حراك الريف، بأنه ربيع عربي، وقد وظف نفس الكلمات التي تلفظت بها المراسلة، ليقول لها بأن العرب لا دور لهم في هذا الحراك وأنه حراك بربري خالص، يستلهم من الإسلام الأمازيغي، وأعلن رفضه تغطية الجزيرة لكل النشاطات، كما ندّد بمجلة جون أفريك *Afrique Jeune* واتهمها بأنها عميلة للمخابرات المغربية⁴⁶.

لقد استطاع أهل الريف أن يجندوا هويتهم الجماعية المشحونة بالدلالات الرمزية، كما نجحوا في تحيين العلاقة مع تاريخهم انطلاقا من هذه الخصوصية المحلية بالذات. وفي هذا الشأن يقول أحد محاورينا: « فلننق واقعيين، ثمة مناطق بربرية عديدة تعاني من التهميش، وهذا ينطبق أيضا على الجهات الناطقة بالعربية، ولكن ما يميّز الريف بالذات، يتعلق بالتاريخ. أعتقد أن حراك الريف هو ثمرة فشل سياسة المخزن. فهذا الأخير حاول أن يؤسس سياسته على تحالفات مع بعض الأطراف في الريف، من أجل استمالتهم سياسيا لاسترجاع المنطقة ككل. ولكن هذه السياسة فشلت، لأن أهل الريف مقتنعون بقيمهم الأمازيغية المتمثلة في: الأرض، الكرامة، والعفة. » [مقابلة مع ناشط أمازيغي]

لقد تمكن حراك الريف من خلق التعايش بين عدة لغات: هوياتية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية... إلخ. إن هذه الحركة لا تطالب بثقافة أمازيغية، بل تحركها

45. كلمت تحدث الزفازي عن الخطابي مولاي امحمد يتلفظ الصيغة «رضي الله عنه وأرضاه» وهي صيغة خاصة بالصحابة في عرف أهل السنة.

46. نشرت *Afrique Jeune* يوم 13 أبريل 2017 مقالا بعنوان: المغرب: هل استولى الاستقلاليون الريف على الحسيمة. في هذا المقال، استجوب الكاتب ممثلا عن المديرية العامة لحراسة الإقليم (DGST). وحاول المقال أن يبين كيف أن كيانين مشكلين من نحو عشرة أفراد في هولندا وبلجيكا (وهما أقرأؤ وأريف يوم 18 نوفمبر) هما وراء كل هذا الحراك! إن الأمر يتعلق هنا بنظرية المؤامرة التي يروج لها المخزن من أجل الالتفاف على الحركة.

على أرض الواقع، فالأمازيغية ليست معارضة للهوية الوطنية، بل هي هوية وطنية لكل المغاربة. وبفضل خلق حدود فاصلة مع الأحزاب السياسية، استطاع الحراك أن يؤسس لثقافة سياسية جديدة مستقلة، ولكنها تأوي في داخلها نقاشا حقيقيا جريئا حول مسألة المناطق الناطقة بالأمازيغية، مثل منطقة الأطلس الأوسط.

III- الأطلس الأوسط وميلاد وعي محلي

1 - تشكّل المطالب الأمازيغية

شكلت أواخر ستينات القرن الماضي منعطفا أساسيا في تاريخ الحركة الأمازيغية على المستوى الوطني، لعب الأطلس دورا هاما فيه من خلال المشاركة في تأسيس أول نواة تنظيم مدني أمازيغي يعنى بالثقافة الأمازيغية « الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي » LAMREC سنة 1967، بإسهام كل من علي آزاكو وإبراهيم آخياط وأحمد بوكوس.

على أن الوعي بالمطالب الثقافية على المستوى المحلي لم يبدأ فعليا إلا في سنوات الثمانينات، على أيدي الشباب الأمازيغ المنحدرين من الأطلس المتوسط، الذين سيندodon بالمعاملة التي يخصصهم بها حزب الحركة الشعبية (MP)، المصنّف كمثل للأمازيغية والأطلس المتوسط، بل والمغرب عموما، والذي لم يقدم أية مطالب ثقافية خاصة بالأمازيغية طيلة العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال. هؤلاء الشبان في الغالب متعلمين، وينتمون إلى وسط قروي ناطق بالبربرية، ولا يشعرون في مناطق تدرسههم بأي تمييز لغوي، ولكنهم سرعان ما سيشعرون بتدني وضعهم الاجتماعي الخاص بلغتهم الأم عندما يلتحقون بمؤسسات التعليم خارج منطقتهم الأصلية. وفي هذا السياق يقول أحد محاورينا : « أنا أمازيغي، وتربيت في وسط أمازيغي في كنف قبيلة أمازيغية مائة بالمائة. في طفولتي لم أعرف أية لغة أخرى غير الأمازيغية، ولكن في المدرسة بدأت أدرك وجود لغة أخرى. حين نتكلم بالأمازيغية يسموننا "الشلوح" ». [مقابلة مع ناشط أمازيغي]

هذه الوضعية الدونية للأمازيغية تتحكم أيضا في كل أشكال التفاعل الاجتماعي في الحياة اليومية، وهذا ما يشير إليه محاور آخر من مدينة خنيفرة، وهي كمرکز وحاضرة لمنطقة الأطلس، إذ يقول : « الناس هنا يحاولون استبدال اللغة الأمازيغية بالعربية أو الدارجة، وذلك بسبب ما يمكن تسميته "الشعور باحتقار الذات". فأنت حين تحاور أحدهم بالأمازيغية سيجيبك بالعربية، لأنه يظن بأنك تحتقره حين تكلمه بالأمازيغية . » [مقابلة مع ناشط أمازيغي].

إن الاستعمال الحصري للغة العربية في الإدارة عمق نكران الهوية. فالناس مرغمون على الكلام بالعربية، وحين يحاول أحدهم استعمال الأمازيغية يُقال له : « تكلم بالعربية

أيها الوغد» على حد قول محاورنا. إنه لمن الصعب التواصل بالأمازيغية في المحكمة والمستشفى والمدرسة... إلخ وبالتالي فإن الناس يشعرون نقصا فادحا في هويتهم. ومثل هذا الوضع يمثّل بالنسبة إلى العديد من الشبان مبررا كافيا للانخراط في النضال من أجل الاعتراف بلغتهم الأم، الأمازيغية.

لقد استيقظ هذا الوعي وتطور على مستوى الجامعة بداية من التسعينيات، مع استحداث فصل أمازيغي في صفوف الحركة الطلابية في جامعة مولاي إسماعيل في مكناس عام 1991، وهو ما استقطب عدة مناطق من الأطلس المتوسط. لم يكن للوجود الحركي الأمازيغي في الجامعة أي أثر، بحيث كان التداول حول المسألة الأمازيغية يتم سرا، ومحصورا في نقاشات بين الأمازيغيين لا غير. في هذا الشأن يقول لنا أحد قدماء النشطاء الطلابيين: « بسبب الشقاق الموجود من قبل بين التيارين الأصوليين (الطلبة القاعديين والطلبة الإسلامويين) فقد أتيحت لنا الفرصة لخلق حركة طلابية عام 1991. وقد استطاعت تلك الحركة، بمعزل عن اليساريين المقموعين والإسلامويين الذين كانوا يحتكرون الساحة، أن تحقق أولى نقاشاتها في مكناس وفاس. وقد تعرضت تلك النقاشات إلى نقد وشجب واسع بشأن أهدافها ومشروعها. في البداية كنا نطمح إلى تعريف الهوية الأمازيغية لا غير. ولم يكن ثمة أي اتفاق حول أهداف معينة لهذا المشروع. ومع ذلك كانت غايتنا اظهار هذا المشروع على ارض الواقع وإقامة الحجّة على وجوده. » [مقابلة مع ناشط أمازيغي]

إن فصل جامعة مولاي إسماعيل عن جامعة مولاي عبد الله سنة 1989 - والتي يهيمن عليها تيار أقصى اليسار الذي يعادي فكرة الهوية المحلية - كان عاملا مسهّلا لظهور المسألة الأمازيغية في الأطلس المتوسط. وقد أصبحت جامعة مولاي إسماعيل مشتتة للمناضلين في صفوف هذه الحركة. وهذا ما يؤكده محاور آخر إذ يقول: « في المرحلة الجامعية وانطلاقا من معرفتي بأشخاص تغيرت لدي مجموعة من الفئات والمفاهيم، كما اكتسبت معارف وأصبحت امتلك ادوات للاشتغال الفكري حيث أصبحت افهم الواقع والنظام المحيطان بي. » [مقابلة مع ناشط أمازيغي]

في نفس السياق، يواصل رئيس إحدى الجمعيات الثقافية في مكناس والذي ينحدر من منطقة الأطلس بقوله: « أنا مناضل من أجل القضية الأمازيغية وخير دليل على ذلك هو تواجدي في هذا النشاط بخنيفرة. منذ الصغر أدركنا أن الدولة تمارس علينا تهميشا وإقصاء، ولعل انخراطي في النضال يجد مبرراته في المضايقات التي عانيت منها في تلك الفترة. حصلت على البكالوريا سنة 1997، وتابعت دراستي الدراسات العليا في جامعة فاس، التقيت بأصدقاء من الحركة الأمازيغية، من الريف من الوسط وبالتالي تنامي لدي الوعي بالقضية الأمازيغية، وبعد تخرجي من الجامعة حصلت على وظيفة بمدينة مكناس

التي استقر فيها الآن وأرأس بها جمعية ثقافية أمازيغية، نضالي ولد في الجامعة في أحضان الحركة الثقافية الأمازيغية منذ سنة 1997. « [مقابلة مع ناشط أمازيغي]

على الرغم من هذا كله، فإن محاورنا يؤكدون بأن الحركة الثقافية لم يكن لها تأثير هام على الواقع الاقتصادي للسكان. فقد بقيت الحركة الثقافية نخبوية بل إنها أحيانا كانت انتهازية في منهجها. هذا ما يشير إليه محاور آخر، فيقول: « إذا أخذنا مثال منطقة خنيفرة باعتبارها مركز الأطلس المتوسط، يمكن أن نلاحظ الضعف الكبير للنسيج الجمعي في الجهة ككل. أقصد تلك الجمعيات التي من شأنها أن تتكفل حقا بالمسألة الأمازيغية (أقصد الجمعيات التي تحمل هم القضية الأمازيغية) هناك حضور جمعي بالمنطقة ولو على قلتها، ولكنه ممتحن (أي موالي للمخزن) يخدم التوجهات الإيديولوجية للدولة المغربية، باستثناء بعض الجمعيات القليلة كجمعيتي "أمغار" و"أمنزو". ما يهمنا نحن هم الفاعلون الجمعيون الحاملون للوعي الهوياتي الحديث. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

في خضم هذه التفاعلات على مستوى تدبير الفعل التنظيمي للحركة الأمازيغية، يصبح التنافس على أشده بين مالكي الشرعية التاريخية (القياديين) الذين تحكموا في دينامية الفعل الأمازيغي منذ إرهاباته الأولى، من جهة، والمناضلين الجدد الذين يحملون رؤى جديدة للفعل الحركي الأمازيغي⁴⁷. ومع ذلك فإن الأمر لم يمنع من إنتاج وعي محلي بالقضايا الأمازيغية من خلال جملة من الأنشطة الجموعية، التي ما فتئت تمد جسور التواصل بين الفاعلين على المستوى المحلي كما على المستوى الوطني. وعلى سبيل المثال يمكن أن نذكر الموقف الواضح الموحد لهذه الجمعيات من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية IRCAM. فقد رأى معظم الفاعلين الجمعيين بأن هذه الهيئة تفتقر إلى الجرأة الضرورية للتجاوب مع المطالب الأمازيغية المشروعة في أبعادها اللغوية والثقافية والهوياتية، بالإضافة إلى ذلك كون تركيبة مجلس إدارة المعهد الملكي كانت حركا على نخب من أصول سوسية. « وهي تمثيلية ساهمت بشكل سلبي في تكريس الثقافة اللهجاتية، وهو ما أدى إلى بروز عدة مشاكل لاحقا، تجلت في مطالبة المحسوبين على مناطق الريف بإحلال توازن داخل هياكل المعهد الملكي ضدا على هيمنة المحسوبين على مناطق سوس. »⁴⁸

2 - الانخراط في الإدماج الوطني للأمازيغية

يجوز القول ان منطقة الأطلس المتوسط كانت سبابة في الانخراط في دينامية نضالية ضد إجهاض مشروع إدماج الأمازيغية في المنظومة التربوية. فقد أسهمت الحركة

47. Chahir A., *Leadership politique amazigh*, in Hassan Rachik (ed.), « Usages de l'identité amazighe au Maroc », Casablanca, 2006 (Prix national de l'Institut Royal de la Culture Amazighe – IRCAM pour l'année 2007).

48. محمد عنتر، ملاحظات حول الظهير المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الحوار المتمدن - العدد:

الأمازيغية في الأطلس المتوسط بفعالية في النقاش الوطني حول دسترة اللغة الأمازيغية من خلال « الشبكة الأمازيغية للمواطنة » « أزطا أمازيغ » ووفروها بالأطلس المتوسط، أزطا أزرو، أزطا الحاجب، أزطا بني ملال، أزطا لقباب... إلخ (تعني كلمة أزطا النسيج أو المنسج) وقد « أصدرت الحركة مذكرة تفاعلية وتفاعلية مع المشروع التنظيمي المذكور، أوضحت فيه الهفوات التي تخللته، داعية السلطة التنفيذية إلى "التعاطي الفعال مع كل المبادرات والاقتراحات الهادفة إلى تدارك الاختلالات التي يعرفها المشروع"، لكون هذا الأخير "لا يترجم رؤية استراتيجية لدى الدولة إزاء اللغة الأمازيغية، ولا يعكس أفقا سياسيا إيجابيا اتجاه تفعيل مضامين الفصل الخامس من الدستور، فهو في صيغته الحالية يرمي إلى المحافظة على الوضع القائم، ويرهن مستقبل الأمازيغية من خلال إجراءات رمزية ثانوية وأجندة غامضة." « (الشبكة الأمازيغية للمواطنة، 2016)⁴⁹. هذا وقد دعت جمعيات الأطلس المتوسط باعتبارها ناشطة ضمن الفدرالية الوطنية للجمعيات الأمازيغية (FNAA) كل مكونات الحركة الأمازيغية إلى مقاطعة المشاورات حول تفعيل القانون التنظيمي للأمازيغية، لإبعاد كل مقاربة تشاركية مع المعنيين الاساسيين بالشأن الأمازيغي، بالإضافة إلى أن تأخير تنزيل مسودة المشروع ما هو إلا محاولة للإجهاز على مكتسبات الأمازيغية والتسريع في إخراج قانون لا يرقى لمستوى تطورات الحركة الأمازيغية.

وهذا ما سجلته الفيدرالية الوطنية للجمعيات الأمازيغية، بداية مع اللغة التي صيغت بها مسودة المشروع والتي تبقى مغرقة في الغموض والعمومية، القابلة للتأويل في كل الاتجاهات. كما اتضح أن المشروع يفتقر إلى إجراءات دقيقة حاسمة من شأنها أن تسمح بانبجاس رؤية واضحة عند التفعيل داخل دواليب الدولة. ذلك ما أدى إلى شل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، بدلا من أن يسرع وتيرة التطبيق ويحدد مراحل الإنجاز وآلياته ومعامله في إطار هذا القانون. (الفدرالية الوطنية للجمعيات الأمازيغية.⁵⁰ 2016)

على مستوى الأطلس المتوسط، يمكن أن نلاحظ مدى إسهام الفاعلين في سيرورة الاعتراف بالثقافة الأمازيغية ولغتها. ففي 28 نوفمبر 2015 على هامش مؤتمر جهوي نُشر بيان يتعلق بتعليم اللغة الأمازيغية في المغرب. وقد كان المؤتمر من تنظيم جمعية « أمغار » بمشاركة جمعيات وتنظيمات من مناطق مختلفة، حول موضوع « تدريس اللغة الأمازيغية في المغرب بين الترسيم وعبثية السياسة التعليمية »، وذلك لتسليط الضوء على حيثيات ما اعتبرته الهيئات المشاركة (تصريح جمعية أمغار في خنيفرة) على

49. ينظر أيضا وثيقة المكتب التنفيذي للشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة/أزطا أمازيغ، ليوم 29 جويلية 2016.

50. تصريح التنسيق الوطنية من أجل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، حاز على توقيع 800 هياة.

أنه إجهاض لمشروع إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية. من خلال هذا النشاط الفكري، أصدرت هذه الهيئات بيانا تنديديا، مؤكدة في هذا الصدد، تمادي الدولة المغربية في سياستها المعادية القائمة على « الأبارتايد »، من خلال نهج أسلوب الإقصاء في حق اللغة والثقافة الأمازيغيتين، في انتهاك صارخ لحقوق الإنسان، كما تنص عليها مقتضيات العهود والمواثيق الدولية.

كما عملت نفس الجمعية « أمغار من أجل الثقافة والتنمية » في خنيفرة و« جمعية مدرسي اللغة الأمازيغية بالاقليم » يوم 28/9/2015 على صياغة بيان حول الموضوع، أعقبته وقفة احتجاجية أمام نيابة التعليم بخنيفرة، للتعبير عن رفضهم تراجع الوزارة فيما يتعلق بتدريس اللغة الأمازيغية في المؤسسات التعليمية في الجهة، فضلا عن رفض إرغام مدرسي الأمازيغية على تدريس مواد أخرى غير الأمازيغية.

في نفس المنظور، واصلت جمعية « أزطا أمازيغ » في بني ملال حملتها الرامية إلى تنظيم دورة جهوية حول اللغة الأمازيغية بعد صدور دستور 2011، وكان ذلك في 13 ماي 2017 من أجل الكشف عن الثغرات الموجودة في المذكرة التفاعلية بخصوص القانون التنظيمي المتعلق بترسيم اللغة الأمازيغية والعراقيل التي تقف وراء التفعيل السليم لها. وإذا كان هذا واقع الحال بالنسبة لتدريس اللغة الأمازيغية بالمغرب على المستوى الرسمي، فإن ما يمكن تسجيله في هذا الصدد، هي المبادرة التي يقوم بها حاليا مختلف الفاعلون، في مجموعة من الجمعيات المتواجدة بالأطلس وعلى رأسهم جمعية أمغار (خنيفرة) والمتمثلة في إعطاء دروس مجانية في اللغة الأمازيغية، لفائدة الراغبين في ذلك. وهي مبادرة يحاول من خلالها هؤلاء الفاعلين، كسر الطوق المؤسساتي الذي تفرضه الدولة المغربية على اللغة الأمازيغية من خلال تقزيم حصص التدريس أو إعفاء بعض المدرسين من تدريسها داخل المؤسسات التعليمية الرسمية محليا. وحول الموضوع، يرى رئيس جمعية « تودرت » أن تخاذل السلطات الرسمية في تفعيل مشروع القانون من أجل تجسيد الطابع الرسمي للغة الأمازيغية يعود إلى « كون الحركة الأمازيغية في المغرب ماتزال ضعيفة، بسبب غياب حزب سياسي قادر على تجنيد كافة مكونات الحركة، للضغط على الدولة من خلال المؤسسات، لأن المدخل الأساسي من أجل تحقيق المطالب هو المدخل السياسي... موقفنا إزاء هذا الدستور كان واضحا، لأن هذا الدستور لم يكن ديمقراطيا، أولا من حيث المنهجية التي صيغ بها، ثانيا لأنه لا يستجيب لتطلعاتنا بعد حركة 20 فبراير. أعتقد أن الضغط الذي مارسه حزب العدالة والتنمية PJD وكذا حزب الاستقلال PI، على اللجنة المكلفة بصياغة الدستور كان سلبيا جدا بالنسبة إلى المطالب الأمازيغية، فالصياغة الأولى وضعت العربية والأمازيغية جنبا إلى جنب بالتساوي (على عكس الصياغة النهائية). ومع هذا فانا أعتقد بأن المعادلة الأمازيغية معادلة أساسية في المشهد السياسي بالمغرب،

ومع ذلك يجب تدارك هذا النقص بتشكيل حزب سياسي قوي، ومن الأكيد أن هذا سيتحقق لاحقا. فثمة اليوم ثلاث مبادرات لتشكيل أحزاب سياسية، وسنرى كيف يمكن لها أن تؤثر على المشهد السياسي في المستقبل». [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

أما فيما يتعلق بآليات إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية وفي ميادين الحياة العمومية ذات الأولوية، فإن أحد رواد جمعية أفزا في بتكزيرت (مقاطعة بني ملال) يرى بأن : « المنظومة التربوية ووسائل الإعلام هي مجالات عمومية. وتتمتع بقدرة هائلة على بلوغ المناطق النائية المهمشة، لأن نظام التعليم مرتبط دوما باللغة الأم. فثمة ترسانة من المذكرات الوزارية الصادرة عن الوزراء المتعاقبين على وزارة التربية الوطنية، وكلها بقيت حبرا على ورق. وعندما يكون الضغط من قبل الحركة الأمازيغية، يتم معالجة الأمر مثل تلك التصريحات التي تنادي قائلة : "افعلوا شيئا..." في الحقيقة، ليس للدولة المغربية أو ما نسميه المخزن التقليدي، أو الدولة العنصرية، الدولة التي أسستها فرنسا إرادة سياسية لإيجاد حل للقضية، بل إنها تعيق كل مشروع من شأنه تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية . كان يجب أن يدعى ذلك القانون "قانون تطوير اللغة الأمازيغية"، وليس قانون ترسيم اللغة الأمازيغية... فإذا أخذنا المادة الثالثة من القانون التنظيمي، التي تنصّ على أن التعليم الأمازيغي حق لجميع المغاربة دون استثناء، فإننا نراها مادة وضعت للاستهلاك لا غير، لأن الواقع يثبت عكس ذلك. فالدستور الحالي يكرس لمنطق اللهجات، والدليل على ذلك هو أن المادة 115 من الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والتي تخوّل الصلاحية للسلطة التربوية بأن تستعين بالأمازيغية في تدريس العربية، على اعتبار أن العربية لا يمكنها أن تعتمد على ذاتها فقط، وهو ما يُحوجها إلى الأمازيغية، يعد إنقاصا من قيمة الأمازيغية والعربية معا بشكل من الأشكال ». [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

وينقلنا المبحوث إلى تجربته الميدانية في الحقل التعليمي بقوله « درست الأمازيغية هذه السنة لتلاميذ لا يعرفون قراءة العربية ومستواهم ضعيف في الفرنسية، والمدهش أنهم تمكنوا من القراءة في غضون ثلاثة أشهر. الأطفال يحبون الأمازيغية، وحدهم المتطرفون يكرهون ما فيه خير للوطن. »

هذه الشكوك حول نية الدولة في تفعيل مضامين ترسيم اللغة الأمازيغية، يؤكدها الكاتب العام للشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة، بقوله : « لقد عبرنا عن تحفظنا إزاء المنهجية التي تبناها هذا الدستور، ولم نرفضه رفضا قاطعا. ورؤيتنا لا تتوقف عند هذه الحدود طبعا، لقد تبيننا موقفا تفاعليا، على أساس أن ترسيم اللغة الأمازيغية حقيقة غير مسبوق في الدساتير الماضية، ومن جهة أخرى كنا نتساءل : ماذا بعد الترسيم؟ خاصة

وأن المشرع الدستوري علق الترسيم إلى غاية إصدار قانون تنظيمي أو مرسوم تنفيذي «.
[مقابلة مع ناشط أمازيغي]

إن مماثلة السلطات الرسمية وتردها في إصدار قوانين تنظيمية من أجل ترسيم اللغة الأمازيغية وتطبيقها الفعلي، إلى جانب التهميش المنهجي إزاء هذه اللغة، يكشف عن نوايا الدولة في التعاطي مع المسألة الأمازيغية بكل أبعادها، وفي التجربة الديمقراطية التي ما فتأت تعلن عنها. إن هذه الرهانات تبقى على مستوى إعلان المبادئ، وتحتاج إلى وسائل التجسيد للتمكن من الانتقال من مرحلة الوعي بالمشكلة إلى مرحلة معالجتها. إن سنّ القوانين مرهون بالإرادة السياسية، وهو ما يعني أن الحلول التي تنتظرها الأمازيغية تبقى رهينة بين أيدي الطبقة السياسية حكومة وبرلمانا واحزابا.⁵¹ وهذا ما حدا ببعض الفاعلين الأمازيغيين أن يراهنوا على الخيار السياسي من أجل السير قدما بعملية الديمقراطية على كل الأصعدة (لغويا وسياسيا وتنمويا). وهو رهان يجد ترجمته الفعلية حسب معظم الفاعلين من خلال النضال السياسي ذي التوجه الأمازيغي، على اعتبار أن الحزب السياسي (على خلاف الجمعية الثقافية) كفيل بتعبئة أكبر عدد ممكن من الجماهير، وقادر على استقطاب مختلف الشرائح الاجتماعية، فضلا عن كونه مدخلا قاعديا من أجل الضغط على الدولة من خلال مؤسساتها التشريعية والتنفيذية... إلخ

وهذا ما يشرحه لنا أحد مؤسسي المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، و« مجموعة الاختيار الأمازيغي »، الذي ينتمي لمنطقة الأطلس، ومدينة خنيفرة على وجه التحديد، وهو أيضا أحد مؤسسي جمعية « أمغار »، إذ يقول في تبرير انتمائه إلى التيار السياسي المعروف باسم « مجموعة الاختيار الأمازيغي »: « لقد أسسنا الاختيار الأمازيغي لأننا مقتنعون بأن الأمازيغية تم اقصاؤها بقرار سياسي، وبالتالي فإن إعادة الاعتبار لها يجب أن يكون بقرارات سياسية. إننا بحاجة إلى منظمة سياسية، ولكنه سيكون من الخطأ أن نتخلى عن النضال الثقافي، لأن الحركة الأمازيغية تشتغل على كل المستويات (الثقافية والسياسية والاجتماعية). فيما يخصني شخصا أرى وجود تكامل بين هذه المستويات ولا يجوز الفصل بينها. » [مقابلة مع فاعل أمازيغي]

في حين انبرى آخرون إلى اعتبار أن الأحزاب السياسية في المغرب ليست حرة في التعبير عن مواقفها، وأن وجودها مشروط بالتنازلات التي تقدمها للسلطة. من هذا المنطلق فإن الاصطاف مع الأحزاب الحالية سيكون نوعا من تميع الفعل الحركي الأمازيغي والزج به في متاهات سياسية ضيقة: « إن الميوعة التي يعرفها المشهد السياسي بالمغرب من شأنها أن تلحق ضررا بالفاعلين الأمازيغ الذين سينخرطون في أحزاب سياسية بحثا عن

51. محمد أبعجاج، تغير الخطاب في انتظار تغيير العقلية، في:

مواقع سياسية، وبالتالي سيتكون فراغا في مجالات أخرى كالمجال الثقافي والمجال الحقوقي والجمعي، وسيقعون في نفس الأخطاء التي ارتكبتها الإسلاميون.»

وعموما يظهر من خلال مقابلاتنا مع مجموعة من الفاعلين الأمازيغيين بالأطلس المتوسط، أنه ليس هناك موقف واحد بخصوص العمل على الواجهة السياسية من عدمه. ومع ذلك فإن النشطاء يحدون المرافعة عن قضاياهم سياسيا لكن من منطلق مدني، أي عبر الواجهة الجموعية تجنباً لكل الإغراءات الحزبية التي تحرف العمل السياسي عن مراميه النبيلة. على أن الحل لدى بعض المعارضين لفكرة إنشاء حزب سياسي، يكمن في تمزيخ الأحزاب (أي إضفاء الطابع الأمازيغي عليها)، أي بدفعها إلى تغيير مواقفها إزاء القضية الأمازيغية وأن تتبناها في مرجعياتها ومشاريعها السياسية.

3 - نحو مطالب سوسيو اقتصادية وثقافية

إن مناطق الأطلس المتوسط كانت سباقة للاحتجاجات في مجموعة من المدن كخنيفرة وازرو وميريت والقباب والحاجب، بحيث أن غالبية الاحتجاجات تمحورت مطالبها الاجتماعية أو الحقوقية حول الشغل (كحالة حركة العاطلين حاملي الشواهد العليا)، غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار (لجان تنسيقية الأسعار)، مطالب اجتماعية (حركات المكفوفين، الجمعيات النسائية)، حقوقية (جمعيات حقوقية) أو حركات خاصة من قبيل (مجموعات النساء السلايات) التي طالبت بحقها في الإرث ضمن أراضي السلايات، أو سوسيوثقافية (الحركات الأمازيغية والإسلامية، الخ). ولو أن هذه الاحتجاجات تميزت بطابعها السلمي عموما، إلا من بعض الأحداث التي خرجت عن سياق الاحتجاج السلمي ولأسباب مختلفة، من قبيل أحداث صفرو خلال شهر شتنبر من عام 2007.

وإن كانت رياح « 20 فبراير » قد رفعت حاجز الخوف عن المواطنين، فإن المناطق الأمازيغية كانت مبادرة بالانضمام إلى احتجاجاتها، بحيث شكل مجلس دعم حركة 20 فبراير والذي ضم بالإضافة إلى الفعاليات الأمازيغية، فعاليات أخرى جمعوية وحقوقية وحزبية ونقابية، ساندت الحركة منذ نشأتها وناضلت باستماتة من أجل التغيير واحقاق العدالة الاجتماعية، ولو أن الوقفات السلمية التي كانت تدعو لها الحركة قد جوبهت ما مرة بالقمع من طرف القوات العمومية وبعض أعيان المنطقة ومنهم بعض المستشارين الجماعيين. كما أن المتابعات القضائية طالت بعض النشطاء بخنيفرة وميريت على الخصوص على خلفية توزيعهم لمناشير داعية إلى مقاطعة الانتخابات التشريعية لسنة 2011.

إن صدى هذه الاحتجاجات ضل يتردد كل سنة بمناسبة الاحتفال بذكرى الحركة، التي أصبحت فرصة للتنديد بالتهميش المتواصل الذي تعاني منه بعض قرى الأطلس المتوسط على وجه الخصوص، وذلك عن طريق تنظيم مسيرات احتجاجية مثلما حدث

في جماعة أجموس بإقليم خنيفرة سنة 2012 للمطالبة بالخدمات القاعدية مثل ترميم الطرقات والتزويد بالمياه الصالحة للشرب، وتوفير وسائل النقل، والمؤسسات العلاجية... إلخ. إلا أن السلطات المحلية وكعادتها واجهت المتظاهرين بالقمع، واعتقلت 12 شخصا بتهمة التجمع غير القانوني وإتلاف الممتلكات العمومية، والعصيان المدني... وقد حكم على المعتقلين من طرف محكمة الاستئناف بمدينة مكناس بعشرة أشهر سجنا وغرامة قدرها 500 درهم لكل واحد.

في نفس السياق، جاءت أحداث عنيفة أخرى على خلفية مقتل بعض العمال في « منجم عوام » بتيغزي بمنطقة مريزت التابعة لإقليم خنيفرة، كان آخرها وفاة عامل منجمي على إثر انجراف للتربة فاجأه داخل المنجم في نفق على عمق 450 مترا في شهر فبراير 2017. الأمر الذي أوجع غضب ساكنة المنطقة التي خرجت في مظاهرة حاشدة أثناء تشييع جنازة العامل المتوفى، عبّر فيها السكان عن سخطهم من الوضع الاجتماعي المزري ونددوا بظروف العمل القاسية التي يعاني منها عمال المناجم، في غياب لشروط السلامة وعدم مطابقتها مع المقتضيات القانونية المنصوص عليها في مدونة الشغل، فضلا عن إهمال الجانب الصحي، وهو ما أدى إلى تدهور الحالة الصحية لأغلب العمال الذين يتعرضون لأمراض خطيرة سيما بعد إحالتهم على المعاش.

في نفس السنة قام أكثر من 80 عاملا من منجم « جبل عوام » باعتصام مفتوح في ما سمّوه « كهوف الموت » في سيدي أحمد وأغرّم أوسار، للمطالبة بتحسين ظروف العمل وترقية مستواهم المعيشي، ورفض كل أشكال الاعتداء على حقوقهم ومنها إقصاؤهم من الاستفادة من الخيرات التي تزخر بها المنطقة، الأمر الذي انعكس سلبا على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي.

4 - الفاعل الأمازيغي والتحديات الاجتماعية والسياسية

تميز الفعل السياسي للمجتمع المدني الأمازيغي بمناطق الاطلس المتوسط بتأطير عدة محاضرات وملتقيات من أجل تحسيس السكان بحقوقهم التاريخية والاجتماعية والإنسانية، وكذا من أجل تعبئتهم في حركة مطلبية. ولكن الأمية المتفشية في المنطقة، بالإضافة إلى الحاجيات المستعجلة التي ينادي السكان بتحقيقها، لم تسمح بتوسيع دائرة الفعل الثقافي، وحصرتها تقريبا في صفوف النخبة المحلية كما يرى محاورونا. وإدراكا منهم لهذه الحقيقة، سعى الفاعلون الأمازيغ إلى الاشتغال على الواجهة التنموية، خاصة في المدن الصغيرة مثل ميدلت، ومريزت، والحاجب، ولقباب، وانفكو، من أجل التخفيف من وطأة الفقر والهشاشة في صفوف السكان، دون إغفال الجانب الثقافي الكفيل بانتزاع الحقوق المتصلة باللغة والهوية.

يبقى أن العقبة التي تواجهها الحركة الأمازيغية هنا، هي في كيفية ديمومة الفعل التنموي الذي يتطلب موارد مادية مهمة، وكذا في طريقة تعريف العمل التنموي في إذكاء وعي الساكنة بحقوقهم وتعبئتهم من أجل الذود عنها. في هذا الشأن يبرز أحد الفاعلين الأمازيغيين أن « النضال على الواجهة التنموية يتطلب موارد مالية، غير أن الفاعلين الجمعويين الحاملين للوعي الهوياتي الحديث هم في الغالب من الطبقة الوسطى (أساتذة بالخصوص، طلبة...)، وهي فئة لا تمتلك موارد مالية كبيرة للدفع بالنضال الأمازيغي إلى حدوده القصوى... هناك إشكال آخر بالنسبة للعمل الجمعوي ذو الطابع التنموي، فهذا الأخير لا ينمي الوعي بالقضية الأمازيغية لدى المواطنين، لأنه يتخذ غالبا صورة العمل الخيري التطوعي « charité، وهو ما يبعد المواطنين عن الانخراط في النضالات ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. فحين يُختزل العمل الجمعوي في فعل براغماتي صرف، فإنه على الأرجح سيؤدي إلى « إهدار الكرامة » في نفوس الساكنة الأمازيغية. ومن أجل تفادي هذا الأمر يجب تعليم الناس كيف يناضلون من أجل انتزاع حقوقهم المشروعة » [مقابلة مع فاعل أمازيغي].

الجدير بالذكر هو أن الفاعلين الأمازيغ راكموا تجارب نضالية هامة جدا في مجال الدفاع عن الحقوق اللغوية والثقافية والهوياتية، كما أنهم اكتسبوا مهارات فائقة في مجال التواصل مع المجتمع باستغلال كافة القنوات التكنولوجية الجديدة : يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال الصفحة الالكترونية التي أنشأتها جمعية أمغار في خنيفرة على إحدى مواقع التواصل الاجتماعي « الفيسبوك »، وكذا إصدار جريدة ورقية تحمل اسم « آشال » (الأرض)، بالتعاون مع جماعة « الاختيار الأمازيغي »، هذا على الرغم من أن المبادرة لم تعمّر طويلا، إذ توقفت الجريدة بعد العدد الرابع بسبب صعوبات مالية. هذا فضلا عن البيانات التي يتم نشرها لأغراض إعلامية أو تعبوية، مثل البيان الذي نشرته الجمعية بتنسيق مع مجموعة من الجمعيات الأخرى إثر حادث مقتل « محسن فكري » بالحسيمة وما تبعه من اعتقالات مستّ قادة الحركة الاحتجاجية في مدينة الحسيمة، ناهيك عن الانخراط في التنسيق مع هيئات وفعاليات مدنية أخرى، بهدف توسيع دائرة الاحتجاج للضغط على الجهات المعنية.

إلا أنه، وعلى الرغم من هذا التراكم النضالي والتواصل الذي أحرزه الفاعلون الأمازيغ بالاطلس المتوسط، وعلى الرغم أيضا من التنسيق الموسّع بين المشاركين الجمعويين ومناضلي حقوق الإنسان والنقابيين ورجال السياسة من أجل احتجاجات مشتركة تطالب بالعدل بين مختلف جهات الوطن وإنصاف المناطق الأمازيغية المهمشة على كل المستويات، فإن كل ذلك لم يسمح لهؤلاء الفاعلين أن يتبوؤوا منزلة قيادة هذا

الحراك ولا قيادته أو التأثير فيه وتوجيهه الوجهة التي يريدونها، فالاحتجاجات بقيت تراوح ما هو اجتماعي دون أفق ثقافي أو سياسي والذي ظل مقتصرًا على النخبة ولم يصل امتداده إلى القاعدة الجماهيرية الواسعة للمحتجين الأمازيغيين.

وهو الأمر الذي لا مسنانه في الاحتجاجات الأخيرة المواكبة للحراك الريفي، والتي انخرط فيها الفاعل الأمازيغي بالأطلس المتوسط بمختلف فعالياته المدنية والحقوقية وبشكل خاص بإقليم خنيفرة، في هذه الدينامية النضالية تحت شعار « باركا من الحكرة... باركا من الزلط ». وهو شعار يظهر مدى تمهلي الفاعل الأمازيغي مع الفئات الاجتماعية المهمشة عبر توظيف لغة تغترف من مخزون ثقافته الشعبية، دون الزج به في لغة لا تفقهها إلا نخبته، ولتستمر الشعارات على نفس المنوال من قبيل « باركا باركا من الفساد.. راكم شوهتو البلاد »، وبشعارات باللغة الأمازيغية « Sghoy,Sghoy Oumano .. itchakh Imakhzin thazlayno » وهو ما معناه حرفيا: « اصرخ اصرخ يا أخي... أكل المخزن عرقي ». وهي شعارات تفصح عن المعاناة التي يكابدها سكان المناطق المعزولة الأطلسية واستفحال البطالة بها وكذا غلاء المعيشة وتدهور الخدمات الاجتماعية والصحية وحق النساء السلايات في الإرث ضمن أراضي السلايات... الخ.. ناهيك حسب المبحوثين عن الفساد الغابوي المتمثل في مافيا تهريب خشب الأرز الذي حرم الساكنة من ثروتها الغابوية من دون رقابة صارمة للسلطات المركزية والمحلية.

يمكن القول أن التعبئة من أجل الحقوق الثقافية والهوياتية تبقى مقتصرة على فئة قليلة من الفاعلين والذين أغلبهم ينتمي للطبقة المتوسطة، لتبقى عموم الاحتجاجات التي تعج بها المنطقة كل وقت وحين، كتعبير عن تردي الأوضاع المتفاقمة باستمرار في هذا الجزء من المغرب الموشوم بغير النافع، ذات مطالب اجتماعية صرفة مجردة من كل أفق سياسي، لا تشتت من يقوم بها أو يتبناها، كل ما يهم تلك الاحتجاجات هو الفعل المادي المائل أمامها الذي يحقق مطالب آنية تساعد على تجاوز الأزمات الداخلية للأسر والمساعدة على الحفاظ على قدراتها الشرائية، وهو ما تمثل في كثير من الأحيان في رفع العلم الوطني وصور الملك والاستنجد به عبر الهاتف بحياته باعتباره يملك سلطة مادية ومعنوية للتغيير، لتبقى المسألة الهوياتية مغيبة عن مطالب الساكنة ومنفلتة من توجيهات المنظمين لهذه الاحتجاجات والمنتمين للحقل الجمعي، وهو ما يظهر من خلال الشعارات المرفوعة والخطابات والبيانات الملقاة في هذه الاحتجاجات والتي يتم التعبير فيها باللغة العربية أو الدارجة المغربية، مما يفقد المكون الأمازيغي إحدى دعائم هويته المتمثل في اللغة التي لم تعد تعني لساكنة المنطقة شيئا. الأمر الذي

يختلف بالنسبة للمسيرات الاحتجاجية بالريف، حيث المسألة الهوياتية حاضرة بشكل لافت، وهذا واضح من خلال تمسك المحتجين في تواصلهم باللغة الريفية وبرمزيات تاريخية تحيل على الوجود والنضال من خلال رفع علم بلاد «تمازغا» الامازيغية وعلم الريف المحارب ضد الاستعمار الاسباني، ولصور الرموز المناضلة المنتمة للمنطقة، وكلها تعبيرات تطغى عليها نزعة وجودية محلية، تعكس التمييز والخصوصية التي يتمتع بها الريف فضلا عن تاريخه المجيد الذي يحشد حوله أبناء المنطقة ويخلق لهم هوية جهوية متفردة.

يبقى التأكيد على أن الفاعل الأمازيغي بالأطلس المتوسط بكل تلويناته، بالرغم من التعبئة التي يقودها في جل الاحتجاجات التي تعرف استجابة جماهيرية عريضة، لم يصل بعد إلى تأكيد الذات الامازيغية على الساحة من وجهة اللغة والثقافة والهوية، ليبقى سجيناً لتعبيرات الساكنة المطالبة بتحسين اوضاعها الاجتماعية دون الزج بها في لعبة لا تفقهها، وليبقى الفاعل الأمازيغي مالكا لشرعية المبدأ، لكنه فاقدا لشرعية الفعل والتي بدونها لا يمكن أن يلعب أدوارا طلائعية في الدفع بالحقوق الامازيغية المشروعة التي تتجاوز كل الاعتبارات الاجتماعية وغيرها.

خاتمة

إن حظي المطلب الامازيغي بالأهمية في الخطاب الملكي لـ 9 مارس 2011، من حيث اعتبار الأمازيغية صلب الهوية المغربية، ورصيدا مشتركا لجميع المغاربة، مما يستدعي تفعيل طابعها الرسمي وكيفيات إدماجها في مجال التعليم ومجالات الحياة العامة ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية إلى جانب العربية، إلا أن النسخة المقترحة للاستفتاء في منتصف شهر يونيو جاءت مخيبة للآمال، في كونها اكتفت بجعل الأمازيغية جزء من الهوية المغربية إلى جانب الأجزاء الأخرى، العربية والأندلسية والصحراوية. كما أن مشروع القانون الخاص بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية وقانون المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية قد عرفا تأخرا في الإعداد والتنزيل، بحيث لم يدرجا في المجلس الحكومي إلا في 3 أوت 2016.

إن التحولات التي عرفتها المسألة الأمازيغية لا ينبغي فصلها عن سياسة الاستقطاب المؤسسي وشبه المؤسسي الذي تمارسه الدولة. ولئن نجحت هذه الأخيرة في بسط رقابتها على الفاعلين الأمازيغيين بإدماجهم ضمن مؤسساتها، فإنها سمحت بفعل سياسة الاستقطاب هذه أن تخلق فاعلين حركيين جدد في المناطق الأمازيغية. هؤلاء الفاعلون أعادوا استثمار الاحتجاجات السوسيو-اقتصادية على المستوى المحلي، وأصبحوا بفعل ذلك حاملين لمشروع أكثر طموحا، ودينامية محلية جديدة تعارض السياسة الاستحوادية للدولة. ومن ذلك التنديد بغياب إرادة سياسية حقيقية للاعتراف باللغة الأمازيغية، فضلا عن غياب مشروع اقتصادي تنموي حقيقي، وإبعاد كل مقاربة تشاركية قادرة على إشراك كل الفاعلين المدنيين والسياسيين المهتمين بالمسألة الأمازيغية.

وبالرغم مما يلاحظ من تباين وعدم انسجام لدى الحركة الأمازيغية على المستوى الوطني، وتلمسا لتعدد المنطلقات والتوجهات في الخطاب الامازيغي، فإنه لا يسعنا سوى أن نعتزف بأن الحركة الأمازيغية استطاعت أن تستوعب الوضع الحالي الذي آلت إليه المسألة الامازيغية، وسجلت نصحا كبيرا من خلال إدراجها لقضايا جديدة ذات طابع سوسيو-اقتصادي وسياسي. فالجمعيات الأمازيغية اليوم تغذي كل الحركات الاحتجاجية السياسية، وذلك منذ بروز حركة 20 فبراير، وبعدها حراك الريف وكافة أشكال التضامن المحلية في كل مناطق المغرب الأمازيغية.

ملحق الفاعلين

- رئيس جمعية « أجدير » ونائب « تنسيقية اميافا للجمعيات الامازيغية بوسط المغرب »
- رئيس فرع « الجمعية المغربية لحقوق الإنسان » بخنيفرة وعضو نشيط بالفصيل الطلابي « النهج الديمقراطي القاعدي »، « voie démocratique Basiste ».
- رئيس جمعية « أمغار » خنيفرة.
- ناشط أمازيغي وعضو فعال في الفصيل الطلابي « النهج الديمقراطي القاعدي ».
- « voie démocratique Basiste ».
- رئيس جمعية « ASSID » في مكناس.
- رئيس « جمعية واد سرو للثقافة والتنمية » بخنيفرة، وممثل جهوي « للهيئة الوطنية لحقوق الإنسان بالمغرب ».
- مناضل حقوقي وعضو نشيط بجمعية « أمغار » Amghar، ينحدر من مدينة ميدلت.
- ناشط حقوقي وعضو نشيط بجمعية « أمغار » في خنيفرة.
- عضو في الشبكة الجمعوية « هجرة وديمقراطية وتنمية »، « Migration Développement et Démocratie ».
- ناشط أمازيغي وأحد مؤسسي « جمعية أزوران للخير » بالقباب « l'association Izourane de bienveillance ».
- ناشط أمازيغي ومؤسس جمعية القباب Elkbab.
- ناشط أمازيغي، موظف في بلدية القباب.
- رئيس الشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة AZTTA ببني ملال « Réseau AZTTA citoyeneté la pour Amazigh ».
- الكاتب العام للشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة AZTTA.
- فنان أمازيغي، من خنيفرة.

- فاعل أمازيغي « جمعية أمغار » خنيفرة.
- جامعي مناضل أمازيغي، معتقل سابق بسبب المسألة الأمازيغية من سلا.
- عضو سابق في « المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية » (IRCAM)، ومؤسس جمعية آمنزو للثقافة والتنمية والبحث « والمنظمة السياسية » مجموعة الاختيار الأمازيغي، وحاليا رئيس جمعية تودرت في خنيفرة.
- فاعل أمازيغي، موظف إداري في قنصلية المغرب في باريس.
- أستاذ باحث وفاعل أمازيغي من خنيفرة.
- قيادي بجمعية AFZA بتاكزيرت، مقاطعة بني ملال.
- مقابلة مع ثلاث فاعلين أمازيغ من جمعية أسيد الثقافية Assid بمدينة مكناس.
- مقابلة مع ثلاث فاعلين أمازيغ من جمعية « أمغار » في خنيفرة.
- مقابلة مع فاعل من حراك الريف في الحسيمة.
- مقابلة مع فاعل من حراك الريف في الحسيمة.
- مقابلة مع فاعل من حراك الريف في الحسيمة.
- مقابلة مع فاعل من حراك الريف في الحسيمة.
- مقابلة مع فاعل في حراك الريف، من الدريوش.
- مقابلة مع فاعل أمازيغي، عضو سابق في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية IRCAM، مؤسس عدة جمعيات على المستوى الوطني وكذا في الريف والناظور خاصة.
- مقابلة مع أستاذ تيفيناغ في طنجة، وهو عضو في جمعية « صنهاجة الريف ».
- مقابلة مع رئيس جمعية « صنهاجة الريف ».

البيبلوغرافيا

- El Khatir A., *Aux origines de la politisation de l'action culturelle amazighe au Maroc*, in *Asinag*, Revue de l'IRCAM, 8, Rabat, 2013, pp. 74.
- Pouessel S., *Les identités amazighes au Maroc*, Non Lieu, Paris, 2010.
- Ageron Ch. R., *La politique berbère du protectorat marocain de 1913 à 1934*, in *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, 1971, Volume 18, n° 1, pp. 50-90.
- Perrault G., *Notre ami le roi*, Gallimard, Paris, 1990, p. 39.
- Raha R., *le Mouvement populaire et l'Amazighité* : <http://www.amadalpresse.com/RAHA/Mouvement.html>
- Jeune Afrique, 11 mai 2017 : <http://www.jeuneafrique.com/mag/433563/politique/maroc-amazighs-ont-conquis-pouvoir/>
- Rollinde M., *Le mouvement amazigh au Maroc : défense d'une identité culturelle, revendication du droit des minorités ou alternative politique ?* In *Insaniyat*, Revue algérienne d'anthropologie et des sciences sociales, 8/1998, p. 2.
- El Khatir A., *Aux origines de la politisation de l'action culturelle amazighe au Maroc*, in *Asinag*, Revue de l'IRCAM, 8, Rabat, 2013, pp. 59-76.
- Feliu L., *Le Mouvement culturel amazigh (MCA) au Maroc, L'Année du Maghreb*, I, p. 274-285, 2006.
- Aït Mous F., *Les enjeux de l'amazighité au Maroc*, Confluences Méditerranée, 3/N° 78, 2011 p. 121-131.
- Ramo H., *La carte linguistique du Maroc*, p. 119 et suivantes, in *Asinag*, Revue de l'IRCAM, n° 8, Rabat, 2013.
- Mouna Kh., *Borders, Drugs and migrants in Northern Morocco. Perspectives. Political analysis and commentary*, 2016.
- Aziza M., *Un siècle et demi d'émigration rifaine : de l'émigration saisonnière à l'émigration permanente*, in *Migrance*, n° 24, 2015, pp. 73-85.
- Montagne R. (dir.), *Naissance du prolétariat marocain. Enquête collective exécutée de 1948 à 1950*, Coll. Les rééditions du CJB, Centre Jacques-Berque, Rabat, 2016, p. 72 et suivantes.

- Ray, J., *Les Marocains en France, Thèse de Doctorat*, Université de Paris, Maurice Lavergne, Paris, 1937, p. 125
- Gaudio A., *Guerres et paix au Maroc*. (Reportages : 1950-1990), Khartalla, Paris, p. 68.
- https://www.siwel.info/printemps-amazigh-le-mouvement-du-rif-marche-pour-la-premiere-fois-atemsamen_5455.html
- Mouna K., *La dynamique de l'inclusion et d'exclusion des jeunes du bled Du kif*, Saloua Zerhouni (dir), *The Challenges to social inclusion in Morroco*, éditions & Impression Bouregreg, Rabat, 2016.
- Chahir A., *Leadership politique amazigh*, in Hassan Rachik, *Usages de l'identité amazighe au Maroc*, Casablanca, 2006 (Prix national de l'Institut Royal de la Culture Amazighe – IRCAM pour l'année 2007).
- محمد عنتر، ملاحظات حول الظهير المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الحوار المتمدن-العدد : 2005/04/13-1166.
- محمد أجمعاء، تغير الخطاب في انتظار تغيير العقلية، في : *Tafawt*, Périodique de culture et de langue amazighes, vol.2, n°11, Hiver 1997-1998

الحركة الأمازيغية في الجزائر وتحديات الإندماج الوطني

ديدا بادي

نوح عبد الله

سمير لراي

الفهرس

- 83..... المقدمة والإطار المنهجي للدراسة
- 86..... المبحث الأول : بروز المسألة الأمازيغية في الجزائر
- 89..... المطلب الأول : من سؤال هوية الجزائر إلى الربيع الأمازيغي (1949-1980)
- 89..... أولا : سؤال الهوية
- 91..... ثانيا : حرب التحرير أو غلق القوس حول الأمازيغية
- 91..... ثالثا : الاستقلال واستمرار نفي البعد الأمازيغي
- 92..... رابعا : صحوة الهوية في الأوساط الطلابية بالمهجر
- 92..... خامسا : الجامعة كفضاء حر للتراكم
- 93..... سادسا : الربيع الأمازيغي لسنة 1980 والتحول التاريخي للمسألة
- 94..... المطلب الثاني : ارتدادات الربيع الأمازيغي على منطقتي وادي مزاب والتوارق
- 94..... الفرع الأول : حركة إحياء اللغة والتراث المزابي
- 94..... أولا : احتكاك النخب المزابية بالنخب القبائلية
- 95..... ثانيا : تبني الأحزاب الديمقراطية الحداثية للمطلب الأمازيغي
- 95..... ثالثا : الخصوصية المذهبية
- 96..... رابعا : تعليم اللغة التارقية بداية لطرح النقاش حول الأمازيغية
- 97..... المبحث الثاني : تطور المسألة الأمازيغية في الجزائر
- 97..... المطلب الأول : الإطار السوسيو جغرافي للأمازيغ في الجزائر
- 98..... الفرع الأول : الإطار الجغرافي
- 102..... الفرع الثاني : الإطار التاريخي والسوسولوجي
- 102..... أولا : الخصائص الاجتماعية
- 105..... ثانيا : المرأة الأمازيغية بين التحديث والتقاليد
- 107..... ثالثا : الهجرة من منطقتي القبائل ووادي مزاب
- 111..... أ- توارق كال أداغ

- ب- توارق كال أزجر 112
- ج- توارق كال اهقار 112
- الفرع الثالث : المؤشرات الديموغرافية والسوسيو-اقتصادية 113
- المطلب الثاني : تطور المسألة الأمازيغية بين الاندماج الوطني وما فوق الوطني والانكماش المحلي 118
- الفرع الأول : المسألة الأمازيغية كعامل للاندماج الوطني 119
- أولا : منطقة القبائل كعامل للمسألة الأمازيغية إلى الفضاء الوطني 119
- 1 - التعددية الحزبية تنعش المطلب الأمازيغي 119
- 2 - المقاطعة المدرسية : انفراج القضية في إطار البعد الوطني 120
- 3 - حراك « الربيع الأسود » : محاولة أخرى لحمل المسألة الأمازيغية إلى الفضاء الوطني 122
- 4 - قانون المالية 2018 يبعث ديناميكية الاحتجاجات حول الأمازيغي 123
- 5 - ناير كعنصر للاندماج الوطني 125
- ثانيا : الأمازيغية عامل جديد للاندماج وادي مزاب في الفضاء الوطني 125
- ثالثا : التعامل السلس مع السلطة التقليدية والاعتراف باللغة التارقية كعوامل للاندماج التوارق في الدولة الوطنية 130
- 1 - الامانوكال كوسيط بين التوارق والسلطة الوطنية 132
- 2 - الأمانوكال كوسيط بين الإدارة والقبائل 133
- 3 - الاعتراف باللغة التارقية كعامل للاندماج الوطني 135
- الفرع الثاني : المسألة الأمازيغية كعنصر للاندماج ما فوق الوطني أو الإقليمي 138
- الفرع الثالث : المسألة الأمازيغية كعامل للانكماش في المحلي 140
- الفرع الرابع : هل من تأثير للربيع العربي على المسألة الأمازيغية ؟ 143
- المطلب الثالث : الفاعلون والنخب الحاملة للمطلب الأمازيغي 144
- الفرع الأول : الفاعلون الرئيسيون بمنطقة القبائل 144
- أولا : الأسس الاجتماعية للحركة البربرية 145
- ثانيا : الخصوصية القبائلية 145
- ثالثا : تراجع النخب القبائلية 146
- رابعا : النخب القبائلية الحاكمة 147
- خامسا : النخب الاقتصادية 148

- 149..... الفرع الثاني : النخب الحاملة للمطلب الأمازيغي لدى بني مزاب والتوارق
- 149..... أولا : النخب التقليدية المزابية والتارقية
- 150..... ثانيا : النخب العصرية المزابية والتارقية
- 153..... المطلب الرابع : أشكال التعبير عن المسألة الأمازيغية
- 153..... الفرع الأول :التعبير النقابي
- 154..... الفرع الثاني : التعبير السياسي
- 154..... أولا : الحزب كوسيلة للتعبير
- 155..... ثانيا : هل تنتخب منطقة القبائل على أساس جهوي
- 156..... ثالثا : القائمة الحرة كوسيلة للتعبير عن الخصوصية المزابية
- 157..... 1 - ظهور الأشكال الجديدة التعبير السياسي لدى المزابيين
- 158..... 2 - تطور مواضيع المطالب للحراك الجديد لدى المزابيين
- 159..... الفرع الثالث : النظم القبلية كوسيلة للتعبئة
- 160..... الفرع الرابع :التعبير الثقافي والفني
- 161..... أولا : الجمعية كوسيلة لإحياء اللغة والتراث الأمازيغي
- 162..... ثانيا : الأغنية كأقوى تعبير عن الهوية الأمازيغية
- 163..... الفرع الخامس : التعبير الإعلامي
- 164..... حوصلة واستشراف
- 169..... البيبليوغرافيا

المقدمة والإطار المنهجي للدراسة

موضوع هذه الدراسة هو الحركة الأمازيغية بالجزائر وعلاقتها بالدولة الوطنية والمجتمع، وهو ما يجعلنا نتطرق لأشكال التعبير التي عبرت من خلالها الحركة في مختلف مناطقها الجغرافية ومراحلها التاريخية الكبرى، مما يجعلنا نهتم بموضوع الحامل الاجتماعي والنخب المتنوعة التي تبنت هذا المطلب وعقائدها المختلفة، لاسيما بعد مرحلة الحراك الذي شهدته المنطقة العربية المعروف بالربيع العرب في 2011.

ونتساءل ضمن هذه الدراسة عما إذا كانت المسألة الأمازيغية تركز على مطالب لغوية وثقافية بحتة، وبالتالي يمكن اعتبارها قد وصلت إلى مداها بعد الاعتراف الدستوري بها؛ أم أنها اندمجت في جملة مطالب سياسية وحتى اقتصادية واجتماعية، تحمل مشروعا بديلا يساهم في تحول طبيعة وأسس الدولة الوطنية ذاتها بإعادة صياغة هيكلتها، في إطار تعددي وديمقراطي يعيد تشكيل علاقة المواطن بالدولة وطرق تسييرها المركزية يعقوبية في اتجاه لامركزي. وهو ما يجعلنا نتساءل ضمن هذه الدراسة حول نتائج تبني الدولة الوطنية للمطلب الأمازيغي وإدماجه في منظومتها القانونية واللغوية والتربوية، التي قد تؤدي إلى انتزاع قدرته في التعبئة الجماهيرية في مناطق القبائل ومزاب والتوارق، أم أن الأمازيغية في أبعادها اللغوية والسوسيو-اقتصادية ستبقى تشكل عامل تماسك المجموعات الأمازيغية وتعبئة النخب والحركات المطالبة لتعيد طرح النقاش حول شكل الدولة وطبيعتها المركزية؟

وتقوم الفرضية الأولى لدراستنا على اعتبار أن الاعتراف القانوني الرسمي بالمطلب الأمازيغي في الجزائر وادماج جزء من الفاعلين في الدولة الامة، قد يؤدي إلى افرغ القوة التعبوية للحركة الأمازيغية وجعلها تعرف حالة إعياء لا يمكن التنبأ بمداهما، تتطلب من الفاعلين داخلها إعادة صياغة مطالبهم واستراتيجياتهم التي ستكون أكثر تنوع بالضرورة للتكيف مع محيطها الجديد. بالمقابل تستشرف الفرضية الثانية أدوار جديدة للمسألة الأمازيغية في علاقتها بالدولة والنخب والمجتمع، في اتجاه بلورة مطالب جديدة قد تكون احدي تعبيراتها، ما تعكسه حالة الانكماش حول الذات التي تعبر عن نفسها من خلال مشروع الحكم الذاتي أو حتى الانفصال.

وتتفرع الأسئلة الأساسية التي تناولناها بالبحث كالتالي :

- 1- كيف نشأ المطلب الأمازيغي في الجزائر وتطور إلى الفضاء الوطني إلى حد إدراجه في الدستور؟
- 2- ماهو الإطار السوسيو جغرافي للمجموعات الأمازيغية موضوع الدراسة ؟
- 3- كيف تطورت المسألة الأمازيغية في تجاذباتها بين الانكماش المحلي والفضاء الوطني للدولة الامة والفضاء ما فوق الوطني ؟
- 4- من هم الفاعلون الاساسيون والنخب الحاملة للمطلب الأمازيغي وانواعها وعلاقتها بالدولة ؟
- 5- ماهي اشكال ووسائل تعبير المجموعات الأمازيغية عن نفسها ؟

واجريت الدراسة في الفترة الممتدة ما بين افريل 2016 إلى ديسمبر 2017 على ثلاث مناطق تمثيلية ناطقة بالأمازيغية في الجزائر، تختلف من حيث الموقع الجغرافي والخصوصيات السوسيوسياسية، وهي : منطقة القبائل في شمال الجزائر، الحاضن الرئيسي للمطلب الأمازيغي، ومنطقة وادي مزاب وسط الجنوب الجزائري لما يمثله المزابيون من خصوصية مذهبية-لغوية، ومنطقة التوارق في أقصى الجنوب الكبير الممتدة على نطاق جيوسياسي شاسع جدا في الصحراء الكبرى الجزائرية وحتى عبر حدود أربع دول على الساحل الإفريقي. بينما لم تشمل دراستنا منطقة الاوراس، لسبب محدودية الغلاف المالي المخصص لها، مع انها تمثل المجموعة الثانية الالهة الناطقة بالأمازيغية من حيث الوزن الديمغرافي في الجزائر.

ويتميز الباحثون في الحالات الثلاثة لفريق الجزائر، بالإضافة إلى كونهم أبناء هذه المناطق، وجامعيين مختصين في المسألة الأمازيغية في أبعادها الثقافية الأنثروبولوجية أو السياسية ؛ بكونهم فاعلين رافقوا مسيرة المطلب الأمازيغي في العشريتين الأخيرتين، كل في منطقتهم، مما يسمح لهم بفضل الملاحظة بالمشاركة تكوين نظرة داخلية وفهم أعمق للموضوع رغم صعوبة إحداث القطيعة الاستمولوجية مع الموضوع. ولذلك كان البحث التوثيقي مصدرا مكملا لتحليل مختلف الإشكاليات المرتبطة بالحراك الأمازيغي، مع ترك الحرية لكل باحث للاستعانة بالمقابلات مع عينة نمطية مجالية¹ من الفاعلين في الحركة المطالبة الأمازيغية الموزعين على المناطق الثلاث للجزائر. ويتكون دليل المقابلة من 18 سؤال مفتوح حول أهم محاور الإشكالية يخضع للتكييف حسب الوضع الخاص بكل

1. العينة النمطية تتكون من نمط معين من الأشخاص المبحوثين، ومجالية حيث قسمت مجموعة المبحوثين حسب مجالات جغرافية محددة. انظر : سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012، ص 142، 148.

منطقة. كما تمت الاستعانة بأهم الأعمال والمراجع التاريخية والسوسولوجية المنجزة حول المجموعات السكانية الأمازيغية وتطور الحركة الأمازيغية وتاريخها السياسي، لاسيما الحديثة منها. واعتمدت دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي للوقائع التاريخية للحراك الأمازيغي والعوامل المحركة له وفقا للمقاربة الكيفية التحليلية² لمحاولة فهم المسألة الأمازيغية وأسسها وتفاعلاتها واستشراف مستقبلها في الجزائر، من منظور شامل وكلي وتفادي الارتباط الضيق بالنتائج الكمية.

واعترضت دراستنا عدة معوقات موضوعية ومنهجية، أهمها شساعة الموضوع وتشعباته السياسية الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالواقع الجزائري، بالإضافة إلى تطوراته السريعة على أكثر من صعيد، مما صعب من مهمتنا في احتوائه في ورقة بحثية نهائية غير قابلة للتحيين. وقد اضطررنا إلى تحيين دراستنا مع آخر التطورات التي عرفتها المسألة الأمازيغية في الجزائر بمناسبة السنة الأمازيغية الجديدة في مطلع العام 2018.

وبالنسبة للقاءات مع الفاعلين الميدانيين فقد وجدنا صعوبات في الالتقاء بالفاعلين الأساسيين في وادي مزاب بسبب أن بحثنا الميداني في أواخر سنة 2016 جاء إثر الأزمة الأمنية والصراع الذي أخذ منحى طائفيًا حادًا الذي عرفته المنطقة، بحيث كان العديد من هؤلاء الفاعلين مسجونين أو مبعوث عنهم بتهمة «التحريض الطائفي»، فاكثفينا باستجواب الفاعلين المحليين الثانويين. أما في منطقة التوارق بالهقار والطاسيلي ناجر بالصحراء الكبرى فتكمن الصعوبة الكبيرة في التنقل لالتقاء الفاعلين الجمعيين هناك.

أما العائق المنهجي الثاني فقد اعترضنا عند محاولتنا دراسة المسألة الأمازيغية من منظور وطني مقارنة للمناطق الثلاث، وذلك بسبب الاختلاف الكبير بين هذه المناطق لعدة عوامل، أهمها:

- العزلة الاجتماعية السياسية بين المجموعات الثلاث بسبب البعد الجغرافي الكبير، بحيث تبعد منطقة التوارق عن منطقة القبائل بحوالي 2000 كلم، ومن منطقة وادي مزاب بـ1600 كلم. وتبعد مزاب عن منطقة القبائل بـ700 كلم (انظر الخريطة الجغرافية). هذا التباعد الجغرافي وقلة الاحتكاك الاجتماعي بين هذه المجموعات (التزاوج والتبادل التجاري، الخ)، أدى إلى وجود مسارات تاريخية سياسية وثقافية لكل مجموعة منعزلة عن الأخرى.

- اختلاف الخصائص السوسولوجية لكل منطقة، إذ بالإضافة إلى التفاوت الديمغرافي الكبير بين منطقة القبائل التي تحوي أكبر الناطقين بالأمازيغية في الجزائر ومنطقتي

2. حمود بن ناصر بن محمد الهاشمي، مقدمة في منهج البحث النوعي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2005، ص 12.

مزاب والتوارق، يتميز المجتمع القبائلي بانفتاحه الكبير على العصرية بفعل عملية التثاقف التي عرفها منذ الفترة الاستعمارية والهجرة الكثيفة نحو فرنسا، بينما يتميز المجتمع المزابي بكونه مجتمع تجاري متدين وشديد المحافظة والارتباط بالثقافة العربية الإسلامية، والمجتمع التارقي بكونه مجتمع كثير التأثير بالثقافة الإفريقية لجنوب الصحراء في قسم منه رعوي وبنسبة معتبرة من الأمية.

- الاختلاف الكبير للمسار التاريخي والسياسي لكل منطقة، بحيث كانت منطقة القبائل ولا زالت قاطرة لتحريك المطلب الأمازيغي كعامل يعبر عن خصوصيتها، بفضل نخبها القوية بما فيها تلك المندمجة في الدولة الوطنية؛ بينما لا تشكل المسألة الأمازيغية بالمنطقتين الاخيرتين عاملا لأي حراك مطلبى نوعي، إذ انشغلت النخب في منطقة مزاب أساسا بالحفاظ على الخصوصية المذهبية، أما منطقة التوارق فتقل إلى حد الانعدام النخب الفاعلة المؤثرة في الحياة السياسية الوطنية. ونتيجة لذلك كانت القضية الأمازيغية ولا تزال قضية أكثر انحصارا في منطقة القبائل، ولا تمثل ارتداداتها في المناطق الأخرى إلا تأثيرات جانبية على الهامش من طرف المركز، ولم تتبلور بعد نظرة وطنية متفق عليها حول الأمازيغية.

هذه الاعتبارات جعلت من غير الممكن إجراء دراسة أفقية مقارنة لنشأة المطلب الأمازيغي وتطوره وتفاعلاته بين المناطق الثلاث، طالما أنه لا يمكن فهم المطلب الأمازيغي إلا بدراسته أولا في بيئته الأصلية (المركز)، ثم ثانيا في المنطقتين الأخرين (الهامش)؛ وأخيرا محاولة إيجاد القواسم المشتركة بينها، في ظل غياب أي تصور وطني واضح للدولة المركزية حول الأمازيغية.

المبحث الأول : بروز المسألة الأمازيغية في الجزائر

لعب المطلب الأمازيغي بمختلف تعبيراته السياسية والاجتماعية دورا حيويا في إعادة طرح قضية الهوية في الجزائر خاصة في بعدها التاريخي والثقافي واللغوي، وبعث النقاش الوطني حول قضية الهوية الأمازيغية. ونتج عن الحراك الشعبي الأمازيغي الذي عرفته الجزائر منذ الربيع الأمازيغي سنة 1980 إلى حد الآن، نسج تضامن مع عدد من الفعاليات السياسية والنقابية والجمعوية، نتج عنه ضغط لا يستهان به على السلطة ونخبها. وهو ما أدى في اخر المطاف إلى إعادة النظر في صياغة الدولة الوطنية لسياستها اللغوية وإعادة النظر في الأسس المكونة للهوية الوطنية الجزائرية. فبعد أن عرفت تهميشا وتجاهلا إبان الاحادية السياسية واللغوية، فإن الدولة الجزائرية أعادت صياغة نظرتها حول الهوية منذ اقرار دستور 28 فيفري

1989، بإدراج البعد الأمازيغي كإحدى الثوابت الثلاثة للدولة إلى جانب العروبة والإسلام. وجاء اعتراف الدولة القانوني والدستوري بالأمازيغية والقبول الشعبي العام بها في العشرينين الاخيرتين، كرهان حتمي للحفاظ على الوحدة الوطنية، بعد مسار طويل من النضال والاحتجاجات الشعبية السلمية التي قادتها الحركة المطالبة الأمازيغية. هذه الاحتجاجات والمطالبات قادتها النخب السياسية لما بعد الاستقلال والتي استفادت من مزايا التعليم المجاني والترقية الاجتماعية، كما انها تنتمي غالبا إلى النخبة الفرنكفونية المنحدرة من منطقة القبائل.

بدأ النضال على مستوى النخب السياسية في المهجر ضمن الحركة الوطنية التي عرفت أول إثارة لمسألة الانتماء الأمازيغي للجزائر فيما عرف بالأزمة البربرية لسنة 1949 داخل حزب الشعب الجزائري. لكن تم إغفال هذه المسألة بعد الاستقلال واعتبارها مثار التفرقة بين أبناء الشعب الواحد. حيث كان قادة الثورة الذين تولوا الحكم يسعون إلى بناء دولة قائمة على النموذج اليقوي للدولة الفرنسية المبني على الأحادية اللغوية والدينية لرفع تحديات التنمية وبناء المجتمع الاشتراكي. ومع ذلك لم تؤدي سياسة التعريب في السبعينات في إطار « بناء الرجل الجزائري الجديد » وقمع أي مطالبة أو إظهار للخصوصيات اللغوية المحلية، إلا إلى تنامي الحركة المطالبة الأمازيغية في الخفاء بعد أن تبنتها أساسا النخب الفرنكفونية واليسارية، لاسيما في المهجر بحكم الحرية الفكرية والثقافية المتوفرة. وعليه لم تمضي ستان على وفاة الرئيس هواري بومدين حتى انفجرت أحداث الربيع الأمازيغي بمنطقة القبائل سنة 1980. وفتحت الاحتجاجات السلمية للربيع الأمازيغي النقاش لأول مرة على المستوى الوطني حول المسألة اللغوية في الجزائر في أوساط النخب الجامعية والسياسية. وتمخض ربيع 1980 لأول مرة بإنشاء الحركة الثقافية البربرية MCB كحامل للمطالب اللغوية الثقافية للمكون الأمازيغي بالجزائر.

وعرفت عشرية الثمانينيات نضج المطلب اللغوي الأمازيغي بارتباطه والتحامه مع المطلب الديمقراطي التعددي بحيث ضمت العديد من روابط وجمعيات حقوق الإنسان المحظورة آنذاك مناضلي القضية الأمازيغية. وكانت انتفاضة 5 أكتوبر 1988 التي تولد عنها انفتاح سياسي وتعددي ملفت، محطة حاسمة لصالح دعم المطلب الأمازيغي، خاصة بعد إقرار الدستور الليبرالي الصادر بتاريخ 28 فيفري 1989 الذي يكرس التعددية الحزبية والحرية فبعد انشاء معهد الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان أواسط الثمانينيات، تم إنشاء قسمين للغة والثقافة الأمازيغية بجامعتي تيزي وزو وبجاية سنة 1990 و1991.

وعلى المستوى السياسي تبنت جل الأحزاب السياسية المطلب الأمازيغي بدرجات متفاوتة وادرجته ضمن برامجها. فالأحزاب المصنفة ضمن التيار « الديمقراطي الحديث » جعلته ضمن أولوياتها. ونتيجة لذلك ارتبط هذا المطلب بمطالب علمانية الدولة والحقوق والحريات والتعددية الفكرية، بينما كان تبني الأحزاب المصنفة ضمن التيارين « الإسلامي » و« الوطني » للأمازيغية بصفة هامشية وضمنية من خلال استخدامها في الحملات الانتخابية بالمناطق الناطقة بها وكتابة اللافتات بالأمازيغية.

وبفضل الانتقال إلى النظام الليبرالي والتعددية الحزبية وإقرار الحريات سنة 1989، في ظل التحولات التي شهدتها المحيط الدولي وعودة حقوق الإنسان وبروز ظاهرة الهويات، وتراجع الفكر القومي العربي. استطاعت الحركة المطالبة الأمازيغية، أن تحقق مكاسب هامة، وأن تتمدد إلى المناطق الأخرى الناطقة بالأمازيغية مثل الأوراس ومنطقة مزاب بالجنوب الجزائري والهقار، من خلال حراك جمعي وتبادل واحتكاك سياسي وثقافي نشيط على مستوى النخب الجامعية. وإن كان دخول المسألة الأمازيغية إلى المعتزك السياسي كقضية وطنية أثار نقاشا كبيرا على مستوى النخب والشعب على السواء في أولى الانتخابات التعددية التشريعية والمحلية سنتي 1990-1991، فإنه أدى من جهة أخرى إلى انشطارات عديدة في الحركة الأمازيغية لاسيما بين حزبي FFS المنتمي تاريخيا إلى التوجه الوطني الاشتراكي وRCD الذي يصنف ضمن التيار الليبرالي العلماني.

وكان للحراك الأمازيغي الذي كانت ولا تزال منطقة القبائل الحاضنة الرئيسية له، بحكم وضعها السوسيو-التاريخي، ارتدادات على المناطق الأخرى الناطقة بالأمازيغية مثل وادي مزاب والتوارق تجسدت خصوصا على المستوى الثقافي واللغوي وحتى السياسي أحيانا لاسيما في العشرية الأخيرة. هذا الحراك لم يؤدي فقط إلى إعادة النظر في الخطاب الاقصائي التي بنيت عليه الهوية الوطنية « العربية الإسلامية » كما تم تقريرها في مختلف موثيق الثورة التحريرية لاسيما مؤتمر جبهة التحرير الوطني بطرابلس، وإنما أيضا إلى طرح المسألة الديمقراطية والمواطنة والحريات منذ الثمانينات. وإن كانت الحركة الأمازيغية قد بدأت كحركة ذات طابع ثقافي فإن الفاعلين فيها كثيرا ما انخرطوا في الحركات الاجتماعية والجموعية الأخرى. وتوج نضال الحراك المطلبي الأمازيغي في الجزائر لحوالي أربعة عقود إلى عودة الهوية الأمازيغية إلى السطح، وفشل الخطاب الاندماجي لان « استبدال الهوية الأصلية، بهوية أخرى جديدة [...] تبقى غير مقنعة للآخر، وغير مقنعة بكفائتها، إذ تبقى علامات رموزية في هويتها الأصلانية، طاغية على سطح الهوية الجديدة³ ».

3. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية الثقافية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 50.

نتيجة تبني حزبي الأرسيدي والافافاس المتجذرين بمنطقة القبائل للمطلب الأمازيغي في مواجهتهما للحزب « الإسلامية » و« الوطنية » التي تركز برامجها أكثر على البعد العربي الإسلامي، عرف المطلب الأمازيغي خلال الهزة الأمنية التي شهدتها الدولة الوطنية بما يعرف بـ« العشرية السوداء » (1992-1999)، انفراجا بعد مقاطعة الدراسة الذي قام به حوالي مليون تلميذ بمنطقة القبائل استجابة للحركة الثقافية البربرية للمطالبة بإدراج الأمازيغية في المدرسة. وذلك بموجب اتفاقية 22 افريل 1995 التي نصت على إنشاء المحافظة السامية للأمازيغية في جوان 1995 كأول مؤسسة في شمال إفريقيا لترقية الأمازيغية وإدراجها في منظومات التعليم والإعلام والمحيط. وفي نفس الفترة توسع التنظيم الجمعي الأمازيغي إلى الفضاء الدولي بإنشاء الكونغريس العالمي الأمازيغي سنة 1995.

ومع مطلع الألفية عرفت الحركة المطالبة الأمازيغية تحولات مفصلية عندما اتخذت طابع حركة سياسية اجتماعية وهي حركة العروش (القبائل) والمواطنة سنوات 2000-2005 بمنطقة القبائل، ما لبثت أن تحول جزء من الحراك الأمازيغي إلى حركات محلية وصفت بـ« الانفصالية » مثل حركة الحكم الذاتي بمنطقتي القبائل ووادي مزاب، وأخيرا حركة تقرير المصير بمنطقة القبائل، وتزامن ذلك مع انفتاح الدولة الوطنية على البعد الأمازيغي بشكل تدريجي. فبعد الاعتراف بالطابع الوطني للغة الأمازيغية بموجب التعديل الدستوري لـ2002 استجابة لحركة العروش والمواطنة، تم الاعتراف بالطابع الرسمي لها في دستور 2016 في ظروف تزامنت مع ظهور انتفاضات الربيع العربي ومحاولة الدولة الوطنية لضمان استمراريتها والوقاية من أي اهتزازات مستقبلية، إجراء إصلاح شامل لمنظومة الحكم والحريات بموجب دستور 6 مارس 2016. واثار ذلك جدلا في الحركة الأمازيغية حول جدية هذا الاعتراف « الشكلي » ومدى تجسيده الفعلي في الميدان العملي لاسيما بعد ما اعتبر « رفض البرلمان لاقتراح للدعم المالي لترقية الأمازيغية » في قانون المالية لسنة 2018. فكيف ظهر المطلب الأمازيغي وتطور في الجزائر ؟

المطلب الأول : من سؤال هوية الجزائر إلى الربيع الأمازيغي (1949-1980)

أولا : سؤال الهوية

طرحت المسألة الأمازيغية لأول مرة في تاريخ الجزائر الحديث سنة 1949 في خضم الحركة الوطنية المنادية باستقلال الجزائر، كرد فعل من طرف مجموعة من المناضلين الوطنيين القبائليين في صفوف حزب الشعب الجزائري PPA حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD. بفرنسا، على تقرير قدمه مصالي الحاج الزعيم الاستقلالي لمنظمة الأمم المتحدة حول الجزائر عرفها فيها بـ« الدولة العربية الإسلامية »، بحيث

اعتبرت المجموعة ذلك إقصاء للبعد الأمازيغي للجزائر، مما فجر أزمة داخلية حادة عرفت تاريخيا بـ «الأزمة البربرية» أو «الأزمة ضد البربرية»، بين هذه المجموعة وقيادة الحزب السرية، التي رأت في ذلك مؤامرة بل وسعت إلى التصفية الجسدية لبعض هؤلاء المناضلين، مع أن هذه المجموعة - كما يروي صادق هجرس احد أعضائها - لم تثر البتة مسألة الأمازيغية كقضية أساسية وإنما أثارها مع جملة من المطالب الأخرى مثل التسيير غير الديمقراطي للحزب وقضية النضال الوطني لتحرير الجزائر.⁴ ويمكن اعتبار الحضور العددي الأمازيغي (القبائلي أساسا) القوي في هذا الحزب الاستقلالي الفتى بفرنسا سببا في إثارة هذا الطرح الذي تحول إلى أزمة بين القيادة والقاعدة النضالية، إذ حسب شهادة عمر اوصديق أحد المناضلين الأوائل في الحركة الوطنية، كان أكثر من نصف المناضلين في حزب الشعب ومن قبله نجم الشمال الإفريقي من القبائليين سنوات 1946-1947، كما ساهموا في إنشاء خلايا الحزب في العاصمة ومدن الغرب الجزائري كتيارت وجليزان وروبية والعاصمة من خلال شبكة التجار القبائليين.⁵ وكان ظهور هذه الأزمة في المهجر بفرنسا حسب عمر كارلي نتيجة التقاء الجيل القديم الناطق بالأمازيغية والجيل الجديد المتخرج من المدارس الفرنسية لما بعد الحرب العالمية الثانية الذي حاول بعث الحركة الوطنية انطلاقا من البعد التاريخي الأمازيغي.⁶ غير أن قيادة الحزب تمكنت من فرض حصار على هذا التيار المسمى بـ «التيار البربري الوطني» وتحييده سياسيا، بواسطة إثارة الشكوك حوله لإبعاد المناضلين من أطروحته، وساعد على نجاح مسعاها كون هذا التيار مركزا أساسا في القاعدة النضالية المتواجدة في باريس وضعيفا بمنطقة القبائل ومنعدما في المناطق الأخرى للجزائر،⁷ مع أن شهادات المناضلين نفت وجود ما سمي بـ «حزب الشعب القبائلي» أو أي تيار بربري إقصائي وحصري في تلك الفترة التي ساد فيها النضال الوطني كأولوية لتحرير الجزائر بكل مكوناتها كما يؤكد ذلك فرحات علي احد المناضلين في هذا التيار.⁸

4.) Sadek Hadjeres, *Un débat national toujours actuel : la contribution de Idir El-Watani en 1949*, communication au Colloque sur *Le Mouvement National et la revendication Amazigh*, Alger, 24 et 25 décembre 2001, in www.socialgerie.net.

5. Yassine Temlali, *La genèse de la kabylie, Aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962)*, Barzakh, Alger, 2015, p. 180.

6. Omar Carlier, *La production sociale de l'image de soi. Note sur la "crise berbériste" de 1949*, *Annuaire de l'Afrique du Nord*, Centre national de la recherche scientifique ; Centre de recherches et d'études sur les sociétés méditerranéennes (CRESM) (éds.), Editions du CNRS, Paris, 1986, pp. 347-371, p. 369.

7. Omar Carlier, *ibid.*, p. 367.

8. Mohamed Brahim Salhi, *Algérie : Citoyenneté et Identité*, Editions Achab, Alger, 2010, p. 47.

9. Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, l'Harmattan, Paris, 1998.

ثانيا : حرب التحرير أو غلق القوس حول الأمازيغية

بانطلاق حرب التحرير بتاريخ 1 نوفمبر 1954 جمد النقاش حول مسألة الانتماء الهوياتي، وانخرط في جيش التحرير الوطني الأغلبية الساحقة من مناضلي هذا التيار، حيث تحملت منطقتي القبائل (الولاية الثالثة) والاوراس (الولاية الأولى) الناطقتين بالأمازيغية أكبر التضحيات في الحرب التحريرية لاسيما بعد 1957. وبالرغم من هذه المشاركة المحورية للمناطق الأمازيغية، لم تحضر المسألة الأمازيغية خلال الحرب التحريرية في أي وثيقة من موثيق الثورة الجزائرية، بسبب اقتزان المطلب الأمازيغي آنذاك بمعاني الجهوية و« التفرقة » التي تهدد وحدة الصفوف. وحتى مؤتمر الصومام أحد أهم محطات الثورة الذي انعقد سنة 1956 بمنطقة القبائل (إفري أوزلاقن) عمد إلى إقصاء المناضلين ذوو النزعة البربرية باعتبارهم « انفصاليون »، بل تم إعدام بعضهم باعتبارهم خطرا على وحدة الثورة. لكن لم يكن الأمر يتعلق بتصفية على أساس جهوي، كما يزعمه بعض الباحثين في المسألة الأمازيغية (9)، طالما أن عددا معتبرا من قادة الثورة النافذين هم قبائليون، مثل عبان رمضان، عميروش، كريم بلقاسم، الخ.

ثالثا : الاستقلال واستمرار نفي البعد الأمازيغي

استمر إنكار الخصوصية الأمازيغية اللغوية والثقافية بعد استقلال الدولة الجزائرية سنة 1962 بحيث بقيت العروبة والإسلام المرجعيتين الثقافيتين الحصريتين لانتماء الدولة الجزائرية. لكن ما لبث أن عبّرت هذه الخصوصية عن نفسها ضمنا خلال انتفاضة جبهة القوى الاشتراكية لحسين آيت احمد احد قادة الثورة السياسيين الأوائل، حين ثار في وجه السلطة الاستبدادية للرئيس احمد بن بلة الذي تبنى جزئيا على الأقل خطابا «عروبيا في تلك الفترة تائرا بالجو العام الذي كان سائدا في العالم العربي. مع أن أزمة 1963 لم تكن بتاتا حول الهوية الوطنية بقدر ما كانت حول شرعية السلطة والخيارات الإيديولوجية للدولة الفتية بعد استيلاء جيش الحدود على السلطة بالقوة في أزمة 1962.⁹ إلا أن السلطة وصفت جبهة القوى الاشتراكية « بالحزب البربري » لما لهذه التسمية من دلالات سلبية، إشارة إلى الدور الذي يكون قد لعبه حسين آيت احمد في أزمة 1949. وأدت هذه الانتفاضة المسلحة التي تم سحقها وما خلفته من دمار (400 شهيد) إلى إحداث جرح عميق في الذاكرة الجماعية للقبائليين الذين لم يكونوا يتصورون أن جيش التحرير الذي سانده متحمليين عبء الحرب سيقمعهم بهذا الشكل الدموي، مما ساهم في ظهور وعي بتهميش المنطقة بسبب عدة عوامل منها خصوصيتها اللغوية.¹⁰

9. Salem Chaker, *L'affirmation identitaire berbère à partir de 1900. Constantes et mutations (Kabylie)*, in *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction. pp. 13-34 ; 20.

10. Yassin Tamlali, *op.cit.*

رابعا : صحوة الهوية في الأوساط الطلابية بالمهجر

كانت سنوات 1960-1970 مرحلة هامة في الصحوة الهوياتية الأمازيغية وانتشارها في الأوساط الشبانية حيث ظهرت بمنطقة القبائل والعاصمة وفي المهجر (باريس) في سنوات 1965-1966 مجموعات شبانية من طلاب الثانويات تقوم بنشاطات التعليم والنشر والتنشيط الثقافي الأمازيغي كان لها أثرا كبيرا في تكوين أوساط شبانية مناصرة للمطلب الأمازيغي في أوساط السبعينيات¹¹. وفي هذه الظروف أسست « الأكاديمية البربرية » بباريس سنة 1967 من طرف بسعو محند اعراب احد محاربي جيش التحرير القدماء مع ثلة من المناضلين "البربريست". هذه الجمعية قامت بأعمال لغوية عديدة لتطوير اللغة الأمازيغية القبائلية ونشرها في الأوساط الطلابية المهاجرة في فرنسا، مما اكسبها شهرة واسعة في أوساط المغتربين مثل الطلبة والتجار. غير أن الخطاب الراديكالي وحتى « العنصري » لهذه الجمعية أدى إلى منع منشوراتها سنوات السبعينيات، خاصة بعد ما قيل عن تورط بعض عناصرها في عمليات تفجير قنابل تقليدية الصنع أمام جريدة المجاهد الحكومية وامام مقر الإذاعة والتلفزيون.

خامسا : الجامعة كفضاء حر للتراكم

كانت الجامعة الجزائرية منذ الاستقلال فضاء للصراع السياسي للحركات النقابية اليسارية ومحاولات التحرر من هيمنة السلطة المتمثلة في منظمة الشبيبة الجزائرية، لاسيما بعد انقلاب 19 جوان 1965 حين تم حل منظمة الاتحاد العام للطلبة الجزائريين في 15 جانفي 1971 بدعوى هيمنة شيوعيو حزب الطليعة الاشتراكية المحظور عليها. وبافتتاح جامعة تيزي وزو سنة 1977 انتقل هذا الصراع إليها بفعل نشاط مناضلي الحزبين اليساريين المحظورين : جبهة القوى الاشتراكية وحزب الثورة الاشتراكية. وسمح هذا النشاط النضالي المعارض ضد السلطة في الجامعة بالتنشئة السياسية للطلبة الشباب الذين يحملون الحساسية البربرية، والتسلح بالثقافة الاحتجاجية المتحررة من هيمنة السلطة واذرعها النقابية على الجامعة. وما لبث أن تشكلت في هذه الجامعة أولى الجماعات الطلابية اليسارية ذات الحساسية الأمازيغية.

وكان فتح النقاش العام حول مشروع « الميثاق الوطني » سنة 1976 الذي تضمن قسما حول « الثورة الثقافية » فرصة هامة لإعادة طرح تحديد الهوية الوطنية ومكوناتها، وإثارة المسألة اللغوية والثقافية ضمينا تحت تسمية « الثقافة الشعبية » بشكل علني من طرف بعض المناضلين مثل كاتب ياسين*. وفي هذه الظروف بدأت المسألة الأمازيغية تأخذ مكانها في الأوساط الطلابية الجامعية ولدى تلاميذ الثانويات.

11. Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, l'Harmattan, 1998, p. 43.

*تصريحات المناضل م.ص.أ في حوار أجريناه معه في إيطار بحثنا الميداني.

سادسا : الربيع الأمازيغي لسنة 1980 والتحول التاريخي للمسألة

تمثل الانتفاضة السلمية من أجل الأمازيغية لسنة 1980 والتي عرفت بالربيع الأمازيغي نقطة تحول هامة عرفتها الجزائر منذ استقلالها، من حيث أنها أعادت النظر بصفة مباشرة في أسس الدولة الجزائرية وشرعيتها. ولعبت جامعة تيزي وزو الحديثة العهد دورا محوريا في التعبئة في هذا الحراك الذي استطاع أن يجلب انخراط فئات واسعة من المجتمع بمنطقة القبائل. فمُنذ افتتاحها سنة 1979، ظهرت مجموعات يسارية استطاعت أن تنظم سنة 1979 إضرابا غير محدود حول جملة من المطالب البيداغوجية والاجتماعية إضافة إلى مشكل التمثيل في مؤسسات الجامعة، ويعتبر عزيز تاري* - أحد منسقي لجنة الطلبة آنذاك ومن معتقلي الربيع الأمازيغي.

وبالفعل قامت نفس هذه المجموعات التي كانت تدير لجنة الطلبة لجامعة تيزي وزو باستدعاء الكاتب مولود معمر لإلقاء محاضرة حول كتابه « الشعر القبائلي القديم » في افريل 1980، وكان منع السلطات لهذه المحاضرة، سببا لانفجار سلسلة من الاحتجاجات الطلابية العارمة ما لبثت أن توسعت خلال شبكة تضامن واسعة بسعي من مناضلي جبهة القوى الاشتراكية، إلى القطاعات والشرائح الاجتماعية الأخرى، مثل المصانع والإدارة المحلية والمستشفى، بعد الدعوة إلى الإضراب العام ليوم 16 افريل 1980. ولم يزد تدخل الجيش لفض إضراب 20 افريل 1980 في الجامعة واعتقال 24 من الطلبة إلا إلى الاحتقان لتمتد الاحتجاجات إلى بجاية والعاصمة منذ شهر ماي 1980*.

وتمخضت هذه الانتفاضة الشعبية عن إنشاء الحركة الثقافية البربرية في لقاء إككورن (30-1 أوت 1980) لحمل المطلب الأمازيغي وتأطير النضال من أجل ترقية اللغة والثقافة الأمازيغية والعربية الدارجة إلى جانب الحريات الديمقراطية.¹² كما سمح بظهور نخبة من الفاعلين السياسيين المستقلين عن النظام من مختلف المشارب الايديولوجية ودخولهم الساحة السياسية، ليقوموا بدور هام في تعبئة مختلف الشرائح الاجتماعية مثل الطلبة والعمال والفئات الشعبية البسيطة. وساهم ذلك منذ نهاية الثمانينات في بعث ديناميكية للتنظيم السياسي السري وخلق جسور بين الحركات المعارضة : الحركة النقابية اليسارية، الطلبة، النساء، أبناء الشهداء، ومجموعات الدفاع عن حقوق الإنسان. مما بلور في تمثلات المجتمع القبائلي « شرعية جديدة ». ومع ذلك لم يلقى المطلب

12. 14. لقاء اءككوران كان بمثابة اول اجتماع علني مستقل حول المسألة الثقافية واللغوية في الجزائر المستقلة.

*Avril 80, Insurgés et officiels du pouvoir racontent le « Printemps berbère », ouvrage collectif coordonné par Arezki Aït-Larbi, Editions Koukou, Alger, avril 2010.

*عزيز تاري هو أحد الناشطين البارزين في اللجنة الطلابية المستقلة لجامعة تيزي وزو وهو من المناضلين الذين أعتقلوا اثناء أحداث الربيع الأمازيغي.

الأمازيغي في فترة الأحادية السياسية أية استجابة ايجابية من طرف الدولة لتعارضه مع فلسفة الأحادية اللغوية ونموذج الدولة اليعقوبية الذي تقوم به، إلى حين إقرار التعددية السياسية بعد انتفاضة 5 أكتوبر 1988.

وادي الربيع الأمازيغي وما تبعه من حراك ثقافي وسياسي إلى فتح النقاش حول المسألة الأمازيغية في الاوساط الحاكمة داخل الهيئات القيادية في حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم في اواخر الثمانينات من طرف النخب القبائلية. وكان من نتيجة ذلك تكوين كتابة الدولة للثقافة الشعبية وفتح معهد للثقافة الشعبية في تلمسان، ثم في بداية التسعينيات فتح قسمين للغة والثقافة الأمازيغية بجامعتي تيزي وزو وبجاية.

وعليه يتبين أن المسألة الأمازيغية عرفت تطورها اساسا بمنطقة القبائل، مما عرقل ظهور تصور وطني مشترك للمسألة الأمازيغية. ويفسر ذلك باختلاف الظروف التاريخية الاجتماعية والجيوسياسية للمناطق الأمازيغية موضوع الدراسة، فبينما اتخذت هذه المسألة في منطقة القبائل طابعا سياسيا لغويا تتمحور حولها كل المطالب الاجتماعية السياسية الأخرى، فإنها بقيت في منطقتي مزاب والتوارق كمسألة لإحياء اللغة وتطوير تراثها وما يرتبط بها من الخصوصيات مثل النظم العرفية والخصوصية الدينية والتمثيل المحلي والوطني العادل لهذه المجموعات في مؤسسات الدولة. ومع ذلك كان للحركة الأمازيغية بمنطقة القبائل تأثيرات هامة وارتدادات عبر المناطق الاخرى الناطقة بالأمازيغية مثل منطقتي مزاب والتوارق.

المطلب الثاني : ارتدادات الربيع الأمازيغي على منطقتي وادي مزاب والتوارق

الفرع الأول : حركة إحياء اللغة والتراث المزابي

لم يتشكل لدى المزابيين وعي سياسي بالأمازيغية باعتبارها قضية نضال ضد سياسة السلطة تعنيهم بصفة مباشرة كما هو الحال بمنطقة القبائل. وإنما انحصر النضال منذ الثمانينات ولا يزال في جانبه اللغوي الثقافي لبعث اللغة المزابية وإحياء التراث المزابي في بعده الأمازيغي والاباضي. ونلاحظ أن تصور الأمازيغية لدى بني مزاب ليس مبني على نظرة اقصائية للثقافة العربية الإسلامية، بل على التعايش معها بحيث تحتل اللغة العربية الفصحى مكانة وظيفية في المجتمع المزابي باعتبارها لغة الفضاء الديني والرسمي للنخب الحاكمة. ومن حيث الاستخدام ينتقل المزابي في كلامه من المزابية إلى العربية الفصحى بسلاسة حسب الوضعيات والسياقات. ويمكن أن نرجع ظهور المطلب الأمازيغي لدى المزابيين إلى ثلاث عوامل :

أولا : احتكاك النخب المزابية بالنخب القبائلية

وبدأ ذلك على وجه الخصوص في جامعة الجزائر المركزية التي كانت تستقبل الطلبة من كافة أنحاء الوطن. وقبل ذلك تأثر عدة مثقفين مزابيين كفرادى منذ السبعينيات

بحركية إحياء اللغة والتراث القبائلي التي كانت في الجزائر العاصمة من خلال التأليف والأغنية، مثل عبد الوهاب حمو فخار الذي بدأ مشواره الشعري باللغة المزابية سنة 1972 بفضل احتكاكه بمناضلي منطقة القبائل ليصدر أول ديوان شعري باللغة المزابية سنة 1985 بعنوان إمطاون ن لفرح « دموع الفرح »¹³. وفي سنة 1977 بدأ عبد الرحمن حواش بحوثه في اللغة المزابية وفي تشكيل المكتبة الأمازيغية التي جمع فيها حوالي 8000 عنوان حول اللغة المزابية والأمازيغية بصفة عامة¹⁴. ومع إقرار الديمقراطية الليبرالية شكل التبادل الثقافي الجمعي بين المنطقتين، من خلال مشاركة الفرق الإنشادية والمسرحية والشعراء في مختلف المهرجانات واللقاءات الوطنية الدورية بمنطقة القبائل، حلقة وصل سمحت بتبني النخب المزابية للمطالب اللغوية والثقافية الأمازيغية.

ثانيا : تبني الأحزاب الديمقراطية الحداثية للمطلب الأمازيغي

إمتد المطلب الأمازيغي إلى المناطق الأمازيغية الأخرى في فترة ما يعرف بـ « الانفتاح الديمقراطي » (1989-1992) مع فك الخناق على الحريات، إثر صدور دستور 28 فيفري 1989 الليبرالي ليكون ضمن محاور حملاتها الانتخابية ونشاطاتها الميدانية. فعلى المستوى المحلي انخرط سنة 1990 عدد من المزابيين من النخبة الجامعية والموظفين وأصحاب المهن الحرة، في حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية RCD الفتى الذي جعل من القضية الأمازيغية إحدى ركائز برنامجه السياسي. هؤلاء المناضلين واغلبهم من المهتمين باللغة المزابية وتراثها الثقافي، كانوا من أوائل من طرح النقاش في المجتمع المزابي حول المسألة الأمازيغية بمفهومها المطالب السياسي لاسيما أثناء الحملات الانتخابية واللقاءات الثقافية.

ثالثا : الخصوصية المذهبية

يشكل المذهب الإباضي احد العوامل الاساسية لمحافظة المزابيين على اللغة والثقافة الأمازيغية، إذ يرتبط الانتماء المذهبي والخصوصية اللغوية الأمازيغية ارتباطا وثيقا لدى المزابيين كركيزتين للهوية المزابية، إلى حد لا يمكن معه تصور احدهما دون الآخر. كما يشكل المعطى الطائفي وما ولده من صراع بين المزابيين (الأمازيغ الإباضية) والسكان الناطقين بالعربية من المالكية، سببا في اعطاء بعد سياسي للانتماء الأمازيغي لدى الشباب المزابي كسمة اثنو-لسانية في مواجهة الآخر، لاسيما في فترات التشنج الطائفي التي تعرفها المنطقة من وقت إلى آخر.

13. عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون ن لفرح، « دموع الفرح » من تراثنا الشعبي، المطبعة العربية، غرداية، 1984.

14. يوسف لعسكار، ثدوران ن تسكلا، انثولوجيا الأدب المزابي، وزارة الثقافة، المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، 2011، ص 17.

رابعا : تعليم اللغة التارقية بداية لطرح النقاش حول الأمازيغية

كان تأثير الحركة الثقافية البربرية في منطقة التوارق من خلال أوائل الطلبة الجامعيين التوارق الذين التحقوا بجامعة الجزائر العاصمة. حيث كانت تشكل جامعة الجزائر بيئة لاحتكاك الطلبة من أصول جغرافية مختلفة وفضاء للمواجهات الايديولوجية بين مختلف التيارات مثل الاشتراكيين الشيوعيين، والبربريين والإسلاميين والعروبيين، الخ.

ويرجع الفضل في طرح النقاش حول الأمازيغية لدى النخب التارقية إلى مجموعة من عشرة طلبة جامعيين من ولاية تلمسان كانوا يتابعون دراساتهم العليا في الجزائر العاصمة منذ نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، حيث تعلموا تنظيم أنفسهم بعد احتكاكهم بالجمعيات العامة الطلابية ولجان الأحياء الجامعية. وكان الهدف العملي لتشكيل هذه المجموعة بداية من عام 1987 هو القيام بالأنشطة الثقافية، ولكن عدم الخبرة، والضعف العددي، لم يساعدا على تطور الأنشطة الثقافية. ومع ذلك فإن مجموعة الطلاب كانت مصممة على الإستمرار في نهجها، وفي منتصف عام 1988، تشكلت فكرة تنظيم فعاليات ثقافية في دار الثقافة في تلمسان، ثم تشكيل فرقة موسيقية تعمل على تحديث موسيقى التوارق. وقبل ذلك خلال صيف عام 1988، حاول الطلاب توعية الفئات الاجتماعية الأخرى (المعلمين، وموظفي الخدمة المدنية) لجذبهم إلى نهجهم الثقافي، ولكن المناخ الأمني الذي كان يسود في تلمسان آنذاك جعل الناس الذين تم الإتصال بهم نادرا ما يبدون أكثر من التعاطف اللفظي.

وكانت المناقشات تتمحور حول مواضيع الهوية الثقافية (كاحترام الهوية الأمازيغية بالنسبة للبعض، والعودة إلى الإسلام « الاصيل »، تعميم التعريب.. بالنسبة للآخرين) أو التنمية الاشتراكية والعدالة الاجتماعية. وإذا كانت فكرة المشاركة في الأنشطة الثقافية يعتبر تحصيل حاصل، فإن المنهج الأنجع الذي يجب سلوكه مع الإدارة لم يكن واضحا. مما أدى إلى بروز اتجاهين : اتجاه يدعو إلى استقلالية تامة عن الإدارة وآخر يعمل على ابداء مرونة أكبر تجاهها.

بالإضافة إلى هذه الفرقة التي تشكلت أساسا من كبل أهفار فقد تكون حول إنتيدين، وهو من توارق أضاغ. مجموعة موسيقية تخاطب بشكل مباشر ضمير التوارق من خلال مطالبتهم بنسيان منافساتهم العشائرية ومواجهة تطور عصري قد يؤدي إلى اختفائهم.

وفي سياق أحداث أكتوبر 1988 التي هزت عدة مدن في الشمال الجزائري، اغتنمت مجموعة من الطلبة فرصة عملية التحرر السياسي التي شهدتها الجزائر لتنظيم أنفسهم في إطار الجمعيات. واستفاد هؤلاء الطلبة من تجارب طلاب جامعات الجزائر العاصمة، وتيزي وزو، والمدية، الخ في الأحياء الجامعية في كيفية عقد الجمعية العامة التأسيسية، وانتخاب مكتب، وإكمال النظام الأساسي للجمعية وإيداعه لدى الإدارة.

وفي مارس 1989، مع الانفتاح الديمقراطي الذي أعقب أحداث أكتوبر 1988، عقد اجتماع بأحد المنازل بمدينة تمنراست، شارك فيه 22 شخصا. استدعى موجة من طلبات العضوية. وبعد المناقشات دعت « مجموعة الـ 22 » إلى اجتماع آخر الأسبوع التالي، يجمع بين أشخاص من أحياء مختلفة من المدينة، حضره 60 طالبا ليس فقط من منطقة الاهقار، وإنما أيضا من مناطق الاداغ والازجر التي سينشئ فيها هؤلاء جمعية تافاست بمدينة جانت. وخلال هذا الاجتماع التأسيسي تم إنشاء جمعية سميت « أهال »¹⁵، مع انتخاب مكتب ورئيس لها. المصادفة على نظامها الأساسي. ليودع ملفها لدى الإدارة بأمضاء 60 من الأعضاء المؤسسين. هذه الجمعية انشطرت فيما بعد لتنشئ عدة جمعيات¹⁶ من اتجاهات مختلفة تنشط حاليا بتمنراست،

وباختصار، فإن الأعضاء المؤسسين للجمعية الثقافية « أهال » هم من الشباب. وعلى الرغم من أن بعضهم ينحدر من أماكن بعيدة في تمنراست (الحدود بين النيجر ومالي)، فإنهم جميعا يقيمون في هذه المدينة التي تعد أيضا مقر الولاية. وهم جميعا ينتمون إلى مجموعات عرقية سوسيوولوجية مختلفة ويشاركون جلهم في أنشطة تتعلق بالقطاع الحديث.

المبحث الثاني : تطور المسألة الأمازيغية في الجزائر

بإقرار التعددية السياسية والحزبية بموجب دستور 28 فيفري 1989 باتت المسألة الأمازيغية عامل تعبئة استعملته الأحزاب السياسية الجديدة بمنطقة القبائل المتشكلة من عدد كبير من النشطاء والفاعلين في الحركة البربرية، للمطالبة بإدماج البعد الأمازيغي في المكون الهوياتي الوطني. فسمح ذلك من جهة بتفاوض النخب الحاملة لهذا المطلب مع الدولة الوطنية لإعادة النظر في النموذج اللغوي الأحادي الذي قامت به منذ الاستقلال طبقا للمواثيق الرسمية للدولة الجزائرية، وأدى من جهة أخرى إلى توسع المطلب الأمازيغي إلى المناطق الأمازيغية الأخرى كوادي مزاب والتوارق من خلال بعض النخب السياسية والثقافية.

المطلب الأول : الإطار السوسيو جغرافي للأمازيغ في الجزائر

تعتبر الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر من أصول أمازيغية كما يشهد على ذلك المسار التاريخي لشمال إفريقيا ومختلف السمات السوسيو-انترولوجية واللغوية

15. يقصد بهذا اللفظ هيئة ثقافية يجتمع فيها رجال ونساء، من أعمار ومشارب مختلفة برئاسة امرأة تسمى تاماوايت ن أهال (مسيرة التجمع). في هذا التجمع يلتقي قصاصون وشعراء ومغنون، ولاعبات آلة إمزاد (كمان محلي)، بالإضافة إلى متفرجين يأتون لحضور هذا الحدث.

16. Rachid Bellil, *Une nouvelle forme d'action : le mouvement associatif à Tamanrasset*, *Revue du monde musulman et de la Méditerranée*, Année 1990 Volume 57 Numéro 1, pp. 153-162

للشعب الجزائري. غير أن اللغة الأمازيغية اندثرت من مناطق شاسعة من البلد منذ الفتح الإسلامي في القرن 6 ثم هجرة المجموعات الهلالية في القرن 11، مما جعل الناطقين بها أقلية عديدة سموها بالأمازيغ تمييزاً لهم عن الناطقين باللغة العربية الدارجة الذين سموها « عرباً ». ودرجت هذه التسمية في عهد الاستعمار الفرنسي الذي حرص على اعتبارهما مجموعتين عرقيتين مختلفتين متميزتين في إطار سياسته للتحكم في الأراضي المحتلة. ولم نكد نجد إحصائيات ذات مصداقية تخبرنا عن العدد الحقيقي للناطقين بالأمازيغية في الجزائر، وأغلب التقديرات تتفق على أنه يتراوح ما بين 20% إلى 30% من سكان الجزائر. غير أن المجموعات الأمازيغية تتميز بانتشار جغرافي واسع، وديناميكية سياسية واقتصادية كبيرة ومتفاوتة من جهة إلى أخرى، جعلتها تؤثر بقوة في الصيرورة التاريخية والاجتماعية للجزائر.

وعليه لم تطرح المسألة الأمازيغية في خطاب النخب الحاملة لها منذ بروزها في الجزائر كمسألة أقليات، بقدر ما طرحت كقضية وطنية للشعب الجزائري. وساعد على هذا الطرح بروز هذا المطلب في حضان الحركة الوطنية، وكون أبرز الفاعلين الأوائل فيها كانوا من مناضلي القضية الوطنية إبان الاحتلال الفرنسي الذين يحملون مشروع بناء الدولة الأمة وفق النموذج الفرنسي.

ويمكن أن نقدم الوضع السوسيو جغرافي والاقتصادي للمناطق الأمازيغية موضوع الدراسة فيما يلي :

الفرع الأول : الإطار الجغرافي

إن السمة المشتركة للمناطق الأمازيغية الثلاثة هي وجودها ضمن تضاريس جغرافية صعبة ومنعزلة، وكانت هذه العزلة الجغرافية ولا زالت عاملاً هاماً في محافظة هذه المجموعات على لغتها وثقافتها. حيث يتمركز القبائليون بمنطقة القبائل على ساحل البحر المتوسط في سلسلة جبال جرجرة التي كان يلقبها الرومان «مون فيراتوس» (جبال الحديد)، بالإضافة إلى جبال البابور وما حولها من المدن والحواضر، وتقع في 100 كلم شرق الجزائر العاصمة.

أما منطقة وادي مزاب فتقع في وسط الأطلس الصحراوي في 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة لجا إليها الأمازيغ الإباضية منذ القرن الحادي عشر بعد سقوط الدولة الرستمية (777م - 909م)، بينما تقع منطقة التوارق في أقصى الجنوب الجزائري على بعد 2000 كلم من العاصمة.

17. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية الثقافية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 112.

وتمتد منطقة القبائل ذات الكثافة السكانية العالية على طول سلسلة جبال جرجرة والبابور على مساحة 22.003 كيلومتر مربع على. وتشرف على البحر الأبيض المتوسط على مسافة تقارب 200 كيلومترا من مدينة دلس غربا إلى جيجل (Djidjel) شرقا، في حين تتموقع بجاية في الوسط. وفي الخلف تخترقها من الغرب إلى الشرق سلاسل جبلية شامخة تتخللها الوديان والمنخفضات مثل جبال جرجرة والبيبان والبابور. يحدها من الغرب منطقة الجزائر العاصمة، ومن الشرق قسنطينة ومن الجنوب الهضاب العليا التي تفصلها عن الصحراء.

جدول (1) المعطيات الجغرافية للمناطق الثلاث

المعطيات الجغرافية	بجاية وتيزي وزو	غرداية ¹	تمناست والليزي
درجات الحرارة	ما بين 1 إلى 45 درجة مئوية	ما بين 9.2 إلى 47 درجة مئوية	ما بين 8 و35 درجة مئوية
الارتفاع	2. 308 متر	500 متر	3.000 متر
الأمطار	1.000 ملم	68-13 ملم	ما بين 100 و160 ملم

وإلى الجنوب يقع وادي مزاب (« أغلان » أي الوطن كما يسميها بنو مزاب) في الأطلس الصحراوي على بعد 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة، وعلى ارتفاع 468 متر عن سطح البحر، وهو وادي قاحل تعبره السيول الموسمية، ولهذا سمي بـ« شبكة وادي مزاب ». ويتربع على مساحة 86106 كلم مربع، وهو ذو مناخ صحراوي جاف بمعدل تساقط سنوي بحوالي 60 مم، ويفارق كبير في المدى الحراري بين الليل والنهار، إذ تتراوح درجات الحرارة شتاء بين 1° إلى 18° وصيفا بين 18° إلى 48°¹⁸. ويتجمع بنو مزاب في سبعة مدن، خمسة منها في الوادي أسست بالتوالي هي:¹⁹ تادجنينت/العطف سنة 1012م، آث بنور/بنورة سنة 1065م، تاغردايت/غرداية سنة 1085م، آت ازدجن/بني يزقن سنة 1321م، آت مليشت/مليكة سنة 1355 م بني يزقن ؛ واثنان شمال الوادي وهي قرارة/القرارة وأسست سنة 1630م التي تبعد عن غرداية بـ105 كلم، ثم ابرقان/بريان وأسست سنة 1690م وتبعد عنها بـ45 كلم. وصنفت منظمة اليونسكو هذه المنطقة سنة 1982 ضمن التراث العالمي للمحي²⁰. ومن الناحية الإدارية ينتمي وادي مزاب إلى ولاية غرداية التي تضم 9 دوائر و13 بلدية، منها 5 بلديات ذات أغلبية مزابية وهي غرداية، بنورة، العطف، بريان،

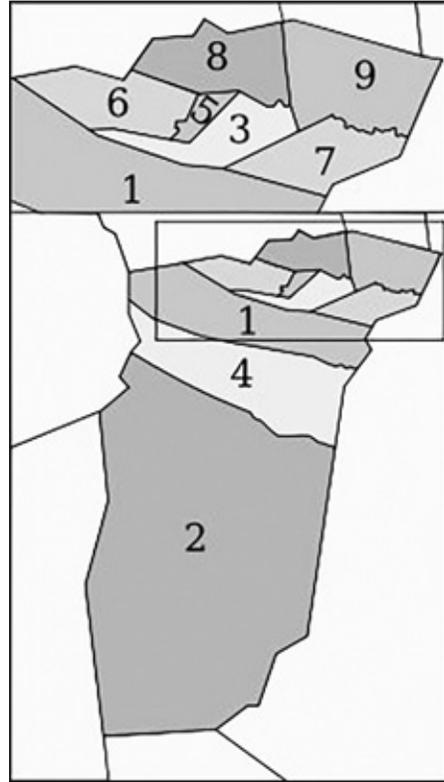
18. وزارة الثقافة، ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، مسيرة رائدة في إعادة الاعتبار لتراث ولاية غرداية، ص. 3.

19. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة إجتماعية وإقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة، 2017، ص. 15 وما بعدها.

20. Office de protection de la vallée du M'Zab, Algérie, *Le secteur sauvegardé de la vallée du M'Zab*, [www.opvmg.org].

وقرارة، و8 بلديات سكانها من الناطقين بالعربية وهي متليلي، ضاية بن ضحوة، زلفانة، حاسي لفحل، منصوره، سبسب، حاسي القارة، والمنيعه (التي تحولت إلى ولاية منتدبه سنة 2012).

الرقم	الدائرة
1	متليلي
2	المنيعه
3	بنورة
4	منصوره
5	غرداية
6	ضاية بن ضحوة
7	زلفانة
8	بريان
9	القرارة



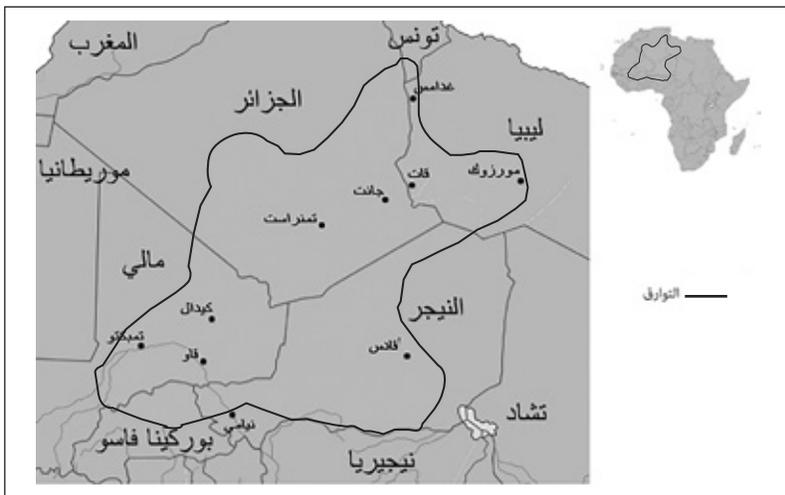
خريطة التقسيم الاداري لولاية غرداية
(البلديات ذات الاغلبية المزابية هي :

1-4-5-8-9)



الخريطة الجغرافية لمنطقة القبائل

وفي أقصى الجنوب الجزائري الكبير يتركز التوارق في جبال الاهقار وجبال الطاسيلي ناجر في أقصى الجنوب الشرقي. ويتشكل التوارق الجزائريون من ثلاث مجموعات قبلية منتشرة في نطاق شاسع من الصحراء الكبرى : قسم من توارق كال اداغ، يتمركز على جانبي الحدود مع دولة مالي، وقسم من توارق كال آزر بمنطقة الأزجر، يوجد على جانبي الحدود الجزائرية الليبية (ولاية إليزي)، وأخيرا توارق كال أهقار بمنطقة الهقار، الموجود كلية في الأراضي الجزائرية (ولاية تمنراست)، مع تواجد شتات لهذه القبيلة في دولة النيجر المجاورة، بالإضافة إلى امتداد هذه المجموعات عبر حدود الدول الإفريقية المجاورة الفتية التي كانت كلها تخضع لنفس السلطة الاستعمارية الفرنسية منذ بداية القرن العشرين. ويمكن أن نوضح توزيع المجموعات الأمازيغية الثلاث في الجزائر في الخريطة التالية :



الخريطة الجغرافية لمنطقة التوارق

الفرع الثاني : الإطار التاريخي والسوسولوجي

تتميز المناطق الثلاث إن من حيث الخصائص السوسولوجية والديموغرافية أو المسارات التاريخية والسياسية نتيجة اختلاف موقعها الجغرافي وعلاقتها مع الدولة المركزية وتباين مسار الأمازيغية وتطوراتها فيها. تاريخيا عرفت منطقة القبائل اتصالا تاريخيا وتفاعلا مع مختلف الغزاة، من التواجد الروماني والتركي والإسلامي إلى الاحتلال الفرنسي العنيف الذي ترك آثارا خطيرة على المستوى السوسولوجي واللغوي، بينما حافظ بنو مزاب، بفضل العزلة الجغرافية على استقلالية واسعة إبان الحكم التركي والفرنسي كرسوها باتفاقيات ابرموها مع المحتلين بصفتهم جماعة مستقلة، مما ساعدهم على الحفاظ على نظمهم وكيانهم الاجتماعي الديني اللغوي المستقل. أما التوارق فلم يكن اتصالهم بالمحتل الفرنسي إلا في بدايات القرن العشرين بعد احتلال الهقار سنة 1922.

أولا : الخصائص الاجتماعية

وينتمي القبائل إلى قبيلة صنهاجة وكنامة، ويشكلون مجموعة كونفدراليات قبلية تتقاسم المناطق الجبلية وتخضع إلى تنظيم قبلي لا يزال ساريا حتى اليوم، بشكل أو بآخر، رغم التحولات العميقة التي عرفها المجتمع القبائلي، وتمثل تاجمعت الوحدة الإدارية القاعدية للمجتمعات القروية القبائلية. فهي تدير كل الشؤون الداخلية للقرية بل باتت الممثل الرئيسي لسكان القرية. وعلى الرغم من التغيرات الداخلية والخارجية، تبقى « تاجمعت » ضامنا للتماسك الاجتماعي والإقليمي للمجتمع القروي في منطقة القبائل. ويتم تعيين - وليس انتخاب - المسؤولين في « تاجمعت » من طرف مختلف الأسر في القرية، مع استبعاد المرأة من العضوية فيها. وتتهيكل « تاجمعت » في الوقت الحاضر التي اتخذت تسمية « لجنة القرية »، من « رئيس » (أمين)، يساعده « وكيل » و« تامن » (وهو ممثل للعائلات بقدر ما لهم من انسال). وفي القديم كانت تتوحد القرى في كنفيدرالية [عرش] للدفاع عن الإقليم ضد كل هجوم خارجي تحت قيادة مشتركة تضمن لهم القوة²¹.

وشهد التنظيم القروي تحولا كبيرا اجبر عليه للتكيف مع التحولات التي مرت بها بلاد القبائل، مثل الاستعمار، وظهور الدولة الوطنية مع امتداداتها محليا، والتعمير... الخ. كما اضطر لقبول تغييرات كبيرة في مواجه الجيل الاحتجاجي الناشئ حديثا بعد أحداث أفريل 1980 وظهور التعددية بعد انتفاضة أكتوبر 1988²². ونحن نشهد منذ بداية التسعينيات

21. Mahé, A. (2001), *Histoire de la grande Kabylie XIX^e et XX^e siècle, Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises*, éd. Bouchène, Paris, p.63.

22. Malika Assam. *Société Tribale Kabyle et (re)construction identitaire berbère. Le cas des At Zemmenzer (XIX^e s.-XXI^e s)*. These de Doctorat d'Etat en Sociologie. Institut National des Langues et Civilisations Orientales- INALCO PARIS - LANGUES O', 2014. Français. <NNT : 2014INAL0013>. <tel-01129075>.p.13.

تشبيها خارقا للعادة لتكوين لجان القرى. اعضاء تمكنوا من إجراء تغييرات على بعض القوانين العرفية القديمة مثل تدخل الشباب في الجمعيات العامة واقامة الحفلات، ولكن لا يزال هناك الكثير مما يتعين القيام به نظرا لاستمرار وجود مقاومة.²³

ومع ذلك تقلص دور « تاجمعت » في الوقت الحالي بسبب أن جزءا كبيرا من السكان يعيش في المناطق الحضرية أو شبه الحضرية (تعداد سنة 1998) كما أصبح للنمط العصري (المجالس البلدي والولائية) لتسيير الجماعات المحلية دورا اكبر، بحيث أن المصالح الإدارية والمجالس المنتخبة هي التي تحدد الأولويات والبرامج التنموية وتسهل على تسيير شؤون الأفراد والجماعات. وإذا كانت لجان القرى تقوم بمشاريع قروية والتي تمولها خاصة « الدياتسورا » القبائلية في المهجر، فإنها تبقى هامشية أمام حجم المشاريع التي تقوم بها الإدارة المركزية والمجالس الشعبية المنتخبة. ثم أن التنشئة الاجتماعية والسياسية للفرد لا تتم فقط في المجال الفيزيقي للقرية والعائلة وحتى الحي، بل أضحت الآن عملية معقدة ومنذ مدة أضحت كذلك عابرة للأوطان والقارات ومؤسسات عدة تتكفل بتنشئة الفرد، كالمدرسة، وسائل الإعلام، التنظيمات العمالية والمهنية، المؤسسات... إلخ. هذا دون نسيان دور الحركة الجموعية والأحزاب السياسية في التأطير السياسي للأفراد والجماعات.

أدى تعميم العمل المأجور وبرامج السكن (سواء كانت عامة أو خاصة) إلى ازدياد الأسر النواة (الصغيرة) في منطقة القبائل، وحتى داخل البيوت الجماعية (البيت الكبير) يعيش الزوجان على حدة بمعزل عن الأب والأخ. هذا التطور ينطوي على إعادة تشكيل للروابط الأسرية وكذلك للعلاقات الاجتماعية. إننا لم نعد نرى ذلك التسلسل الهرمي للأسرة أين تفرض سلطة الجد نفسها بشكل تلقائي. إذ لم يعد الأجداد يتدخلون في حياة أبنائهم أو أحفادهم كما كان الحال قبل بضعة عقود. ونحن نشهد المزيد والمزيد من الأزواج المتعلمين والمندمجين في عالم الشغل، أزواجا يستثمرون أيضا في تعليم أبنائهم. أنه ظهور توجه مجتمعي جديد : يتم تعليم الأطفال المزيد من اللغات الأجنبية (الفرنسية عموما) وتمنح لهم أسماء أمازيغية (بوازع الفخر كذلك أو أسماء تقترب من الأسماء الغربية. إننا في حالة تحضير الطفل ليصبح مواطنا معوملا وتجنبيه كل أشكال الوصم (stigmatisation) بمجرد استقراره في الخارج.

بل إن بعض الأطفال درجوا على تكلم الفرنسية أكثر من لغاتهم الأم، كما تشجع النساء بإسهاب على استخدام اللغات الأجنبية، لأنهن تطمحن إلى النجاح الاجتماعي لطفلهن، وهو أمر يقوّض جزئيا أسطورة « المرأة التي تحافظ على القيم واللغة

(23) مقابلة أجريناها في إطار بحثنا مع ر.ع رئيس سابق لتنسيقية لجان قرى بلدية عزازقة - تيزي وزو ومندوب سابق لتنسيقية عروش ودوائر وبلديات تيزي وزو.

القبائلية». وكانت الأزمة الاجتماعية والسياسية والأمنية، والنظرة إلى المدرسة الموصوفة « بالكارثية » من بين أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم هذه الظاهرة وتدفع الأسرة إلى اعتماد استراتيجيات أخرى لتهيئة أبنائها (الذكور والإناث) لرحيل إلى « الإلدورادو » الأوروبي أو أمريكا الشمالية. ففي كل دورات امتحانات شهادة الفرنسية المعمقة (DALF) التي ينظمها المركز الثقافي الفرنسي للتمكين من الدراسة بفرنسا، نلاحظ أن غالبية المترشحين قادمون من منطقة القبائل، وأكد هذه الحقيقة السفير الحالي لفرنسا في الجزائر أقرها في إحدى زيارته إلى ولاية تيزي وزو (منطقة القبائل).

أما بنو مزاب فينتمون إلى قبيلة زناتة حسب ابن خلدون،²⁴ وهو ما يثبت التقارب الكبير بين اللغة المزابية مع اللهجات الزناتية²⁵. ويشكل المزابيون أقلية يعتقدون المذهب الاباضي، في حين يعد المذهب المالكي المذهب الغالب في الجزائر. وعليه تتكون الهوية المزابية من عنصري الانتماء المذهبي الاباضي واللغوي الثقافي الأمازيغي، وهما مرتبطان ارتباطا وثيقا. ويتحدث المزابيون بلغتهم في اغلب مخاطباتهم بصفة يومية وتلقائية في الوسط العائلي والفضاء العام على السواء بنسبة تصل إلى 98 ٪، وهو ما أكدته بحثنا الميداني مع الفاعلين الجمعويين.

وينتظم المزابيون على مستوى المدينة المزابية (أغرم) المبنية على نمط قلعة محمية وفق نموذج معماري فريد، وفقا للنظام القبلي الانقسامى الذي يتهيكل في شكل هرمي، يبدأ بالعائلة وينتهي إلى القبيلة (العرش)، ثم يتجمعو في مجلس كونفدرالي يسمى مجلس بآبءالرحمن الكرثي، وهو يضاىي التنظيم الوجود بمنطقة القبائل²⁶. وتتولى الوظيفة الدينية حلقة العزابة التي تمثل الإمامة الاباضية في كل مدينة. وتتقاسم حلقة العزابة السلطة التقليدية مع المؤسسات العشائرية بمساعدة مجلس ديني نسوي يسمى تمسردين « الغاسلات » يتولى أمور المجتمع النسوي²⁷. وعرف المزابيون في تاريخهم فترة انعزال طويلة عن الاحداث التاريخية التي عرفها المغرب الاوسط. وطبقا للتعاليم الاباضية فهم يوجدون في حالة الكتمان منذ سقوط الدولة الرستمية سنة 909م، ويقتضي

24. العلامة عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406)، ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصره من ذوي الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، الجزء السابع، 1981، ص. 82.

25. Emile Masqueray, *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabylie de Djurdjura, Chawia de l'Aurès, Béni Mzab)*, paris, Leroux, 1886, p.202

26. عبد الله نوح، النظم القانونية العرفية بمنطقتي القبائل ووادي مزاب ومساهمتهما في المرافق العامة، مقاربة انترولوجية قانونية، أطروحة دكتوراه في القانون العام، إشراف د. شريف بن ناجي، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة 1، 2010.

27. أنظر : عبد الله نوح، المؤسسات التقليدية العرفية بوادي مزاب، بحث في نظرية الشورى وتطبيقاتها في هذه النظم، رسالة ماجستير في القانون، فرع الإدارة والمالية، إشراف د.محمد أبراهيمي، كلية الحقوق، الجزائر العاصمة، 1995.

ذلك عدم نشر مذهبهم والاكتماء بالمحافظة على جماعتهم واعتزال رجال الدين عن السياسة والتفرغ للتربية والتعليم.

ثانيا : المرأة الأمازيغية بين التحديث والتقاليد

رغم التغيرات الهامة التي عرفتها منطقة القبائل من عصنرة وتمدين، تبقى المرأة بصفة عامة رهينة المجتمع الذكوري القائم الذي يضع النساء في مرتبة دونية مقارنة بالرجل الذي يستحوذ على الفضاء العمومي والنشاط الاقتصادي. ومن المفارقات الموجودة حتى الآن وجود العديد من المناطق التي تكثر فيها الزوايا، ومع ذلك تحرم المرأة من الميراث بحكم تقاليد وأعراف متوارثة منذ قرون. وهي كذالك حتى الآن لا تعطى لها الكلمة ولا تملك حق العضوية في اللجنة القروية. لكن هذا لم يمنع المرأة القبائلية من افتكاك مكانة معتبرة في المجتمع بفضل تعميم التدريس، بحيث يشكلن عادة الاغلبية في المدارس ومراكز التكوين والجامعات. هؤلاء النسوة استطعن بفضل مؤهلاتهن الدراسية اكتساح عالم الشغل خاصة في التعليم والإدارة والصحة. من هنا يتجلى أن الوضعية الدونية للمرأة القبائلية هي نتاج ظروف تاريخية واجتماعية وجغرافية كرسست هيمنة الذكورة في المجتمع، وأنتجت مع مرور الوقت ذهنية ثقافية جعلتها تفتنح بواقعها المعيش. فتغيير واقع المرأة مرهون بتغيير ظروف معيشتها، ولعل خير دليل على ذلك مشاركة المرأة في الثورة التحريرية، وما نجم عن ذلك من حقوق التعليم والعمل في إطار المجتمع الحديث²⁸.

وحسب دراسات حديثة فإن النسبة الكبرى من الفتيات خاصة اللواتي توقفن على التمدرس مبكرا، يلجأن أكثر إلى العمل المنزلي كالخياطة والطرز والحلاقة. لاعتبار هذه النشاطات تتوافق والوضع الثقافي للمنطقة وتساعد العائلة اقتصاديا. و امام نقص فرص العمل فقد يلجأن كذلك إلى العمل الهش عند الخواص أو في اطار العمل الهش الذي توفره الوكالة الوطنية لتشغيل²⁹.

وإذا كانت نساء منطقة القبائل، خاصة المتعلّمات شاركن بكثافة عبر الحركة الجمعوية في اطار النضال من أجل الاعتراف بالأمازيغية، فإنهن لم يتبوأن المراكز القيادية سواء في الحركة الثقافية الأمازيغية أو حركة المواطنة لسنة 2001. فأتثناء انتفاضة سنة 2001 رفض مندوبي الحركة مشاركة الحركة الجمعوية النسوية في الأطر الرسمية للحركة، وتم رفض المقترح المتعلق بإلغاء قانون الأسرة وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في أرضية مطالب الحركة، وهذا ما يدل على هيمنة الموقف الذكوري في المجتمع القبائلي وفي حركة المواطنة لسنة 2001.

28. محمد أرزقي فراد. قراءة الباحثة كاميل لاکوست دي جردان للثقافة القبائلية.

تأخر تعليم المرأة المزابية والتارقية كثيرا مقارنة بالمرأة القبائلية. ويعود عدم دخول الفتيات المزابيات المدارس الاستعمارية إلى التشدد الكبير للاباضية في مقاومة ثقافة ولغة المستعمر الفرنسي. وكانت الحركة الإصلاحية بغرداية اول من بادر بتعليم الفتيات المزابيات بعد فتح قسم من 60 طالبة سنة 1950 ما فتئ أن تطور ليصل سنة 2010 أي بعد ستين سنة إلى 3668 طالبة. وعلى مستوى التعليم العالي لم تلج الفتية المزابيات الجامعة الا في السنوات الاخيرة بعد فتح المركز الجامعي لغرداية سنة 2004-2005. ففي تلك السنة كانت تدرس فتاة مزابية واحدة، ومع مرور ستة سنوات بلغ عددهن 76 طالبة³⁰ ليتجاوز عددهن في الوقت الحالي 200 طالبة مزابية.

وتقوم المرأة المزابية بدور محوري في عملية نقل القيم والمحافظة على هوية المجموعة في الأسرة المزابية المعاصرة، بحيث بيّنت سبيقة نوهة كيف أن المرأة المزابية كانت ولا تزال « الركيزة التي تدور حولها كل عمليات المحافظة على نمط العيش »³¹. ولا يزال الزواج الداخلي يشكل صمام أمان من الاحتواء اللغوي، إذ يستشف من أجوبة غالبية المبحوثين تبريرهم للزواج الداخلي بعدم نجاح الزيجات مع غير المزابيين « لاختلاف العادات والثقافة » أو لسبب « العوائق العقائدية واللغوية ». ومن جهة أخرى بات التمدد التقليدي للمرأة المزابية من خلال المنظومة التربوية الدينية الاباضية من ضمن استراتيجيات بني مزاب للمحافظة على وظيفة المرأة المزابية التربوية المتمثلة في نقل المنظومة اللغوية الدينية والقيمية إلى الأبناء.³²

وان كانت نسبة التمدد مرتفعة جدا في المناطق الثلاث بفعل سياسة الدولة التعليمية والتعليم الاجباري والمجاني منذ الاستقلال، فإن نسبة الأمية مازالت مرتفعة جدا بمنطقة التوارق بسبب نمط العيش الرعوي الذي يميز المجتمع التارقي، مقارنة

30. ابراهيم فخار، التعليم الجامعي والقيم السوسيو دينية للفتاة المزابية، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص : علة الاجتماع التربوي الديني، إشراف د.خواجة عبد العزيز، المركز الجامعي غرداية، معهد العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2011-2012، ص. 151.

31. Nouha Sbiga, *Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mozabite contemporaine, l'instruction des filles en question*, Mémoire de Magister en Anthropologie sociale et culturelle, S.Dir. Pr. Brahim SALHI, Soutenu le 13 octobre 2010, Université Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, p.71.

32. Sara Benaissa, *femme mozabite et habitat à Guerrara (Algérie) Etude sur l'adaptation culturelle à un nouveau type d'habitation*, Mémoire Master "urbanisme et territoire", Mention "urbanisme", Institut d'Urbanisme de Paris, S.D. Liliane pierre louis, 2008, p. 48.

www.dernounisalim.com محمد أرزقي فراد.قراءة الباحثة "كاميل لاکوست دي جردان للثقافة القبائلية.

32. Mohamed Hadibi, *Mode de visibilité des jeunes filles a Djenane dans la Kabylie de la Soummam*. In *les Cahiers du CRASC*, 2014, pp. 62.

بالمنطقتين الاخرين اللتين عرفتا تقليد التعليم منذ مدة طويلة. وهي مرتفعة نسبيا بولاية غرداية في التجمعات البدوية الحديثة العهد بالاستقرار (سبب 31.1 ٪، منصوره 27.5 ٪)، مقارنة بالمدن الحضرية (بنورة 19.1 ٪ العطف 13.6 ٪). كما نلاحظ ارتفاع كبير لنسبة التمدرس بمنطقة القبائل، كما يبين الجدول التالي :

جدول (2) نسبة التمدرس والامية بالمناطق الثلاث³³

المنطقة	نسبة التمدرس	نسبة الأمية
منطقة القبائل	٪ 94,75	٪ 23,10
منطقة وادي مزاب	٪ 92.7	٪ 18.2
منطقة التوارق	٪ 82,2	٪ 79,6

ثالثا : الهجرة من منطقتي القبائل ووادي مزاب

تتميز منطقة القبائل بكتافتها السكانية وفقر مواردها الاقتصادية التي كانت تعتمد أساسا على الزراعة المعيشية والحرف التقليدية، خاصة في فترة الاستعمار الاستيطاني الذي جرد السكان المحليين من معظم خيراتهم، مما أجبر أعدادا هام من السكان (الذكور) على الهجرة الداخلية نحو المتروبولات الأوروبية خاصة إلى فرنسا. وأخذت الهجرة جماعية للذكور منحي تصاعدي هام بفعل الحروب (الحروب العالمية والاستعمارية) والمساهمة في إعادة بناء الاقتصاد الفرنسي. وحسب عالم الاجتماع عبد المالك صياد، فقد تم تجنيد 420.000 ألف جزائري في خضم الحرب العالمية الأولى، أغلبيتهم تتشكل من العمال المهاجرين والمجندين المنحدرين بصفة عامة من الأصل الريفي القروي، والقبائلي بصفة خاصة. إذ أن كلتا السلطتين الفرنسييتين (في باريس والجزائر العاصمة) لجأتا بصفة عاجلة وفورية إلى تشجيع الهجرة إلى فرنسا، انطلاقا من المناطق الجبلية القبائلية أين كانت مصالح وقوة المستعمر ضعيفة، بالنظر إلى ندرة الأراضي السهلية وقلّة تواجد المعمرين بها. هذا الخيار بني على مزاعم الأسطورة القبائلية التي تدعي أن سكان المنطقة هم أكثر قابلية للاندماج في المجتمع الفرنسي.³⁴

وفي سنة 1954 بلغ عدد المهاجرين نحو فرنسا 212.000 ألف شخص من بينهم 120.000 شخص ينتمون إلى منطقة القبائل ومن أصول ريفية، ليصل العدد سنة 1961 إلى 350.000 شخص. وفي سنة 1975 وصل عددهم 900.000 مهاجر جزائري. والملاحظ

33. ONS, 1998.

34. Sayad Abdelmalek, *Aux origines de l'émigration kabyle ou montagnarde*. In *Hommes et Migrations*, n°1179, septembre 1994. Les Kabyles. De l'Algérie à la France, sous la direction de Mustapha Harzoune. p. 6-11.

أن ظاهرة التجمع العائلي والتجنس أخذت منحى تصاعدي³⁵. حتى قدر عدد الناطقين بالأمازيغية في المهجر 700000 نسمة، الأغلبية الكبرى منهم من منطقة القبائل³⁶.

وقد اشتغل المهاجرون القادمون من منطقة القبائل في نشاطات عدة خاصة الميكانيك، التعدين، المناجم، الموائى، السياقة، الفندقية، الزراعة، الخ وتمركزوا في بعض المناطق الحضرية خاصة بالعاصمة باريس، وهذا للإستفادة من الشبكة العلائقية وتضامن أبناء المنطقة³⁷. وإذا كانت وضعية المهجر لا تساعد على المحافظة على استعمال اللغة الأمازيغية، إلا أنها تعتبر عاملا مواتيا لبروز الوعي بالإنتماء إلى الهوية الأمازيغية التي تتقوى من يوم لآخر³⁸. وقد لعبت هذه الجالية دورا مهما في تنظيم الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال ثم المطالبة بترقية والاعتراف باللغة الأمازيغية، وكذا مساعدة الأهل والقرية ماليا من أجل إنجاز مشاريع تنموية. ففي بعض القرى يرغم أبناء المنطقة المهاجرين على المشاركة ماليا، لدعم صندوق اللجنة القرية التي ينتمون إليها. بحيث ويتكفل أحد أعضاء الجالية بجمعها في المهجر³⁹.

أما في سنوات 2000، فنلاحظ نموا تصاعديا للهجرة نحو كندا، حيث بلغ عدد الجالية الجزائرية في كندا 100,000 شخص سنة 2015، معظمهم كذلك قادمون من منطقة القبائل، إذ تحتوي العاصمة الكندية مثلا على حوالي 25000 مهاجر من منطقة القبائل⁴⁰. ويعمل هؤلاء على تطوير إستراتيجيات للمحافظة على الهوية الأمازيغية⁴¹.

وتبقى منطقة القبائل منطقة هامة للهجرة إلى العالم المتقدم، خاصة إلى فرنسا. ففي سنة 2017 أعلن « برنار إيبي » سفير فرنسا لدى الجزائر، إن 60 بالمائة من التأشيرات التي تمنحها باريس يستفيد منها سكان منطقة القبائل، كما كشف عن كون نصف الطلبة الجزائريين في فرنسا ينحدرون من المنطقة ذاتها⁴².

35. Salem Chaker, *La Langue Berbère en France situation actuelle et perspectives de développement*. In *Enseignement des langues d'origine et immigration en Europe : Langue maternelle ou langue d'état ?* Inalco, Paris, 1997.

36. سام شاكرو، الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، ترجمة حبيب الله منصور، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص. 66.

37. Mohand Khellil, *Kabyles en France, inaperçu, in Hommes et migration*, année 1994, volume 1179, n° 1, pp. 12-18.

38. *Ibid.*

39. مقابلة أجريناها مع ر ع رئيس سابق لتنسيقية لجان قرى بلدية عزازقة-تيزي وزو.

40. Entretien avec Smail Benamara, *Ambassadeur d'Algérie au Canada*, quotidien Liberté du 17-01-2015

41. In Depeche de Kbylie du 24 Mai 2009.

42. Montgomery, C., Mahfoudh, A., Rachédi, L. & Stoetzel, N. (2010). (Re) négocié les statuts minoritaires en contexted'immigration : étude de cas de familles berbères vivant à Montréal. *Reflats*, 16 (2), 146–174. Doi :10.7202/1000317ar.

كما يعرف المزابيون نسبة مرتفعة من الهجرة، وهي بالدرجة الأولى هجرة تجارية ترتبط بانتشار النشاط التجاري للمزابيين منذ القرن التاسع عشر في الشمال الجزائري ليمتد حتى إلى البلاد التونسية،⁴³ قبل ظهور نوع جديد من الهجرة لدى الشباب المتعلم منذ التسعينيات في اتجاه كندا. وللمحافظة على كياناتهم وخصوصياتهم ومواجهة آثار التثاقف انشأ المزابيون في وقت مبكر منذ القرن التاسع عشر في المهجر مدراس خاصة بهم و« دور العرش » تجمعهم ومقابر اباضية لدفن موتاهم، واتخذ هذا النظام في الوقت الحاضر شكل جمعيات بتسميات اباضية أو مزابية كما هو الحال في أوروبا وكندا ومرسيليا، الخ. ونلاحظ أن الانتقال من الاقتصاد الفلاحي التضامني إلى التجارة لدى القبائليون والمزابيين أدى إلى هجرة واسعة إلى المناطق الحضرية الكبرى في المدن الشمالية للجزائر. أما بالنسبة للتوارق فإن توطين جزء كبير منهم أدى إلى تخليهم عن الرعي لصالح مهن أخرى كالتجارة الصغيرة والحرف التقليدية بشكل افقدهم السيطرة على الارض واضر بوضعهم الاقتصادي.

وتختلف طبيعة الهجرة واثارها عند القبائل وبني مزاب، فالهجرة المزابية هي هجرة تجارية بالدرجة الأولى املتتها الظروف القاسية للبيئة الصحراوية، ومهما طالت مدة استقرارهم ببلد ما فإنهم يبقون مرتبطين دينيا واجتماعيا وتنظيميا بوطنهم الأم ولا يمتزجون بسكان مكان اقامتهم. ويفسر ذلك حرص المزابيين الشديد على الحفاظ على وجودهم كـ"طائفة" مستقلة. ومن أجل ذلك فقد درجوا منذ القرن التاسع عشر على انشاء ثلاث مؤسسات في كل بلد حلوا به تضمن تماسك جماعتهم في المهجر وهي : المسجد للصلاة و« دار العرش » لتجمعاتهم وحل الخلافات فيما بينهم، ومقبرة اباضية خاصة بهم. ولذلك لا يوجد الا القليل جدا من المزابيين الذين اندمجوا كليا في المجتمعات الاخرى. اما الهجرة التي عرفتها منطقة القبائل فهي متعددة الاسباب، منها ما هو بفعل الثورات والحروب العديدة التي عرفتها منذ الاحتلال الفرنسي، مثل هجرة الكثير من الأسر نحو المناطق الناطقة بالعربية بعد سحق ثورة المقراني سنة 1871 ؛ ومنها الهجرة الاقتصادية والتجارية والعلمية. غير أن الهجرة في المجتمع القبائلي غالبا ما كانت سببا لتعرب الكثير من المهاجرين القبائليين واندماجهم في المجتمعات الأخرى، بسبب عدم انتظام المجتمع القبائلي في شكل طائفة تحفظ كياناتهم كجماعة مستقلة أو مذهب

43. حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الأول، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص. 58، 59

د. عبد الكريم الماجري، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواننة إلى تونس (1831-1937)، دراسة تاريخية لإشكالية الاستعمار والهجرة وتشكل الجاليات المغاربية بتونس وخصوصياتها الاجتماعية والقانونية، الدار التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، 2010، ص. 527 وما بعدها.

خاص بهم، كما هو الحال عند بني مزاب من الناحية التنظيمية تم التقسيم الإداري لمحافظة بلاد القبائل خلال العهد العثماني إلى إقليمين : « القبائل الكبرى » التابعة لبابك الوسط (إقليم الجزائر العاصمة) و« القبائل الصغرى » الملحقة بقسنطينة، وكرس الاستعمار الفرنسي هذا التقسيم. ومنذ الاستقلال ظهر تقسيم جديد لـ« بلاد القبائل » - أو « الولاية 3 » كما كان يطلق عليها خلال الثورة 1954-1962 - بأن تم تجزئتها إلى 7 ولايات (مقاطعات)، خاصة منذ 1984. وهي : بجاية، تيزي وزو، البويرة، بومرداس، برج بوعريج وسطيف. أين يتوزع السكان الناطقون بالأمازيغية على 176 بلدية، بالإضافة إلى الولايات المجاورة كالبويرة، بومرداس، برج بوعريج وسطيف التي تستخدم نسبة معتبرة من السكان اللغة الأمازيغية.

وعرف وادي مزاب مساراً مختلفاً، إذ خضع بموجب تصريح الماريشال راندون بتاريخ 24 جانفي 1853 إلى نظام الحماية، قبل أن يتم احتلاله وضمه إلى الأراضي الفرنسية تحت الحكم العسكري في 30 نوفمبر 1882.⁴⁴ مما ترتب عنه فرض مؤسسات وسيطة مثل « القايد » وتقليص سلطات المؤسسات العرفية وسحب القضاء العقابي والضبط الأمني منها، مع ترك استقلالية نسبية لبني مزاب في تسيير شؤونهم المدنية والأحوال الشخصية. و إثر الاستقلال تم بموجب مرسوم رقم 63-189 المتعلق بالتنظيم الإقليمي إنشاء « البلديات الأم » وهي قرارة وغرداية وبريان، بعد أن كانت كل من المدن المزابية تشكل وحدة إدارية مستقلة.⁴¹ وجاء القانون رقم 84 - 09 للتنظيم الإقليمي ليخلق 5 بلديات تضم المناطق المزابية و7 بلديات تضم المناطق الناطقة بالعربية.

أما المجموعة التارقية فتكمن أهميتها، ليس في عدد السكان بقدر ما تكمن في الحيز الجغرافي الذي ينتشر فيه هؤلاء ؛ فولاية تمنراست لوحدها تحتل مساحة إجمالية تقدر بـ 906 557 كلم مربع، في حين تبلغ مساحة ولاية إليزي 110 039 كلم مربع. أما دائرة برج باجي مختار فتبلغ مساحتها 132,579 كلم مربع أي ما يعادل 800524 كلم مربع وهو ما يقارب نصف مساحة الوطن البالغة 2381741 كلم مربع، بالإضافة إلى كونها واقعة على الحدود الدولية للجزائر مع كل من ليبيا شرقا والنيجر جنوبا وجمهورية مالي في الجنوب والجنوب الغربي. كما أن إمتداد هذا المكون من الشعب الجزائري عبر الحدود يعطيه أهمية خاصة فيما يخص العلاقة مع دول الجوار السالفة الذكر.

ولا تزال المجموعة التارقية في الجزائر تخضع إلى التنظيم القبلي التقليدي في المناطق الرعوية بينما يضعف هذا التنظيم في المدن والحوضر الكبرى بفعل الامتزاج السكاني الذي حصل مع الجماعات اللغوية الأخرى. وتنقسم إلى ثلاث مجموعات قبلية سياسية كبرى هي :

44. Jean Melia, *Ghardaïa*, Bibliothèque Charpentier, Fasquelle, Paris, 1930, pp. 60, 61.

أ- توارق كال أداغ

يمتد مجال توارق كال اداغ في العمق الجزائري، بـ 200 كلم بينما يمتد الجزء الأكبر داخل تراب جمهورية مالي، يفصلها عن منطقة الاهقار سلسلة جبال تيميساو. وهذا ما يفسر كون الزعامة التقليدية، في هذه المجموعة القبلية الجزائرية، بقيت حتى اليوم في الجانب الآخر من الحدود، أي في دولة مالي⁴⁵، ويفسر أيضا انجذاب التوارق الجزائريين من هذه المجموعة رمزيا وعاطفيا نحو إخوانهم في الجانب المالي. واستمرت العلاقات بين شطري كال اداغ عبر الحدود بسبب البعد الكبير للقسم الجزائري عن المراكز الحضرية والإدارية والاقتصادية الجزائرية وبسبب نمط عيشها البدوي العابر للحدود. ولاشك أن استغلال منجم الذهب بـ « أمساما »، الموجود بهذه المنطقة، في السنوات الأخيرة، سيساهم في حضور مرافق الدولة على الحدود وتقريب الإدارة من مواطني هذه المنطقة. ويتمركز توارق كال اداغ، في الوقت الحالي، في بلديات تين زاوتين⁴⁶، بولاية تمنراست، وبلديتي تيمياوين وبرج باجي المختار، في ولاية ادرار، مع وجود شتات معتبر في الواحات الصحراوية لتوات وقورارة، لاسيما في مدن رقان وأدرار. ومع ذلك فإن لتوارق كال اداغ علاقات قديمة متعددة الأوجه مع المجموعتين الأخريين، مع محافظتهم على علاقات متميزة مع مناطق آير وتامسنا في الأراضي النيجيرية. ونتيجة لذلك يتميز توارق كال اداغ بديناميكية كبيرة جعلتهم يوسعون من منطقة تواجدهم المعتادة إلى كامل أراضي الجنوب الجزائري.

ومن المحطات التاريخية لتفاعل العلاقات بين كل من توارق كال اداغ الجزائريين والماليين ما حدث سنة 1963-1964، تاريخ أول تمرد مسلح للتوارق الماليين، حين سمح احمد بن بلة، أول رئيس للجزائر المستقلة، آنذاك للقوات المالية بتتبع المتربين التوارق حتى منطقة تيميساو، الموجودة في عمق 200 كلم من الأراضي الجزائرية⁴⁷. مما أدى إلى وقوع ضحايا جزائريين وتدمير الآبار بمدينة إن_اوزال، من طرف الجيش المالي⁴⁸.

45. Badi Dida, *Le mythe de fondation des Touareg Ifoughas. Awal. Cahiers d'études berbères*. N°24, 2001, ed. la maison des sciences de l'homme, Paris, pp. 43-59.

46. تبعد مدينة تين زواتين بـ 2400 كلم من العاصمة الجزائرية، وبـ 520 كلم من مدينة تمنراست، لكنها قريبة من مدينة كيدال المالية بـ 300 كلم فقط. أما مدينة برج باجي مختار فتبعد بـ 300 كلم من مدينة تين زواتين، بينما تتوسطها بلدية تيمياوين الموجودة في الحدود المالية الجزائرية.

47. في هذه العمليات العسكرية في الأراضي الجزائرية، قام بها الجيش المالي في صيف 1964 بتدمير الآبار بمنطقة إن أوزال الموجودة 200 كلم داخل الأراضي الجزائرية.

48. AG Baye, Ch. et Bellil, R. (1986) : *Les Kel Adagh : une société en crise. Awal*, n° 2. Paris : MSH. & Boilley, P. (1994) : « Etude des évolutions politiques, sociales et économiques d'une population touarègue (Soudan français, république du Mali). » Thèse de doct. Hist., Paris VII.

ب- توارق كال أزجر

يستقر توارق كال أزجر بمنطقة الأزجر أساسا في مدن اليزي وبرج عمر ادريس وجانت. ويتميز توارق منطقة الأزجر، بخضوعهم إلى زعامة تقليدية منقسمة إلى قسمين أحدهما في ليبيا والآخر في الجزائر، لذلك للتكيف مع الوضع الجديد الناجم عن استحداث حدود الدول الوطنية الحديثة. مع أن لهذين الفرعين نفس المرجعية السياسية المتعلقة بتوريث الزعامة التقليدية، وهو الانتساب إلى جد مؤسس واحد وهو محمد اغ تين أكرباس، مؤسس زعامة اوراغن، وهي عائلة قيادية لتوارق الأزجر في منتصف القرن السابع عشر.⁴⁹

ج- توارق كال اهقار

ويستقرون في أراضي الاهقار والسلسلة الجبلية التي تحمل نفس الاسم (ولاية تمنراست)، والمراكز الحضرية بمدينة تمنراست وأبالميسا ودائرة إن قزام في الحدود مع النيجر، وهي، عكس المجموعتين الأخرين، توجد بالكامل داخل الأراضي الجزائرية. عرفت المراكز الحضرية في الجنوب الجزائري مثل تمنراست واليزي مهد التوارق الجزائريين، تطورا معتبرا بالموازاة مع إضعاف نمط الحياة البدوية القديمة، والتخلي عن المناطق الصحراوية الشاسعة ذات البعد الاستراتيجي. وبلغ تعداد سكان دائرة تمنراست حوالي 23245 ساكن في سنة 1980 دون احتساب البدو بشكل منفصل، أما في سنة 1985، فقد بلغ سكان بلدية تمنراست وضواحيها لوحدها 20.000 ساكن. هذا النمو هو في تزايد مستمر، حيث بلغ سنة 1998 سكان المدن والمراكز الحضرية، بكامل منطقة أهقار، 353.139 ساكن، مقابل 14953 بدو رحل. وفي ديسمبر 2009 كانت تحتوي بلدية تمنراست وضواحيها 95400 ساكن ضمنهم 727 من البدو الرحل، من جملة عدد سكان بلغ 200.802 لكامل المنطقة. لذلك كانت تمنراست والمناطق الحضرية، ولا تزال، تشكل الوجهة الرئيسية لهجرة البدو الرحل.

وتجدر الإشارة إلى وجود سياسة متبعة منذ الاستقلال تتمثل في محاولة تثبيت المجموعات البدوية التارقية في مناطقها الرعوية التقليدية من خلال توفير المدارس والمراكز الصحية. وساهمت هذه السياسة، إلى حد ما، في الحفاظ على السكان في أراضيهم التقليدية، وظهور مراكز زراعية صغيرة حول الآبار المتواجدة في المسارات الرعوية المتوارثة عن الأجداد، كما هو الحال في تين زواتين بولاية تمنراست، وبرج الحواس بولاية إليزي أو تيمباوين في الحدود الجزائرية المالية.

49. H. Duveyrier, *Les Touaregs du Nord*, Challamel Aîné, Paris, 1864.

الفرع الثالث : المؤشرات الديموغرافية والسوسيو-اقتصادية

نجد انفسنا امام ديموغرافيا مختلفة من حيث الحجم بين المناطق الثلاث، بحيث تشكل منطقة القبائل الكتلة السكانية الاكثر عددا وتليها منطقة مزاب ثم منطقة التوارق، كما يبين الجدول التالي :

جدول (3) التعداد السكاني للمناطق الثلاث

المنطقة	عدد السكان	نسبة الناطقين بالأمازيغية من مجمل عدد السكان
منطقة القبائل	2.944.020 نسمة	حوالي 96 %
منطقة وادي مزاب	363.598 نسمة	حوالي 60 %
منطقة التوارق	35.183 نسمة	حوالي 55.9 %

من الصعب التحديد الدقيق لعدد الناطقين بالأمازيغية في الجزائر بسبب أن الإحصائيات السكانية المختلفة لا تشير إلى هذا المتغير طالما أنها لا تتم على أساس الانتماء اللغوي أو العرقي أو الديني، باستثناء التعداد السكاني لسنة 1966، الذي اشتمل على متغير لغة الأم، بحيث كشف أن الناطقين بالأمازيغية في الجزائر يبلغ 1.170.924 أكثر من 55% منهم من الشباب⁵⁰ مع أن هذا الرقم لا يأخذ بعين الاعتبار عدد السكان الناطقين بالأمازيغية الذين يعيشون في الجزائر الكبرى، ومنطقة وهران أو في المهجر.

وحسب تقديراتنا المعتمدة على إحصاء البلديات وأرقام الديوان الوطني للإحصائيات ONS لسنة 2008،⁵¹ يبلغ عدد القبائليين 2.944.020 شخصا يعيشون في منطقة القبائل⁵²، وهذا الرقم لا يشمل المراكز الإدارية لولايات البويرة، بومرداس، سطيف وبرج بوعرييرج وبعض البلديات المجاورة (المختلطة من وجهة النظر اللغوية). وكذا القبائليون الذين يعيشون في ولايات أخرى من البلاد أو في المهجر. الذين يبلغون حسب تقديرنا الجزافي حوالي مليوني شخص.

50. Nesson Claude, *Répartition des berbérophones algériens (au recensement de 1966)*. In *Travaux de l'Institut Géographique de Reims*, n°85-86, 1994. Etudes algériennes, sous la direction de Alain Marre, pp. 93-107.

51. للحصول على رقم يقرب من الحقيقة، قمنا بتعداد البلديات التي يمثل فيها السكان الناطقون بالأمازيغية الأغلبية - يعني 176 بلدية - ثم أضفنا الإحصائيات المقدمة من قبل الديوان الوطني للإحصائيات (ONS)، المنبثقة عن تعداد 2008.

52. الديوان الوطني للإحصائيات (ONS)، نتائج التعداد العام للسكان والسكن لسنة 2008.

وبالنسبة للمجموعة المزابية فإن إحصائيات 2008 تحدد عدد سكان ولاية غرداية المقيمين بـ 363.598 نسمة، تشكل الفئة العمرية ما بين 4 إلى 34 عاما 71.4% منهم، وتبلغ نسبة النمو الديمغرافي في الولاية 2%، بحيث سجلت أعلى نسبة في حاسي لفحل بـ 5.5% ثم منصوره 5%، وزلفانة 3.5%، أما أقل نسبة فسجلت في غرداية بـ 0.7% ثم العطف بـ 1.5%. ومازالت الأسرة الموسعة التقليدية هي السائدة، إذ يبلغ متوسط حجم الأسرة 6.1 بحيث سجلت أعلى نسبة في القرارة بـ 7 وضاية بن ضحوة بـ 6.5. والمشكلة أنه من الصعب تحديد نسبة المزابيين والناطقين بالعربية بدقة بسبب عدم وجود أية إحصاءات رسمية تأخذ بالاعتبار الجانب اللغوي والانتماء المذهبي، ومع ذلك يمكن تقدير عدد المزابيين حاليا بحوالي 60% من عدد سكان ولاية غرداية، تقيم نسبة معتبرة منهم خارج وادي مزاب بحكم النشاط التجاري الذي يقومون به. ويعود سبب تناقص نسبة المزابيين إلى 60% (اعتمادا على إحصائيات 12 فيفري 1977)⁵³ بعد أن كانوا حوالي 92% سنة 1910⁵⁴، إلى النزوح الكبير للسكان الناطقين بالعربية لاسيما من الهضاب العليا، فبات العامل الديمغرافي رهانا في التنافس على التمثيل السياسي في المجالس المنتخبة بين المزابيين والناطقين بالعربية. ولا يمكن أن تقل نسبة الخصوبة بالمنطقة عن النسبة الوطنية التي ارتفعت سنة 2014 إلى معدل 03 طفل لكل امرأة بعد أن كانت قد وصلت سنة 2013 إلى 2,93 طفل لكل امرأة.⁵⁵

ويتمركز أغلب المزابيين في المدن المزابية القديمة بوادي مزاب الذي لا تمثل مساحته سوى 20% من مساحة ولاية غرداية، أين يتركز 56% من جملة سكان الولاية ونشاطها الاقتصادي.⁵⁶ وأنشأ المزابيون أحياء مزابية جديدة كامتداد لمدينتهم القديمة على النمط العمراني المزابي بهدف الحفاظ على انسجام جماعتهم.⁵⁷ بينما يسكن عدد قليل منهم في الأحياء المختلطة اجتماعيا (بين الناطقين بالعربية والمزابيين). هذه الكثافة السكانية التي يتميز بها وادي مزاب خلقت توترات بين المجموعة المزابية والسكان الناطقين بالعربية تتعلق خاصة بالعقار.

53. Brahim Cherifi, *Le MZAB, Etude d'anthropologie historique et culturelle*, pref. Pierre-Philippe Rey, éditions SEDIA, Alger, 2015, pp. 193, 285.

54. Ernest Chantre, *Les Mozabites : esquisse ethnographique et anthropométrique*, in *Bulletin de la Société et de d'Anthropologie de Lyon*, n°29, 1910, p. 89.

55. أنظر التقرير السنوي للديوان الوطني للإحصائيات في قسم « ديمغرافيا الجزائر » لسنة 2013، 2014 : www.ons.dz

56. Statistiques de la Wilaya de Ghardaia, du 31/12/2009, Institut numerique, 28/06/2012.

57. Nora Gueliane, *Une ville qui se désolidarise : la question de la mixité sociale dans les nouveaux ksour*, Séminaire International : *Fabriquer et habiter les villes à l'ère de la mondialisation*, Université Badji Mokhtar – Annaba – Algérie, 20-21 Avril 2015, pp. 5 et s.

أما بالنسبة إلى التوارق فإن تعدادهم أصعب من المجموعات الأخرى بسبب توزيعهم في نطاق جغرافي واسع جدا بفعل تنقلهم ومط العيش الرعوي. بالإضافة إلى إنعدام أي إحصائيات على أساس لغوي وكون مناطق تواجدهم مفتوحة على الهجرات الخارجية من دول الجوار وبالأخص الهجرات الداخلية الوافدة من باقي ولايات الوطن. مع ذلك يمكننا إيراد بعض المؤشرات التي قد تعطي فكرة ولو جزئية عن عدد مكنون التوارق في الجزائر. فمثلا يبلغ عدد سكان الدوائر ذات الأغلبية التارقية والتي تضم مدن صغيرة في الولايات الثلاثة وهي كالتالي : برج باجي مختار 16437 نسمة من جملة 399714 نسمة سكان ولاية أدرار، وتازروك 4091 نسمة من جملة 176637 نسمة سكان ولاية تمنراست، وجانت 14655 نسمة من جملة 52333 نسمة سكان ولاية إليزي. وهو ما مجموعه 35183 نسمة من الناطقين باللغة التارقية من جملة 628684 نسمة عدد سكان الولايات الثلاث أي ما يمثل حوالي 55.9% من سكان هذه المناطق، بنسبة خصوبة تقدر بـ2,6% لكل من تمنراست وأدرار و4,5 بالنسبة لإليزي. (2008)⁵⁸ وتبلغ الكثافة السكانية بالنسبة إلى ولاية تمنراست 0,3% في الوقت الذي تبلغ فيه 0,9% في أدرار فقط و0,2% بإليزي.

وبالنسبة للوضع التنموي يبين الإحصاء العام لسنة 2008، أن مؤشرات التنمية الاجتماعية جد إيجابية بمنطقة القبائل مقارنة بالمناطق الأخرى، تؤكد على مدى اندماجها اقتصاديا و استفادتها من البرامج التنموية للدولة الوطنية منذ الاستقلال. ويتجلى هذا في البنى التحتية التي أنجزت مثل الجامعات والمعاهد، المدارس، المستشفيات، مناطق صناعية (05 مناطق صناعية، 33منطقة نشاطات و05 مناطق صناعية أخرى في طور الإنجاز)، المطار، الموانئ، السدود (03)، شبكة الطرق السريعة والقطارات... الخ. ويقدر عدد السكان الناشطين في ولايتي بجاية وتيزي وزو بـ280.765 شخص ومعدل البطالة يقدر بـ 15% عاطل عن العمل، حسب الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار. أما عن طبيعة التشغيل فنجد الإدارة تمتص حوالي 162.089 من اليد العاملة متبوعة بالأشغال العمومية بـ630.110 منصب والفلاحة بـ84.004 منصب شغل.

كما تجاوزت نسبة توزيع الكهرباء 95% في ولايتي بجاية وتيزي وزو، بينما تجاوزت تغطية شبكة توزيع غاز المدينة 40% سنة 2017. كما أن معدلات التغطية الصحية جد عالية مقارنة بالولايات الأخرى، إذ أحصينا 11 مستشفى منهم 03 مستشفيات جامعية، 78 عيادة متعددة الخدمات و430 قاعة علاج. وفيما يخص التمدرس، نلاحظ أن تلاميذ ولايتي بجاية وتيزي وزو يحتلون المراتب الأولى وطنيا فيما يخص نتائج الامتحانات الوطنية كالبكالوريا منذ 10 سنوات متتالية.

58. الإحصاء العام للسكان، الديوان الوطني للإحصاء، 2008.

ونلاحظ نفس الوضع تقريبا في ولاية غرداية التي تتمتع بمؤشرات إيجابية في التنمية الاجتماعية بفضل مشاريع تنموية مختلفة استفادت منها لأهميتها الاقتصادية والجغرافية، إذ تبلغ نسبة التغطية بشبكة مياه الشرب 89.4% والكهرباء 96.5% وغاز المدينة 65.9% (2008). كما تملك منشآت قاعدية هامة مثل : مطار دولي، 4 مستشفيات، 2 مناطق صناعية، الخ.

وسجلت ولاية غرداية معدلا ضعيفا لتسليم السكن المنجز من طرف الدولة وهو 1431 سكن سنة 2007 و 2695 سكن سنة 2009،⁵⁹ بسبب اتكال السكان غالبا على أنفسهم لبناء منازلهم وان كان بمساعدة الدولة أحيانا. ونتج عن سياسة توطين البدو، إنشاء بلديات تحتوي على قرية واحدة مثل منصوره وسبب وحاسي لفحل وزلفانة، مما ساهم في تخفيف الفروق بين السكان المزابيين الحضر والعرب المستقرين حديثا. كما يبين الجدول التالي :

جدول (4) المنشآت القاعدية للمناطق الثلاث.⁶⁰

ولاية تلمسان والليزي	ولاية غرداية	ولاية بجاية وتيزي وزو	المنشآت القاعدية
2578 كلم طرق وطنية	751 كلم طرق وطنية	132,26 9 كلم	شبكة الطرق
لا شئ	190 كلم قيد الانجاز	108 كلم	شبكة السكة الحديدية
03	2	01	المطارات
لا شئ		03	الموانئ
لا شئ	2	05	المناطق الصناعية
02	8	33	مناطق النشاطات
لا شئ	2	05	المناطق الصناعية قيد الإنجاز
98 %	98 %	95 %	شبكة توزيع الكهرباء
	69 %	40 %	شبكة توزيع غاز المدينة
02	4	11	المستشفيات
16	5	78	عيادات متعددة الخدمات
57	34	430	قاعات العلاج

59. ONS-Ministère de l'habitat et de l'urbanisme, *Répartition des livraisons de logements par wilaya (Hors auto construction)*.

60. الوكالة الوطنية لدعم الاستثمار. ANDI 2013.

ANIREFA, *Monographie de la Wilaya de Ghardaïa*, 29/07/2011.

الجامعات	06	1	02
عدد المدارس	1 292	279	182
الفنادق	91	23	05

وتعتبر التجارة من الخصائص المميزة للجماعة المزابية منذ القرن 16 بسبب الظروف القاسية التي جعلت الفلاحة موردا غير آمن للعيش. وكان التجار المزابيون السباقون إلى تشكيل « جماعة الحرفة » أي النقابات المهنية للدفاع عن مصالحهم التجارية في بلاد الغربة، مثل النقابات التجارية التي أنشئوها سنة 1939 في عمالات قسنطينة الجزائر ووهران.⁶¹ ويملك المزابيون حتى اليوم شبكة كبيرة للتوزيع التجاري تمتد إلى أغلب مدن القطر الجزائري. ومنذ أواسط الستينيات انتقل المزابيون ضمن أوائل الجزائريين إلى الاستثمار في الصناعات الصغيرة كالنسيج والمواد الغذائية تزامنا مع سياسة التصنيع التي انتهجتها الحكومة الجزائرية، ولا أدل على ذلك ظهور أول منظمة لأرباب العمل الخواص في الجزائر بعد الاستقلال بولاية غرداية سنة 1990. وتطور استثمار المزابيين في الفلاحة تطورا كبيرا منذ التسعينيات، بينما عرفت التجارة التقليدية المزابية والصناعة الصغيرة والمتوسطة نكسة قوية منذ التسعينيات بفعل الاقتصاد الفوضوي للسوق الذي دخلت فيه الجزائر المعتمد على الاستيراد وإغراق السوق، ومع ذلك برز بعض رجال المال والأعمال المزابيين الذين استطاعوا إنشاء شركات وطنية خاصة مثل آملون في مجال المنسوجات الذي أنجز أكبر مستشفى خاص بولاية غرداية، وحاج سعيد في مجال الورق، الخ. واحمد نوح في المجال العقاري بشركة أميدول التي أنشئت قصر تافيلالت (1000 سكن) والذي حاز على عدة جوائز دولية آخرها جائزة COP 22 بمراكش على هامش الندوة الدولية حول التغير المناخي باعتبارها « أحسن مدينة إيكولوجية صحراوية في العالم ».⁶² ونلاحظ أن بني مزاب استطاعوا عبر قرون التكيف مع الوضع الاقتصادي بالانتقال من الفلاحة إلى التجارة في القرن السابع عشر، ثم إلى الصناعة بعد الاستقلال وفق التحولات الاقتصادية التي عرفتها الجزائر.

إن هذه البسطة المختصرة عن المؤشرات السوسيواقتصادية للمجموعات الأمازيغية موضوع دراستنا، تبين بوضوح أن المناطق الأمازيغية في الجزائر، بالرغم من كونها تعاني من اعراض التخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي تعرفه البلاد ككل، إلا أنها لا تعاني من التهميش الاقتصادي المقصود، واستفادت مع غيرها من المناطق ببرامج تنمية هامة. وعليه فلا يمكن طرح المسألة الأمازيغية كإشكالية تنمية إقتصادية فقط، بقدر ما هي

61. بوداود بومدين، تقد. بكلي عبد الوهاب (وزير السياحة السابق)، تجارة بني ميزاب، تجسيد المنهج الإسلامي في إدارة الأعمال التجارية، دار رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص. 97 وما بعدها.

62. APS, mercredi, 16 novembre 2016.

قضية سوسيوولوجية وثقافية نشأت في خضم الصراع الذي تولد في البلدان المغربية حول تحديد الهوية، بين تيارين :

- الأول هو تيار « الإختزال » وظهر بعد استقلال الدول المغربية من خلال النخب الحاكمة، إذ حاول بناء هويات وطنية تختزل هوية « سكان شمال إفريقيا في المكون العربي واعتبارهم "عرباً" وجزء من "الأمة العربية" وأرضهم جزء من "الوطن العربي" من المحيط إلى الخليج... »⁶³ كما ينظر لها المفكر المغربي العروبي محمد عابد الجابري.

- الثاني هو تيار « الإنعزال » وجاء كرد فعل عن الأول، ويحاول بناء هوية أصيلة منفصلة عن أي انتماء عربي لسكان شمال إفريقيا وُصاء العناصر « الدخيلة » في اللغة والثقافة والتاريخ.⁶⁴

وبتحليلنا مسار المسألة الأمازيغية في الجزائر، نلاحظ وجود مسارين متجاذبين : مسار ادراج البعد الأمازيغي في الهوية الوطنية الجزائرية كعنصر للاندماج الوطني إلى جانب الإسلام والعروبة، ومسار الانعزال والانكماش على الذات كتعبير عن اليأس وعدم الثقة في المسار الأول.

المطلب الثاني : تطور المسألة الأمازيغية بين الاندماج الوطني وما فوق الوطني والانكماش المحلي

ساهمت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الاندماج الوطني، حين عملت على ضم مختلف القبائل وإخضاعها للنظام القانوني للدولة المركزية⁶⁵. وفي مشروعها لبناء الدولة الامة سعت الدولة الجزائرية بعد الاعتراف بالأمازيغية في التسعينيات إلى جعلها عنصرا للاندماج الوطني وأحد الأسس الثلاثة للهوية الوطنية. هذا الوضع أدى إلى انخراط بعض النخب الفاعلة في المجموعات الأمازيغية الأخرى مثل المزابيين والتوارق في مسار إعادة بناء الهوية الوطنية. أما النخب القبائلية السياسية والاقتصادية فتتميز باندماج كبير في أجهزة الدولة التنفيذية والأمنية والاقتصادية. ذلك أن الارتباط الجغرافي لمنطقة القبائل بالجزائر العاصمة مركز السلطة منذ العهد العثماني نتج عنه تواصل جغرافي واجتماعي كثيف وتفاعل تاريخي طويل مع الدولة المركزية في سيرورتها التاريخية. وازدادت وتيرة

63. محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التعدد والإنصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص. 32.

64. نفس المرجع، ص. 40 وما بعدها.

65. Yassine Temlali, *La genèse de la Kabylie, Aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962)*, barzkh éditions, Alger, p. 99.

الاندماج هذه في العشرية الأخيرة بفعل عملية التفاوض بين الفاعلين السياسيين والجمعويين الحاملين للمطلب الأمازيغي بمنطقة القبائل والسلطة المركزية.

بعد إدراج دستور 28 فيفري 1989 لأول مرة للعهد النوميدي كقسم من التاريخ الجزائري، اعترف دستور 28 نوفمبر 1996 في ديباجته بالأمازيغية كمكون للهوية الوطنية إلى جنب الإسلام والعروبة. وجاء ترسيم اللغة الأمازيغية بموجب التعديل الدستوري لـ2002 كاستجابة لانتفاضة 2001 بمنطقة القبائل بحيث نصت المادة 3 (- 2 - 3) « تمازيغت هي كذلك لغة وطنية. تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني ». على أن المركز القانوني للأمازيغية تدعم بشكل كبير بموجب الدستور الجديد المؤرخ في 6 مارس 2016 الذي جاء ليستجيب على القسم الأكبر من المطلب الأمازيغية بنصه في المادة 4 بالاعتراف بالطابع الرسمي للغة الأمازيغية والإقرار بإنشاء مجمع للغة الأمازيغية ينظم بموجب قانون عضوي. وجاء ذلك مناقضا تماما لتصريح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة خلال زيارته لتيزي وزو في الحملة الانتخابية لسنة 2004 أن « الأمازيغية لن تكون أبدا لغة وطنية ». ويرى المحلل ياسين تملالي أن « العملية الجديدة لإدماج النخب القبائلية في سرايا الدولة تسمح للنظام، حسب اعتقادنا، الوصول إلى هدفين آخرين : إشراك منطقة القبائل في الإجماع حول الدستور الجديد، وتقليص خطر تطرف الشباب القبائلي الذي يمكن أن يشكل دعما لحركة تقرير المصير لمنطقة لقبائل »⁶⁶

وإن كان حراك «الربيع الأسود» سنوات 2001-2004 قد نجح في رفع مطالب هذه المنطقة إلى السلطة المركزية في إطار وطني وزاد من وتيرة اندماجها، فإن منطقتي وادي مزاب والتوارق عرفت مسارا مختلفا للاندماج الوطني لعبت فيه المسألة الأمازيغية ولا تزال دورا ثانويا إلى جانب الاعتراف بالخصوصيات الاجتماعية والسياسية المحلية، هذا المسار يعرف معوقات تعبر عن فشله في بعض جوانبه، لاسيما فيما يخص الاعتراف بالخصوصيات التنظيمية الاجتماعية العرفية للمجموعة المزابية والتاريخية كمؤسسات شريكة في العملية السياسية وجزء لا يتجزأ من الهوية الأمازيغية لهذه المجموعات.

الفرع الأول : المسألة الأمازيغية كعامل للاندماج الوطني

أولا : منطقة القبائل كعامل للمسألة الأمازيغية إلى الفضاء الوطني

1 - التعددية الحزبية تنعش المطلب الأمازيغي

سمح جو الحرية بعد إقرار التعددية الحزبية بموجب دستور 29 فيفري 1989 لفاعلي الحركة الأمازيغية للخروج نهائيا من السرية والانطلاق في العمل الحزبي في الميدان. فعلى

المستوى السياسي أنشئ حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية بعد لقاء الحركة الأمازيغية في فيفري 1989، كما شهدت هذه الفترة تبني حزب جبهة القوى الاشتراكية ذات الأغلبية القبائلية الذي خرج للشرعية، لأول مرة للمطلب الأمازيغي في أرضيته السياسية، بالإضافة إلى الأحزاب اليسارية الأخرى مثل الحزب الاشتراكي للعمال وحزب العمال. وعلى المستوى الجمعي ظهرت آنذاك شبكة واسعة من الجمعيات الثقافية التي تبنت الطرح الأمازيغي بلغت حوالي 145 جمعية بمنطقة القبائل وحدها، إضافة إلى مئات الجمعيات القروية التي انخرطت في النشاط الثقافي الأمازيغي، والجمعيات التي أنشئت في الأوساط القبائلية خارج المنطقة والمهجر، وتلك التي نشأت بالمناطق الأخرى الناطقة بالأمازيغية.⁶⁷

واختلفت طروحات الاحزاب السياسية الجزائرية الناشئة حول الأمازيغية قبل الاعتراف الرسمي بها بين مؤيد ومعارض ومشكك، فمنها من كان يعتبرها كـ «تراث شعبي» وآخر يراها «دعوات عرقية لعرقلة اللغة العربية»، أو «لهجات مناطقية»، الخ. وظهر حزبي الارسيدي والافافاس الاكثر تمسكا وتعبيرا عن المطلب الأمازيغي منذ الدخول في التعددية السياسية.⁶⁸

ولم تسلم الحركة الثقافية البربرية من التجاذبات الحزبية التي أضعفتها بسبب الصراعات الداخلية بين مختلف أجنحتها لاسيما بتأثير الحزبين ذات الأغلبية القبائلية. فبعد إنشاء الحركة الثقافية البربرية جناح سمي بـ «اللجان الوطنية»، في اللقاء الثاني للحركة بتاريخ 16-24 جويليت 1989 متشكل من المناضلين اليساريين وجبهة القوى الاشتراكية، ظهر جناح ثاني سنة 1993 سمي بـ «التنسيقية الوطنية» مرتبط بحزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية، بقيادة فرحات مهني، ذو توجه ليبرالي علماني. قام بنشاطات حاول من خلالها إشراك مناضلي مزاب والاوراس.

2 - المقاطعة المدرسية : انفراج القضية في إطار البعد الوطني

جاءت المقاطعة المدرسية أو ما عرف بـ «إضراب المحفظة» الذي دعت إليه الحركة الثقافية البربرية في خضم ظروف أمنية خطيرة تمر بها الجزائر تميزت بالصراع المسلح بين الجماعات الإرهابية والجيش خلف عشرات الآلاف من القتلى ودمار كبير لاسيما في الولايات الوسطى الداخلية للجزائر. فبتاريخ 16 افريل 1994 (وهو يوم العلم في

67. Salem Chaker, *La Voie étroite : la revendication Berbère culture et politique*, in *Annuaire de l'Afrique du Nord*, XXVIII, 1989, éditions du CNRS, Paris, pp. 281-296.

68. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية الثقافية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، مرجع سابق، ص. 161 وما بعدها.

الجزائر) دعت الحركة الثقافية البربرية إلى إضراب عام تمت الاستجابة له لمدة أسبوع كامل في كافة القطاعات، للمطالبة بإدراج اللغة الأمازيغية في المدرسة، غير أن هذا الإضراب تحول، بعد دعوة الحركة الثقافية البربرية « التنسيقية الوطنية » إلى مقاطعة الدراسة للمطالبة بالاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية، إلى مقاطعة المدارس الحكومية من طرف أكثر من مليون تلميذ في الاطوار الثلاثة لمدة سنة كاملة انتهت بسنة بيداغوجية بيضاء.

وأدت المحادثات التي أجرتها رئاسة الجمهورية مع الحركات الأمازيغية إلى إبرام اتفاقية 22 افريل 1995 أنشئت بموجبها المحافظة السامية للأمازيغية المرتبطة برئاسة الجمهورية بتاريخ 25 ماي 1995. هذا الاتفاق اعتبره جناح النسيقية الوطنية للحركة القريب من الارسيدي « انتصارا تاريخيا »، بينما اعتبره جناح اللجان الوطنية القريب من الافافاس « اتفاق العار ». وكان مقابل هذا « المكسب التاريخي » كما تراه التنسيقية الوطنية مشاركة منطقة القبائل في الانتخابات الرئاسية لسنة 1995 والتشريعية لسنة 1997 بمساهمة قوية من حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية وجناح التنسيقية الوطنية الموالي له. واستطاعت المحافظة السامية للأمازيغية المكلفة بترقية الأمازيغية وإدراجها في منظومات التعليم والإعلام والمحيط⁶⁹، إدراج اللغة الأمازيغية في التعليم الرسمي كمادة اختيارية منذ سنة 1995-1996 ومنظومة الاعلام منذ 1998، مع انها لم تستطع تنفيذ برامجها بسبب افتقاد قراراتها للصيغة التنفيذية ومعاداة المحيط المؤسسي لها، ومن جهة أخرى، لم تجدد رئاسة الجمهورية عهدة المجلس البيداغوجي للتوجيه والمتابعة المحددة بثلاث سنوات، حيث كان هذا المجلس التداولي يتمتع بصفة تمثيلية وطنية ويضم كفاءات وممثلي اهم المجموعات والمناطق الأمازيغية وهي مناطق بجاية وتيزي وزو والاوراس ومزاب والتوارق، كما لم يتم تعيين رئيس جديد لها منذ وفاة رئيسها سنة 2006. وبذلك تم إفراغ هذه المؤسسة من هيئتها التداولية التمثيلية للبعد الوطني لتصبح جهاز اداريا يركز كامل برنامجه على ترقية اللغة والثقافة القبائلية تحت مسمى « الأمازيغية » دون المتغيرات الأمازيغية الأخرى.⁷⁰

وقد عمقت الاتفاقية السالفة الذكر الخلافات السياسية بين الأجنحة المذكورة بسبب وجود حسابات سياسية أملتها أجندة سياسة متعلقة بالانتخابات الرئاسية لـ16 نوفمبر 1995، ما أثر سلبا على نفوس سكان منطقة القبائل من جهة وانكماش الحركة وانتكاستها من جهة أخرى، ودفعت أيضا سكان منطقة القبائل خاصة الشباب إلى

69. أنشئت بموجب المرسوم الرئاسي 95-147 المؤرخ في 25 جوان 1995.

70. من أمثلة ذلك أن حوالي 97% من المؤلفات والبحوث التي ما تم طباعتها من طرف هذه المؤسسة حتى اليوم حول اللغة القبائلية. أنظر موقع المحافظة : www.hca.dz

النفور نسبيا من الأحزاب السياسية التقليدية المحلية المسيطرة واللجوء أكثر إلى العمل المباشر والعنف للتعبير عن طموحاتهم، كما لاحظناه عند قضية إغتيال المطرب القبائلي معطوب لونس في 25 جوان 1998، لما أحرقت أول مرة في التاريخ بالمنطقة مقرات حزبي الأفافاس والأرسيدي بعد انزلاق الأوضاع وعدم قدرتهم على السيطرة على الوضع، وبات جليا بعد أحداث 25 جوان 1998 ظهور صيرورة سياسية جديدة أخلطت أوراق الأحزاب السياسية المسيطرة في منطقة القبائل وادت إلى توسع الشروحات وتشتت الحركة الثقافية الأمازيغية كتنظيم، واندثارها كليا قبل سنة 2000 .

3 - حراك « الربيع الأسود » : محاولة أخرى لحمل المسألة الأمازيغية إلى الفضاء الوطني

شكلت حادثة مقتل احد الشباب بمخفر الدرك الوطني بتيزي وزو شرارة لانفجار عصيان مدني عارم بمنطقة القبائل يحمله الشباب الغاضب على السلطة المركزية، عرف بالربيع الاسود. وقبل ذلك أثار اغتيال المطرب معتوب لونس احد أعمدة الأغنية القبائلية السياسية الملتزمة بتيزي وزو في 25 جوان 1998، حركة احتجاجية واسعة بالمنطقة، أعادت احتقان القاعدة الشعبية على السلطة المركزية التي تم اتهامها بالوقوف وراء عملية الاغتيال. هذه الاحداث أظهرت الهوة العميقة التي تفصل الفاعلين الميدانيين عن الاحزاب السياسية التي اتهمت بالارتشاء، مما مهد لظهور « الحركة الشعبية » أو « حركة المواطنة والعروش » سنة 2001. هذا الحراك الشعبي ما لبث أن تحول إلى ديناميكية تنظيمية جديدة حملت جملة من المطالب السياسية الاجتماعية، في الوقت الذي عرفت فيه الجزائر آنذاك احتجاجات عارمة مست 43 ولاية على المستوى الوطني تمحورت اساسا حول تحسين ظروف معيشة السكان والتشغيل.

هذه الشبكة التنظيمية الجديدة التي لم تعرفها المنطقة من قبل والمستقلة عن الأحزاب وعن السلطة على السواء تهدف إلى « تنظيم العنف وإعطائه بعدا تنظيميا وسياسيا »⁷¹، تجسد في قمة هرمه فيما سمي بـ« تنسيقية ما بين الولايات ». ففي تيزي وزو تشكلت هذه الشبكة من لجان الأحياء والقرى والبلديات للتجمع في « تنسيقية عروش ودوائر وبلديات تيزي وزو »، أما في بجاية فقد تجمعت جملة من الجمعيات وممثلي النقابات من قطاعات الجامعة والتعليم والإدارة لتشكل ما سمي بـ« اللجنة الشعبية لولاية بجاية ». وامتدت هذه الديناميكية إلى أربع من الولايات المجاورة ذات السكان القبائليين هي البويرة وبرج بوعريج وسطيف وبومرداس. وفي العاصمة أنشئ « تجمع اللجان المستقلة لجامعات الجزائر » من طرف الطلبة القبائليين. وفي الأخير تم إنشاء هيئة جامعة لهذه الشبكة سميت

71. Comité Populaire de la Wilaya de Béjaïa. *Rapport de Synthèse des Journées de Réflexions et d'Etudes*, Lycée Ihaddaden 14-15-16 et 17 juillet 2001-B'Gayet.

بـ «تنسيقية ما بين الولايات» لتخرج بأرضية مطالب هذه الحركة المنظمة استطاعت أن تبلور أرضية مطالب جهوية ووطنية عرفت بـ «أرضية القصر» (نسبة إلى مكان المصادقة عليها مدينة لقصر ببجاية) تشمل 15 مطلباً أهمها: ترسيم اللغة والثقافة الأمازيغية، مغادرة الدرك للمنطقة، تخصيص مخطط تنموي لمنطقة القبائل، إقرار منحة للبطالة مقدارها 50% من الراتب الأدنى الوطني، الخ.⁷²

واستطاعت هذه التنسيقية أن تعبئ حولها مئات الآلاف من المواطنين في نشاطاتها الاحتجاجية مثل عدم دفع فاتورة الكهرباء وتنظم مسيرة 14 حاشدة نحو العاصمة بتاريخ 14 جوان 2001، بالإضافة إلى عصيان مدني وصدامات عنيفة استمرت لخمس سنوات مع قوات الدرك والشرطة خلفت 127 قتيل والآلاف الجرحى في صفوف المحتجين خاصة الشباب منهم.

والملاحظ أن تسمية «عرش» لم تكن محل إجماع الفاعلين في هذه الحركة، إذ لم توظف إلا في تنظيمات هذه الحركة بولاية تيزي وزو⁷³ وحتى في هذه الولاية لم تستعمل هذه التسمية سوى ثلاث تنسيقيات محلية، مما يدل على أن الديناميكية التنظيمية لحركة 2001 لم تكن تهدف إلى بعث التنظيم القبلي التقليدي لـ «ثاجمات» (اللجنة القروية) التي تعرضت إلى تغيير كبير بحكم التحولات الاجتماعية السياسية الاقتصادية العميقة التي عرفها المجتمع القبائلي كالهجرة والتصنيع والنزوح إلى المدن التي عمقت من تلاشي الروابط القبليّة⁷⁴، وإغما يتعلق الأمر كما يرى إبراهيم صالح، بحركة اجتماعية شبانية ذات توجه حدائي تحمل مطالب عصرية مستقلة عن الأحزاب والسلطة على السواء⁷⁵

وكان من نتائج فشل هذا الحراك وما ترتب عنه من احباطات مازالت تعيشها المنطقة، لاسيما قمع أجهزة الأمن لأحداث التمرد الشعبي التي عرفتها المنطقة، الذي أدى إلى مقتل 127 شاب والآلاف الجرحى؛ انتكاسة سياسية ساعدت على التغلغل النسبي «لحركة الحكم الذاتي لمنطقة القبائل» والتي تحولت إلى حركة استقلالية تزامنا مع أحداث ما عرف بـ «الربيع العربي»، على الرغم من الانفراج الذي عرفته الأمازيغية بعد الاعتراف بطابعها الوطني في التعديل الدستوري لـ 2002 ثم بطابعها الرسمي في دستور ماس 2016.

72. Samir Larabi, *Algérie : impuissance des mouvements populaires, in État des résistances dans le Sud – Afrique*, CETRI, Syllepse, 2010, pp. 35,38,40.

73. *L'Algérie : Agitation et Impasse en Kabylie*. ICG Afrique du Nord/Moyen-Orient Rapport n°15. Le Caire/Bruxelles 17.

74. Mohamed El-Hadi Hareche, *Tajmaat dans la Région de Kabylie : Conseil des Aarchs ou Conseil du Village, in Revue Idées et perspectives*, n°01, Mars 2011, pp. 103-109, p.108. (Revue en langue arabe).

- Mustapha Boutefnouchet, *Système Social et Changement social en Algérie*, OPU, Alger. p.32.

75. Mohamed Brahim Salhi, *Le local en contestation : citoyenneté en construction. Le cas de la Kabylie*, in *insaniyat.revues.org*.

4 - قانون المالية 2018 يبعث ديناميكية الاحتجاجات حول الأمازيغية

عرفت منطقة القبائل في غضون شهر ديسمبر 2017 احتجاجات عارمة واضطرابات طلابية، إثر رفض البرلمان الجزائري لمشروع تعديل قانون المالية 2018 اقترحه حزب العمال، ينص على « أن تسهر الدولة على تعميم تدريس اللغة الأمازيغية في كل المدارس العمومية والخاصة، على أن يكون التدريس إجبارياً في إطار تطبيق مخطط تدريجي ». وجاء رد اللجنة المالية المكلفة استقبال اقتراحات النواب، والمشكلة أساساً من حزبي الموالاتة جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي، برفض هذا الاقتراح، بداعي أن « السلطات العمومية بذلت وتبذل جهوداً معتبرة في مجال تدريس اللغة الأمازيغية، حيث تتضمن المناهج التربوية برامج تدريس هذه اللغة الوطنية، فضلاً عن أن ثمة هيئة وطنية تتمثل في المحافظة السامية للأمازيغية تتولى القيام بمهمة ترقية اللغة الأمازيغية وتطويرها ».

وشرع تلاميذ المدارس وطلبة جامعات منطقة القبائل وباتنة (الشاوية) وفي جامعة الجزائر (العاصمة) في إضرابات ومسيرات سلمية لمدة أكثر من أسبوعين تنديداً بما أسموه « تهميش » اللغة الأمازيغية، رغم كونها اللغة الرسمية الثانية للجزائر إلى جانب العربية بموجب الدستور المعدل سنة 2016. واستنكرت التنسيقيات الطلابية التي نظمت وأطرت هذه الحركة الاحتجاجية، في بياناتها « رفض تمويل تعميم تدريس الأمازيغية، وتهمير قانون المالية لسنة 2018 »، الذي ترى فيه « إجحافاً في حق الشعب »، في إشارة إلى إسقاط بند الضريبة على الثروة، الذي لم يصادق عليه نواب البرلمان بحجة صعوبة تقدير الضريبة في الوقت الراهن.

أما في ولاية البويرة فقد عرفت أعمال شغب في الجامعة وفي بعض الشوارع التي تحولت إلى مسرح لمواجهات بين سكان بعض الأحياء وبعض الطلبة وتلاميذ الثانويات المطالبين بترقية اللغة الأمازيغية من جهة، وبين عناصر الأمن والمتظاهرين من جهة أخرى. هذه الأحداث الخطيرة دفعت مجلس الجامعة إلى إصدار قرار بتعليق الدراسة وكل الأنشطة البيداغوجية والعلمية وكافة أشكال التظاهرات ابتداءً من يوم 13 ديسمبر 2017، كما هدد المجلس بتطبيق نصوص القانون ضد كل من يثبت إخلاله بالنظام العام داخل الجامعة⁷⁶.

هذه المسيرات التي شارك فيها عدد معتبر من المناضلين السياسيين وحركة الماك الاستقلالية وكذا النقابات العمالية خاصة من قطاع الوظيف العمومي والتربية الوطنية اعادت « الوزن الرمزي » للجامعة بعد أن فقدتها نسيباً بعد انتفاضة أبريل 2001. كما اثبتت أن ديناميكية الحراك المطليبي الأمازيغي لم تنطفئ بعد، رغم ترسيمها بموجب التعديل الدستوري لسنة 2016، وان سكان المنطقة ما زالوا لا يثقون في وعود الحكومة

76. جريدة الخبر، العدد 8719، الصادرة يوم 14 ديسمبر 2017.

التي تماطلت في تجسيدها في الميدان. لكن هذا الحراك يطالب في نفس الوقت، بأكثر اندماج في المجموعة الوطنية من خلال تعميم استعمال اللغة الأمازيغية على المستوى الوطني، عكس حركة الماك الأنفصالية التي حاولت ركوب الحركة والتي تخندق في موقفها المطالب بالانفصال وعدم الاكتراث بتعميم استعمال الأمازيغية على المستوى الوطني.

5 - ناير كعنصر للإندماج الوطني

جاء الاعلان عن ترسيم بداية السنة الأمازيغية ناير كـ « عطلة وطنية مدفوعة الاجر »، في مجلس الوزراء من طرف رئيس الجمهورية بتاريخ 27 ديسمبر 2017، كبادرة اخرى لحل المسألة الأمازيغية، خاصة عقب المظاهرات الاحتجاجية التي شهدتها منطقة القبائل في شهر نوفمبر 2017 السالفة الذكر، والتي باتت تنذر بالتصعيد تجاه السلطة المركزية مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية المقررة في ربيع 2019. كما اعلن بيان مجلس الوزراء بإعطاء رئيس الجمهورية أوامر لرئيس الحكومة « لتعميم تعليم اللغة الأمازيغية واستعمالها » مع « الاسراع في إنشاء اكااديمية اللغة الأمازيغية » وتحضير القانون العضوي المنظم لها. وممثل ذلك خطوة اخرى في سياسة الدولة لإدماج البعد الأمازيغي في الفضاء الوطني وازعاف وسائل التعبئة التي تستخدمها القوى المعارضة بمنطقة القبائل.

وبذلك شكل بداية سنة 2018 التي تتوافق مع السنة الأمازيغية الجديدة 2968، بداية مرحلة جديدة للإدراج الفعلي للبعد الأمازيغي في المجال الرسمي. حيث انعقد مجلس وزاري خصيصا لبحث مسألة توسيع تعليم اللغة الأمازيغية، أين تقرر تخصيص 300 منصب جديد لاساتذة اللغة الأمازيغية في السنة الدراسية القادمة. ولأول مرة في تاريخ الجزائر أصدرت وزارة الداخلية بيانا باللغة الأمازيغية (القبائلية) حول اجراءات قرعة الحج بتاريخ 09 جانفي 2018.⁷⁷ كما أعطيت تعليمات لكل القطاعات الوزارية المعنية للاحتفال بعيد يناير باعتباره عيدا وطنيا يجسد الوحدة الوطنية. وطبقا لتعليمات وزارة الشؤون الدينية بتاريخ 7 جانفي 2018 طلبت عدة مديريات من الأئمة الإشادة بقرار ترسيم عيد يناير و« إبراز البعد الوطني للهوية الأمازيغية » في خطبة صلاة الجمعة الموافق ليناير، وهو يوم 12 جانفي 2018.⁷⁸

ثانيا : الأمازيغية عامل جديد لاندماج وادي مزاب في الفضاء الوطني

بعد العزلة الطويلة التي عاشها المزابيون (القرن 11 إلى 19)، انخرطوا في مسار الاندماج الوطني مع ظهور الحركة الوطنية، ومن بعدها الثورة التحريرية.⁷⁹ ولعبت الحركة

77. وزارة الداخلية تنشر بياناتها باللغة الأمازيغية، جريدة النهار، 10/01/2018.

انظر: <https://www.ennaharonline.com/>

78. التعليلة رقم 51/2017.

79. الشيخ حمو عيسى النوري، دور المزابيين في الحياة الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505 إلى 1962، دار الكروان، باريس، الطبعة الأولى 1984، الجزء الثالث.

الإصلاحية منذ بداية القرن العشرين دورا هاما في مسار اندماج المجموعة المزابية في الفضاء الوطني،⁸⁰ من خلال جمعية العلماء المسلمين والصحافة الجزائرية.⁸¹ كما ساهمت ثلة من النخبة المزابية في الحركة الوطنية.⁸² يمثلها الشاعر مفدي زكرياء « شاعر الثورة »، وواضع النشيد الوطني رمز الدولة الجزائرية. ومن هذا الواقع التاريخي نلاحظ وجود اختلاف عقائدي بين الحركة الأمازيغية بمنطقة القبائل ووادي مزاب. إذ نشأ الاهتمام بالأمازيغية عند المزابيين في حضان الحركة الإصلاحية الدينية، مما يفسر عدم معاداتها للثقافة العربية الإسلامية، بينما نشأت الحركة الأمازيغية وتطورت بمنطقة القبائل في خضم التيار العلماني الحدائي الذي يحدد الهوية الأمازيغية كنقيض وبديل للهوية العربية الإسلامية.

وشكلت الأمازيغية منذ التسعينيات عاملا للاندماج الوطني بفعل مشاركة النخب المزابية في مسار ترقية الأمازيغية الذي تقوم به الدولة، لكن يختلف المزابيون حسب مشاربهم الثقافية ومستواهم التعليمي حول مركز الأمازيغية في هويتهم مقارنة بالعناصر الأخرى لاسيما الانتماء المذهبي. إذ الملاحظ من خلال مقابلاتنا ومعرفتنا بالجهة أن الفاعلين الناشطين في الأحزاب والجمعيات من التيار الحدائي الفرنكفوني من مزدوجي اللغة المتكويين في الجامعات، يتجهون أكثر فأكثر إلى تعريف هويتهم أولا بناء على العنصر الأمازيغي كلغة وثقافة يجب تطويرها وترقيتها، ويعرف أكثرهم نفسه أولا على أنه « مزابي » أو « وأمازيغي » ثم في الدرجة الثانية « مسلم » أو « جزائري »، بينما يغلب على الفاعلين ذوو التوجه الديني المتشبعين بالثقافة العربية، تعريف أنفسهم أولا بعنصر « مسلم » أو « إباضي »، ثم يأتي وصف « أمازيغي » و « جزائري » في الدرجة الثانية. وقليلًا من الفاعلين من اختار عنصرا واحدا فقط لتعريف هويته ملغيا العناصر الأخرى، ويدل ذلك على التشكيل المركب للهوية لدى تمثلات المزابيين. ويختصر أحدهم⁸³ التعريف الذي يؤمن به للجزائر أنها « بلد أمازيغي مسلم ناطق بالعربية ». إذ الملاحظ اتفاق المزابيين بمختلف مشاربهم وأعمارهم على اعتبار الأمازيغية عنصرا في هويتهم مع اختلافهم حول الأهمية التي يجب أن تعطى لها، إذ يرى أكبر المتشددتين المعربين أنها « لهجة محلية »

80. Jomier Augustin, *islah ibadite et integration national : vers une communauté mozabite ? (1925-1964)*, *Revue des mondes arabe et de la Méditerranée* [en ligne], 132: Décembre 2012, [http : remmm.revues.org/7872.]

81. صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين التقليدي والإصلاحي، 1919-1939، دراسة مقارنة، مذكرة في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، إشراف : شيخ بوشخي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011-2012، ص. 42 وما بعدها. « أبو اليقظان إبراهيم، شيخ ورائد الصحافة الجزائرية »، قرص، مجلة الهدى، رابطة الطلبة الإياضيين بقسنطينة، العدد 19، 2015.

82. قاسم الشيخ بلحاج، أقلام المزابيين في الصحافة التونسية، 1920-1962، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2006، ص. 34 وما بعدها.

83. د.م. فاعل جمعي ونائب بالمجلس الشعبي الولائي والبلدي سابقا، 55 سنة. لقاء 2017/7/05.

ينبغي الاكتفاء بالمحافظة عليها كتراث وليس ترقيتها وجعلها قضية سياسية لمنافسة اللغة العربية « لغة القرآن » والدين.

وشكل إنشاء المحافظة السامية للأمازيغية في جوان 1995 إثر اتفاقية 22 افريل 1995 بين رئاسة الجمهورية والحركات الأمازيغية التي كانت مزاب طرفا فيها، لحل أزمة إضراب المحفظ بمنطقة القبائل، متنفسا للمطلب الأمازيغي بوادي مزاب. فمن جهة شاركت العديد من الفرق الإنشادية والجمعيات بمختلف النشاطات الرسمية التي نظمتها هذه المؤسسة، ومن جهة أخرى شارك 21 أستاذ من منطقة مزاب في تربص تكوين معلمي الأمازيغية للطورين الابتدائي والمتوسط بين عكنون في جويلية 1995. وانطلق تدريس اللغة المزابية بصفة تجريبية منذ السنة الدراسية 1995-1996 ليشمل 584 تلميذ في أربع مناطق ناطقة بالمزابية. لكن هذه التجربة توقفت شيئا فشيئا، نتيجة العراقيل ذات الطابع الأيديولوجي (معاداة النخب التقليدية والمعربين) والبيداغوجي (انعدام الكتب المدرسية)، ليختفي هذا التعليم تماما سنة 2010 منذرا بفشل التجربة وغياب الطلب الاجتماعي⁸⁴. وفي السنة 2016-2017 انطلق تدريس اللغة المزابية من جديد في الطور الابتدائي بتأطير 4 أساتذة من منطقة القبائل وأستاذ واحد من مزاب، ليشمل 500 تلميذ ضمنهم 85 % لغتهم الأم هي المزابية و15%⁸⁵.

وعلى المستوى الإعلامي أصبح الإعلام السمعي البصري بعد إدراج الأمازيغية بمختلف سنتها منذ 17 سنة، فضاء للتعبير الإعلامي وللاندماج الثقافي والسياسي للجماعة المزابية في الفضاء الوطني، وللتعارف بين مختلف المجموعات الأمازيغية بعد أن كانت تعيش في عزلة لغوية وثقافية كبيرة. ومع ذلك يعتقد اغلب الفاعلين السياسيين والجمعويين المزابيين الذين استجوبناهم أن مجموعتهم غير ممثلة كما ينبغي في مؤسسات الدولة العليا والفضاء السياسي الوطني المتمثل في الجهاز التنفيذي والأحزاب السياسية بسبب « العقلية الجهوية السائدة »⁸⁶، أو نتيجة « التهميش الممنهج ضد الأمازيغ عامة والمزابيين على وجه الخصوص »⁸⁷ أو « لسيطرة جماعة وجدة على الحكم »⁸⁸. وبالفعل لم يعين منذ

84. Salem Chaker, Said Chemakh, Abdallah NOUH, *MZAB – MOZABITES : Langue et littérature*, dans *ENCYCLOPÉDIE BERBERE*, XXXII, MGILD-MZAB, PEETERS, Paris-Louvain-Walpole, MA, 2010, p. 5186.

85. حول تعليم اللغة المزابية واثره في حيوتها ينظر مقالنا :

Abdallah Nouh, *La vitalité du dialecte mozabite dépend-elle essentiellement de son enseignement officiel*, *Timsal n tmazight*, n° 9 , 2017.

86. ب.د. فاعل جمعوي ومنتخب، 61 سنة، لقاء 2017/06/18.

87. ع.ص. رئيس جمعية، موظف، 53 سنة، لقاء 2017/04/07.

88. م.ج. مناضل في حزب سياسي حدائي، 62 سنة، لقاء 2017/09/12.

الاستقلال في الحكومات الجزائرية إلا ثلاث وزراء من الجماعة المزابية مقابل ثلاث وزراء من عرب المنطقة، مع قلة قليلة إلى حد الانعدام للإطارات السامية للدولة كالولاية ورؤساء الدوائر والسفراء وغياب كامل في القطاع الأمني بكل أجهزته ابتداء بالجيش وانتهاء بشرطة المدينة. ومن جهة أخرى وكما هو السائد في مناطق الجنوب الجزائري في الآونة الأخيرة يعتقد بعض الفاعلين أن توزيع الثروة غير عادل بين مناطق الشمال والجنوب بحيث أن « المداخيل الأساسية للبلد تستفيد منها المناطق الشمالية أكثر »⁸⁹.

وجاء الاعتراف الدستوري برسمية اللغة الأمازيغية في دستور 6 مارس 2016 ليمثل الخطوة الأهم التي من شأنها دمج المكون الأمازيغي في المجال القانوني والإعلامي والتربوي والإداري للدولة الوطنية مستقبلا. وإن كان أغلب الفاعلين الجمعيين بوادي مزاب متفائلين بمستقبل الأمازيغية على ضوء هذا الاعتراف، فإنهم معجبين أكثر بالنموذج المغربي لأنه « أحرز مكاسب ميدانية، بينما النموذج الجزائري يغلب عليه الضجيج الإعلامي⁹⁰ » ولأنه تولد عنه « إنتاج علمي غزير وتجربة ميدانية طويلة، وتحديد كيفية كتابة الأمازيغية وتجسيد ذلك في وسائل الإعلام⁹¹ ».

أما على المستوى الاجتماعي فقد فشلت سياسة الإندماج الوطني بسبب الأخطاء الإستراتيجية التي قامت عليها على المستوى المحلي والتي كانت سببا في إذكاء العصبية القبلية عوض بناء المواطنة المتساوية في ظل القانون. فبعد عدة قرون من التعايش والانسجام بين المزابيين والسكان الناطقين بالعربية من عشائر الشعانبة والمذابيح وبني مرزوق الذين استقروا على ضواحي المدن المزابية، وشكلوا جزءا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي للمنطقة وحياتها الاقتصادية (قوافل مشتركة) والسياسية (تمثيل في المجالس المزابية)؛ ظهرت عوامل الأزمة بعد الاستقلال، بسبب الصراع على الإدارة، بحيث يرى المزابيون أن استغلال العصبية القبلية للشعانبة إبان السبعينيات لأجهزة الحزب المحلية أدى إلى التضييق عليهم بدعوى « عدم مشاركتهم في الحرب التحريرية » والتطبيق المتحيز للثورة الزراعية عليهم باعتبارهم « إقطاعيين » و« برجوازية»، الخ، وزاد عزوف المزابيين عن الإدارة لصالح التجارة إلى ظاهرة احتلال أغلب الهيئات الإدارية المحلية من طرف الناطقين بالعربية (85% في بعض المرافق المحلية)، مما ولد شعورا بالاعتراب والإقصاء لدى المزابيين.

ومن جهة أخرى فإن ضيق وادي مزاب (حوالي 20% من أراضي الولاية) أين يقيم 56% من سكان الولاية، والتزايد الديمغرافي وتوافد واستقرار سكان بدو عرب جدد في

89. ل.ج. منتخبة في المجلس الشعبي الولائي 28 سنة، لقاء 2017/04/30.

90. د.م. فاعل جمعي وناشط بالمجلس الشعبي الولائي والبلدي سابقا، 55 سنة، لقاء 2017/7/05.

91. ن.ب. أستاذ وناشط جمعي، 58 سنة، لقاء 2017/06/22.

أراضي تابعة غالبا للعراش المزابية وتمليكها لهم من طرف الدولة، لم يؤد إلا إلى إذكاء صراع شديد على العقار السكني والفلاحي أخذ طابعا طائفيًا، وكان غالبا سببا مباشرا - بالإضافة إلى الصراع السياسي - للأزمات الأمنية التي عرفتھا المنطقة، مثل أحداث 1975 حول أرض عرش آت يدر ببني يزقن، وأزمة 1985 حول أرض زراعية بغرداية. كما شكل الصراع السياسي سببا في أزمة بريان سنة 1990 إثر أول انتخابات بلدية وولائية تعددية فازت فيها القائمة الحرة التي تمثل بني مزاب بالأغلبية أمام قائمة جبهة الإنقاذ الإسلامية التي تمثل السكان الناطقين بالعربية، وأزمات 2004 و2007 وأخيرا أزمة 2013-2015.

وإن كان التعايش الديني هو الصفة الغالبة في المنطقة على مستوى النخب، فإن بعض رجال الدين المالكية الناطقين بالعربية - على قلتهم - يتبنون الفكر التكفيري الذي يعتبر الإباضية « فرقة ضالة » و« خوارج » عن « أهل السنة والجماعة »، وبالتالي حلت دماءهم وسبي نسائهم، الخ. وتظهر خطورة هذا الفكر في إثارته للصراع المذهبي في اوقات التشنج الطائفي، مثلما حدث في نزاع سنة 1985 وسنوات 2013-2015، بحيث تم تدنيس وتحطيم قبر الولي المقدس الشيخ آمي سعيد الجري بغرداية، إضافة إلى عشرات قبور الإباضية من طرف جماعات من الأشخاص غير المزابيين. بالإضافة إلى هجمات إعلامية على الإباضية (المزابيون) تعتبرهم « أعداء الله »⁹². مما أحدث شرخا في تقاليد التعايش المذهبي التي تعرفها المنطقة منذ قرون.

وعلى المستوى الاقتصادي فإن الثقافة المقولاتية والتجارية لبني مزاب أدت إلى ازدهار اقتصادي نسبي في المدن المزابية مقابل تطور اقل في الأحياء العربية التي تعرف تزايدا في البطالة وتدني مستوى المعيشة وهشاشة الضبط الاجتماعي، مما أدى إلى تطور شعور بالإقصاء والتهميش الاقتصادي لدى السكان العرب وإثارة الضغون تجاه المزابيين، تفسره الموجات الانتقامية التي تعرضت لها المنازل والأماكن والمحللات التجارية للمزابيين التي كانت تنهب وتحرق من طرف مجموعة من الشباب من أبناء السكان الناطقين بالعربية في كل فتنة أو فوضى، مما افقد، من جهة أخرى، المزابيين الثقة بشكل كبير في جيرانهم الناطقين بالعربية الذي يتهمونه بـ« خيانة الثقة ». كما اعتبروا ما حدث استهدافا لهويتهم بعدها الأمازيغي والإباضي. وحضرت المسألة الأمازيغية بقوة لدى الشباب المزابي كشعور اثولوجي وثقافي وقضية وجودية في مواجهة « الآخر » المعرب.

وبالطبع لم تؤد وضعية الاندماج المأزوم هذه التي أفرزها تراكم العوامل السالفة الذكر، إلا إلى انكماش الطائفتين على نفسها بشكل أكثر تجاه « الآخر » وتطور الشعور المركزي لديها، وتجسد ذلك بمطالبة الطرفين معا بالفصل المكاني بين الطائفتين في الأحياء

92. International Crisis Groupe, *Sud de l'Algérie : turbulences à l'horizon. Rapport Moyen-Orient et Afrique du Nord*, n°171,21 novembre 2016, Traduit de l'anglais, p.12.

المختلطة اجتماعيا التي شكلت تجربة للتعايش المدني. بل أجرت عائلات من الطائفتين عمليات تبادل إرادية للمنازل لتجسيد مبدأ الفصل المكاني بين « الأحياء المزابية » و« الأحياء العربية ».

وتعتبر الحالة المزابية مثلا واضحا لصعوبات تسيير التنوع المذهبي اللغوي الاجتماعي في الجزائر بسبب السياسة الفاشلة للدولة في بناء المجتمع المتجانس. كما لم تنجح محاولات التقارب التي قادها بعض عقلاء المنطقة من رجال الدين والأعيان من الطائفتين مثل تجربة جمعية الوفاق سنة 1989-1990 للتصالح والتعايش بين المذهبين، ومحاولات الأستاذ رمضان محمد (مزابي إباضي) والشيخ تواتي بن التواتي (عربي سني) من الاغواط، الخ. ويعتقد اغلب الفاعلين الذين التقيناهم أن الاختلاط والتزاوج مع العرب يؤدي حتما إلى تعريب الأمازيغ وانسلاخهم عن هويتهم وتخليهم عن المذهب الإباضي، ويستدلون على ذلك بأمثلة الزيجات بين المزابيين والنساء الناطقات بالعربية بمدن الشمال والتي باء أغلبها «بالفشل» حسب وجهة النظر هذه بسبب اختلاف العادات والاعتقادات، مما أدى إلى «انسلاخ» أبناء هذه العائلات عن هويتهم المزابية. نتيجة التنشئة التي تحصلوا عليها في وسطهم العائلي المختلط.

ثالثا : التعامل السلس مع السلطة التقليدية والاعتراف باللغة التارقية كعوامل لاندماج التوارق في الدولة الوطنية

مع استقلال الجزائر، سنة 1962، كان المسؤولون السياسيون، (المنحدرون أساسا من شمال البلاد)، لا يعرفون إلا القليل عن عالم التوارق، ولم يكونوا يميزون جيدا بين التوارق الجزائريين وتوارق بلدان الجوار، وهي ليبيا ومالي والنيجر. وعليه كانت لهم نفس الرؤية تجاه التوارق مع دول الساحل الإفريقي، الناشئة والتي انتهجت الخيار الاشتراكي بعد استقلالها في سنوات السبعينيات، مما أدى، كما رأينا سالفًا، إلى انحياز النظام الاشتراكي للرئيس أحمد بن بلة لسياسة الدولة المالية لاستئصال انتفاضة التوارق الأولى سنوات 1963-1964. وكتب في هذا الصدد حاكم دائرة تمنراست، سنة 1971، في صفحة 38 من مونوقرافية مستنسخة « إن الموظفين والمسؤولين الجزائريين الأوائل الذين وصلوا إلى تمنراست سنوات 1962-1963 لم يتعاملوا مع الوضع أفضل من سابقهم الفرنسيين بحيث قلدوهم طرق التعامل والتصرفات ».

لكن بعد سقوط بن بلة، إثر انقلاب هواري بومدين عليه، في 19 جوان 1965، تغيرت سياسة الدولة الجزائرية بشكل محسوس تجاه التوارق، سواء الذين هاجروا من مالي بسبب الجفاف والمشاكل السياسية او التوارق الجزائريين الذين استفادوا من تحسين اوضاعهم المعيشية مما كان كفيلا بتسريع اندماجهم الوطني. وتتلخص سياسة الدولة تجاه التوارق الجزائريين في الآتي :

- **تثبيت البدو** : حيث تضمنت الخطوط العريضة لبرنامج حزب جبهة التحرير الوطني، وهو حزب الدولة الذي له حضور محلي دائم منذ الاستقلال، قبل مرحلة التعددية في 1989، كما ذكرها المسؤول السالف الذكر « ... الوصول إلى وضع اليد على أطفال البدو وضمان تدمرهم هو الوصول إلى السيطرة على البدو » لذلك كان هدف التمدد هو تثبيت البدو للاستفادة من خدمات الإدارة.

ويهدف هذا الإجراء إلى تحويل البنية الاجتماعية والسياسية للبدو التوارق الرحل الذين يشكل نمط معيشتهم عائقا أمام اندماجهم في الدولة الوطنية العربية الإسلامية والاشتراكية آنذاك. وعليه تم فتح مدرستين داخليتين في تمانزاست واليزي استقبلت أطفال البدو لأجل تعليمهم وتدمرهم. هذه الداخليات استطاعت تكوين، وتدريب اوائل الموظفين الذين وجدوا مكانهم في الإدارة المحلية عند إنشاء ولاية تمانزاست سنة 1975.

- **استراتيجية التحويل السياسي السلس** : وذلك من خلال الحفاظ على المؤسسة التقليدية أمانوكال بعد الاستقلال. وبالفعل تم تعيين باي أغ أخاموك، الزعيم العربي لتوارق الاهقار، نائبا لرئيس الجمعية الوطنية الأولى (البرلمان) بعد الاستقلال. هذا التعيين الرمزي يمثل استمرارية لسياسة الإدارة الفرنسية، في مناطق الصحراء الجزائرية، المشابهة لسياسة « الإدارة غير المباشرة » التي انتهجتها بريطانيا تجاه مستعمراتها. وتمثل هذه السياسة، التي هي نفسها السياسة التي اعتمدها السلطة في مالي تجاه الزعامة التقليدية لكال أداغ، نقيضا لأطروحة بناء الدولة الوطنية. غير أن البرغماتية السياسية هي التي أملت ذلك بسبب استحالة سحق التنظيمات السوسيوسياسية الألفية بقرار وتعويضها بأجهزة الدولة الاشتراكية الوطنية الناشئة بعد الاستقلال. وإثر وفاة باي أق أخموك، سنة 1975 تم استخلافه بأخيه غير الشقيق من جهة الأب، الحاج موسى الذي كان مناضلا وطنيا وعضوا في جيش التحرير الوطني، ليكون وسيطا بين الإدارة والقبائل التارقية⁹³.

لكن في الوقت الذي يبدو فيه، أن حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم اختار الحفاظ على مؤسسة أمانوكال، كان يشجع إلى جانب ذلك، على ظهور شبكات سياسية محلية موازية تتشكل خاصة من الشعانبة الناطقين بالعربية، بما فيهم منذ كان تاريخيا في خدمة الجيش الفرنسي "القومية" عند احتلال المنطقة سابقين ومن المهاري (جيش المهاري حليف فرنسا) الذين تحولوا إلى التجارة بعد الاستقلال، بالإضافة إلى المجموعات

93. الحاج موسى، الذي هو من أم تنتمي إلى إفوغاس، إحدى المجموعات التارقية التي لا تنحدر من الملكة تينهنان، وبالتالي ليس لها الحق في القيادة حسب التقليد العرفية لقبيلة كال اهقار؛ استفاد من دعم مجموعات الشرفة لخلافة أخيه المتوفى.

الأخرى الوافدة من الواحات الناطقة بالعربية، مثل الشرفة، المرابطين، الحراطين، الخ. وتؤكد ذلك خلال سنة 2011 عندما استقبل وزير الداخلية والجماعات المحلية في مشاورات سياسية شخصيات تمثل هذه المجموعات المستقرة في منطقتي الهقار والأزجر، بصفتها أعيان وممثلين لمنطقة الصحراء الكبرى⁹⁴.

في هذه اللعبة المزدوجة، التي بات فيها التوازن الديمغرافي على حساب التوارق، بقي الامانوكال الممثل المنتخب للشعب في البرلمان، يستمد شرعيته من حيوية البنية الاجتماعية والسياسية، والاعتراف الضمني للإدارة بدوره كوسيط بينها وبين مختلف المجموعات النسبية والقبلية التي تلتمس تدخله للتوسط لها وحل الخلافات. كما تشكل اللغة التارقية عاملا هاما للانخراط في الفضاء الوطني.

1 - الامانوكال كوسيط بين التوارق والسلطة الوطنية

عرفت علاقة التوارق بالسلطة المركزية انتعاشا جديدا عند وصول محمد بوضياف إلى السلطة كرئيس للمجلس الأعلى للدولة، حيث استقبل أخموك الحاج موسى وغوما ابراهيم، الزعيمين التقليديين للمجموعتين التارقيتين الكبيرتين، كال اهقار وكال أجر، وذلك في سنة 1992، من أجل الحصول على دعمها لحزبه السياسي الجديد « التجمع الوطني الجمهوري »، الذي أنشأه كدعامة لنظامه في مواجهة تصاعد المعارضة الإسلامية، إثر توقيف المسار الانتخابي. وعلى إثر هذا اللقاء، الذي حظي بتغطية إعلامية كبيرة، ظهر لأول مرة في الصحافة الحكومية مصطلح « أمانوكال » لوصف هذين الزعيمين.

شكل انتخاب أمانوكال الحالي لتوارق الأهقار احمد ايدابير⁹⁵ في 2006، خليفة للحاج موسى المتوفى، محطة هامة أخرى في تاريخ علاقة التوارق بالدولة المركزية. هذا الامانوكال الجديد لا يحوز فقط على حق الزعامة وفقا للأعراف التارقية القائمة على النسب الأمومي، وإنما أوصى به أيضا الامانوكال المتوفى قبل أن يعين من طرف حزب جبهة التحرير الحاكم. وهذا يعني أن هذا الأخير، أراد بهذه الوصية إحياء نموذج التوريث الامومي استجابة لمطالب القبائل التارقية للهقار⁹⁶. والملاحظ أن الدولة لم تسمح فقط بإجراء انتخاب وتنصيب الامانوكال الجديد وفقا للطقوس التقليدية، بل ضمنت لهذا الحدث تغطية إعلامية واسعة من خلال الإعلام العمومي⁹⁷. غير أن هذا الانتخاب لم يمر دون ظهور احتجاج بقيادة عشيرة تيتوق المهيمنة على حزب جبهة التحرير على

94. El Watan, 13 mars 2011.

95. أحمد هو ابن لمحمد آق أماياس. هذا الأخير كان أمانوكال للأهقار بين 1941-1950. أما أمه فاتي بنت (ولت) هباني بنت (ولت) شيكات آق أداير. وفاتي بنت (ولت) أخموك آق الهما، أمانوكال الهقار بين 1921-1941، وهي أخت باي، الأمانوكال الأخير (1950-1975) حسب التقاليد.

96. في إحدى اللقاءات التي أجراها الحاج موسى مع رؤساء القبائل التارقية للأهقار في منزله سنة 2000، طالبه هؤلاء بالحاح بتعيين خليفة له إبان حياته.

97. El watan et APS, 2006.

المستوى المحلي، والمعارضة الأبدية لحكم عائلة كال غلة عند توارق الاهقار⁹⁸، بالإضافة إلى كل المجموعات العربية المتحالفة مع عائلة داغ اغالي التي ترى أن محمد اغ حاج موسى هو الأحق لخلافة أبيه الحاج موسى وفقا للنسب الأبوي. وبذلك أصبح الهقار بزعيمن تقليديين يدعيان المشروعية. وأمام هذا الوضع تدخلت الدولة كوسيط لتعيين ابن الامانوكال المتوفى ومرشح المنادين بالتوريث حسب النسب الأبوي، عضوا في مجلس الأمة من الثلث الرئاسي، مما سمح بتهدئة الوضع مؤقتا.

ويدل هذا النقاش على مدى حيوية البنية الاجتماعية السياسية للتوارق، كعنصر للاندماج الوطني، ومقاومتها للعمل الذي قامت به الدولة لمحاولة إحداث تغيير سلس لهذه البنية، كما أن تدخل الفاعلين الدينيين في أمور السلطة التقليدية عند كال اهقار، وهو واقع قديم يرجع إلى نشأتها⁹⁹، لم يؤدي إلى تغيير طريقة توريث الزعامة المبنية على النسب الأمومي إلى النسب الأبوي، مع أن هذا الأخير هو الأكثر تلاؤما مع الإسلام والظروف المحيطة بنا.

وجاء افتتاح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في 2012 لمشروع ضخم لإمداد ولاية تمراست بالمياه، انطلاقا من الحوض الالبي للصحراء الوسطى، على مسافة 700 كلم، كأكبر انجاز لصالح منطقة التوارق من شأنه أن يسرع من الاندماج الوطني في ظروف أمنية صعبة عرفتها المنطقة، تميزت بنشاط الجماعات الإرهابية « القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي » في شمال مالي، وعودة ظهور الحركات التارقية المسلحة في مالي، والاضطرابات التي تشهدها ليبيا.

2 - الأمانوكال كوسيط بين الإدارة والقبائل

من اللحظات التاريخية الهامة في تاريخ الأمانوكال رفض الأمانوكال الجديد أحمد ايدابير، دعوة الزعيم الليبي معمر القذافي، في أفريل 2006، إلى القبائل الصحراوية لتنظيم نفسها في هيئة مشتركة في اجتماع تومبوتو (جريدة الوطن، وكالة الانباء الجزائرية). ويعبر هذا الرفض عن التلاحم والانسجام مع الموقف الرسمي للدولة الجزائرية. كما بادر امانوكال الاهقار بإرسال وفدا من التوارق إلى مالي سنة 2012، لبحث قضية الدبلوماسيين الجزائريين المخطوفين من قبل حركة التوحيد والجهاد في إفريقيا الغربية (جريدة الوطن، 2012)¹⁰⁰. ويمثل ذلك محاولة للامانوكال مساعدة الدولة الجزائرية من خلال استثمار العلاقات القديمة

98. Gast, M., *Des Huwwara aux Kel-Ahaggar : la saga d'une tribu nomade au Sahara central*. Alger, CNRPAH, 2008, p.147.

99. Gast, M., *Complements a la rubrique Attici ag Amellal, Encyclopedie. Berbere*, Cahier 25, 1980, p.5.

100. http://www.elwatan.com/international/j-ai-charge-un-emissaire-pour-prendre-contact-avec-les-touareg-maliens-13-04-2012-166651_112.php

التي تربط قبيلة كال اهقار مع المجموعات التارقية الأخرى في دول الجوار كمالى والنيجر على الخصوص والتي ترجع إلى ما قبل نشأة الحدود، والانخراط في جهود تسوية المسائل التي تهتم هذه المجموعات وحل الأزمات الجهوية. ويفسر ذلك بكون الدولة الجزائرية نجحت حتى الآن بطريقة أو بأخرى، لاسيما بواسطة الاستثمارات الضخمة، في الحفاظ على ولاء التوارق الجزائريين الذين ليست لديهم أية مطالب ترابية، بمعزل عن الظروف الاقتصادية الصعبة المتولدة عن الأزمات الإيكولوجية التي يعيشها اخوانهم في مالي والنيجر. غير أنه بات من الصعب إبعادهم عن التيارات السياسية التي اخترقت منطقة الساحل الصحراوي والاضطرابات التي تشهدها. حيث مازال التوارق الجزائريين أكثر توجهها نحو الجنوب، رغم الجهود الهائلة التي بذلتها الدولة الجزائرية منذ الاستقلال لدمجهم في المجموعة الوطنية، وتحويلهم عن إخوانهم في دول الساحل الصحراوية.

ومع ذلك يشعر التوارق بعزلة متزايدة عن عمقهم الجغرافي الصحراوي الساحلي، وتهديد هويتهم الثقافية بسبب الهجرة الداخلية والخارجية القوية. لذلك قرروا الأخذ بزمام المبادرة والتموقع تجاه المسائل السياسية المحلية الوطنية والجهوية التي تواجه مجتمعهم. من هذا المنطلق يمكن تفسير الموقف الاحتجاجي لمجموعة كال اهقار، تجاه الانتخابات التشريعية لـ 10 ماي 2012، حيث هدد هؤلاء المنضويين تحت حزب الوزير الأول آنذاك، أحمد أويحي، التجمع الوطني الديمقراطي، وهددوا بالمقاطعة الجماعية للانتخابات احتجاجا على فرض مرشحين من طرف قيادة الحزب دون الحصول على تزكية القيادة التقليدية لقبيلة كال اهقار (جريدة الوطن، 2012)¹⁰¹. ويعبر ذلك عن محاولة لفت انتباه الدولة المركزية حول المخاطر الديموغرافية والثقافية على التوارق الناجمة عن سياستها التي أدت إلى تدفقات بشرية جذبتها المشاريع التنموية والهيكلية، مثل الطريق العابر للصحراء ومشروع مياه الشرب. وكرد فعل على تحول توارق كال اهقار إلى أقلية، جاء قرار الزعيم التقليدي الامانوكال، بتاريخ 19 مارس 2012، في اجتماع للأعيان وزعماء القبائل بتمنراست بعدم ترشحه من هنا فصاعدا لمنصب نائب في البرلمان (جريدة الوطن، 2012)¹⁰². كما تم توجيه رسالة إلى السلطات المركزية لإخبارها بهذا القرار. ويمثل هذا القرار التاريخي قطيعة مع تقليد سياسي راسخ منذ الاستقلال يجعل من الامانوكال ممثلا للسكان التوارق بالمجلس الشعبي الوطني.

101. http://www.elwatan.com/actualite/le-bureau-du-rnd-de-tamanrasset-annonce-le-boycott-du-scrutin-du-10-mai-26-03-2012-164208_109.php

102. http://www.elwatan.com/actualite/pres-de-300-notables-reunis-a-tamanrasset-19-03-2012-163360_109.php

وفي سنة 2016 ارتفعت الأصوات المطالبة بإعادة إحياء الزعامة التقليدية « تامانوكلا » كمؤسسة مستقلة عن الهياكل الإدارية والحزبية. وتتكون مؤسسة تمنوكلا من شيوخ القبائل برئاسة شيخ القبيلة ذات السيادة التقليدية وهي قبيلة كيل غلا، بالنسبة لتوارق أهقار، والتي تستمدّها من الجدة المؤسسة للسلطة وهي تين هنان. واصطدم المبادرون بواقع كون تمناست لم تعد للتوارق وحدهم، بحيث باتت تسكنها مجموعات بشرية أخرى متعددة، سواء تلك الوافدة من مختلف جهات الوطن او من دول الساحل الإفريقي المجاورة، فوسعوا استشارتهم إلى كافة السكان وجمعيات الأحياء حول المسألة. غير أن هذه المبادرة التي أريد لها أن تكون في فضاء المواطنة والمجتمع المدني، لقيت معارضة حزب جبهة التحرير الوطني على الخصوص، الذي تسيطر على أجهزته المحلية عائلة تايتوق المعارضة للزعامة التقليدية المبنية على النسب الأمومي، بقيادة عشيرة كيل غلا، كما رأت الأحزاب السياسية فيها كمحاولة تعبئة سياسية انتخابية لتحضير الانتخابات التشريعية لسنة 2017، فقرر الامانوكال توقيف مبادرته مؤقتا. وكنتيجة لتقهقر دور الزعامة التقليدية كمثل للتوارق على الساحة السياسية الوطنية (البرلمان)، رغم محافظته على دور ثانوي على المستوى المحلي (الولاية)، بسبب ازدياد الوعاء الانتخابي غير التارقي ومنافسة الاحزاب السياسية، فقد تميزت الانتخابات التشريعية، بتاريخ 4 ماي 2017، بغياب أي من ممثلي الزعامة التقليدية في المنافسة الانتخابية، مما يبين أن هذه الأخيرة، التي تعتمد على الانخراط الضمني لكال أهقار، خسرت رهان التعددية الحزبية ودمقرطة المجتمع التارقي التي دعى إليها الامانوكال نفسه.

3 - الاعتراف باللغة التارقية كعامل للاندماج الوطني

أمام غياب أي حركة ثقافية مطلبية أمازيغية أو حتى امتدادات لها بالمنطقة، فإن المسألة الأمازيغية مثلت في العشريات الأخيرة، محرك أساسي في علاقة التوارق بالدولة المركزية، بفضل محاولات الدولة إشراك التوارق في حل المعضلة الأمازيغية. إذ يشكل إدراج تعليم اللغة التارقية بمنطقتي الهقار والازجر لأول مرة في أقسام تجريبية منذ الدخول المدرسي 1995-1996.¹⁰³ عاملا آخر لاندماج التوارق في المجموعة الوطنية. ففي سنة 1995، ومحاولة منها لحل معضلة اضراب المحافظة بمنطقة القبائل سنة 1994-1995، قررت الحكومة إنشاء لجنة وطنية للأمازيغية سميت بـ « لجنة سيقي » باسم رئيس الحكومة آنذاك، على أساس تمثيلي للمناطق الناطقة بالأمازيغية، بهدف التفاوض مع الحركات الأمازيغية. وعين في « لجنة الحكماء » هذه، كما اصطلح على تسميتها، ممثلون من توارق منطقتي الهقار

103. Badi Dida, *L'enseignement de la langue touarègue en Ahaggar et en Ajjer. Les Touaregs et autres Sahariens entre plusieurs mondes* ; (Dir.) H. Claudot-Hawad. Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman, 1996, IREMAM - UMR 7310 - CNRS/Aix Marseille Université, pp. 37-47

والأزجر لمناقشة المسألة الأمازيغية. لكن تم التنديد بهؤلاء الأشخاص من طرف مجموعة من أعضاء جمعية¹⁰⁴ آهال لعدم تمثيليتهم للحركة الجموعية - حسبهم - من خلال بيان أصدره بعنوان « موقف التوارق من تعلم اللغة الأمازيغية ». ولأول مرة كان لهذا البيان صدى اجتماعي واسع لدى المجموعة التارقية حول ما يجري في شمال البلاد من حركية ثقافية ومطلبية حول الهوية، مع الظهور للمرة الأولى لمصطلح الأمازيغية بمفهومه الوطني.

وبغض النظر عن فشل هذه اللجنة بفعل مقاطعة الحركة الثقافية البربرية بمنطقة القبائل لها، فإنها تعتبر بمثابة تحول حاسم في مقاربة الدولة للمسألة الهوياتية وإعادة النظر في نموذج « الإدماج بواسطة التثاقف » في الجماعة الوطنية ذات الهوية العربية الإسلامية في إقصاء كامل للبعد الأمازيغي. كما حصل لأول مرة إشراك ممثلي أغلب الجماعات الناطقة بالأمازيغية في النقاش حول المسألة الأمازيغية. وتؤكد هذا الاتجاه بعد إنشاء المحافظة السامية للأمازيغية أين تم تعيين عضوين من التوارق. وأدى هذا الواقع إلى بعث التفكير والنقاش حول مكانة اللغة والثقافة التارقية في إطار البعد الأمازيغي الوطني.

ويمثل إدراج اللغة التارقية في التعليم الرسمي لأول مرة في منطقتي الهقار والاجر، تحولا تاريخيا رمزيا هاما، اكتشف فيه التوارق قيمة لغتهم بعد أن أصبحت مادة مدرسة في المنظومة التربوية. فبعد التربص الأول لمدرسي الأمازيغية في صيف 1995، بدأ تعليم اللغة التارقية بداية قوية في منطقة الازجر (ولاية جانت)، بخمسة عشر قسما بسبب الانسجام اللغوي للمنطقة، يؤطرحهم ثلاثة أساتذة لم يستطيعوا استيعاب الطلب الاجتماعي الكبير لتعلم التارقية حينها ؛ بينما كان هذا الطلب ضعيفا في منطقة الهقار (ولاية ممراس) التي عين فيها خمسة أساتذة لم يشتغل منهم إلا ثلاثة لنقص التلاميذ. ويفسر ذلك بمعادة موظفي مديرية التربية الذين ينحدر أغلبهم من منطقة توات-تيديكلت ممن تكيفوا مع المنظومة التربوية، والذين يرون في تعليم التارقية محاربة للغة العربية. غير أن الأمور انقلبت اليوم، حيث اختفى تعليم التارقية كلية من الازجر، بينما ازدهر بمنطقة الهقار بفضل دعمه بمدرسين من منطقة القبائل، فمن جملة 17 مدرسا للتارقية يوجد 10 منهم لغتهم الأم القبائلية.

104. أهال هي مؤسسة ثقافية وأدبية تجمع على شكل حلقات متكونة من شباب، ذكورا وإناثا، حول إمراة تسمى بـ « تامغارت ن أهال »، تقوم بدور رئاسة الحلقة حيث توزع الأدوار بين الجالسين حولها ليقوموا بإلقاء مؤلفاتهم من الشعر أو القصص. تقوم رئاسة أهال بدور عازفة آلة الرباب التقليدية التي يطلق عليها إسم الإمزاد. وتقام هذه الحلقات على هامش الخيام.

وتجدر الإشارة إلى أن تعليم التارقية بالمدرسة لا يشكل في تمثلات التوارق ضرورة أو مطلب سياسي ملح، بل يعتقد الكثيرون منهم أن التارقية لغة متخلفة آيلة للزوال ولا فائدة من تعلمها. كما اتخذت بعض النخب التقليدية موقفا معارضا لذلك. وبعضهم لا يميز بين اللغة التارقية وحروف التيفيناغ التي يرى عدم جدية كتابتها. بينما أثار إدراج التارقية في المدرسة نقاشا مجتمعيا حول الحروف المعتمدة لكتابتها، بلور موقفا عاما لصالح كتابتها بالتيفيناغ.

كما أنه في الوقت الذي كانت فيه الحركة الثقافية البربرية، محرقة « إضراب المحفظة »، تطرح مسألة الاعتراف بالهوية الأمازيغية للشعب الجزائري في مفهومها الشامل، كان النقاش الذي بدأه الطلبة في المجتمع التارقي يدور حول اللغة التارقية، إحدى مكونات هذه الهوية. ويمكن تفسير ذلك أن التوارق، من بين جميع الأمازيغ، أكثر محافظة عن ثقافتهم الأمازيغية، كما فرضوا طريقة معيشتهم على فضاء جغرافي واسع يمتد من طرابلس، بالسواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط، حتى اودالان ببوركينا فاسو وجنوب نهر النيجر، أي يربط بين البلدان المغاربية والساحل الإفريقي. وعليه فهم لا يشعرون البتة بأنهم مهددون في هويتهم ما دام استغلالهم للمحيط الجغرافي والبيئي ممكنا. كما يعتبر التوارق اللغة هي العامل الأكثر أهمية لـ « توماست »¹⁰⁵، بالرغم من عدم وصول المطلب اللغوي عندهم إلى عامل تعبئة كما عرفه في شمال البلاد، لأسباب موضوعية عدة أهمها نقص النخب المثقفة.

ومهما يكن فإن ترقية اللغة التارقية قد ينجح في تحقيق رهانين أساسيين : الأول على مستوى التوارق أنفسهم، وذلك بمساعدتهم على تثمين هويتهم بالاعتراف بلغتهم الأم، مما ينبغي أن يشركهم في مسار بناء الهوية الثقافية التاريخية للشعب الجزائري ؛ والثاني على مستوى الدولة، فإن إدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية والإعلامية بات فرصة تاريخية لمصالحة الجزائر مع نفسها.

وحوصلة القول توجد ثلاث أحداث هامة يمكن أن تشكل مؤشرات لقياس مستوى اندماج المجموعة التارقية في الجماعة الوطنية :

- انسحاب امانوكال كال اهقار من اللعبة الحزبية السياسية، حفاظا على وحدة كونفدراليته القبلية، والتموقع بعيدا عن الأحزاب السياسية، فتح المجال واسعا لشباب التوارق للانخراط في أحزاب سياسية مختلفة عن الحزب الذي كان فيه زعيمهم التقليدي، وبالتالي الدخول في منافسة سياسية بين برامج مختلفة تعمل لصالح المنطقة، مما ينتج عليه، على المدى البعيد، تكوين نخبة سياسية تارقية محلية. هذا الانسحاب

105. توماست تعني شعور الشخص بكونه تارقيا، ويترتب عن ذلك سلوك وطريقة للعيش ونظرة خاصة للحياة.

يسجل مرحلة جديدة في علاقات توارق كال اهقار مع الدولة الجزائرية، بحيث أصبح الزعيم التقليدي الامانوكال، من الآن فصاعدا، يستمد مشروعيته ليس من اعتراف الإدارة به كوسيط بينها وبين السكان، وإنما من مركزه التقليدي كزعيم قبيلة كال اهقار، بحيث وضع ولائها له على محك التجربة، وبالتالي التعامل معه كمفاوض محلي أساسي.

- الاعتراف الدستوري باللغة الأمازيغية وسياسة ترقيتها في كل تنوعاتها بما فيها الترقية، تمثل عنصرا هاما في سبيل إدماج العنصر الثقافي التارقي في النسيج الوطني.

- إن إدراج اللغة التارقية في التعليم الحكومي، بالرغم مما يعانيه من عوائق، بالإضافة إلى تقهقره في منطقة كال ازجر بولاية اليزي، لا يزال يشكل عاملا للاندماج في الحركية الوطنية لترقية الأمازيغية في كل أبعادها اللغوية والثقافية والحضارية، وجسرا للتواصل مع المجموعات والمناطق الأمازيغية الأخرى على المستوى الوطني، من خلال الملتقيات والنشاطات العلمية، التي تنظمها مؤسسات الدولة الجزائرية.

الفرع الثاني : المسألة الأمازيغية كعنصر للاندماج ما فوق الوطني أو الإقليمي

ساهمت الجالية الأمازيغية المقيمة بفرنسا بشكل أساسي في نقل الحراك الأمازيغية إلى بلاد المهجر، إذ باتت فرنسا على وجه الخصوص مكانا لالتقاء مختلف الحركات النضالية الأمازيغية بدول شمال إفريقيا، حتى قيل أن مدينة باريس هي « أكبر مدينة أمازيغية » يمثل فيها مختلف المجموعات الأمازيغية لهذه الدول.

وبالفعل لعب المهجر منذ القرن الماضي دورا أساسيا في بلورة المطلب الأمازيغي من خلال تطوير البحث الأكاديمي، وحتى التنظيم والتكوين السياسي. ويتجلى هذا من خلال الدور الريادي الذي لعبته الأكاديمية البربرية التي عملت على تحسيس الجالية الجزائرية في المهجر حول شرعية المطلب الأمازيغي ووجوب تعميم استعمالها على كل المستويات. هذه الأكاديمية استطاعت جلب اهتمام وانخراط قسم هام من الأوساط ذات الأصول القبائلية وحتى أوساط شباب المناطق الأخرى، بفضل الدروس التي تقوم بها بشكل دوري. وقد سمحت حرية التعبير في الدول الأوروبية خاصة في فرنسا من تسهيل النشاط الثقافي والسياسي الأمازيغي، وإنشاء الجمعيات وفدراليات الأحزاب السرية، والتمويل المالي، وتطوير البحث الأكاديمي في الجامعات الأوروبية، بالإضافة إلى تنظيم المسيرات والحركات الاحتجاجية. فالمهجر كان ولا يزال بمثابة القاعدة الخلفية لمختلف الأنشطة السياسية لمناضلي الحركة الثقافية البربرية، وكذا فضاء للالتقاء والاحتكاك بمختلف الحركات المطالبة بالاعتراف باللغات والثقافات المحلية في دول أوروبا وشمال إفريقيا مثل الكورسيين والباسك والمغربيين، وأخيرا بأمازيغ ليبيا. ولكن لم نلاحظ أي نشاط وحدوي على المستوى القاعدي كالتنظيم المشترك للمظاهرات الشعبية،

وهذا راجع أساسا إلى المفارقات السياسية والخصائص السياسية لكل منطقة وكذا على المستوى المحلي، خاصة بعد تنامي الحركات المطالبة بالأستقلال الذاتي وتقرير المصير.¹⁰⁶ هذه الروابط سمحت كذلك بإعطاء بعد تنظيمي شمال إفريقي للحركات المطالبة الأمازيغية في إطار المؤتمر العالمي الأمازيغي الذي أنشئ عام 1995 بفرنسا. وإن كانت المهام الأساسية لهذه الهيئة هو الدفاع عن المصالح السياسية والاقتصادية والثقافية للشعوب الأمازيغية، فإنه لم يسجل لها منذ إنشائها أي تجذر شعبي في منطقة القبائل ولا أي أطر تنظيمية تذكر، وهذا راجع ربما إلى انتكاسة الحركة المطالبة الأمازيغية بعد المقاطعة المدرسية 1994-1995. مع أن هذا الفضاء التنسيقي أخذ منعطفا أكثر مساندة للحركات المطالبة بالحكم الذاتي والانفصالية.

وفي وادي مزاب اتخذ الاندماج ما فوق الوطني وجهين: فمن جهة ترتبط النخب التقليدية الدينية المزابية بالجبل الغربي وجربة بروابط مذهبية ودينية وتعليمية بحتة وتحرص على الابتعاد من إعطائها أي طابع سياسي. هذه الروابط التي تستند إلى بعد تاريخي حين كان جبل نفوسة وجربة إبان الدولة الرستمية ولايات تابعة لها،¹⁰⁷ تتجلى في توافد بعض الطلبة إلى مختلف المعاهد الدينية الاباضية في وادي مزاب للتفقه في المذهب الاباضي للعودة بعد ذلك لتدريسه في بلدانهم. ومن جهة أخرى بدأت النخب العصرية الحاملة للمطلب الأمازيغي في السنوات الأخيرة بالارتباط بالحركات والجمعيات والأحزاب الحداثية في مواطن الهجرة خاصة الحركات القبائلية والليبية والمغربية في إطار الحراك الأمازيغي على المستوى المغربي، واصطفت مع مطالبها من أجل الأمازيغية والديموقراطية، وكذا الحراك الدولي للدفاع عن حقوق الإنسان والأقليات اللغوية الأمازيغية في إطار الفضاء الشمال الإفريقي، أهمها المؤتمر العالمي الذي شارك فيه مناضلون ممثلون لمزاب منذ لقاء جزر الكناري سنة 2001. ونلاحظ أن اغلب الفاعلين الذين استجوبناهم يرون أن تسمية « المغرب العربي » لا تتطابق مع الواقع التاريخي للمنطقة، واقتراح بعضهم اسما « المغرب الكبير » أو « الشمال الإفريقي الأمازيغي » أو « تامزغا » كما هو متداول عند الفاعلين الأمازيغ.

وفي خضم الحركية السياسية التي عرفها وادي مزاب، ظهرت هيئات وجماعات تحت مسميات مختلفة تتحدث باسم المجموعة المزابية ينشط أغلبها خارج الوطن، أهمها

106. Stephanie Pouessel, *Une Culture méditerranéenne fragmentée : La revendication Amazighe entre local(ITE) et transnational(ITE)*. *Esprit Critique Revue Internationale de Sociologie et de Sciences sociales*, Conservatoire National : Arts et Métiers (CNAM), Pays-de-la-Loire, 2010, 13 (1), pp. 1-21. <halshs-00639179>.

107. ابراهيم بكر بحاز، الدولة الرستمية، 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2010.

حركة الحكم الذاتي لمزاب MAM،¹⁰⁸ التي أنشئت بتاريخ 12 جانفي 2014، وحملت مطالب باسم المزابيين إلى الجمعية العامة الثامنة لأمازيغ العالم بايفران بتاريخ 28 نوفمبر 2015¹⁰⁹، ومؤسسة تيفاوت « الضياء » من أجل الحفاظ على هوية أمازيغ آت مزاب وظهرت بعد أحداث فُرارة بتاريخ 7 جويليت 2015 التي قتل فيها عدد معتبر من المزابيين. وقد أصدرت هذه المنظمة عدة بيانات ابتداء من 16 جويليت 2015 للتنديد بما أسمته « التصفية العرقية ضد أمازيغ مزاب ». ¹¹⁰ كما عملت من خلال موقعها في الانترنت على التحسيس باللغة والثقافة الأمازيغية والتذكير برمزياتها التاريخية كالاحتفال براس السنة الأمازيغية « ناير » والعادات الأمازيغية السائدة في مزاب، الخ ؛ وأخيرا جمعية ازمولن « الرموز » للدفاع عن حقوق المزابيين وأنشئت في فرنسا سنة 2016، أين أصدرت عدة بيانات للتضامن مع المسجونين المزابيين والتنديد بما تراه قمع السلطات للمزابيين، والدعوة إلى نشاطات التضامن مع المساجين المضربين عن الطعام لاسيما كمال الدين فخار الذي قام بإضراب لمدة 100 يوم. وبالموازاة مع ذلك انشأ المزابيون في المهجر « تجمع المزابيين في أوروبا » برئاسة عبد الله زكري احد أعيان بني مزاب في فرنسا (في نفس الوقت رئيس جمعية محاربة الإسلاموفوبيا في فرنسا) والذي اتخذ مواقف معارضة لمطالب حركة الحكم الذاتي لمزاب، مؤكدا على الوحدة الوطنية والاندماج الوطني. ويتبين ذلك من خلال بيان 21 فيريل 2016 الشديد اللهجة ضد تصريحات برنار هنري ليفي حول أحداث مزاب.¹¹¹ مع أنها عبرت عن تضامنها مع كمال الدين فخار في إضرابه عن الطعام ومطالبتها بالإفراج عنه سنة 2017.

أما ما يتعلق بالتوارق فنلاحظ أن الوضعية الجيوسياسية الحساسة للتوارق الجزائريين، والتحديات الأمنية الكبيرة التي تواجه الجزائر، جعلتهم يتحفظون عن أي انخراط أو تقارب وتعاون مع الحركات التارقية المتمردة الموجودة في دول الجوار، ومطالبها السياسية الثقافية اللغوية، تفاديا للتخوين الذي قد يسهم من قبل الدولة المركزية.

108. ينظر تقريره الذي قدمته الحركة من أجل الحكم الذاتي لمزاب للمؤتمر :
الحركة من أجل الحكم الذاتي لمزاب، تقرير حول الحالة المأسوية لأمازيغ (بربر) وادي مزاب، الجزائر، الجمعية العامة الثامنة لأمازيغ العالم، إفران، الاطلس المتوسط، المغرب، 28 نوفمبر 2015

109. Mam, *Rapport sur la situation dramatique des amazighs(berbères) du M'Zab en Algérie*
الجمعية الثامنة لأمازيغ العالم، إيفرن، المغرب، الأطلس الأوسط، 28 نوفمبر 2015. العالم الأمازيغي، رقم 183، مارس 2016/2966.

[www.amadalpresse.com]

110. أنظر مثلا بيان 16 جويلية 2015 في : Tamurt.info

111. Coordination des Mozabites en Europe, « vous ne pouvez pas nous manipuler », dans *Algérie Patriotique*.

وبالمقابل قام الزعماء التقليديون لتوارق كال اهقار بالمساهمة بوساطات عدة لمساعدة الدولة المركزية في تأمين الحدود وحل النزاعات الأمنية والإقليمية، كما رأينا سالف.

الفرع الثالث : المسألة الأمازيغية كعامل للانكماش في المحلي

عادت الحركة الأمازيغية التي انطلقت بمطالب وطنية بعد عقدين من مسيرتها، إلى نوع من الانكماش على الذات إثر الانتكاسات التي عرفتها لاسيما فشل « الربيع الأسود »، بظهور حركات جهوية ذات مطالب محلية خاصة بمنطقة القبائل، تجاوزت المطالب اللغوي إلى مطالب سياسية بالحكم الذاتي وتقرير المصير، قادها أحيانا نفس الفاعلين الذين تزعموا الربيع الأمازيغي مثل فرحات مهني. وكانت لهذه الحركات ارتدادات على منطقة الشاوية ووادي مزاب التي ظهرت فيها حركة الحكم الذاتي لمزاب.

فقد أعلن فرحات مهني المنشق من حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية بتاريخ 5 جوان 2001، أسابيع فقط بعد انطلاق أحداث « الربيع الأسود » عن إنشاء حركة الحكم الذاتي لمنطقة القبائل، مما اعتبرته تنسيقية العروش مؤامرة من طرف السلطة لكسر الديناميكية الاحتجاجية التي تديرها والتي تتسم بطابع وطني. وتزامنا مع أحداث الربيع العربي تحولت هذه الحركة إلى منظمة استقلالية بموجب قرار اتخذ من طرف قيادتها المستقرة بفرنسا. بحيث أنشئت « حكومة قبائلية مؤقتة » مع رموز الدولة من نشيد وعلم وبطاقة هوية، الخ. وتسعى هذه الحركة الراديكالية إلى جلب المنخرطين بواسطة خطاب يقوم جملة من الحجج كما وردت في مقدمة سالم شاعر لكتاب فرحات مهني الموسوم « الجزائر، القضية القبائلية »:¹¹²

- إن القبائليين ضحوا كثيرا من أجل الجزائر دون أن تقدم لهم هذه الأخيرة ادني حقوقهم، وانه حان الوقت لوقف هذا المنطق الانتحاري، وان الجزائريين الآخرين لم يبدو ادني تضامن مع نضال القبائليين تجاه السلطة إبان أحداث « الربيع الاسود » وقبلها.
- إن منطقة القبائل لا تستطيع إحداث التغيير الديمقراطي في الجزائر ولا أن تتحمل وحدها أعباء مقاومة النظام ودمقرطته وإنما المساهمة فيه.

ويعبر هذا الخطاب كما يراه البعض عن الانكماش على الذات بعد فشل النخب القبائلية من توسيع مشروعها إلى المناطق الأخرى من جهة، ومقاومة السلطة لكل مشروع للتغيير السياسي من جهة أخرى. ففي تحليله لتطور الحركة المطالبة الأمازيغية في العشرينات الثلاثة الأخيرة يرى عالم الاجتماع السياسي عبد الناصر جابي أن « الحركة الثقافية البربرية فشلت في المحافظة على تنظيمها وكوادرها التي التحق قسم كبير منهم بالأحزاب المعتمدة بعد 1989، كما فشلت في الحفاظ على طابعها الوطني وتوقفت في منطقة القبائل. وكانت

112. Ferhat Mhenni, *Algérie : La question Kabyle*, Edition Michalon, France, 2004.

نتيجة هذا الفشل "حركة العروش" بما تعبر عنه من الانكماش على الهوية المحلية، وحركة الحكم الذاتي، الذي جاء ميلادها كمرحلة في المسار الطويل لانكسار الحركة الثقافية البربرية¹¹³. «و يمكن القول كذلك أن فكرة الاستقلال جاءت في فترة تفسخ سياسي واجتماعي. حيث لم ترقى تجربة التعددية إلى مستوى طموحات سكان وشباب منطقة القبائل الذين تجندوا وتخذقوا وراء هذه الأحزاب وزعمائها، وقامت هذه الأخيرة بتبديد طاقتهم السياسية وحلمهم في التغيير الجذري، ما أحدث إحباطا جماعيا لدى كل الفئات الاجتماعية وخاصة الشباب، في ظل أزمة سياسية واجتماعية وأمنية خانقة.

وإن كان هذا "الخطاب الاستقلالي" بدأ يجذب انخراط بعض الفئات مثل الطلبة والشباب، فإنه لم يستطع تعبئة أغلبية القبائليين، إذ لم تستطع الحركة مثلا استقطاب أكثر من 6000 شخص في المظاهرة التي دعت إليها في 20 افريل 2017 بتيزي وزو. كما لم يلبي السكان دعوة فرحات مهني إلى اضراب عام يوم الانتخابات التشريعية ل4 ماي 2017. فبالإضافة إلى الثقافة الوطنية الوجدانية لأغلبية القبائليين، فإن البورجوازية القبائلية ترى في هذا المشروع تهديدا لمصالحها الاقتصادية التجارية المرهقة جدا على المستوى الوطني. كما أن الفئات الشغيلة لم تنخرط في هذا المسعى لغياب خطاب وتنظيم خاص بهم من جهة، ومن جهة أخرى الفئات الشغيلة خائفة على مصالحها ورواتبها ومن المجهول. كما أن الحركة تراجعت في الأشهر الأخيرة بعد الأنشاقات التي عرفتها وضعفها التنظيمي.

ويرى بعض مناضلي التيار الاستقلالي الذين تناقشنا معهم أن مشروع استقلال المنطقة لا يمكن أن يرى النور في ظل علاقات القوة الحالية، وإما يمكن نجاحه فقط في حالة الفوضى مثل التدخل الأجنبي كما حصل في العراق وسوريا وليبيا.* وكأثر لهذه الحركة أنشئت بتاريخ 12 جانفي 2014 حركة الحكم الذاتي لمزاب¹¹⁴ MAM بعد مسيرة شارك فيها مجموعة من المناضلين بمناسبة رأس السنة الأمازيغية بتيزي وزو، وانتخب على رأسها الدكتور كمال الدين فخار بتاريخ 6 جولييت 2014. وفي بيان 4 نوفمبر 2015 المتضمن ارضية الحركة والموقع من طرف ممثليها في الخارج صالح عبونة وخضير سكوتي، استعرضت تاريخ « الشعب المزابي » منذ القديم وما تعرض له من « تجاوزات » بعد الاستقلال، داعية إلى الاعتراف بالحكم الذاتي للمزابيين في الميادين السياسية الاقتصادية الثقافية.

113. Yassine Tamlali, *Le Mouvement pour l'Autonomie de la Kabylie (MAK)*, in <http://www.maghrebemergent.com>

*مقابلة مع ن.ع مناضل في الحركة من أجل تقرير المصير لمنطقة القبائل.

114. www.siwel.info. N° 25125. 4 novembre 2015.

ومن جهة أخرى أعلن مجموعة من المناضلين القداماء للربيع الأمازيغي وبعض الأعضاء المنشقين عن حركة الحكم الذاتي عن إنشاء « التجمع من أجل منطقة القبائل » RPK بتاريخ 17 فيفري 2017 بعد أن كانوا قد نشروا بتاريخ 7 ديسمبر 2014 « إعلان من أجل الاعتراف الدستوري لوضع سياسي خاص بمنطقة القبائل »، ثم أصدروا « العقد السياسي » بتاريخ 30 ديسمبر 2017. ويستشف من هذين النصين المرجعيين للحركة أنها تدعو إلى ضرورة إعادة تعريف الأمة الجزائرية من منظور متعدد الثقافات وإعادة بناء النظام السياسي الجزائري على ضوء ذلك، مطالبة بالاعتراف بها كحركة سياسية شرعية معتمدة بناء على الاتفاقيات الدولية التي أبرمتها الجزائر. وبسبب أطروحتها الوحودية الوطنية فهي تضع نفسها خصما لحركة الاستقلال وتقرب المصير لفرحات مهني كما صرح بذلك هذا الأخير.

الفرع الرابع : هل من تأثير للربيع العربي على المسألة الأمازيغية ؟

لم يكن لأحداث الربيع العربي في دول الجوار ليبيا وتونس أي أثر يذكر على الحركة المطالبة الأمازيغية بمنطقة القبائل، لعدة عوامل، أهمها تلبية جزء كبير من المطلب الأمازيغي من طرف السلطة كإجراء استباقي ضد أي انتفاضة، وفقدان الحركة الأمازيغية لقوة التعبئة بعد التجربة المريرة للربيع الأسود، والمعارضة الشديدة للنخب المسيرة لهذه الحركة « للانتماء العربي ». بالإضافة إلى تزامن هذه الأحداث مع الوضع العام الذي تعرفه الجزائر بعد خروجها من أزمة أمنية خانقة عرفت بالعشرية السوداء قتل فيها عشرات الآلاف من الجزائريين. ومع ذلك لم تمنع الصبرورة الثورية في البلدان العربية من حدوث بعض أعمال الشغب في جانفي 2011، كما لم يمنع أبناء المنطقة وبعض نخبها السياسية والنقابية وبعض مناضلي الحركة الأمازيغية وحركة العروش من محاولة مسيرة موجة الغضب العارمة التي عصفت ببعض الدول العربية، خاصة بعد سقوط الرئيسين زين العابدين بن علي وحسني مبارك. حيث عرفت منطقة بجاية مسيرات طلابية وحزبية مرددة لشعارات منوثة للسلطة ومرددة إحدى شعارات « الربيع العربي » : الشعب يريد إسقاط النظام. كما شارك مناضلو المنطقة في تأسيس « التنسيق الوطنية من أجل التغيير والديموقراطية » والتي قام بحشد أبناء منطقة القبائل في مسيرات 12 و19 جانفي 2011 بساحة أول ماي - الجزائر العاصمة، أين رددت بقوة شعارات حراك « الربيع العربي » وشاركوا في اعتصامات أمام سفارات ليبيا وسوريا للتنديد بالقمع الذي طال شعوب البلدين. ومن المفارقة أن قضية ترسيم الأمازيغية قد طرحت على أعضاء التنسيقية من أجل إدراجها في لائحة المطالب، ولكن لم تحض بتصويت حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية وكذا التنظيمات التابعة له¹¹⁵.

أما في وادي مزاب فقد نظمت حركة كمال الدين فخار احد قياديي جبهة القوى الاشتراكية السابقين والناشطين في الدفاع عن حقوق الإنسان، أثناء انتفاضة 2011 ضد

115. Le point, *Algérie : manifestation samedi en Kabylie pour « un changement du régime »*, publié le 29 Janvier 2011.

حكم القذافي، عدة نشاطات للتضامن مع الشعب الليبي الذي يشترك المزابيون مع قسم منه (الجبل الغربي ونفوسة) في الانتماء إلى الأمازيغية والمذهب الاباضي، كمظاهرات التأييد التي قامت بها ممدينة غرداية سنة 2011 قبل سقوط النظام، أين رفع العلم الليبي الجديد والعلم الأمازيغي، ومن بعدها إرسال قافلة إغاثة لصالح المهاجرين الليبيين الموجودين بتونس سنة 2012.

وبالنسبة للتوارق الجزائريين فإنهم لم ينخرطوا في الحركات السوسيوسياسية التي أنتجها الربيع العربي في الدول المجاورة تونس وليبيا، بالرغم من الشبكات المتعددة الأوجه التي تربطهم، عبر الصحراء، بالمجموعات البشرية المختلفة، والتكامل الثقافي مع التوارق الآخرين. ذلك أن أحداث مالي، التي أدت إلى ظهور حركة الازواد، واحتلال الجهاديين، لمناطق معتبرة في هذه الدولة والتدخل الاجنبي الذي تبعه، بالإضافة إلى الاضطرابات التي تشهدها ليبيا، كانت كلها عوامل ضاعفت من التحديات الأمنية على الحدود الوطنية، وسببت إزعاجا للمجموعات التارقية البدوية العابرة للحدود، مما جعل من أحداث « الربيع العربي » مصدر قلق وخوف لسكان الجنوب على العموم والتوارق على الخصوص.

وفي إطار الحراك الاحتجاجي الذي شهدته عدة مناطق بالجنوب الجزائري، تزامنا مع الربيع العربي، ظهرت حركة « مافرات » (لم يحل أي مشكل) بمدينة تمناست، عام 2012، واقتصرت نشاطها على تعبئة الشباب في مظاهرات منتظمة للاحتجاج على قرارات السلطات المحلية وتقديم بعض المطالب المحدودة، كالسكن والتوظيف، غير أن هذه الحركة لم تستطع أن تحمل مطالب ثقافية واجتماعية ذات بعد جهوي او وطني، مثلما هو الحال عند حركة البطالين بورقلة، بسبب أن مسألة الهوية ليست أولوية أمام المطالب الاجتماعية الاقتصادية الملحة، ولأن مسألة الهوية ليست محل إجماع بين أعضائها، إضافة إلى قمع هذه الحركة وسجن بعض أعضائها بتهمة المس بالأمن العام.

المطلب الثالث : الفاعلون والنخب الحاملة للمطلب الأمازيغي

حمل المطلب الأمازيغي في مساره الطويل الذي يمتد إلى أكثر من نصف قرن مختلف الفاعلون والنخب المتكونة في مدارس إيديولوجية وأوساط اجتماعية متعددة، اشتركت كلها في هذا المطلب مع اختلافها في المشاريع السياسية التي تحملها وتستعمل في نفس الوقت القضية الأمازيغية كعامل تعبئة.

الفرع الأول : الفاعلون الرئيسيون بمنطقة القبائل

انبثق مؤسسو الحركة الثقافية البربرية التي بعثت انتفاضة 1980 من تيارات سياسية يسارية مختلفة معارضة للسلطة المركزية والحزب الواحد، مثل جبهة القوى الاشتراكية وحزب الطليعة الاشتراكية والجماعة الشيوعية الثورية، ويفسر ذلك بحضور

الفكر الماركسي آنذاك. وبالطبع كان لذلك تأثير على الطرح الذي قدم فيه المطالب الأمازيغي والذي لم يخرج عن التحليل المادي الماركسي للإشكالية الهوياتية واللغوية. ولا أدل على ذلك من توصيات ملتقى إككورن بتيزي وزو المنشئ للحركة والتي تحدثت عن « الاشتراكية العلمية » كبديل عن « الاشتراكية الخاصة » التي كان يروج لها النظام آنذاك. غير إن الهوية السياسية للفاعلين في الحركة البربرية ما لبثت أن تطورت بعد انهيار المعسكر الشيوعي لتتزوج مع التيار الاجتماعي الديمقراطي الإصلاحي.

وبإقرار التعددية الحزبية كان لحزبي التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية وجبهة القوى الاشتراكية دورا محوريا في التحكم الايديولوجي والتنظيمي في نشطاء الحركة البربرية، بعد أن التحق أهم الناشطين في الحركة بهذين التنظيمين الحزبيين ذات الأغلبية القبائلية للاستفادة من التغطية القانونية والوسائط الاعلامية للقيام بنشاطاتهم، بأن أصبحوا إطارات ونواب في المجالس المنتخبة. وبالمقابل استفاد هذان الحزبان من هؤلاء النشطاء وما يتمتعون به من شرعية شعبية من دعم قاعدتيهما النضالية الحزبية وتقوية شرعيتهما بمنطقة القبائل.

لكن بعد إضراب المحافظة سنة 1994-1995 وتسيير الجماعات المحلية، ثم انتفاضة الربيع السود سنة 2001 تراجع دور هذين الحزبين لصالح فاعلين جدد ما لبثوا أن عانقوا الاطروحات الثقافية والتفوق الجهوي. تقوقع سياسي مهد لتطور دعاة الاستقلال الذاتي اللغوي لمنطقة القبائل، الأستقلال الذاتي ثم الأستقلال التام.

أولا : الأسس الاجتماعية للحركة البربرية

يرى سالم شاكرا أن النواة التي قامت بالتعبئة لأول مرة للقضية الأمازيغية في تيزي وزو سنوات 1980 كانت تتشكل من نخبة طلابية وثقافية في الجامعة ومستشفى المدينة، أما النخب الفكرية والتكنوقراطية والبورجوازية فكانت مرتبطة بالدولة لحماية مصالحها¹¹⁶. بينما يذهب ابراهيم صالحى إلى أن هذه الحركة الشعبية التي كانت تضم مختلف الفئات والطبقات إنما كانت مسيرة وموجهة من طرف البورجوازية القبائلية الصغيرة التي استفادت من التعليم والترقية الاجتماعية سنوات 1970-1980. وبالفعل فإن كل المطالب الهوياتية النقابية السياسية بمنطقة القبائل كانت تؤطرها قيادات سياسية تنتمي غالبا إلى طبقة البورجوازية الصغيرة القبائلية الحضرية والريفية.

ثانيا : الخصوصية القبائلية

إن ما يميز منطقة القبائل من غيرها هو وجود نخبة سياسية منظمة في نضال مستمر حول مطالب سياسية منذ سنوات الاربعينيات، سواء ضد الاحتلال الفرنسي أو بعد

116. Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, p. 103.

117. Mohamed Brahim Salhi, *Le local en contestation : citoyenneté en construction*. Le cas de la Kabylie, in *insaniyat.revues.org*.

الاستقلال. وما يفسر الطابع الاحتجاجي لهذه الحركة هو المسار التاريخي الاجتماعي الذي عرفته المنطقة منذ الاحتلال الفرنسي وما رافقه من عنف وانتزاع للأراضي لاسيما بعد سحق ثورة المقراني سنة 1971. ونظرا للكثافة السكانية المرتفعة ونقص الثروات الطبيعية، شكلت الهجرة نحو المدن الأوروبية، خاصة إلى فرنسا، عاملا هاما في تكوين الكوادر النقابية والسياسية التي ساهمت في الحركة الوطنية ثم في حركة التحرير الوطني.

وبالإضافة إلى الهجرة استفاد أبناء المنطقة مبكرا بالتمدرس إبان الاحتلال الفرنسي ومن بعد الاستقلال، مما يفسر وجود عدد كبير من الكوادر والنخب القبائلية في أجهزة الدولة الوطنية كالجيش، والأمن، والحزب الحاكم والحياة الاقتصادية. كما أن الوضع التنموي لهذه المنطقة أفضل مما عليه الحال في العديد من المناطق الجزائرية الأخرى. خلافا للخطاب السائد في بعض الأوساط المنادية بالانفصال التي تزعم بعدم التمثيل الكافي لهذه المنطقة في أجهزة الدولة المركزية، وأن المنطقة لم تستفد من حقها من برامج التنمية الوطنية.

ثالثا : تراجع النخب القبائلية

إن ما يميز النخب القبائلية العصرية هي انتماؤها إلى جيل ما بعد الاستقلال واستفادتها من التعليم المكثف وانتقالها إلى خارج المنطقة لمواصلة الدراسة في المدن الكبرى بالوطن وفي أوروبا. مع ارتباطها بالحركة الوطنية وبالحواسية الأمازيغية. وهو ما أدى إلى انتظامها وتنشئتها السياسية بعد أحداث 1980 في إطار الحركة الثقافية البربرية. وانطلاقا من هذه الحركة الجامعة للطاقت النضالية من أجل الأمازيغية، انبثقت شبكة واسعة من الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني مثل : جمعيات الطلبة، أبناء الشهداء، والنقابات والنساء، إضافة إلى التحاق عدد كبير من الحركة بالحزبين ذات الأغلبية القبائلية وهما جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية. وحازت النخب المتكونة في هذه الحركة على « رأسمال رمزي » أعطى لها شرعية شعبية مكنتها من تعبئة المنطقة لصالح تنظيماتها الثقافية والنقابية ومشروعاتها. غير أن هذه النخب بدأت تفقد شرعيتها شيئا فشيئا مع إدماجها التدريجي في أجهزة الدولة لاسيما المجالس المنتخبة. كما يرى عالم الاجتماع ناصر جابي أن اندماج النخب القبائلية تم من خلال إدماجها في اللعبة السياسية على المستوى المركزي من خلال نواب حزبي جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وكذا إدماج البورجوازية القبائلية داخل البورجوازية الوطنية، في الوقت الذي ظهرت فيه نخب محلية أكثر تجذرا بالواقع المحلي.¹¹⁸

هذا الوضع جعل من هذين الحزبين أكبر وسيلة « للتدجين السياسي » لمناضلي الحركة البربرية الذين كونتهم سنوات 1970-1980، إذ تم استقطابهم من طرف السلطة بواسطة

118. جابي ناصر، مواطنة بدون إستئذان، منشورات الشهاب الجزائر، 2006، ص. 127.

المجالس المنتخبة والترقيات المهنية، والتحول إلى الوظائف الحرة لاسيما بعد دخول حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية في الحكومة سنة 2000. وساعدت البهجة المالية من استقطاب عدد معتبر من ناشطي الحركة البربرية بينما فضل قسم منهم الهجرة إلى فرنسا وكندا والانخراط في الحركات القبائلية مثل حركة الحكم الذاتي وحركة الاستقلال.

وكشفت أحداث 2001 إلى أي درجة فقدت النخب التابعة لهذين الحزبين لشرعيتها وشعبيتها في الميدان، تزامنا مع ظهور نخب محلية جديدة انتظمت في « حركة المواطن » كهيئة جديدة للتمثيل السياسي جذبت إليها العديد من مناضلي هذين الحزبين، وقد لاحظنا كيف عبر المحتجين في هذه الأحداث عن درجة تدمرهم من « سياسي العاصمة » من النواب والمسؤولين الوطنيين التابعين للأحزاب¹¹⁹. غير أن الملاحظ في النخبة الجديدة المنبثقة عن أحداث الربيع الأسود هو افتقارها للخبرة السياسية التي تتمتع بها النخب القديمة، إذ لم تستطع الخروج من نطاقها الجهوي أو تشكل هيئات وسيطة للتفاوض، ولا أن تمتد إلى الفضاء النقابي والجمعوي. بالإضافة إلى ذلك فإن محدوديتها السياسية وطابعها الثقافي جعلها عاجزة عن فهم التناقضات السوسيو-سياسية للجزائر، والتموقع كبديل للسلطة المركزية. ويمكن القول أنه برغم أن هذا الجيل الجديد من النخب السياسية التي احتلت الصدارة اثناء انتفاضة أفريل 2001 استفادت أيضا من التعليم المجاني، لكنها بفعل الأزمة الاقتصادية لم تستفد من الترقية الاجتماعية كما استفادت سابقتها ولم تستطع الهجرة إلى الخارج وتحسين أوضاعها بسبب استفحال الأزمة الأمنية وتداعياتها، خاصة فيما يخص تقليص عدد التأشيرات الممنوحة للجزائريين نحو أوروبا. وينتمي أغلب مندوبي الحركة الشعبية 2001 وقياداتها إلى فئات مهنية مختلفة، فجد الأستاذ الجامعي وأساتذة سلك التربية الوطنية، أجراء الوظيفة العمومية، المهن الحرة، متقاعدین، مقاولين وعاطلين عن العمل، وينتمون في غالبيتهم إلى طبقة البورجوازية الصغيرة وبكل تناقضاتها ونزعاتها الأيديولوجية. نحن أمام جيل من النخب تأثرت بالفكر الثقافي المحلي الذي ورثوه من تجربتهم في صفوف الحركة الثقافية الأمازيغية، ما ضيق فكرهم السياسي وتسبب في تقوقعهم الجهوي، بإعتبار الفكر الثقافي يحجب التناقضات السياسية والاجتماعية.

رابعا : النخب القبائلية الحاكمة

على عكس الخطاب السائد لدى تيار الحكم الذاتي والتيار الاستقلالي، تعتبر النخب السياسية القبائلية من أكثر النخب اندماجا في السلطة منذ ظهور الحركة الوطنية ومن بعدها الثورة التحريرية وميلاد الدولة الوطنية، كما لم يثبت البتة تعرض

119. Yassine Tamlali. *La Révolte de Kabylie Ou l'Histoire d'Un Gâchis*. in www.Algeria-watch.org.

القبائليين إلى تمييز سياسي على أساس انتمائهم الجهوي¹²⁰. وتدل دراسة ناصر جابي حول النخب الحكومية أن أكثر من 50% من رؤساء الحكومات هم من أصل قبائلي،¹²¹ وحتى حزبي جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي الحاكم يملكان كلاهما قاعدة اجتماعية وامتداد لا بأس به كما تدل عليه نتائج الانتخابات البرلمانية والمحلية منذ سنة 1997. أما ما يتعلق بموقفهم من الاعتراف بالأمازيغية وحسب الباحث الألسني سالم شاكر، « فهم ليسوا بأي حال من الأحوال حاملين لإقرار الهوية البربرية. متمزقين بين أصولهم الإثنية-الثقافية ومصالحهم المادية المرتبطة بنشاطهم داخل وحول جهاز الدولة، فإن "النخب" القبائلية، مثل كل النخب الجزائرية، في حالة تموقع، آملين دائما في حدوث معجزة و"انفتاح" سياسي و/أو اقتصادي تمنحه السلطة. فالنخب (الفكرية أو التقنوقراطية-البيروقراطية أو « البرجوازية ») تتكلم على الدولة المركزية في استنساخ موقفها عوض أن تتبنى بسهولة خطر القطيعة»¹²².

لكن نلمس في السنوات الأخيرة تطورا هاما فيما يخص نظرة النخب الحاكمة ومثقفها العضوين إزاء المطلب الأمازيغي. هذه النخب غيرت تدريجيا من مواقفها وأضحت تعمل على ادراج الموروث الثقافي واللغة في الموثائق الرسمية والعمل على تعميم الأمازيغية في المنظومة التربوية. ويرجع هذا التغير من جهة، إلى التطورات المجتمعية التي حصلت في البلاد بعد أحداث أكتوبر 1988، بحيث أصبح المجتمع برمته يتقبل مبدأ التعددية الثقافية واللغوية، ومن جهة أخرى إلى كون الحركة الأمازيغية لم يعد بإمكانها زعزعة الوضع السياسي القائم في البلاد.

خامسا : النخب الاقتصادية

في غياب دراسات متخصصة النخب الاقتصادية القبائلية، يمكن أن نلاحظ أن النخب الاقتصادية القبائلية تعتبر من أكثر النخب ديناميكية وتهيمن على العديد من قطاعات النشاط الاقتصادي المربحة، بفضل تجربتها وقربها من مراكز القرار السياسي-العسكري ومن بعض الأحزاب بالمنطقة. ويفسر ذلك أن البورجوازية بمنطقة القبائل استفادت كغيرها من المناطق، بتراكم الثروة منذ قانون الاستثمار الأول لسنة 1966 ومن بعده من امتيازات تحرير الحياة الاقتصادية في أواخر الثمانينات. وفي عهد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة حقق بعض أقطاب البورجوازية الصناعية والتجارية ثروات ضخمة جعلها تسيطر على بعض

120. Hugh Roberts. *Algérie-Kabylie, Etudes et intervention*, édition Barzakh, Alger, 2004. p.178.

121. ناصر جابي، الجزائر : الدولة والنخب، دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب، الجزائر ص. 48.

حوار مع ر.ب، مناضل سابق في الحركة الثقافية الأمازيغية وفي حركة العروش.

122. Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, p. 103.

القطاعات على المستوى الوطني مثل الصناعات الغذائية (يسعد ربراب)¹²³، والمواصلات (محي الدين طحكوت)، والأشغال العمومية (علي حداد) الذي انتخب في نفس الوقت رئيساً لمنتهى رجال الأعمال الجزائريين. وبالفعل استطاعت هذه النخبة الاقتصادية ربط ونسج علاقات متينة على مستوى دواليب السلطة وحتى على مستوى الأحزاب الأكثر تمثيلية في منطقة القبائل. فسمح لها هذا الموقع من لعب ادوار هامة في التدجين السياسي وتأسيسها كوسيط فعال لدى السلطة المركزية والمحلية. لكن في بعض الأحيان نلاحظ نوع من « المعارضة » النسبية للسلطة ايزاء بعض القضايا، مثل الصراع القائم بين السلطة ومالك مجمع « سيفيتال » للمواد الزراعية-الغذائية « يسعد ربراب »، الذي يتهم السلطة بعرقلة انجاز مشاريعه في ولاية بجاية. صراع تم فيه تأجيج الشارع في شكل حملات اعلامية ومسيرات من أجل الضغط على السلطات¹²⁴.*

الفرع الثاني : النخب الحاملة للمطلب الأمازيغي لدى بني مزاب والتوارق

رغم التطورات والتغيرات التي عرفتها المجتمعات المزابية والترقية نلاحظ استمرار سيطرة الأطر التقليدية عموماً على الحياة الاجتماعية والسياسية بنسب متفاوتة، عكس المجموعة القبائلية التي تحرر فيها الفعل السياسي لدى نخبها من قبضة البنى التقليدية نظراً للسيرورات التاريخية التي عرفتها المنطقة. ومع ذلك ظهرت عند بني مزاب نخب سياسية عصرية لا يزال تأثيرها ضعيف جداً في الدولة الوطنية التي تفضل التعامل مع البنى التقليدية لضمان الاستقرار والتأييد لسياساتها. بينما بقيت النخب التقليدية (الأعيان وزعماء القبائل) في المجموعة التارقية بمثابة الفاعل السياسي والثقافي المحوري في الحياة السياسية الاجتماعية والثقافية.

أولاً : النخب التقليدية المزابية والتارقية

كانت المجموعة المزابية ولا تزال تعبر عن مطالبها السياسية الاجتماعية والثقافية تجاه الدولة، من خلال النخب التقليدية المنبثقة من التنظيم القبلي الاجتماعي (العوام) والنخب الممثلة للهيئة الدينية الإباضية (الإمامة) :

- الأعيان : وهم ممثلو العشائر والاعراش المنبثقين من التنظيم العشائري السياسي للمدن المزابية والمنضوين تحت مجلس باعبد الرحمان الكرتي، بالإضافة إلى رجال المال والأعمال الذين ازداد دورهم بشكل كبير منذ تحرير الاقتصاد الجزائري في بداية التسعينيات لانخراطهم في حركية المتعاملين الاقتصاديين على المستوى الوطني. وكان تعامل الأعيان واقعياً مع الحراك الأمازيغي الذي عرف بـ « إضراب المحفظة » سنة 1995/1994،

123. Taïeb Hafsi, Issad Rebrab, *voir grand, commencer petit et aller vite*, Casbah éditions, Alger, 2012.

124. Des travailleurs du groupe Cevital marchent à Béjaïa pour la levée des « blocages » à la réalisation d'une usine de trituration de graines oléagineuses. APS du Lundi, 03 Juillet 2017.

إذ اصدر المجلس الأعلى لقبائل مزاب في اكتوبر 1994 بيانا يعبر فيه عن موقف الجماعة المزابية، معترفا بشرعية المطلب ومناديا في الوقت ذاته بالحوار وتغليب المصلحة الوطنية لحل هذه المعضلة. كما شارك المجلس بعد ذلك في تعيين الأعضاء الممثلين لمزاب في المحافظة السامية للأمازيغية في جوان 1995، باختيار عضو يمثل الأعيان وعضوين يمثلان الكفاءات الجامعية.

- العزابة (اعزابن) : وهم رؤساء حلقة العزابة على مستوى المدن المزابية ورئيس مجلس آمي سعيد الفقهي على مستوى وادي مزاب. ويتمتعون بدور كبير في التفاوض والتواصل مع المؤسسات الرسمية الجزائرية في كل ما يتعلق بالمجال الديني والتربوي والتعليمي وتسيير الأوقاف. وتقتضي حالة الكتمان التي يوجد فيها الاباضية عدم اشتغال العزابة بالسياسة بل التفرغ للتربية والتعليم للمحافظة على العقيدة والمذهب الاباضي. وقد تبنت النخب التقليدية الحاكمة في الجماعة المزابية منذ إقرار التعددية الحزبية بموجب دستور 28 فيفري 1989 القوائم الحرة لولوج الحياة السياسية منذ الانتخابات التعددية الأولى في 12 جوان 1990، كخيار استراتيجي يعكس الحياد وعدم التبعية إلى أي حزب سياسي في المعارضة أو السلطة مما جعل غالبية المزابيين يصطفون ورائها باعتبارها تمثل الخصوصية المزابية. لكن رغم هيمنتها على الوعاء الانتخابي المزابي فإن النخب التقليدية تفقد أكثر فأكثر مصداقيتها لدى فئة الشباب المثقف بسبب مواقفها المرنة وحتى المداهنة تجاه أخطاء السلطة، مع أن هذه الأخيرة بقيت متمسك بها كواسطة بين الدولة والشعب. وأدّى هذا الصراع الجيلي إلى ظهور تيار راديكالي في الطرح والاداء السياسي في اوساط المناضلين السابقين للافافاس والارسيدي خصوصا من الشباب الجامعي الذي احتك بالاوساط السياسية القبائلية، والذي يرى في النخب التقليدية « أذرا السلطة » في المجتمع المزابي، ويدعو إلى التحرر من هيمنة السلطة والاعيان على السواء والتمرد عليهم من خلال خطاب سياسي مستوحى من الحركة الأمازيغية بمنطقة القبائل.

وفي المجموعة التارقية لا تزال مؤسسة الامانوكال المتكونة من زعماء القبائل والزعيم التقليدي للتوارق تمثل أهم نخبة تقليدية استطاعت أن تفرض نفسها كممثل وناطق بلسان المجموعة التارقية، رغم كل التحولات السياسية التي عرفتها المنطقة. وبخلاف النخب التقليدية المزابية التي تعبر عن نفسها في الفضاء السياسي عن طرق القائمة الحرة، فإن النخب التقليدية التارقية اندمجت في حزبي السلطة جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي كفضاء للتعبير عن مطالب المجموعة التارقية كما سلف الذكر. وذلك كنتيجة لسياسة المهادنة والإستيعاب التي انتهجتها السلطة حيال المؤسسات التقليدية الترقية، لأجل حلها بطريقة سلسة وتدرجية من جهة، ومن جهة أخرى لإدراك السلطة التقليدية لوضعية مكون التوارق كأقلية

لا تقوى على معارضة السلطة، مما جعلها تنتهج سياسة براغماتية تمثلت في العمل على الإنخراط في أحزاب السلطة.

ثانيا : النخب العصرية المزابية والتارقية

ظهرت نخب عصرية تزاحم النخب التقليدية في التعبير عن مطالب الجماعة لدى بني مزاب والتوارق، من خلال الممارسة السياسية الحديثة في اطار التعددية الحزبية. لكنها اكثر قوة وتنظيما وحركية لدى المزابين منها لدى التوارق. ويعود قلة أو حتى غياب النخب العصرية الحدائثة الحضرية التارقية إلى عدة عوامل، أهمها :

- التمدد المتأخر للتوارق الذي يرجع إلى سنوات الاستقلال. اما الدراسات الجامعية والعليا للتوارق فبدأت في الثمانينيات من القرن الماضي وليس قبل.

- نمط العيش البدوي لقسم هام من التوارق.

- حالة الأقلية التي يوجد فيها التوارق، بسبب الازدياد العددي للمجموعات الاخرى وانخراطها في سياسة المنطقة.

وظهرت النخب السياسية والثقافية والعلمية الحديثة الحاملة للمطلب الأمازيغي بوادي مزاب وازداد دورها على وجه الخصوص مع مطلع الألفية، رغم ضعف تأثيرها أمام هيمنة النخب التقليدية على توجيه الجماعة المزابية. ويمكن تصنيفها إلى نوعين :

- **النخب الثقافية والجموعية والعلمية** : وتتشكل من مثقفين لهم علاقة مباشرة بترقية وخدمة اللغة المزابية وهم المختصون في اللغة الأمازيغية من الجامعيين المتخرجين من أقسام اللغة الأمازيغية بجامعة تيزي وزو وبجاية والبويرة، وكذا شعراء اللغة المزابية، ويسعى هؤلاء إلى إحياء اللغة المزابية والمطالبة بتدريسها في المدارس الحرة الإباضية. وشكلت المهرجانات الثقافية مناسبة للقاء هؤلاء الفاعلين للنقاش حول وضع الأمازيغية في وادي مزاب ومستقبلها.

- **النخب السياسية والحزبية** : وتتشكل من خليط من بقايا حزب الدولة جبهة التحرير الوطني الحاكم لمدة ثلاث عقود، والمنتخبين في القوائم الحرة البلدية والولائية والوطنية، والنخبة الحدائثة الشابة المتكونة في غالبيتها من المنخرطين في الحزبين المصنفين كـ «ديمقراطيين علمانيين» المعارضين ذات الأغلبية القبائلية. هؤلاء هم الحاملون للمطلب الأمازيغي باعتباره قضية لغوية وثقافية ذات بعد وطني ومغربي. واستطاع المناضلون المزابيون الأوائل في حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية طرح المسألة الأمازيغية للنقاش العام لأول مرة في بداية التسعينيات بمناسبة الحملات الانتخابية، بالإضافة إلى إثارة النقاش حول قضايا محظورة مثل العلمانية وقداسية اللغة العربية، مواجهين معارضة شديدة من طرف الأوساط المحافظة، دون أن يتوصلوا إلى ترسيخ أي وجود فعلي لهم في الحياة السياسية المحلية. ومع ذلك تمكن مناضلو هذا الحزب بالفوز لأول مرة بأغلبية الأصوات ومُنصب رئيس بلدية بريان

في الانتخابات البلدية لسنة 2007. لكن سرعان ما تم سحب الثقة من رئيس البلدية نصر الدين حجاج بتاريخ 11 نوفمبر 2007 بواسطة مناورات أحزاب السلطة في تغيير الأغلبية السياسية في المجلس، ومن خلال اجراءات يراها الارسيدي « خرقا وانتهاكا واضحا لقانون البلدية وبتدخل من والي الولاية »¹²⁵. وقد تم اعتقال نفس رئيس البلدية اثر احداث 2013-2015 بتهم تتعلق بالامن العام للدولة.

ومنذ مطلع الألفية تمكن حزب جبهة القوى الاشتراكية (الافافاس) من تشكيل نواة نضالية قوية بغرداية، استطاعت أن تفوز بمقاعد في المجلس الشعبي البلدي والولائي. غير أن المطلب الأمازيغي لم يكن يمثل الأولوية في برنامجه الذي يركز أساسا على معارضة السلطة وممارساتها على المستوى المحلي. بحيث جعل مناضلو هذا الحزب يدخلون في أحيان كثيرة في تصادم مع النخب التقليدية التي تحاول تسوية هذه القضايا بشكل هادئ في علاقاتها المصلحية مع النظام. وسرعان ما حدثت انشقاقات بين جماعة من هؤلاء المناضلين المزاييين والقيادة الوطنية للحزب بسبب الاختلاف في أولويات النضال وطرقه، وكان الدكتور كمال الدين فخار (طبيب ممارس) عضو المكتب الوطني للحزب ممثل هذا التوجه إلى الاستقلالية من هيمنة الحزب الذي لا يسمح بالحرك النضالي الحر للدفاع عن مطالب المجموعة المزايية بقدر اهتمامه بالاستحقاقات الانتخابية والقضايا الوطنية.

وخلافا للفاعلين السياسيين والحزبيين المنتمين للأحزاب السياسية فإن المنتخبين الممثلين للقوائم الحرة التي يقترحها ويزكيها الأعيان والتي تسيطر على المجالس البلدية والمجلس الولائي وحصة ولاية غرداية في البرلمان، يعتبرون جزءا من النخب التقليدية، طالما انهم أعضاء في مجلس باعبد الرحمان الكرتي (المجلس القبلي لبني مزاب)، ويخضعون إلى توجيهات المجلس ومسائلته. ولعل أفضل مثال على هيمنة النخب التقليدية على الحياة السياسية هو الانتخابات التشريعية لـ4 ماي 2017، إذ نلاحظ ترشح 10 قوائم حزبية و7 قوائم حرة لشغل 5 مقاعد في البرلمان. وتصنيف هذه الترشيحات حسب المعطى الطائفي، نجد 5 قوائم حرة تابعة للمزاييين و2 قائمتين تابعة للناطقين بالعربية. ومن جملة القوائم الحرة للمزاييين توجد ثلاث قوائم منبثقة من المؤسسات العرفية المهيمنة على الوعاء الانتخابي المزايي، بينما تشكلت قائمتين حرتين بمبادرات شخصية خارج إطار النخب التقليدية. ومن جملة القوائم الحزبية نجد ثلاث قوائم يرأسها مزاييون من النخب العصرية. وأبرزت الانتخابات عن فوز القوائم الثلاث الحرة المنبثقة من الأعيان والنخب التقليدية بالوعاء الانتخابي للسكان المزاييين وقائمتين تابعتين للسكان الناطقين بالعربية قائمة جبهة التحرير الوطني، وقائمة حرة.¹²⁶

125. <https://lavoixdalgerie.com/evenements-de-ghardaia-nacer-eddine-hadjadj-ex-maire-rcd-de-berriane-libere/>

126. تنظر نتائج الانتخابات التشريعية لـ4 ماي 2017 : المجلس الدستوري الجزائري [conseil constitutionnel] [algerien.org]

وتبين هذه النتائج مدى قوة النخب التقليدية في تعبئة والتنظيم والتوجيه السياسي في المجتمع المزايي، وفشل الأحزاب السياسية والنخب الحداثية في جذب الناخبين المزايين، رغم محاولات تكييف خطاباتها الوطنية مع مطالب الجماعة المزايية حسب ما لوحظ في الحملة الانتخابية.

أما النخب التارقية فهي في عامتها نخب متوسطة التكوين تخرجت من المدارس الجزائرية في العشرية الأخيرة. وتمثل كل من السيدة تاقابو عائشة الوزيرة المنتدبة للسياسة (2015-2017) في حكومة عبد المالك سلال، ثم مرموري حسن، الوزير الحالي للسياسة 2018، الاستثناء الوحيد للنخب التارقية التي استطاعت اختراق السلطة التنفيذية المركزية. كما تغيب النخب الصناعية بسبب انعدام الصناعة لصالح التجارة الصحراوية، في انتظار انجاز برامج التنمية الضخمة المخصصة للجنوب الكبير. ويمكن تصنيف هذه النخب المتوسطة في الآتي :

- أعوان السياحة والمقاولون.
- المدرسون في المركز الجامعي لتمنراست، بينما لا يوجد لحد الان في المركز الجامعي لاييزي أي مدرس محلي.
- منشطو الجمعيات الثقافية والرياضية.
- المنتخبون المحليون والإعلاميون.

وقد قمنا باستبيان لدى هؤلاء حول تعليم الأمازيغية، أحد المطالب الأساسية للحركة الأمازيغية في الشمال، فتبين أن 70% من هؤلاء مؤيدون لتعليم اللغة التارقية « تامهاغت » فقط في مدارس المنطقة. ويعكس ذلك البعد الضيق لمفهوم الأمازيغية لديهم كلغة محلية خاصة بالتوارق، وانتفاء البعد الوطني للمسألة في تمثلاتهم.

المطلب الرابع: أشكال التعبير عن المسألة الأمازيغية

يتميز المطلب الأمازيغي في الجزائر عن غيره من المناطق الأمازيغية بالشمال الإفريقي بغلبة الطابع السياسي والتحامه بالمطلب الديمقراطي الحداثي والنضال النقابي في مواجهة النظام الأحادي السياسي والحركات الإسلامية على السواء. ويتجلى ذلك في منطقة القبائل مركز النضال الأمازيغي، بينما نلاحظ اقتصار الأمازيغية بصفة عامة على النشاط الثقافي واللغوي في منطقتي وادي مزاب والتوارق.

الفرع الأول: التعبير النقابي

نلاحظ امتزاج كبير بين النضال من أجل الامازيغية والنضال السياسي والنقابي بمنطقة القبائل بسبب تغلغل مناضلو الحركة البربرية في الحركة النقابية والعكس منذ نهاية الثمانينات بالإضافة إلى الحركة الجمعوية بمنطقة القبائل والمدن الكبرى ذات

التواجد القبائلي كالعاصمة ووهران. فقد عرفت منطقة القبائل تحولات هامة في نمط العيش بفضل ظهور طبقة أجيحة تكونت سنوات السبعينات وبداية الثمانيات بعد انطلاق مشاريع تنموية وصناعية هامة، وما صاحبه من تطور في مجال الصحة والتربية و الإدارة والنقل، وانخرطت في العمل النقابي طبقة أجيحة فتية اتخذت مواقف غالبا ما كانت مغايرة لتوجهات المركزية النقابية، خاصة بعد أحداث أفريل 1980، أين لعب النقابيون أدوارا هامة في مساندة المتظاهرين وتأطير الحركة الثقافية الأمازيغية، ما أعطي للحركة النقابية بالمنطقة هوية مميزة مقارنة بالحركة النقابية في الجهات الأخرى بالوطن، فالهياكل النقابية بالمنطقة «تحولت إلى فاعل رئيسي سياسي وقطب للمجتمع المدني بالتحالف مع جمعيات مختلفة أخرى نسائية وثقافية وسياسية، وهو ما أعطى لدورها أبعادا هامة بإخراجها من قوقعتها الاقتصادية المسيطرة عليها وطنيا»¹²⁷. كما ساهم نقابيو المنطقة في خلق وتفعيل المنظمات النقابية المستقلة بعد إصدار القانون 90-14 الذي فتح الباب للتعددية النقابية في الجزائر، كنقابة UDT في مصنع ENIEM، نقابة عمال الغاز، نقابة عمال التربية والتكوين، المجلس الوطني لأساتذة التعليم العالي (CNES)، السناباب... الخ. كما «احتلت وولاياتي بجاية وتزي وزو عاصمتي الحركة البربرية. المربتين الأولى والثانية وطنيا في عدد الإضرابات لمدة أربع سنوات (91-94) وهي فترة انتعاش كبير للحركة الاجتماعية بمختلف مكوناتها»¹²⁸. وأكثر من ذلك شاركت القيادات النقابية المحلية بقوة في بناء ودعم كل الحركات الشعبية التي عرفت المنطقة كحركة المواطنة سنة 2001 والتنسيقية الوطنية من أجل التغيير الديمقراطي التي أنشأت في سياق حراك الربيع العربي سنة 2011. وفي السنوات الأخيرة باتت منطقة القبائل ملجأ لكل النقابات المناضلة لتنظيم المسيرات الاحتجاجات هروبا من قمع السلطة مثل مسيرة أول ماي 2017 التي نادى إليها تنسيقية النقابات المستقلة.

الفرع الثاني : التعبير السياسي

أولا : الحزب كوسيلة للتعبير

عرفت منطقة القبائل عدة أنواع من التنظيمات العصرية مثل الحزب السياسي والنقابة والجمعية منذ العهد الاستعماري لاسيما في المهجر بعد الحرب العالمية الثانية. فأبناء المنطقة كانوا من أوائل المنخرطين في أحزاب الحركة الوطنية مثل حزب نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجماعة التحرير الوطني، إضافة إلى التنظيمات السرية المعارضة بعد الاستقلال. فبد تجربة انتفاضة 1963

127. ناصر جاي، الجزائر، من الحركة العمالية إلى الحركات الاجتماعية، ص. 105.

128. نفس المرجع، ص. 104.

شكل حزبا جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديموقراطية الملقبان بـ «الأحزاب القبائلية» إطارا للتعبير السياسي عن انشغالات المنطقة وتكوين النخب السياسية التي اندمج قسم منها في أجهزة السلطة المركزية. كما يلاحظ انخراط أبناء المنطقة في أغلب الأحزاب المتواجدة على المستوى الوطني، بحيث وصل الكثير منهم إلى المناصب القيادية والتمثيلية.

ثانيا : هل تنتخب منطقة القبائل على أساس جهوي

يعد من الصعب تحليل السلوك الانتخابي للناخبين في منطقة القبائل بتعمق بسبب عدم وجود دراسات جادة لهذه الظاهرة. ولكن المنطقة معروفة بتحقيق أعلى معدل من الامتناع عن التصويت على المستوى الوطني، وذلك منذ ظهور التعددية السياسية. وقد سجلت المنطقة ادنى مستوى للمشاركة الانتخابية في اوج تمرداتها في الانتخابات التشريعية لسنة 2002 استجابة لدعوة حركة العروش والمواطنة وكذا الأحزاب الفاعلة بالمنطقة حيث لم تتخطى نسبة المشاركة 2% من الهيئة الناخبة، بسبب منع الحملة والعملية الانتخابية. المنطقة سجلت في أوج الأزمة الأمنية التي عرفتها الجزائر نسب عالية في الانتخابات الرئاسية لسنة 1995 (63.82%) التي شارك فيها مرشح حزب التجمع سعيد سعدي والانتخابات التشريعية لسنة 1997 (52.35%) التي حصد فيها الحزبان أغلبية المقاعد.

والملاحظ في خطاب الحملة الانتخابية للتشريعية الأخيرة لـ 4 ماي 2017 استمرار استخدام المطلب الأمازيغي كعامل للتعبئة، إضافة إلى مسألة عرقلة التنمية بالمنطقة من طرف السلطة المركزية. ومع ذلك نلاحظ من خلال نتائج الانتخابات، تقهقرا واضحا للحزبان « البربريين » الذين حملوا المطلب الأمازيغي منذ 17 سنة، حيث حصل كل من الحزبان في تيزي وزو على 4 مقاعد لكل حزب من جملة 15 مقعد، بينما تحصل حزب التجمع الوطني الديموقراطي على 02 مقاعد بـ 127 صوت وحزب جبهة التحرير الوطني على 02 مقاعد بـ 889 صوت. وإذا جمعنا أصوات أحزاب التحالف الرئاسي (RND-FLN)، نجد أن هذين الحزبان تحصلا على أصوات أكثر من الحزب الذي يحتل الصدارة في الجهة. أما في ولاية بجاية حصلت جبهة القوى الاشتراكية على 4 مقاعد، والتجمع من أجل الثقافة والديموقراطية على 2 مقاعد، مثله مثل حزب جبهة التحرير الوطني الذي جاء في المرتبة الثانية من حيث عدد الأصوات المعبر عليها، وهذا لأول مرة في منذ إقرار التعددية في 1988. وهكذا تدل نتائج انتخابات 4 ماي 2017، بالرغم من نسبة المشاركة الضئيلة (17.40% بتيزي وزو، و18.47% ببجاية) على تقهقر الحزبان رغم مشاركتهما في المنافسة الانتخابية. ولعل ذلك يدل على المطلب الأمازيغي لم يعد فعالا في التعبئة الشعبية في المنطقة ودخول هاته الأحزاب في أزمة هيكلية. وهذه الانتخابات أفصحت عن تغير نسبي في الخريطة السياسية

في منطقة القبائل. هذا ما لاحظناه أيضا من خلال نتائج الانتخابات المحلية لسنة 2017 حيث لم تتغير بصورة معتبرة موازين القوى بين الأحزاب سواء كانت معارضة أو موالية للسلطة. بالعكس حزبي الأفافاس والأرسدي فقدما المدن الكبرى في منطقة القبائل، سواء من حيث عدد الأصوات أو المقاعد وهذا لفائدة احزاب السلطة أو الأحرار. أما في ولاية البويرة سيطر منتخبون ينتمون إلى الجهة الناطقة الأمازيغية على المجلس الولائي من خلال تحالف حزبي الأفافاس وحزب الأرندي الذي يتأسسه رئيس الحكومة الحالي، أحمد أويحيى. وحسب مصادرها أيضا أن معظم المسؤولين المحليين والأمنيين في ولاية البويرة ناطقون بالأمازيغية بما يوحي أنه توجه أخذ على المستوى المركزي من أجل تخفيض التوتر وكسب قواعد جديدة.

ثالثا : القائمة الحرة كوسيلة للتعبير عن الخصوصية المزابية

اتجه المزابيون منذ الانتخابات التعددية الأولى سنة 1990 إلى تبني القائمة الحرة كمعبر عن الجماعة المزابية وخصوصياتها، سواء في الانتخابات المحلية في البلديات الخمس ذات الأغلبية المزابية في ولاية غرداية أو في مختلف الانتخابات التشريعية.¹²⁹ إلى جانب ذلك انخرط المزابيون كفرادى في مختلف الأحزاب السياسية لاسيما حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم. وكان للمزابيين المنخرطين في الحزبين المعارضين المؤسسين بمنطقة القبائل أثرا مباشرا في المطالب الأمازيغي بالمنطقة، وهما : « التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية » منذ بداية من التسعينيات والذي تمكن من الفوز بأغلبية المقاعد في بلدية بريان سنة 2007 لفترة وجيزة، وحزب القوى الاشتراكية الذي جذب إليه منذ بداية الألفية قسم معتبر من الشباب الناقم على سياسة السلطة وأجهزتها المحلية وعلى تسيير الأعيان لشؤون الجماعة لاسيما في مدينة غرداية والتي رؤوا فيهم امتدادات للسلطة.

ونتج عن الاحتكاك السياسي للنخب الشابة المتعلمة من المنخرطين في هذين الحزبين ظهور عدة حركات سياسية مزابية معارضة للسلطة وممارساتها وكذا الأعيان باعتبارهم من « أذيال السلطة المحليين ». وتتميز هذه الحركات بطابع حدائي للدفاع عن حقوق الإنسان ومطالب سكان المنطقة المزابيين والعرب على السواء، بتبني أساليب الاحتجاج الديموقراطي السائدة في منطقة القبائل، مثال ذلك فرع منظمة العفو الدولية بغرداية، وحركة الحكم الذاتي لمزاب، وجمعية تيفاوت، وجمعية ازمولن، الخ. غير أنه ظهر من جهة أخرى توجه منتقد للسياسة اللغوية للدولة لترقية الأمازيغية، يمثلها الأستاذ حواش

129. حول طريقة تشكيل القوائم الحرة في مزاب في أولى انتخابات تعددية في الجزائر، انظر مذكرة الماجستير في القانون الإداري التي انجزناها : المؤسسات التقليدية العرفية في وادي مزاب، دراسة حول الشورى والديموقراطية وتطبيقها في هذه المؤسسات، ماجستير في الإدارة والمالية، إشراف د. محمد ابراهيمي، كلية الحقوق والعلوم الإدارية، بن عكنون، الجزائر، 1995.

عمر الخبير السوسيواقتصادي والروائي المزابي المستقر في كندا، الذي يدعو إلى اعتماد اللغة العربية الدارجة كلغة وطنية مشتركة بين الجزائريين.¹³⁰

1 - ظهور الأشكال الجديدة التعبير السياسي لدى المزابيين

تبنت الحركات المطالبة الجديدة بوادي مزاب التي ولدها هذا الاحتكاك بالأحزاب والحركات السياسية المعارضة بمنطقة القبائل طرقا وأشكال احتجاجية جديدة لم تكن معروفة من قبل من طرف المزابيين الذين ألفوا تميرير مطالبهم من خلال القنوات غير الرسمية بشكل سلمي وهادئ بعيدا عن الظهور الإعلامي، واستطاعت النخبة النضالية لحزب الإفافاس من إدخال طرق الاحتجاج الديموقراطية العصرية التي لم تكن معروفة في المنطقة كالتجمعات الاحتجاجية وقطع الطرق والإضرابات والووائح الاحتجاجية، الخ. هذه الاحتجاجات التي عرفتها غرداية عاصمة الولاية أواخر العشرية الأولى من الألفية (2006-2012) كانت في الغالب تتم من طرف المزابيين بلباسهم القومي كتعبير عن مطالب الجماعة المزابية رغم كون المطالب عامة في مضمونها تعني كافة المواطنين في الولاية، مما جعلها موضع شجب من قبل أغلبية المزابيين الذين يرون فيها استفزازا للدولة يلحق اضرار المزابيين، ومسا بالأمن العام وخروجاً عن تقاليد المزابيين. هذه الطرق الاحتجاجية الجديدة ظهرت بوجه خاص في كل من غرداية وبريان المعروفة بتواجد الاحياء المختلطة بين المزابيين والناطقين بالعربية، واحتدام الصراع الطائفي، وأهمها :

- الوقفات الاحتجاجية للتنديد بقرارات السلطة كالذي وقع خلال عيد الزبزية في مارس 2013، وقطع الطرق، والمناوشات مع رجال الأمن، الخ. كما حدث في العشرية الأولى للألفية.

- الوقفات الاحتجاجية بالجزائر العاصمة لإبلاغ صوت الجماعة المزابية إلى الرأي العام الوطني والدولي لمطالبة الدولة بالقيام بواجباتها في استتباب الأمن وحماية الأشخاص والأموال ومعاينة المجرمين، كالوقفات التي قام بها آلاف المزابيين أمام دار الصحافة بالعاصمة سنة 2015 لاسيما وقفة 14 جويلية إثر مجزرة قرارة التي قتل فيها أكثر من 20 مزابيا.

- إصدار البيانات التنديدية ونشرها عبر الانترنت والإعلام، لاسيما الجريدة الالكترونية siwel.com الناطق الرسمي باسم حركة الحكم الذاتي لمنطقة القبائل التي تعتبر منبرا لهذا الحراك بالخارج. ومثال ذلك الرسالة دعوة النجدة التي بعثها كمال الدين فخار إلى محكمة العدل الدولية والرأي العام الدولي حول مجزرة قرارة بتاريخ 7 جويلية 2015، (SIWEL 081543 JUIL 15) والرسالة التي بعثتها حركة الحكم

130. Omar Houache, *Citoyen, quel langue parles-tu ? , Je parle algérien !*, éditions Sédia, Alger, 2015, p.115.

الذاتي لمزاب إلى رئيس الدولة عبدالعزيز بوتفليقة بتاريخ 29 غشت 2016 انطلاقاً من المغرب¹³¹، والرسالة التي بعثتها الحركة إلى الأمم المتحدة لحماية الشعب المزاي بتاريخ 24 افريل 2016، والتقرير المفصل عن أحداث مزاب ما بين 2013-2015 الذي بعثته نفس الحركة إلى الأمين العام للأمم المتحدة بان كيمون بتاريخ 24 افريل 2016، ثم الجمعية الثامنة للمؤتمر الأمازيغي العالمي بإفران بالمغرب بتاريخ 28 نوفمبر 2015.¹³²

- إشتراك عائلات المعتقلين في الاحتجاج السلمي كما حدث لأول مرة بتاريخ 29 افريل 2017 أمام دار الصحافة بالعاصمة للمطالبة بإطلاق سراح المساجين السياسيين المزايين والذي تم تفريقه من طرف الشرطة.¹³³

- انفلات بعض الشباب من سلطة الأعيان بلجوئهم إلى العنف كوسيلة للتأثر من اعتداءات الناطقين بالعربية بعد مقتل مزايين وجرح العشرات ونهب وحرق مساكن ومتاجر المزايين، أمام عدم تدخل أجهزة الأمن لحماية المزايين بالشكل الكافي، والذي فسر كتحيث اثني وعنصري-مذهبي من طرفهم إلى جانب الناطقين بالعربية.

2 - تطور مواضيع المطالب للحراك الجديد لدى المزايين

أدى الحراك السياسي المزاي في العشرية الثانية من الألفية إلى تطور واضح لمطالب الجماعة المزابية التقليدية إلى مطالب جديدة ذات طابع سياسي وعلمي حملتها هذه المنظمات. هذه المطالب التي لم يثبت إن كانت الأغلبية الساحقة للمزايين تؤمن بها أم لا، تتعلق بحقوق "الأقلية المزابية" والاعتراف بخصوصياتها الدينية بشكل رسمي وقانوني مثل المذهب الإباضي و"الحكم الذاتي" الخ، كما تنادي بذلك بعض النخب والفاعلين الخ، وهي :

- مطالب دستورية كالاعتراف الرسمي الدستوري بالمذهب الإباضي (2006) التي رفعها كمال الدين فخار ممثل الفرع المحلي للرابطة الوطنية لحقوق الإنسان، والمطالبة بالحكم الذاتي للجماعة المزابية من طرف حركة الحكم الذاتي التي أنشئت سنة 2014.

- مطالب اجتماعية مثل مسألة المشاريع الاقتصادية والسكنية في المناطق المزابية مشروع تهيئة مجرى وادي مزاب،مسألة أراضي العرش، ومعالجة آثار فيضانات 2008، الخ،

131. www.siwel.com

132. « Rapport sur la situation dramatique des Amazighs (berbères) du M'Zab en Algérie », ASSEMBLEE MONDIALE AMAZIGHE (asbl) Rapport réalisé par Khodir Skouti, président délégué pour l'Algérie de l'Assemblée Mondiale Amazighe (AMA-Algérie) en collaboration avec le Mouvement pour l'Autonomie du Mzab (MAM), et présenté à la huitième assemblée générale des Amazighs du monde, à la ville d'Ifrane du Moyen Atlas, le 28 novembre 2015/2965.

133. Mohammed Dabouz, Association izmulen, *La police algérienne en grand renfort a dispersé les femmes et les enfants des détenus mzabs en les menaçant*, in www.tamurt.com

- مطالب سياسية مثل الدعوة التي وجهها كمال الدين فخار بتاريخ 8 جويليت 2015 للأمم المتحدة للتدخل لحماية المزابيين مما يتعرضون له من « الإبادة العرقية » من طرف السلطة والجماعات الإجرامية،¹³⁴ بعد الاعتداءات المتكررة التي استهدفتهم ما بين نوفمبر 2013 وجويليت 2015 والتي راح ضحيتها 44 قتيل منهم 35 مزابي كان آخرها مجزرة قرارة في 7 جويليت 2015 أين قتلت الجماعات المحسوبة على السكان الناطقين بالعربية بالسلاح الناري 23 مزابي دون أي تدخل للشرطة، ونهبت وحرقت مئات متاجر المزابيين ومنازلهم.¹³⁵ وقد نددت كل البيانات التي صدرت من الحراك المزابي بـ « تواطؤ أجهزة الأمن » من شرطة ودرك مع المعتدين مستندة إلى فيديوهات تدعم اقوالهم.

- قضايا حقوق الإنسان والتعذيب والاعتقال التعسفي للمزابيينفي السجون دون محاكمة، حيث أثار ذلك تعبئة كبيرة للمناضلين الحداثيين المدافعين عن الحكم الذاتي الناشطين في صفوف حركة فخار والذين غادر اغلبهم إلى فرنسا والمغرب بعد صدور أوامر بالبحث والقبض عليهم، حيث رؤوا في هذه الإجراءات خرقا للقوانين طالما أن اغلب هؤلاء المساجين كان يدافع عن منزله وأمواله وحرمته وان الاتهامات الموجهة لهم ملفقة وتهدف إلى تصفية حسابات سياسية. وسانددت هذه المطالب جمعيات الحراك الأمازيغي في المهجر والرابطة الوطنية للدفاع عن حقوق الإنسان في الجزائر لرئيسها صالح دبور الذي ينتمي إلى الجماعة المزابية. ومن جهة اخرى تحولت القضية الأمازيغية إلى موضوع للصراع بين الدول الوطنية في المنطقة لاسيما بين المغرب والجزائر. كما انتقلت المسألة إلى النقاش في المنظمات الدولية، بحيث قدمت الجزائر تقريراً مفصلاً يتضمن نظرتها للأمازيغية أمام الدورة 94 للجنة مكافحة التمييز العنصري التابعة للأمم المتحدة بتاريخ 12 ديسمبر 2017.¹³⁶

الفرع الثالث : النظم القبلية كوسيلة للتعبئة

إن كانت الحركة الأمازيغية استطاعت الحفاظ على طابعها السلمي فإن حركة العروش والمواطنة لسنة 2001 ظهرت في شكل راديكالي نادر عبّر فيه الشباب عن تدمرهم من الوضع السياسي الاجتماعي القائم، متحررين على السواء من سلطة الدولة وسلطة اللجة القروية والحي وحتى السلطة الأبوية. وتجسد ذلك من خلال المصادمات العنيفة مع قوات الأمن والدرك وقطع الطرقات. غير أن هذه الحركة العنيفة

134. Nouveau SOS du Dr. Kameleddine Fekhar, *Au M'zab... c'est le génocide!!*, in *SIWEL.com*, le 08/07/2015.

135. F. Sofiane, *Réunion d'urgence à la Présidence après la mort de 23 personnes à Ghardaïa ASSEZ DE SANG !!*, in *Le Jeune Indépendant*, n°5218, jeudi 9 juillet 2015, p.4.

136. خالد بودية، الجزائر تقدم تقريرها حول التمييز العنصري أمام الأمم المتحدة، الأمازيغية ليست رهينة لمنطقة معينة، الخبر، جريدة وطنية اخبارية، 12 ديسمبر 2017، السنة 28، العدد 8717، ص. 2.

استطاعت لاحقا أن تنتظم في شكل تمثيلي على أسس جديدة في شكل تنسيقيات تضم مختلف الفئات من طلبة وتجار وموظفون ومهنيون وأحرار وفلاحين وبطالين، متخلين عن هوياتهم المهنية لصالح المطالب الجماعية للحركة. أما البورجوازية المحلية القبائلية فقد لعبت دورا مزدوجا: فمن جهة قدمت الدعم المالي لأنشطة الحركة والتنسيقيات المرتبطة بها، ومن جهة أخرى حافظت على تواصلها مع السلطة حفاظا على مصالحها.

فبالإضافة إلى النقائص التي تحد من فاعلية النخبة المتولدة عن حركة 2001 فإن التناقضات التي شهدتها هذه الحركة لاسيما إقصاء القاعدة من الشباب والنساء، واحتكار اتخاذ القرارات من طرف النخبة المسيرة، وجمودها في مطالبها «الغير قابلة للتفاوض»، أدى بها إلى طريق مسدود¹³⁷. وبالفعل فقد عمدت الحركة إلى إقصاء أهم الفاعلين من صفوفها لصالح ممثلي القرى والأحياء والدوائر، مثل الطلبة والتجار والجمعيات النسوية؛ مما حرمها من رأسمال كبير من التجربة السياسية ومن إلقاء جسور مع المناطق والقوى الاجتماعية الأخرى في الوطن، وأوصلها في النهاية إلى وضع أصبحت فيه مقطوعة عن القاعدة النضالية التي تعبت من تكاليف نضال دون أفق.

ونلاحظ في الحالة التارقية عدم ظهور أي حركة مطلبية سياسية تعبر عن مطالب المجموعة التارقية، كمجموعة خاصة تحمل خصوصيات لغوية وثقافية. ولعل سبب ذلك هو نجاح السلطة المركزية في ادماج الزعامة التقليدية في النسيج المؤسسي من خلال البرلمان، وسيطرة كاملة للأحزاب السياسية، وحزب جبهة التحرير الوطني على الخصوص، على الحياة السياسية المحلية. إذ باستثناء هذا الحزب، فإن الأحزاب السياسية الأخرى لا تنشط إلا خلال الحملات الانتخابية، كما أن خطاباتها غير مستوعبة محليا. فخلال الحملة الانتخابية لتشريعات 4 ماي 2017 نلاحظ عدم وجود أي حيز للثقافة التارقية في برامج القوائم 21 المتنافسة على 5 مقاعد بالبرلمان. مع أنه تم التعرض لعدة مواضيع محلية مثل غلق الحدود مع الدول المجاورة لأسباب أمنية، وما ينتج منه من تقييد حرية التبادلات التجارية والمقايضة وحركة السكان. أما حركة «مافرات» كما رأينا، فلم تستطع، لأسباب موضوعية عديدة، تحقيق تعبئة شعبية قوية لحمل مطالب المجموعات التارقية السياسية الاجتماعية الاقتصادية على المستوى الجهوي والوطني، لتكون مفاوضا حقيقيا مع السلطة المركزية. إذ يفضل المشتغلين بالسياسة من التوارق تمرير مطالب التوارق عبر الأحزاب السياسية الحاضرة بقوة بالمنطقة.

الفرع الرابع: التعبير الثقافي والفني

عرفت منطقة القبائل بنضالها اللغوي والثقافي لإحياء وبعث ثقافتها الشفوية وأرضية خصبة للعمل الثقافي خاصة في مجال الأغنية. وساعدت التقنيات الحديثة على تداول الأغنية

137. Mohamed Brahim Salhi, *Algérie Citoyenneté et Identité*, éditions Achab, Algérie, 2010, p.185.

في الأوساط الشعبية في المدن أو القرى وفي المهجر. ولازالت الأغنية القبائلية خاصة العصرية منها أهم وسيلة للنقد السياسي الحر والتعبير عن مطالب المجتمع القبائلي. وظهرت منذ الثمانينيات العشرات من الوجوه والفرق ووالمغنيين الذين حملوا على عاتقهم العمل التوعوي وحشد الجماهير من أجل الالتفاف حول القضية الأمازيغية. وتحول بعض هؤلاء إلى رموز الحركة البربرية أمثال فرحات إيمازيغن إيمولا، أيدير، آيت منقلات ومعطوب الوناس. وقد حضي هؤلاء بشعبية لا تستهان بها، والدليل على ذلك الحركة الإحتجاجية العارمة التي تلت اغتيال المطرب معطوب الوناس يوم 25 جوان 1998. كما يمثل النشاط المسرحي إحدى وسائل التعبير المطربي الأمازيغي الهامة، بفضل النشاط الكثيف لعدد هام من الفرق المسرحية الملتزمة التي ساهمت بفعالية في تجدر المطلب الأمازيغي وإثراء الثقافة الأمازيغية. إثراء شمل كذلك الجانب الأدبي من روايات وحتى اقتباسات من التراث العالمي. ومن جهتها عمدت السلطة على استمالة هذه الرموز الثقافية لتميع صورتها لدى أبناء المنطقة ودعوتهم لأحياء بعض النشاطات الثقافية مثل المغني آيت منقلات وأخيرا أيدير بعد أن قاطع الغناء في الجزائر لمدة 38 سنة. ليقوم الرئيس بوتفليقة في أوت 2018 بالاعلان عن تمويل متحف للفنان معطوب الوناس في نفس السياق.

أولا : الجمعية كوسيلة لإحياء اللغة والتراث الأمازيغي

تشكل الجمعية الوسيلة المفضلة لأغلب مناضلي المسألة الأمازيغية للتحسيس الجماهيري والقيام بانشطة ترقية اللغة والثقافة الأمازيغية، كما كانت دائما الفضاء الأول في مسيرة مختلف الفاعلين الثقافيين والسياسيين في المناطق الثلاث. وإذا اعتمدنا على الاحصائيات المتعلقة بالجمعيات الأمازيغية في الجزائر لسنة 2000،¹³⁸ نجد أن 610 من الجمعيات تقع بمنطقة القبائل او انشئها الفاعلون القبائليون مقسمة على التوالي : تيزي وزو 477 جمعية، بجاية 11 جمعية، البويرة 20 جمعية، الجزائر العاصمة 102 جمعية ينشطها قبائليون، وهو ما يمثل 87% من الجمعيات الأمازيغية البالغ عددها 701 على المستوى الوطني. وبالرغم من كون تعبير التوارق على أنفسهم من خلال لغتهم تاماشغت التي يعتبرها العديد من المختصين من التغييرات اللغوية الأمازيغية التي حافظت بقدر كبير على الرصيد اللغوي الأمازيغي، شجع على تزايد اهتمامهم بالمسألة الأمازيغية في جانبها الثقافي، الا أن منطقة التوارق لا تضم سوى 13 جمعية أمازيغية منها 10 بولاية الليزي و3 بولاية تمنراست، إذ أن أغلبية الجمعيات الـ500 المسجلة على مستوى ولاية تمنراست ذات طابع ثقافي وديني.

138. المحافظة السامية للأمازيغية، الدليل الوطني الأول للجمعيات الثقافية الأمازيغية، جانفي 2000.

وفي وادي مزاب أحصينا حوالي 29 جمعية أمازيغية من جملة 105 جمعية ثقافية تراثية تضمها ولاية غرداية، وهو ما يمثل 27.5%¹³⁹ والملاحظ أن أغلب الجمعيات الثقافية تحمل أسماء عربية مع أن من بين أهدافها ونشاطاتها الأساسية إحياء التراث الأمازيغي وتطويره ونشره.¹⁴⁰ وعرفت التسعينيات حركية لبعث البعد الأمازيغي للهوية المزابية من خلال الجمعيات الأمازيغية مثل جمعيات أوقرينت « الخضراء » بيريان، وإموان « المستقلين » ببني يزقن، وإزلوان ن مزاب « أهازيج مزاب »، إزوران نوغلان « جذور الوطن » بالجزائر العاصمة، الخ. بحيث نظمت عدة نشاطات ثقافية بالمنطقة مثل مهرجان الشعر المزابي (1998 و2002) ومهرجان الأغنية المزابية (منذ 2009 إلى اليوم) وملتقيات وأيام دراسية حول الهندسة المعمارية وتعليم اللغة المزابية، والاحتفال الرسمي بيناير بغرداية سنة 2010، الخ.

جدول (5) الجمعيات الأمازيغية بالمناطق المدروسة

الولايات التي تتضمنها المناطق الثلاث	عدد الجمعيات الأمازيغية	النسبة
تيزي وزو	477	73.1 %
بجاية	11	1.6 %
البويرة	20	3 %
الجزائر العاصمة	102	15.6 %
غرداية	29	4.4 %
تمنراست	3	0.4 %
الليزي	10	1.5 %

ثانيا : الأغنية كأقوى تعبير عن الهوية الأمازيغية

تتمثل أهم وسائل تعبير الحركة الأمازيغية في الأغنية السياسية الملتزمة التي كانت وسيلة التعبير المفضلة للتعبير عن الخصوصية اللغوية والثقافية والاجتماعية الأمازيغية، كما تشكل عاملا محوريا في التحسيس بالقضية الأمازيغية ومطالب الأمازيغ منذ بداية القرن العشرين بمنطقة القبائل.¹⁴¹ ويحتل المغنون في المجتمع القبائلي مركزا مرموقا يضاها مركز رجال السياسة والدين، بسبب دورهم الفعال في صنع الرأي العام والدفاع عن قضايا الجماعة. وفي وادي مزاب انتعشت الساحة الفنية والغنائية منذ السبعينيات بإنشاء عدة فرق صوتية إنشادية باللغة المزابية لتنشيط حفلات

139. مديرية الثقافة لولاية غرداية، قائمة الجمعيات الثقافية على مستوى ولاية غرداية، 2017.

140. من بين 29 جمعية أمازيغية تنشط بولاية غرداية نجد عشرة فقط تحمل تسميات أمازيغية.

141. Moh Cherbi, Arezki Kouas, *Chanson kabyle et identité berbère, L'œuvre de Lounis Aït Menguellet*, EDIF 2001, paris, pp. 29 et S.

الأعراس والمهرجانات، استطاعت أن تحيي رصيда هاما من الأهازيج التراثية البربرية القديمة الآية للزوال، كما أصبحت تمثل المزابيين في مختلف اللقاءات والمهرجانات الغنائية، مثل فرقة البلابل الرستمية لوادي مزاب وفرقة ازلوان نمزاب مؤخرًا، ومنذ الثمانينيات برز عدة مغنين تأثروا بنهضة الأغنية القبائلية مثل عمر بن ناصر « عادل مزاب » وفرق موسيقية عصرية مثل اوتشيدان (اليافعون) وإتران (النجوم)، الخ. وفي أوج التفتح الديموقراطي التعددي ظهرت سنة 1990 حركة للأغنية المزابية كان مركزها مدينة بريان من خلال فرقة اوتشيدان التي ظهرت بمدينة بريان سنة 1990، وأنتجت أولى أعمالها سنوات 1992-1994، أكبر الأثر في بث الوعي النضالي في أوساط الشباب المزابي لإحياء اللغة المزابية والنضال من أجل القضية الأمازيغية. فهذه الفرقة تكونت من مجموعة من المناضلين في الحركة الثقافية الأمازيغية والمنتمين أيضا إلى حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية، استطاعت بأشعارها التراثية والحديثة وأغانيها الإيقاعية الخفيفة أن تستنهض الهمم بتأثيرها البالغ في النخبة المزابية الجامعية والمثقفة التي انخرط قسم معتبر منها في حركة إحياء التراث واللغة المزابية، فضلا عن دفعها للغة المزابية إلى الواجهة الإعلامية الوطنية. وبنفس الدرجة نلاحظ ظاهرة تنامي الأغنية التارقية وازدهارها كمعبر عن الهوية التارقية. ويدل على ذلك ظهور العديد من الفرق الموسيقية الغنائية التارقية. وساعد على ذلك المهرجان الوطني للأغنية الأمازيغية المنظم سنويا بتمنراست (توقف منذ سنتين). ويمثل هذه الديناميكية على المستوى ما فوق الوطني الفرقة الغنائية التارقية الجزائرية المالية تيناروين، التي دخلت العالمية سنة 2004 بفضل الانتشار الواسع في دول الساحل الإفريقي والمهجر لألبومها الموسوم « أمساكول ». ومنذ ذلك الحين نلاحظ انتشارا سريعا للظاهرة الموسيقية المسماة « ألقيتارا »¹⁴² أو « أسوف »¹⁴³ لدى الشباب التارقي كوسيلة فنية للتعبير عن الهوية اللغوية والثقافية للتوارق، في منطقة أصبحوا فيها أقلية عديدة وسياسية، خاصة أن هذه الأغاني التارقية المعاصرة تتناول، بالإضافة إلى الموضوعات العاطفية، رسائل ضمنية إلى الأمة التارقية « توماست ».¹⁴⁴

الفرع الخامس : التعبير الإعلامي

كانت المجموعات الأمازيغية الثلاث تعبر عن نفسها عبر مختلف الوسائل إبّان الاحتلال الفرنسي، لاسيما من خلال القناة الإذاعية الثانية الناطقة بالقبائلية منذ 7491،

142. تسمى الطبوع الموسيقية عند التوارق حسب الآلة الرئيسية المستعملة. وعليه سمي طبع القيتارة لأنها الآلة الرئيسية فيه.

143. وهي التسمية التي تعطى لطبع القيتارة عندما يكون ممزوجا بألحان لبلوز المعاصرة، مما يعطي طبعا غنائيا خاصا مزيجا بين لبلوز الصخراوي والتارقي.

144. توماست تعني الأمة التارقية.

أما بنو مزاب فيعدون من أوائل مؤسسي الصحافة العربية في الجزائر من خلال أبو اليقظان ابراهيم احد مشائخ المزابيين الإصلاحيين الذي أسس الصحافة العربية في الجزائر في الثلاثينيات مثل جرائد « وادي مزاب » و « النبراس »، الخ.¹⁴⁵ وفتح المجال الإعلامي في عهد التعديدية السياسية وجدت هذه المجموعات الأمازيغية نوافذ للتعبير عن ذواتها وخصوصياتها كجماعات وتقديم ثقافتها للمشاهد الجزائري لاسيما بعد إدراج اللغة الأمازيغية في وسائل الإعلام الثقيلة منذ التسعينيات كالقناة التلفزيونية الوطنية الرابعة الأمازيغية منذ 7991، مع إدراج المتنوعات الأمازيغية الأخرى كالتارقية والمزابية والشاوية والشنوية. كما أصبح الفضاء الافتراضي منبرا جديدا للتعبير من خلال عشرات الجرائد الالكترونية الأمازيغية مثل : *siwel.com* و *Tamurt.com*، الخ.

وطرح إدراج الأمازيغية في الفضاء الإعلامي العام من خلال القناة الإذاعية الثانية والقناة التلفزيونية الرابعة منذ التسعينيات، إشكالية هيمنة اللسان القبائلي الذي اكتسب « شرعية » بفعل نضال منطقة القبائل من أجل الأمازيغية، مما ولد صراعا مع المتنوعات الأمازيغية الأخرى، غالبا ما اتخذ طابعا اثنولوجيا وسياسيا بسبب اصرار البعض على اعتبارها قنوات « قبائلية » انتزعت بفضل تضحيات منطقة القبائل، وعلى أولوية المتنوعة القبائلية.

حوصلة واستشراف

إذا كانت منطقة القبائل في طليعة الحركة المطالبة بالأمازيغية، مقارنة بالمناطق الأمازيغية الأخرى في الجزائر والمغرب الكبير، فإن هذا مرتبط بالسيرورة السوسيو-تاريخية التي عاشتها المنطقة خاصة أثناء المرحلة الاستعمارية من هجرة جماعية إلى أوروبا وفرنسا تحديدا المتربول وما نتج عن ذلك من إنتاج غزير لأنتلاجنسيا سياسية متحررة من الأطر التقليدية وذات البعد تحرري وقدرة تنظيمية هامة. هذه الأنتلاجنسيا استطاعت أن تطرح القضية الأمازيغية في بعدها الوطني وفي اطار دولة ديمقراطية واجتماعية وفقا لتصور سياسي عصري أعيد إنتاجه عند النخب لما بعد الاستقلال التي أخذت على عاتقها المطلب الأمازيغي لمدة عقود من الزمن. في حين يمكن اعتبار الأطر الاجتماعية التقليدية سببا موضوعيا في التأخر التاريخي لطرح المسألة الأمازيغية في الجهات الأخرى من البلاد كمنطقة بني مزاب والتوارق. ونتج عن هذا الوضع ثلاث معطيات :

- اختلاف مفهوم « الأمازيغية » ودرجتها في أولويات المطالب السياسية والثقافية لدى المجموعات الأمازيغية الثلاث موضوع البحث. فبينما هو في منطقة القبائل يحمل دلالات سياسية مطلبية تدرج في إطار مشروع مجتمع ديمقراطي علماني معادي للتوجه يعقوبي للدولة الوطنية يحوز الأولوية مع المطالب الاجتماعية

145. قاسم الشيخ بلحاج، أقلام المزابيين في الصحافة التونسية، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 2006.

الأخرى، فإنه يعنى لدى المزابيين الحفاظ على اللغة المزابية في إطار التعايش مع اللغة العربية الفصحى والانتماء الإسلامي، دون أن يكون ذلك في أولوية مطالبها التي تركز أساسا على الاعتراف بخصوصياتها المذهبية والاجتماعية، وهي نظام العزابة والعشائر. أما عند التوارق فإن الأمازيغية تعني ترقية اللغة التارقية، التي هي عنصر ثانوي، لأسباب موضوعية، من جملة الخصوصيات الثقافية المميزة لها لاسيما المؤسسات التقليدية العرفية كالامانوكال رمز الاستقلالية السياسية والهوية الاجتماعية والثقافية التارقية وعنصر للتواصل مع الدولة المركزية.

- عجز الحركة الأمازيغية بمنطقة القبائل من توسيع نطاقها إلى باقي ربوع البلاد الجزائرية، على الأقل على مستوى النخب، بعد أكثر من ثلاثين سنة من الربيع الأمازيغي الذي بقي « ربيعا قبائليا ». ويرجع سبب ذلك إلى خطاب هذه الحركة الثقافي والجهوي الذي يحجب التناقضات السياسية والاجتماعية ويعرقل صيرورة طرح البديل السياسي، واستعمال هذا المطلب من طرف نخب سياسية تصبوا أكثر إلى إعادة التموقع والتفاوض حول دورها في اللعبة السياسية الوطنية، ما سهل تلاعبات السلطة للحفاظ على هذا الوضع.

- بعد عقود من النضال وفترات مد وجزر، عرفت القضية الأمازيغية قبولا واسعا، وحظي مطلب ترقية الأمازيغية وتعميم استعمالها بالقبول على المستوى الوطني، إن على مستوى النخب، أو على مستوى المجتمع ككل. بحيث تغيرت المواقف إزاء المطلب الأمازيغي حتى داخل بعض النخب والأحزاب التي كانت في أمس القريب رافضة له، بحجة المساس بالوحدة الوطنية وقدسية اللغة العربية. ويعود ذلك إلى تجذر المطلب الأمازيغي ودوره في الإدماج الوطني، وإلى استباق السلطة إلى تلبية، ولو شكليا، لجزء من مطالب الحركة الأمازيغية، كترسيم الأمازيغية في الدستور والاعتراف بيناير كعيد وطني، الخ بهدف تحييد الجماعات المعارضة لها بمنطقة القبائل ومنعها من استعمالها كوسيلة للتعبئة.

ومع ذلك يبقى الرهان الأكبر للمسألة الأمازيغية، في ترقيتها الفعلية إلى لغة رسمية ووطنية إلى جانب اللغة العربية في الدستور الجديد ل6 مارس 2016، وما ينتظر من تكريس قانوني وفعلي لهذه الترقية بإنشاء مجمع للغة الأمازيغية، وبلورة سياسة وطنية لترقيتها في قطاعات التربية والإعلام والمحيط. وما إذا كان ذلك سيؤدي إلى مراجعة مشروع الدولة الوطنية القائم على الأحادية اللغوية. وتختلف نتائج هذا الرهان بالنسبة للمناطق الثلاث :

- بالنسبة للحالة القبائلية : هل يؤدي الاعتراف بالطابع الوطني والرسمي للأمازيغية، وهو المطلب الذي كان دائما عاملا تعبئة للمنطقة لمدة ثلاثين سنة، إلى فقدانها لأي قوة

تعبئة قد تستخدمها مختلف النخب والقوى السياسية للضغط على السلطة، وبالتالي إلى إدماج أسرع للمنطقة. أم أن الحركة الأمازيغية تتجه إلى الانكماش على نفسها لتتحول إلى مطالب جهوية وانفصالية فئوية قد تنجح في التعبئة الشعبية لمشروع جديد في إطار حركة « تقرير المصير » قد يأخذ أبعادا هامة وخطيرة بالنسبة لمستقبل البلاد ؟

- بالنسبة للحالة المزابية : هل سيؤدي التجاذب بين النخب المزابية إلى انتصار حركة إحياء اللغة المزابية وترقيتها في إطار علمي هادئ بعيدا عن الصراع السياسي، أو إلى تقوية الحركة السياسية المطالبة المزابية المصطفة مع الحركات الأمازيغية القبائلية المعارضة للسلطة، وإلى تعبئة النخب المزابية من أجل مطالب سياسية جديدة حول الاعتراف بالخصوصيات المزابية؟

- بالنسبة للحالة التارقية : هل ستنتج المسألة الأمازيغية في صد نظر التوارق عن إخوانهم في الدول الأخرى، الذين يشتركون معهم في عدة سمات نجملها في مصطلح « توماست » أي الهوية، أم ستؤدي إلى تقريبيهم أكثر من إخوانهم في الوطنية في شمال البلاد، الذين فرقهم بهم عوامل الجغرافيا والتاريخ الأمازيغي المشتت بهوة عميقة لازالت آثارها قائمة حتى اليوم ؟، أو ستؤدي بالأحرى إلى إدراجهم في البعد الأمازيغي لشمال إفريقيا، وتجعل منهم حلقة هامة أو حتى أساسية للربط بين العالم الأمازيغي لشمال إفريقيا (الزناتيون، المزايون، الشاوية، الخ) وجنوب الصحراء (خاصة النيجر ومالي وبوركينا فاسو) ؛ مما يؤدي بالتالي إلى تمكين المطالب الأمازيغي من بعده الإفريقي ؟ هل أن الطرح الثقافي من خلال تناول اشكالية اللغة والهوية الأمازيغية هو الطرح السلم بالنسبة للتوارق لادماجهم سياسيا واجتماعيا؟ وإلى جانب هذه المسارات الثلاث المنفصلة، فإن الدولة الوطنية التي عالجت المسألة الأمازيغية دوما حسب علاقات القوة بينها والحركات الاحتجاجية خاصة بمنطقة القبائل، قد تتمكن من خلال آليات المشاركة والتمثيل الوطني في المؤسسات المكلفة بترقية الأمازيغية (الأكاديمية ومراكز البحث والتنفيذ وحزمة القوانين)، من بلورة إجماع وطني حول المسألة الأمازيغية يكون بديلا للمسارات والخيارات الانفصالية المحلية المنفردة.

وعلى مستوى الفاعلين السياسيين يمكن القول أن النخب التي حملت القضية الأمازيغية ولو كان طرحها شديد وشرعي، إلا أنها مستمرة في الضغط وإعادة التفاوض مع السلطة المركزية لإعادة توزيع الأدوار السياسية في مراكز القرار على المستوى المركزي والمحلي، وهذا حسب موازين القوة لكل منطقة على حدى. وهذا ما يفسر نسبيا تأجج الاحتجاجات السياسية والاجتماعية، رغم أن منطقة القبائل هي الأكثر اندماجا للمركز مقارنة بالمناطق

الأخرى. ذلك اننا أمام حراك وإن أخذ واجهة ثقافية، لكنه يطرح مسألة مشروع المجتمع والتنمية الاقتصادية خاصة على المستوى المحلي، ومحاولة التفاوض على عقد اجتماعي جديد يضمن للنخب والعصب المحلية التي برزت بعد الثمانينات واندماجا اقتصاديا محوريا لجزائر ما بعد الإرهاب والتي تزامنت والبحبوحة المالية للبلاد في بداية الألفية الثالثة.

والواقع أن الأزمة المتعددة الأوجه التي يعيشها البلد وأزمة النخب المنبثقة عن الحراك الأمازيغي والمنتمة أساسا إلى حزبي الأفافاس والأرسدي، أفرزت حالة سياسية جد معقدة، خاصة بعد ظهور حركات انفصالية وتوجهات فدرالية أعادت توزيع الأدوار السياسية في الميكروكوزم السياسي المحلي. غير أن الوضع يمكن أن يتأزم بفعل الأزمة السياسية والاقتصادية الراهنة وكذا المخاطر الإقليمية والدولية التي تحدق بالجزائر.

وحوصلة القول أن مسألة إعادة النظر في الإفرازات الهوياتية الجديدة والأخذ بعين الاعتبار للمطالب السياسية والاجتماعية والمكونات الجهوية والمحلية وإعادة إدماجها في اطار عقد اجتماعي سياسي واقتصادي جديد يعيد النظر في هندسة الدولة والتخلص من الفكر اليعقوبي، أضحت أولوية للبلد من أجل تجاوز أزماته على المستوى الداخلي مما سيسمح بتحقيق الاندماج الوطني الحقيقي والتحصن الفعلي من الأخطار الناجمة عن الوضع الإقليمي والدولي الراهن.

البيبلوغرافيا

- حمود بن ناصر بن محمد الهاشمي، مقدمة في منهج البحث النوعي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2005، ص. 12.
- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية الثقافية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص. 50.
- Sadek Hadjeres, *Un débat national toujours actuel : la contribution de Idir El-Watani en 1949*, communication au Colloque sur *Le Mouvement National et la revendication Amazigh*, Alger, 24 et 25 décembre 2001, in www.socialgerie.net.
- Yassine Tamlali, *LA GENESE DE LA KABYLIE, Aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962)*, Alger, éditions Barzakh, 2015, p. 180.
- Omar Carlier, *La production sociale de l'image de soi. Note sur la "crise berbériste" de 1949*, *Annuaire de l'Afrique du Nord*, Centre national de la recherche scientifique; Centre de recherches et d'études sur les sociétés méditerranéennes (CRESM) (éds.), éditions du CNRS, Paris, 1986, pp. 347-371, p. 369.
- Mohamed Brahim Salhi, *Algérie : Citoyenneté et Identité*, éditions Achab, Alger, 2010, p. 47.
- Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, l'Harmattan, Paris, 1998.
- Salem Chaker, *L'affirmation identitaire berbère à partir de 1900. Constantes et mutations (Kabylie)*, in *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction. pp. 13-34 ; 20.
- Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, l'Harmattan, 1998, p. 43.
- عبد الوهاب حمو فخار، إمطاون ن لفرح، « دموع الفرح » من تراثنا الشعبي، المطبعة العربية، غرداية، 1984.
- يوسف لعساكر، ئدوران ن تسكلا، انثولوجيا الأدب المزايي، وزارة الثقافة، المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى وأغنية مزاب، 2011، ص 17.

- Rachid Bellil, *Une nouvelle forme d'action : le mouvement associatif à Tamanrasset, Revue du monde musulman et de la Méditerranée, Année 1990 Volume 57, n°1, p.153-162*

- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية الثقافية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص. 112.

- وزارة الثقافة، ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، مسيرة رائدة في إعادة الاعتبار لتراث ولاية غرداية، ص. 3.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة، 2017، ص. 15 وما بعدها.

- Mahé, A. (2001), *Histoire de la grande Kabylie XIX^e et XX^e siècle, Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises*, Ed. Bouchène, Paris, p. 63.

- Malika Assam. *Société Tribale Kabyle et (re)construction identitaire berbère. Le cas des At Zemmenzer (XIX^e s.-XXI^e s)*. These de Doctorat d'Etat en Sociologie. Institut National des Langues et Civilisations Orientales-INALCO PARIS - LANGUES O', 2014. Français. <NNT : 2014INAL0013>. <tel-01129075>.p.13.

- عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406)، ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، الجزء السابع، 1981، ص 82.

- Emile Masqueray, *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabylie de Djurdjura, Chawia de l'Aurès, Béni Mzab)*, paris, Leroux, 1886, p. 202

- عبد الله نوح، النظم القانونية العرفية بمنطقتي القبائل ووادي مزاب ومساهماتها في المرافق العامة، مقارنة انتربولوجية قانونية، أطروحة دكتوراه في القانون العام، إشراف د. شريف بن ناجي، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة 1، 2010.

- Mohamed Hadibi, *Mode de visibilité des jeunes filles a Djenane dans la Kabylie de la Soummam*.In les Cahiers du CRASC, 2014, p. 62.

- إبراهيم فخار، التعليم الجامعي والقيم السوسيو دينية للفتاة المزابية، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص : علة الاجتماع التربوي الديني، إشراف د.خواجه عبد العزيز، المركز الجامعي غرداية، معهد العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2011-2012، ص 151.

- Nouha Sbiga, *Les modalités de transmission des valeurs ibadites dans la famille mozabite contemporaine, l'instruction des filles en question*, Mémoire de Magister en Anthropologie sociale et culturelle, S. Dir. Pr. Brahim SALHI, Soutenu le 13 octobre 2010, Université Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, p. 71.
- Sara Benaissa, *femme mozabite et habitat à Guerrara (Algérie) Etude sur l'adaptation culturelle à un nouveau type d'habitation*, Mémoire Master "urbanisme et territoire", Mention "urbanisme", Institut d'Urbanisme de Paris, S.D. Liliane pierre louis, 2008, p. 48.
- Mohamed Hadibi, *Mode de visibilité des jeunes filles a Djenane dans la Kabylie de la Soummam*, in *les Cahiers du CRASC*, 2014, p. 62.
- Sayad Abdelmalek, *Aux origines de l'émigration kabyle ou montagnarde*, in *Hommes et Migrations*, n°1179, septembre 1994. *Les Kabyles. De l'Algérie à la France*, sous la direction de Mustapha Harzoune. p. 6-11.
- Salem Chaker, *La Langue Berbère en France situation actuelle et perspectives de développement*, in *Enseignement des langues d'origine et immigration en Europe : Langue maternelle ou langue d'état ?* Inalco, Paris, 1997.
- سالم شاكر، الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، ترجمة حبيب الله منصوري، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص 66.
- Mohand Khellil, *Kabyles en France, inaperçu*, in *Hommes et migration*, année 1994, volume 1179, n° 1, pp. 12-18.
- Montgomery, C., Mahfoudh, A., Rachédi, L. & Stoetzel, N. (2010). (Re) *négociant les statuts minoritaires en contexted'immigration : étude de cas de familles berbères vivant à Montréal*. *Reflète*, 16 (2), 146-174. Doi :10.7202/1000317ar.
- حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الأول، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 58، 59.
- د.عبد الكريم الماجري، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانوة إلى تونس (1831-1937)، دراسة تاريخية لإشكالية الاستعمار والهجرة وتشكل الجاليات المغاربية بتونس وخصوصياتها الاجتماعية والقانونية، الدار التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، 2010، ص 527 وما بعدها.
- Jean Melia, *Ghardaïa*,. Bibliothèque Charpentier, Fasquelle, Paris, 1930, pp. 60, 61.
- Badi Dida, *Le mythe de fondation des Touareg Ifoughas, Awal. Cahiers d'études berbères*, n°24, 2001, éd. la maison des sciences de l'homme, Paris, p. 43-59.

- AG Baye, Ch. et Bellil, R. (1986) : Les Kel Adagh : une société en crise. *Awal*, n° 2. Paris : MSH. & BOILLEY, P. (1994) : « Etude des évolutions politiques, sociales et économiques d'une population touarègue (Soudan français, république du Mali). » Thèse de doct. Hist., Paris VII.
- H. Duveyrier, *Les Touaregs du Nord*, Challamel Aîné, Paris, 1864.
- Nesson Claude, *Répartition des berbérophones algériens (au recensement de 1966)*, in *Travaux de l'Institut Géographique de Reims*, n°85-86, 1994. Etudes algériennes, sous la direction de Alain Marre, pp. 93-107.
- Brahim Cherifi, *Le MZAB, Etude d'anthropologie historique et culturelle*, pref. Pierre-Philippe Rey, Editions SEDIA, Alger, 2015, pp. 193, 285.
- Ernest Chantre, *Les Mozabites : esquisse ethnographique et anthropométrique*, in *Bulletin de la Société et de d'Anthropologie de Lyon*, n°29, 1910, p. 89.
- Nora Gueliane, *Une ville qui se désolidarise : la question de la mixité sociale dans les nouveaux ksour*, Séminaire International : *Fabriquer et habiter les villes à l'ère de la mondialisation*, Université Badji Mokhtar – Annaba – Algérie, 20-21 Avril 2015, pp. 5 et s.
- بوداود بومدين، تقد. بكلي عبد الوهاب (وزير السياحة السابق)، تجارة بني ميزاب، تجسيد المنهج الإسلامي في إدارة الأعمال التجارية، دار رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 97 وما بعدها.
- محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التعدد والانصهار في واقع الانسان واللغة والثقافة والتاريخ، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص 32.
- Yassine Tamlali, *La genèse de la Kabylie, Aux origines de l'affirmation berbère en Algérie (1830-1962)*, barzkh éditions, Alger, p. 99.
- Salem Chaker, *La Voie étroite : la revendication Berbère culture et politique*, in *Annuaire de l'Afrique du Nord*, XXVIII, Editions du CNRS, Paris, 1989, pp. 281-296.
- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية الثقافية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، مرجع سابق، ص 161 وما بعدها.
- Samir Larabi, *Algérie : impuissance des mouvements populaires*, in *État des résistances dans le Sud – Afrique*, CETRI, Syllepse, 2010, pp. 35,38,40.
- *L'Algérie : Agitation et Impasse en Kabylie*. ICG Afrique du Nord/Moyen-Orient Rapport n°15. Le Caire/Bruxelles 17.

- Mohamed El-Hadi Hareche, *Tajmaat dans la Région de Kabylie : Conseil des Aarchs ou Conseil du Village*, in *Revue Idées et perspectives*, n°01, Mars 2011, pp. 103-109, p. 108. (Revue en langue arabe).

-Mustapha Boutefnouchet, *Système Social et Changement social en Algérie*, OPU, Alger. p.32.

- Mohamed Brahim Salhi, *Le local en contestation : citoyenneté en construction. Le cas de la Kabylie*, in *insaniyat.revues.org*.

- جريدة الخبر، العدد 8719، الصادرة يوم 14 ديسمبر 2017

- الشيخ حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في الحياة الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505 إلى 1962، دار الكروان، باريس، الطبعة الأولى 1984، الجزء الثالث.

- Jomier Augustin, *Islah ibadite et integration national : vers une communauté mozabite ? (1925-1964)*, *Revue des mondes arabe et de la Méditerranée* [en ligne], 132iDécembre 2012, [[http :remmm.revues.org/7872.](http://remmm.revues.org/7872)]

- صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين التقليدي والإصلاحي، 1939-1919، دراسة مقارنة، مذكرة في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، إشراف : شيخ بوشيخي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2011، ص 42 وما بعدها. « ابو اليقظان ابراهيم، شيخ ورائد الصحافة الجزائرية »، قرص، مجلة الهدى، رابطة الطلبة الاباضيين بقسنطينة، العدد 2015، 19.

- قاسم الشيخ بلحاج، أقلام المزابيين في الصحافة التونسية، 1962-1920، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2006، ص. 34 وما بعدها.

-Salem Chaker, Said Chemakh, Abdallah Nouh, *MZAB – MOZABITES : Langue et littérature*, dans *ENCYCLOPEDIE BERBERE*, XXXII, MGILD-MZAB, PEETERS, Paris-Louvain-Walpole, MA, 2010, p. 5186.

- Abdallah Nouh, *La vitalité du dialecte mozabite dépend-elle essentiellement de son enseignement officiel*, *Timsal n tmazight*, n° 9 , 2017.

- Gast, M., *Des Huwwara aux Kel-Ahaggar : la saga d'une tribu nomade au Sahara central*. Alger, CNRPAH, 2008, p.147.

- Gast, M., *Complements a la rubrique Attici ag Amellal*, *Encyclopedie. Berbere*, Cahier 25, 1980, p.5.

- [http ://www.elwatan.com/international/j-ai-charge-un-emissaire-pour-prendre-contact-avec-les-touareg-maliens-13-04-2012-166651_112.php](http://www.elwatan.com/international/j-ai-charge-un-emissaire-pour-prendre-contact-avec-les-touareg-maliens-13-04-2012-166651_112.php)

- http://www.elwatan.com/actualite/le-bureau-du-rnd-de-tamanrasset-annonce-le-boycott-du-scrutin-du-10-mai-26-03-2012-164208_109.php
- http://www.elwatan.com/actualite/pres-de-300-notables-reunis-a-tamanrasset-19-03-2012-163360_109.php
- Badi Dida, *L'enseignement de la langue touarègue en Ahaggar et en Ajjjer. Les Touaregs et autres Sahariens entre plusieurs mondes* ; (Dir.) H. Claudot-Hawad. *Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman*, 1996, IREMAM - UMR 7310 - CNRS/Aix Marseille Université, pp. 37-47
- Stephanie Pouessel, *UNE CULTURE MEDITERRANEENNE FRAGMENTEE : LA REVENDICATION AMAZIGHE ENTRE LOCAL(ITE) ET TRANSNATIONAL(ITE)*. *Esprit Critique Revue Internationale de Sociologie et de Sciences sociales*, Conservatoire National : Arts et Métiers (CNAM), Pays-de-la-Loire, 2010, 13 (1), pp. 1-21. <halshs-00639179>.
- ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية، 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2010.
- Ferhat Mhenni, *Algérie : La question Kabyle*, édition Michalon. France, 2004.
- Yassine Temlali, *Le Mouvement pour l'Autonomie de la Kabylie (MAK)*, in <http://www.maghrebemergent.com>
- Le point, *Algérie : manifestation samedi en Kabylie pour « un changement du régime »*, publié le 29 Janvier 2011.
- Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, p. 103.
- Mohamed Brahim Salhi, *Le local en contestation : citoyenneté en construction*. Le cas de la Kabylie, in insaniyat.revues.org.
- جايي ناصر، مواطنة بدون إستئذان، منشورات الشهاب، الجزائر، 2006، ص. 127.
- Yassine Temlali. *La Révolte de Kabylie Ou l'Histoire d'Un Gâchis*. in [www. Algeria-watch.org](http://www.Algeria-watch.org).
- Hugh Roberts. *Algérie-Kabylie, Etudes et intervention*, édition Barzakh, Alger, 2004. p.178.
- جايي ناصر، الجزائر : الدولة والنخب، دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب، الجزائر ص 48.

- Salem Chaker, *Les Berbères aujourd'hui*, p. 103.
- Taïeb Hafsi, *Issad Rebrab : voir grand, commencer petit et aller vite*, Casbah éditions, Alger, 2012.
- <https://lavoixdalgerie.com/evenements-de-ghardaia-nacer-eddine-hadjadj-ex-maire-rcd-de-berriane-libere/>
- ناصر جابي، الجزائر، من الحركة العمالية إلى الحركات الاجتماعية، ص 105.
- Omar Houache, *Citoyen, quel langue parles-tu ?, Je parle algérien !*, éditions Essai Sedia, Alger, 2015, p.115.
- Mohammed Dabouz, Association izmulen, *La police algérienne en grand renfort a dispersé les femmes et les enfants des détenus mzabs en les menaçant*, in www.tamurt.com
- F. Sofiane, *Réunion d'urgence à la Présidence après la mort de 23 personnes à Ghardaïa ASSEZ DE SANG !!*, in *Le Jeune Indépendant*, n°5218, jeudi 9 juillet 2015, p.4.
- خالد بودية، الجزائر تقدم تقريرها حول التمييز العنصري أمام الأمم المتحدة، الأمازيغية ليست رهينة لمنطقة معينة، الخبر، جريدة وطنية اخبارية، 12 ديسمبر 2017، السنة 28، العدد 8717، ص. 2.
- Mohamed Brahim Salhi. *Algérie Citoyenneté et Identité*, éditions Achab. Algérie, 2010.p.185.
- Moh Cherbi, Arezki Kouas, *Chanson kabyle et identité berbère, L'œuvre de Lounis Ai Menguellet*, EDIF 2001, paris, pp. 29 et S.
- قاسم الشيخ بلحاج، أقلام المزابيين في الصحافة التونسية، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 2006.

المسألة الأمازيغية في تونس
تراث، انبعاث ومقاومات

أسماء نوية

هويدا بن خاثر

محمد كرو

ترجمة. عبد القادر بوزيدة

الفهرس

- المقدمة 181
- 1 - « الأمازيغية » وتراثها التاريخي في تونس 182
- أ- اللحظة الخلدونية 182
- ب - الإثنوغرافيا الإستعمارية 183
- ج - الأب « أندري ليس »، « شيخ » الدراسات البربرية في تونس 184
- د - أركيولوجيا وتاريخ الأمازيغ في تونس ما بعد المرحلة الإستعمارية 185
- 2 - الوزن الديمغرافي والتموقع الجغرافي للأمازيغ بتونس 186
- 3 - المقامات المؤسسية والسياسية في وجه صعود المطالبات الأمازيغية في تونس 188
- 4 - النهضة الهوياتية الأمازيغية غداة ثورة 2011 189
- I - النشطاء والطاقات 190
- 1 - البروز السياسي للأقليات الإثنية 190
- 2 - الجمعيات الأمازيغية التونسية 195
- 3 - الطاقات الفردية والجماعية 197
- 4 - الإختلافات داخل الحركة الأمازيغية 201
- II - مطالب ووسائل تعبير المناضلين الأمازيغ 203
- 1 - المسار النضالي : المسالك والملامح 204
- 2 - المقاومة الثقافية 211
- 3 - مُرافعة لصالح الإعتراف بالمُكوّن الأمازيغي في الهوية التونسية 214
- أ- على المستوى الدستوري 214
- ب - على مستوى الأحزاب السياسية 217

218.....	ج - في وسائل الإعلام والاتصال
220.....	حصيلة وآفاق
222.....	ملاحق
224.....	البيليوغرافيا

المقدمة

عادت المسألة الأمازيغية للسطح في تونس غداة « ثورة الكرامة » التي أدت، في 14 جانفي 2011، إلى سقوط نظام بن علي الإستبدادي. بهذه المناسبة، تهاوى جدار الخوف وتحرّرت الكلمة. انطلق عهد من الحرية جديد، لكن من دون أن يلبي مطلب توفير الشغل والكرامة. وحدها المطالبة بالحرية حُققت إذ رفعت الرقابة الرسمية. ومنه، انتشرت الكلمة المواطِنية على نطاق واسع في وسائل الإعلام والإتصال وكذلك النقاش بين الأفراد داخل الفضاء العمومي المتحرر من وصاية الدولة.

ولأول مرة، تمكّن الأمازيغ الذين أُطلقت عليهم التسمية الشائعة : « البربر »، وكل الذين واللواتي يعلنون انتسابهم للأمازيغية أو البربرية¹، تمكّنوا من التعبير بحرية وأعلنوا أنّ لهم هُوية لغوية وثقافية.

يطرح هذا المسعى مشكلا، نظرا لنُكران هذه الهُوية من قِبل الدولة الوطنية والنخبة الحاكمة الذين ظلوا متمسكين بالهوية العربية والإسلامية المثبتة في دستور 1959 (المادة الأولى) ودستور 2014 (المادتان 1 و39)²

برز بقوة نقاش حول مرجعيات تونس التي يبدو أن الإهتمام بها قد بدأ يعود. وبدأت تونس تبحث هكذا عن جذورها التاريخية وتتساءل علنا أين يكمن مستقبلها : هل في العروبة أم الإسلام أم الأمازيغية أم في هُوية مركّبة ؟

قبل التعرّض للمسألة المركزية ممثّلة في «انبعاث الهُوية الأمازيغية»، كما يظهر من خلال علاقات الأفراد والجمعيات مع الدولة والمجتمع، يتعيّن الإحالة بصورة موجزة إلى

1. Sur l'amazighité, Cf. CAMPS Gabriel, *Les Berbères. Mémoire et identité*. Préface de Salem Chaker, Paris, Babel/essai, 2007 (1^e éd., 1980). Cf. également la référence majeure qu'est l'*Encyclopédie Berbère*, Aix-en-Provence, EdiSud, du Tome I (1984) jusqu'au Tome XLI (2017).

2. ينص دستور تونس الجديد، المعتمد في 2014 على أن « تونس دولة حرة، مستقلة وذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامها » (المادة الأولى. هذه المادة هي استعادة للمادة الأولى من دستور 1959) ويضيف دستور 2014 الجديد أن « الدولة تسهر (...) على تجذير الهوية العربية الإسلامية والانتماء الوطني في الأجيال الشابة وترسيخ ودعم وتعميم استعمال اللغة العربية وكذا الانفتاح على اللغات الأجنبية والحضارات الإنسانية ونشر ثقافة حقوق الإنسان » (المادة 39).

التراث التاريخي المعاصر له «تامازغت»³ باعتبارها قاعدة المطالبة الثقافية الأمازيغية التي هي في طور النشوء الآن بينما كانت، قبل ثورة 2011، مسألة من قبيل الطابو الذي يحظر الحديث عنه.

1 - « الأمازيغية » وراثتها التاريخي في تونس

في مرحلة الإستعمار، تم استدعاء التراث الأمازيغي لأهداف التقسيم والهيمنة، مثلما كان الأمر في المغرب الأقصى عندما أصدر « الظهير البربري » الشهير، لكن أيضا مع الهدف المتمثل في الإعتراف الفكري والسياسي بالتنوع باعتباره من مكونات الحداثة. والواقع أن مثل هذا التراث متسخ، منذ قرون، في تاريخ المنطقة وفي كل بلد من بلدان شمال إفريقيا، وهو يشكل الرّحم الثقافي الأصلي بحيث أنّ تأخر الإعتراف به، بصفته تلك، يبدو من قبيل المفارقة.

خلال العصر القديم، كانت الشخصيات التاريخية البارزة مثل حنبعل وماسينيسا ويوغرطة والقديس أوغستان يحيلون إلى هذا الإرث التاريخي الذي قام مفكر شهير بقامة ابن خلدون (1332-1406)، في نهاية العصر الوسيط، بوضع تاريخ موسوعي عن البربر والشعوب الأخرى الذين تعاقبوا على تكوين الدّول والسلالات التي حكمت المغرب الكبير.

في هذا المجال، يمكن اعتبار اللحظة الخلدونية اللحظة المؤسسة للدراسات الأمازيغية التي استمرت خلال الفترة الإستعمارية ثمّ غداة الإستقلال الوطني، وإن بوتيرة أبطأ لكن أكثر تخصّصا وأقلّ تسييسا، وهذا رغم التأكيدات، الضمنية حيناً والصريحة حيناً، عن الهويّة الأحادية.

أ- اللحظة الخلدونية

يمكن اعتبار العمل الموسوعي⁴، الذي وضعه ابن خلدون في أواسط القرن الرابع عشر، مرجعا لا يمكن تجاهله ولحظة تأسيسية في الدراسات الأمازيغية. يحمل هذا العمل العنوان: « تاريخ العبر »، ويشمل الفضاء الجغرافي الذي حكّمته السلالات البربرية والإسلامية في شمال إفريقيا. ترجم هذا العمل في القرن التاسع عشر من قبل البارون دي سلايسوس تحت عنوان: *Histoire universelle*⁵ ثم اختار له أ. شّادي⁶

3. لا يوجد في العربية مقابل لكلمة Amazighité نظرا لطبيعة هذه اللغة كما هو الحال بالنسبة لمصطلح "العروبة"، لذلك استعملت الكلمة الأمازيغية: تامازغات كما وردت في هذا النص.

4. IBN KHALDOUN, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*. Traduction de William Mac Guckin de Slane, Paris, éd. 2014 (1^e éd. 1890).

5. *Discours sur l'Histoire universelle – Al-Muqaddima*. Traduction nouvelle, préface et notes par Vincent Monteil, Paris, Sindbad, 1997.

6. *Le Livre des exemples*. Traduction de Abdesselam Cheddadi, Paris, Gallimard, « La Pléiade », 2 tomes, 2002.

عنوانا آخر : Le Livre des exemples احتراماً للعنوان العربي الأصلي. وقد نال هذا العمل شهرة واسعة بفضل « المقدّمة » التي تتميز بأصالتها المتمثلة في اكتشاف علم جديد أُقيم على أساس سوسيو-تاريخي ونقدي : « علم العمران البشري » الذي يُعدّ سلف علم الإجتماع والتايخ الاجتماعي.

بخصوص تاريخ البربر الذي برزت فيه قبائل شهيرة مثل صنهاجة ومصموده وغيرهما، وهي القبائل التي أسست السلالات الحاكمة كالزيريين والموحّدين والمرابطين والمرينيين والحفصيين، عاين ابن خلدون ثلاثة أمّاط بنائية تميّزها عن بقية الشعوب والإثنيات : العلاقة السلافية وأمّاط المعاش - الصحراوية والبدوية والحضرية - ونظام الحكم القائم على أساس رابطة الدم. يمكن للعلاقات القبلية هذه أن تؤسّس التضامن الذي قد يتحوّل إلى علاقات قوّة سياسية تحرّكها القوّة الدافعة في التاريخ ممثلة في «العصبية»، حسب المستشرق الإنجليزي روزنتال⁷ Rosental

ب - الإتنوغرافيا الإستعمارية

في أواخر القرن التاسع عشر، ركزت الإتنوغرافيا الإستعمارية، اهتمامها على دراسة السكّان البربر موجهة هذه الدراسة توجيهها نظرياً يقوم على افتراض وجود جذور هندو - أوروبية لهم، وتجريبياً يقوم على معرفة وتقييم تاريخهم الماضي الذي هو - في كلّ الأحوال - ماضٍ « قديم » (archaïque) مثل تاريخ غزاتهم العرب.

تعتبر دراسة الدكتور ل. برتولون Bertholon الدراسة المؤسّسة للأنتروبولوجيا الإستعمارية في تونس، وهي الدراسة التي تتميز باستكشافها الأنتروبولوجي المزدوج لمنطقة خُمير (1891-2) وجزيرة جربة (1897)⁸ ثم قام لاحقاً، في 1911-1912، بصحبة « أ. شانتير » E Chantre بنشر الأبحاث الأنتروبولوجية حول منطقة البربر الشرقية (ليبيا وتونس والجزائر)⁹. واجتهد ل. برتولون، باعتباره طبيباً وعاملاً، للقيام، من قرب، بدراسة حول خصائص الجمجمة وأقيسة الجسم البشري عند البربر في إطار مشروعه المتعلّق بالأنثروبولوجيا الفيزيائية انطلاقاً من دراسة 8000 حالة. وكان القصد من هذا المشروع، الذي أنجز بمعية شانتير، هو البرهنة على أنّ البربر يمكن تصنيفهم ضمن نوع مستطيلي الرأس أو ضمن نوع عريضي الجمجمة. وفي الحالتين، فإنهم يتميزون عن العرق المتوسّطي « الخالص » ممثلاً في اللاتين، وهم، في الوقت نفسه، "أسمى" من العرب.

7. *The Muqaddimah. An Introduction to History*, Translated and Introduced by Franz Rosenthal, Princeton, 1969.

8. BERTHOLON Louis, *Exploration anthropologique de l'île de Djerba*, Paris, Masson, 1897.

9. BERTHOLON Louis & CHANTRE Emile, *Recherches anthropologiques dans la Berbérie Orientale (Tripolitaine, Tunisie, Algérie)*, Lyon, A. Rey, 2 Vol., 1911-1912.

هذا علما بأن الدكتور « ل. برتولون » كان مؤسس معهد قرطاج والمجلة التونسية *Revue Tunisienne*. نُشرت هذه المجلة بين 1894 و1943، ونُشرت فيها دراسات وأبحاث مفيدة لمعرفة التاريخ والثقافة التونسية. وغداة الحرب العالمية الثانية، ظهرت دراسات وافية مخصصة لموضوع واحد وذات طابع تجريبي. من بين هذه الدراسات، يمكن الإشارة إلى تلك المتعلقة بالبربر، وخاصة المساهمات المتميزة لكل من « ر.برانشفيك » حول الحفصيين¹⁰، و« ج.ه.بوسكي » حول العُزف¹¹، و« ر.سطالبو حول جربة¹²، والدراسات المستوفية التي وضعها س. بردان عن المراقبة المدنية في « مكث » وحول سكاّن « جبالية » بقفصة¹³.

ج - الأب « أندري ليس »، « شيخ » الدراسات البربرية في تونس

أنشئت مجلة معهد الفنون الجميلة العربية في تونس العاصمة في 1937 بهدف جمع وتثمين التراث الشعبي والعالم التونسي. أسس المعهد من قبل الأب « أ.دمرسمان »، المعروف بدراساته التاريخية والسوسولوجية وكذا بدعمه للحركة الوطنية، وخاصة حزب الدستور الجديد الذي أسسه بورقيبة في 1934.

من بين الآباء البيض الذين ساهموا بأكبر قدر في استكشاف العالم البربري، في الجنوب الشرقي لتونس، يحتل « أندري لويس » مكانا مميّزا. فقد ابتعثت دراساته، بعُمق، العالم البربري في الجنوب من خلال عمل ميداني متواصل ودراسة اتنوغرافية دقيقة ومفصلة عن الحياة اليومية في قريتي مطماطة ودويرات¹⁴ ومدائر منطقة نفزاوة والصحراء وجزر قَرْقنة الموجودة في عرض مدينة صفاقص¹⁵.

دُرست كل المكونات بدقة متناهية: السكن - القصور والمسكن في الكهوف - والمراعي وغط الحياة، والزواج في الوسط القروي، والأسرة ودورات الحياة، والثقافة المادية، والهجرات، والحياة القروية، واللهجة، والحفلات، والمجموعة القبلية والقروية، والأفراد... كان ذلك عبارة عن استكشاف واسع لهذه الأرض المجهولة والمُحاذية

10. BRUNSCHVIG Robert, *La Berbérie orientale sous les Hafssides, des origines à la fin du XI^e siècle*, Paris, Maisonneuve, 2 vol., 1940 et 1947.

11. BOUSQUET Georges-Herbert, *Note sur les survivances du droit coutumier berbère en Tunisie*, 1953.

12. STABLO René, *Les Djerbiens. Une communauté arabo-berbère*, Tunis, SAPI, 1941.

13. BARDIN Pierre, « Les Djebalia de la région de Gafsa. Etude sur les populations berbères habitant les massifs montagneux à l'Est de Gafsa », *Revue Tunisienne*, 1939, pp. 87-126

14. LOUIS André, *Douiret, étrange cité berbère du Sud tunisien*, Tunis, STD, 1975.

15. LOUIS André, *Les îles Kerkena. Etude d'ethnographie tunisienne et de géographie humaine*, Tunis, Publications de l'IBLA, 3 Tomes (T.1 : les travaux ; T.2 : les jours ; T.3 : Index), 1961-3

للجنوب الشرقي التي يقطنها حلف وِزْغَمَّة حول منطقة تطاوين والرمادة وأقسام من المرزِيق حول منطقة دُوْرُ والعراض جنوب قابس. وهي مُحاذية لـ « مناطق » التي تعود إلى العصر الروماني و« المستقلة تقريبا بنسب متفاوتة» عن الحكم المركزي، كما يصفها المؤرخ محمد هادي الشريف¹⁶

ذاك هو، بصورة من الصور، الإقليم المركزي الذي يتواجد فيه الأمازيغ التونسيون الذين يتواجدون أيضا في مناطق أخرى مُحاذية للداخل التونسي وحول المحيط المتوسطي. وكان التباين بين السهول والجبال مرتبطا، خلال الفترة الإستعمارية، بالتعارض السياسي بين «بُلاَد المَحْزَن» و«بُلاَد السِّبَا». ومع ذلك، سيكون من التعسف اعتبار ذلك نوعا من التعارض بين العرب والبربر أو بين الحضرة والبدو الرُّحَل حسب ملاحظة إيف لاکوست النافذة¹⁷. إنَّ المغرب الكبير، الذي كانت «إفريقيا» القديمة تمثل تاريخيا قسمه المركزي على المستوى الإستراتيجي، هو عبارة عن منطقة مُعقَّدة حيث توجد التقاطعات في قلب الهُويَّات المتعدَّدة.

د - أركيولوجيا وتاريخ الأمازيغ في تونس ما بعد المرحلة الإستعمارية.

غداة الإستقلال الوطني، واصل الباحثون التونسيون البحوث الأركيولوجية والتاريخية التي كان قد بادر بها العلماء الفرنسيون (ل. كارتون، ر. كانيات، ج. بيكار، ش. سوماني...) خلال مرحلة الإنتداب الفرنسي في تونس (1881-1956).

ساهمت المنشورات الأركيولوجية التي أصدرها «م. فانثار»، المتخصِّص في المرحلة البونيقية وخاصة مدن قرطاج وكركوان¹⁸ و«أ. باشاوش» حول قرطاج الرومانية¹⁹، و«أ. محجوبي» حول الطوائف المسيحية والمدن الرومانية، و«أ. نابلي» حول المقابر والنقوش الرومانية، ساهمت مساهمة كبيرة في معرفة التاريخ القديم، مهد الحضارة الأمازيغية في إفريقيا القديمة.

وكانت أعمال زملائهم («ل. سليم» و«م. ك. عنابي» و«ل. السبعي لعجيمي» و«أ. فراقب» و«أ. مطيمط» و«م. حربي») وطلبتهم («م. خنوسي» و«م. غاقي» و«س. بن. بعزيز» و«أ. مرابط» و«أ. فراجوي» و«ت. غالية» و«ت. رديسي») مفيدة جدًّا لمعرفة تونس العتيقة.

16. CHÉRIF Mohamed-Hédi, *Pouvoir et société dans la Tunisie de Hussein Bin Ali (1705-1740)*, Tunis, Publications de l'Université, 1986, Tome 2.

17. LACOSTE Camille & Yves (dir.), *L'Etat du Maghreb*, Paris, La Découverte, 1991; 2^e éd., Tunis, Cérès Productions, 1991.

18. LACOSTE Camille & Yves (dir.), *L'Etat du Maghreb*, Paris, La Découverte, 1991; 2^e éd., Tunis, Cérès Productions, 1991.

19. BESCHAOUCH Ezzedine, *Mustitana. Recueil des nouvelles inscriptions latines de Mustis*, Paris, Klincksieck, 1968; *La Légende de Carthage*, Gallimard, 1993

ثمنت هذه البحوث الأكاديمية الماضي الغابر، ولكنها احترمت، في الوقت نفسه، قاعدة الموضوعية ولم تنافح عن قضية الثقافة الأمازيغية التي قدرها حق قدرها حتى وإن أخذ عليها بعض المنتقدين اعتناقها لرواية المنتصرين : الرومان.

يمكن التنويه تنويها خاصا بـ « كراسات الفنون والتقاليد الشعبية » (CATP) التي نشرها المعهد الوطني للأركيولوجيا والفنون، سلف المعهد الوطني الحالي للتراث. لكن هذه المجلة التي أسسها « م.المصمودي » وكان الأب «أ.لويس» يلعب دور المستشار فيها توقفت، مع الأسف، عن الصدور بعد عشرة أعداد امتدت على سنوات عدّة، ونشرت دراسات حول المواد والطقوس القديمة. وكانت قد أدمجت في المجلة الأم، مجلة Africa، وهي المجلة التي لم تكن تصدر بانتظام وذات توجه أقل أنثروبولوجية، ضمن مؤسسة شهيرة فقدت، على مرّ الأيام، بريقها وهي التي كانت من المفروض أن تدافع عن التراث التونسي وتثمنه ؛ هذا التراث التي تُعدّ أسسه أمازيغية. غير أنّ هذه الإنجازات الكبيرة ظلت قائمة، إضافة إلى الحفريات المتعدّدة الثمينة التي أنجزت بشراكة دولية مع أطلس تونس ما قبل التاريخ²⁰ والأطلس الأركيولوجي للمواقع والنُصب الذي نُشرت بعض أعماله ووُضعت في مواقع التواصل الإلكتروني²¹ وكذلك بطاقة التراث المعلوماتية²².

2 - الوزن الديمغرافي والتموقع الجغرافي للأمازيغ بتونس

لا يتلخّص الواقع الأمازيغي في اللغة و« اللهجات »، حتى وإن كان المعطى اللغوي محوريا في بناء الهوية. إنّ الأمازيغية حاضرة في مساحة جغرافية ممتدّة في المغرب الكبير. هذه اللغة المشتقة من اللغة البربرية القديمة أو من اللغة الليبية تحتوي على تنوعات كثيرة يقدرها المختصون بثلاثين تنويعا (تشلحيت، الريفي، السوسي، المزاي، الشاوي، القبائلي، النّفوسي...).

في تونس توجد «الشّلحة» التي تمثّل اللغة المتكلّمة في البلدات البربرية ونصف البربرية الموزّعة على امتداد التراب الوطني، لكن مع تركز أكبر في الجنوب التونسي، وبالأخص في بلدات شينيني ومطماطة ودويرات وعُمراسن وتامزرت وقرماسة، الموجودة في الجنوب-الشرقي لولايتي مدينين وتطاوين.

يوجد الذين يتكلمون البربرية أيضا في الجنوب-الغربي في سند ومجورة الموجودتين بالمرتفع الجبلي بمنطقة فُفصة.

20. <http://www.inp.rnrt.tn/periodiques/atals/Tunis.pdf>

21. http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=63&lang=fr

22. http://www.inp.rnrt.tn/Carthe_archoe/pdf/Fr/LV_IPAMED.pdf

وفي جزيرة جربة، ظلت بلدات بأكملها تتكلم الأمازيغية إلى فترة غير بعيدة، وظلت تعتقد المذهب الإباضي مثلها مثل بني مزاب في الجزائر. يتعلق الأمر ببلدات سدويكش والملي وقلالة وصدغيات ومحبوبين وأجيم.

أما اليوم، فإن الكبار خاصة هم الذين يتكلمون الشلحة. هناك أيضا بعض الشبان الذين يتواصلون بهذه اللغة عن قناعة أو بفعل سيرورة التنشئة الاجتماعية العائلية، خاصة في جربة وفي البلدات البربرية الجنوبية.

واللغة المستعملة في مطماطة والبلدات المجاورة : تاوجوت وتامزرت وزراوة هي لغة زناية أطلق عليها العرب تسمية « شلحة » أو « جبايلي ». ويعتبرها اللسانيون تنويعا عن لغة نفوسة.

في بداية القرن العشرين، كان الألسني المستشرق الألماني هانس ستوم (1864-1936) من جامعة لايبزيغ، هو الذي درس لهجة تامزرت. أما اليوم، فإن العربي بن مامو²³، المنحدر من تامزرت، هو الذي بنى موقعا مخصصا للكلمات والتعابير البربرية من هذه البلدة الواقعة بالجنوب-الشرقي، والتي تنتمي إلى بلدية مطماطة²⁴ من ولاية قابس.

من المهم الإشارة إلى أن الإلتناء الأمازيغي في جربة يرتبط بالمذهب الخارجي-الإباضي، ومن هنا تسمية « وهاب » الذي يُطلق، في الوقت نفسه، على معتنقي المذهب الإباضي أو الأشخاص الذين يتكلمون اللغة الأمازيغية.

أما في شمال تونس، فإن أسماء بعض الأماكن مثل « تاكرونة » و« الزربية » و« جرادو » تشهد على الوجود الإتني واللغوي الأمازيغي، رغم أن اللغة التي يتكلمها سكان هذه البلدات، التي درسها كل من « و.ماسي » و« أ. فِدْفِة » في بداية القرن العشرين، هي اللغة العربية²⁵.

في الوطن القبلي، لازالت القبائل البربرية القديمة : « المعاوين » و« أولاد مُحَمَّد » و« وُلاد سيدي داود ». تحتل أراضي الحبوس القديمة. وتدلّ كل من مواقع « كركوان » و« تازگران » و« المفدرية » على وجود علاقة مع الحضارة البونيقية والقرطاجية تؤكدها الحفريات الأركيولوجية واكتشاف مواقع المقابر (« الحوانت ») والدُّلْمَنات والهيكل وغيرها من البناءات المُعْلِيَّة.

وتوجد على الحدود التونسية-الجزائرية تجمّعات بشرية عديدة في مراكز مدينية أو قروية مثل « شمتو » و« بلايجا » و« غار الدماء » و« كسرة » في الشمال-الغربي،

23. atmazret.nexgate.ch

24. https://en.m.wikipedia.org/wiki/Matmata_Berber

25. MARÇAIS William & GUIGA Abderrahmane, *Le parler arabe de Takrouna*, Paris, Imprimerie Nationale, Vol. 1. : Texte, transcription et traduction annotée, 1925.

و« تالة » و« سبيلطة » و« مكثر » و« حيدرة » و« قلعة السنان » في الوسط-الغربي، و« تمغزة والشبيكة » و« ميداس » و« حزوة » في الجنوب-الغربي وهي كلها، كما يظهر، من أصول أمازيغية، كما تدل على ذلك أسماؤها.

على مرّ القرون، تأقلم البربر مع ما تقدمه ثقافات خارجية من أصول فينيقية ورومانية وبيزنطية وعربية ثم تركية وفرنسية، لكن مع الاحتفاظ بالعديد من الممارسات والتقاليد المحليّة.

إنّ ما تشترك فيه مجمل الأماكن التي يقطنها سكان من أصول بربرية أو يتكلمون البربرية، أنها توجد جغرافيا في المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها. لا يقتصر هذا على تونس فحسب، بل يشمل مجمل المغرب الكبير حيث لجأ البربر، منذ الغزو العربي ثمّ الاجتياح الهلالي، في بداية القرن الحادي عشر، إلى مناطق وعرة التضاريس مناسبة للتراجع والدفاع ضدّ العدو.

تقدر الإحصائيات الكولونيالية وجود 45% من السكان البربر في المغرب الأقصى و33% في الجزائر و1% فقط في تونس. يتعلّق الأمر هنا بتقديرات تقريبية تفتقر إلى الأساس العلمي. والواقع أنّ الحضور الأمازيغي ليس مسألة كميّة بل مسألة ذات طبيعة نوعية، بل هي كما قال جاك بيرك متسائلا: « من ليس بربري في المغرب الكبير؟ ». وهو بهذا يعني أن الأمازيغية هي، أساسا، معطاة تاريخية وثقافية أكثر منها إتنية أو ديموغرافية.

3 - المقاومات المؤسّساتية والسياسية في وجه صعود المطالبات الأمازيغية في تونس.

إنّ المقاومات ضد بروز هويّة وطنية أمازيغية هي، الوقت نفسه، ذات طبيعة مؤسّساتية وسياسية وإيديولوجية، حيث أنّ المناوئين للقضية الأمازيغية يوجدون على رأس الدولة وكذلك على مستوى الأحزاب السياسية والمجتمع المدني والرأي العام أو المواطنين العاديين كما يُقال.

هكذا توجد، على ما يبدو ثقافة مُضادة للبربرية تجذّرت في مخيال النُخب والشعب مع انتشار الإيديولوجيا القومية. وقد اعتُبرت القضية البربرية، لدى البعض، تهديدا للوحدة الوطنية، خاصة أنها منذ « الظهير البربري » الذي رأى النور في المغرب الأقصى، وكان له صدى واسع في المغرب الكبير تحت الإحتلال الكولونيالي، والذي عدّ، سياسيا، بمثابة مناورة استعمارية هدفها « فرّق تسد ».

وكان أشرس المناوئين للقضية البربرية هم القوميون العرب والإسلامويّون، أنصار المصادرة (اللا) تاريخية عن « الأمة » العربية والإسلامية. وتشهد خطاباتهم وكتاباتهم على إرادتهم في نفي الأصول الأمازيغية وتثمين الانتماء العربي والإسلامي دون غيرهما لكل من تونس والمغرب الكبير.

كانت القضية الأمازيغية موضوعا سياسيا من قبيل المحرّمات قبل ثورة 14 جانفي 2011. وكان من المستحيل، خلال مرحلة السلطة الإستبدادية، الانخراط في عملية معارضة ذات طبيعة هُوِيّاتية.

والواقع أن نفي « الواقع البربري » هو تقليد متجذّر في مِخِال النخب السياسية المحلية في تونس أكثر منه في البلدان المغاربية الأخرى. وبالفعل، فلطالما استُحضرت مقولة « انسجام » المجتمع التونسي من أجل تبرير رفض التنوّع الثقافي والمطلب الهُوِيّاتي الأمازيغي. هذا، رغم أن الأمازيغ يشكلون السكان المحليين في البلاد وفي المنطقة، علما بأن عملية التعريب المرتبطة بالأسلمة قد أدّت، مع توالي القرون، إلى « تجنيس » (homogénéisation) ثقافي تساوق مع ظاهرة إنكار لوجود اختلافات اتنية ولغوية وثقافية.

والأمر يتعلق هنا بالحالة الأمازيغية كما بحالات السود واليهود والمسيحيين... في « أرض الإسلام ». يُقبل بوجودهم لكنهم يُخضعون لمنطق الإحتواء وقانون الأغلبية التي تعتبر نفسها عربية وإسلامية.

تتمثّل الحجّة الأساسية التي يقدّمها الخطاب الرسمي في المحافظة على الوحدة خوفا من انقسام الأمة. الإجماع أولى من التعددية. لا يقتصر هذا الخطاب على السلطة السياسية فحسب، بل تشاركه المعارضة والحسّ الشعبي المُشترك وتتقاسمه هكذا الأغلبية التي تظن أن التأكيد الهُوِيّاتي من شأنه أن يُضعف لحمّة الأمة.

تؤكّد الأطروحة المناوئة للبربرية أن البلاد منسجمة ثقافيا، وهي بهذا تتبنّى رواية الحركة الوطنية في مواجهة الحماية الفرنسية. وكان مُعظم السكان، بفعل ترسُّخ هذه الأطروحة التي تُكرّس فكرة وحدة الإسلام في مواجهة أعدائه الداخليين والخارجيين، يجهلون أصولهم البربرية ووجود مجموعات بربرية خاصة في الجنوب. ويظن العديدون أن المسألة تتعلّق بلهجة خاصة بالمنطقة، أكثر من كونها لغة : الأمازيغية²⁶. بل إن كلمة بربري هي أكثر تداولاً من كلمة أمازيغية التي أُدرجت في المعجم المستعمل بمناسبة المطالبة الهُوِيّاتية التي ظهرت في 2011.

4 - النهضة الهُوِيّاتية الأمازيغية غداة ثورة 2011

يتحدّث المناضلون الأمازيغ عن « ثورة هُوِيّاتية زاحفة »، حسب التعبير الذي استخدمه « ستيفان عرّامي » الناشط الأمازيغي الأُممي²⁷، أكثر من حديثهم عن انبعاث.

26. Cf. « L'officialisation de Tamazight (Maroc/Algérie): quelques réflexions et interrogations sur une dynamique aux incidences potentielles considérables », *Revue Asinag*, Institut Royal de Culture Amazigh, n°8, 2013. Lien : <http://tamazgha.fr/Salem-Chaker-analyse-l.html>

27. <https://www.tunisie-berbere.com/articles/stephane-arrami-lessentiel-est-dofficialiser-tamazight-en-tunisie-dans-une-vision-globale>. Cf. plus loin, p. 20 sq., le portrait de cet activiste, en relation avec la typologie des militants amazighs tunisiens.

ما معنى هذا ؟ إن تعبير « الثورة الهوياتية » يُقرن مع الحدث الأكبر الذي وقع قبل سبع سنوات مُتمثلاً في « ثورة الكرامة » التي أدت إلى سقوط النظام السابق وحررت الكلمة، وذلك بإدراج التعدد الثقافي والتنوع السياسي في الواقع. لهذا السبب، يجب إدراك المطلب الأمازيغي باعتباره ناتج تحرر الكلمة في الساحة العامة والإنبثاق التدريجي للأقليات الإثنولوجية باعتبارها فاعلا سياسيا جديدا.

تتميز المسألة في الجزائر والمغرب الأقصى بسياسة اعتراف رسمي لكون اللغة الأمازيغية مرسمة في الدستور. لكن لاشيء من ذلك في تونس حيث الحضور الأمازيغي ليس هاما بالدرجة نفسها، كما في البلدين المجاورين، من الناحيتين الديموغرافية والسياسية.

غير أن الإنتقال الديمقراطي الذي انطلق منذ 2011 يفرض تغييرات واستمرارا على مُستويي التمثلات والممارسات الاجتماعية والسياسية. وتتمثل المسألة في معرفة ما هو النظام المنطقي الذي يُؤدي، بالإرتباط مع الدولة والمجتمع، إلى إعادة إنتاج النظام الثقافي القديم وذلك الذي يفرض القطيعة مع الماضي.

للإجابة على هذا السؤال الذي يطمح إلى أشكلة الظاهرة الأمازيغية بربطها بالمحيط الذي توجد ضمنه، من الضروري تحديد نطاق الحضور الأمازيغي وتبين المواقع والأزمة وصنّاع منتوجها الثقافي والتاريخي والسوسيولوجي، وكذلك الطاقات التي يتوقرون عليها بداية. هذه الطاقات يجب تمييزها من وسائل التعبير لكون الأمر يتعلّق بالطاقات الأصلية المرتبطة بوضعية الفرد وأصله الاجتماعي والمحلي/المنطقي وكذا رأسماله الثقافي المكوّن من التربية والمهنة والقدرات الذهنية، في حين أن وسائل التعبير، المتمثلة أساسا في الشبكات الاجتماعية، إنما تمثّل إضافات بالنسبة للطاقة الأصلية. وإذ قلنا هذا، فإن نوعي الطاقات المتمثلة في الشبكات الاجتماعية، القديمة والجديدة، تُوجّه الأفعال الفردية والجماعية، وذلك بتشكيل كُلية الحركة الأمازيغية.

I - النشطاء والطاقات

على إثر التحوّلات التي حلت في تونس بعد 2011، تكونت الجمعيات الأمازيغية الأولى واكتسبت حضورا علنيا وفي وسائل الإتصال. وأصبح المناضلون الأمازيغيون يُعبّرون ويتظاهرون ويُطالبون بالإعتراف بحقوقهم عن طريق الشبكات الاجتماعية والتظاهرات الثقافية في الفضاء العمومي. غير أن طريق تأكيد الهوية لازال طويلا وتعتزّضه عقبات كثيرة بسبب المقاومات السياسية والإيديولوجية، وكذلك تباين المواقف داخل الحركة الأمازيغية التي لم تتكوّن بعد كقوة تعبئة اجتماعية.

1 - البروز السياسي للأقليات الإثنية

تعتبر الديمغرافيا أن سكان تونس يتميّزون بالتماثل الثقافي والديني، حيث أن الأغلبية المطلقة تعتبر نفسها من أصول عربية وإسلامية.

كان عدد غير المسلمين، من المسيحيين واليهود أساسا، يمثل 7% من مجموع السكان غداة الإستقلال، أي 250000 نسمة، ثم تقلص عددهم اليوم إلى أقلية قليلة قُدّرت، في التقرير العالمي حول الحرّيات الدينية، الذي وضعته وزارة الخارجية الأمريكية، بأقل من 1% من السكان، أي 5000 مسيحي، وبين 1200 و1500 يهودي يعيش ثلثهم في تونس العاصمة والبقية في جربة والباقي في جرجيس²⁸.

وعليه، ومن وجهة نظر ديموغرافية وإحصائية، لا وجود في تونس لتنوع المجموعات الإثنية. وكان « محمود سكلاني » قد أثبت هذه الحالة في دراسته حول السكان التونسيين في أواسط السبعينيات²⁹. غير أن المطلب الهوياتي للأقليات بدأ يؤسس شبه « معطاة اتنية » أو « معطاة أقلية » يتم إدراكها باعتبارها مكوّنا من مكوّنات التنوع اللغوي والاجتماعي والديني والثقافي.

وبالفعل، فمنذ ثورة 2011، انخرطت الأقليات الإثنية، على غرار ذوي البشرة السوداء التونسيين، في السعي للحصول على المساواة في الحقوق وحماية تراثهم في وقت لازالت فيه مجموعات أخرى، كانت ولا تزال ممنوعة ومجموعة على غرار المثليين والملحدين واللاأدريين والبهائيين الخ...، تتناول الكلمة هي أيضا علانية وتطالب بمعاملتها كمواطنين لا كأفراد يُجرّمهم القانون ويُعيّرهم المجتمع.

هذه هي الطريقة التي تتصاحب بها السيرورة المواطنة مع الإنبثاق السياسي للأقليات الإثنية والدينية. إن مشروع تحويل للعلاقات الاجتماعية والثقافية هو بصد الإرساء من قبل المجتمع المدني من أجل تغيير التشريع ونظرة الآخرين، أي، بعبارة أخرى، تغيير العلاقات القانونية والثقافية.

هذا المشروع الذي يهدف إلى الاعتراف بالآخر، والذي تمّت المبادرة به منذ سبع سنوات، صاحبه تقدّم هام لكنّه اصطدم، بالطبع، بمقاومات قويّة على مستوى الدولة والمجتمع والمؤسسات والعقليات ومواقف المواطنين.

هناك نزوع لاعتبار الأقلية الإثنية مجموعة تتميز بهوية خاصة، من طبيعة لغوية أو ثقافية أو دينية. يمكن لمثل هذه الأقلية أن تكون أقلية محلية أو أجنبية. والأمر يتعلّق، في الحالتين، بمجموعة ماتحت-الدولة (infra-étatique). في الدول الإستبدادية، تخضع الأقليات للرقابة والتهميش. أما الدول التعدّدية والديموقراطية، فإنها تسمح لهذه الأقليات بالتمتّع بالحقوق والواجبات نفسها مثلها مثل المواطنين الآخرين.

هل يجب حقًا اعتبار الأمازيغ أقلية اتنية ؟

28. <https://www.state.gov/j/drl/rls/irf/religiousfreedom/index.htm?year=2016&dliid=268916#wrapper>

29. SEKLANI Mahmoud, *La population de la Tunisie*, Tunis, CICRED, 1974

الرد على هذا السؤال يكون بالإيجاب إذا اعتبرنا الأمازيغ مجموعة تدافع عن هُويتها اللغوية والثقافية، خاصة وأنها مجموعة تبحث عن حقوقها السياسية في دولة-أمة في طور التكوين، حريصة على تضامنها وتجانسها، رافضة للتعددية والتنوع.

يمكن اعتبار الأمازيغ التونسيين أقلية من وجهة النظر اللغوية، نظرا لأن اللغة الأمازيغية لا يتكلمها إلا عدد قليل، في أماكن محدّدة، في البلدات البربرية أو ضمن المجموعات التي هاجرت من الجنوب. والواقع أن اللغة الأمازيغية لا تُستعمل إلا قليلا، بل قد لا يعرفها الشبان. ولا توجد سوى حفنة من الأشخاص المُستَين أو بعض الشبان الذين يستعملونها في الوسط العائلي أو المجموعاتي. ومن هذا الجانب، فقد أصبحت اللغة الأمازيغية، بمرور الوقت وبسبب سياسة التعريب المُفرطة، لغة مفرطة في الأقلية. هذا، وإن فكرة الأقلية لا معنى لها إلا بالنسبة لأغلبية مُهيمنة ومُط هيمنة يهيكل المجتمع بالتمييز بين العام والخاص، والقاعدة والانحراف، والشرعي واللاشرعي. لذا، يتعيّن النظر إلى المسألة الأمازيغية في هذا النمط من العلاقة بين مطالبة من نوع خاص من جهة، ومبدأ وحدة الدولة من جهة أخرى.

لكن الإجابة تكون مختلفة، بل سلبية إذا أخذنا بعين الإعتبار تاريخ الأمازيغ وهم السكان الأصليون والذين تحوّلوا، بفعل قرون طويلة من الإحتلال، من أكثرية إلى أقلية فُرض التراجع على لغتهم من قبل لغة رسمية خارجية (اللاتينية واليونانية والعربية والتركية والفرنسية..). إن هذه العملية، المتمثلة في انبثاق الهوية اللغوية والثقافية، هي التي سببت تهميشها التاريخي. غير أن هذا الإنبثاق تمثّل أساسا في تعريب البربر وكذا في أسلمتهم المتلازمة. فرض الإسلام نفسه، ابتداء من القرن السابع، بالتساوق مع تعريب السكان البربر. لم يكتمل هذا التعريب إلا غداة اجتياح القبائل الهلالية الذي حصل مع بداية القرن الحادي عشر. هذا، مع أن المجموعات التي لجأت إلى الجبال حافظت على لهجاتها وعاداتها طيلة قرون بأكملها. ولم يتمّ تهميش « اللهجات » البربرية إلا بعد الإستقلال عن طريق التمدرس والنزعة العروبية الإيديولوجية المنتشرة. وفي واقع الأمر، فإن الدولة التونسية لا تعتبر الأمازيغ أقلية خصوصية، وتنفي وجودهم وحقوقهم بفعل سياسة الصمت والإيديولوجيا المتحيزة حصرا للعروبة والإسلام كما تعلن ذلك المادة الأولى من الدستور. وتعتبر الدولة أن الأمازيغ هم جزء لا يتجزأ من تاريخ البلاد ولا يشكلون مسألة ذات أولوية بالنسبة لتحديات التنمية والديموقراطية.

غير أن أحد مطالب مجموع الأقليات الإثنية يتمثّل في إعادة كتابة التاريخ. وإذا كانت الأقلية اليهودية تحظى بالإعتراف باعتبارها أقلية دينية، تاريخها معروف إلى هذا الحد أو ذاك على إثر الدراسات العميقة التي وضعتها النخبة المثقفة اليهودية - مثل « صباغ » و« ل. فالنسي » و« م. أبيتول » و« سيتون » -، إلا أن الأقلية ذات البشارة

السوداء، المنحدرة من أصول إفريقية، لم يُهتَمَ بها إلا مؤخرًا على إثر البحوث حول الرِّقِّ وحقوق الأقليات. قام بهذه البحوث باحثون « بيض » لا « سود ». لذا، فإنّ كتابة تاريخ السود من قِبَل السود لازال مشروعًا ينتظر التحقيق.

أما بخصوص تاريخ الأمازيغ، فلا زال مجهولًا كما هو حال تاريخ السود والمرأة. لا تمثّل المرأة أقلية، لكنّ جنسًا مضطهدًا على امتداد التاريخ من قِبَل إيديولوجية الذكورة المهيمنة. وإنّ الاعتراف بها باعتبارها مواطنة كاملة الحقوق لم يُنجز كاملًا بعدُ رغم المكاسب القانونية والسياسية المرتبطة بقانون الأحوال الشخصية، الصادر منذ 1956، والحركة النسوية التي تطوّرت مع نهاية السبعينيات.

مالذي يمكن قوله إذن عن الأمازيغ ؟ هل إنّ وجودهم باعتبارهم « أقلية » هو وجود مضمون ؟

يتعلّق الأمر، في الواقع، بكفاح شاق يعلو وينزل بسبب المقاومات من قِبَل المؤسسات والرأي العام. ويظل هذا الأخير، رغم حرية التعبير، مناوئًا في معظمه للتنوّع الاجتماعي والثقافي والديني.

وكمثال على رفض كفاح الأقليات بصفة عامة، يمكن أن نذكر حالة الشابين « غازي باجي » و« جابر ماجري » اللذين أعلنّا جهارًا إحداهما فأدانتهما المحاكم في 2014. وعلى إثر ذلك هاجر الأول إلى الخارج حيث حصل على صفة لاجئٍ سياسي، بينما أدين الثاني قبل أن تُعلن براءته³⁰.

وتُعدّ حالة جمعية « شمس » التي تناضل من أجل الاعتراف بحقوق المثليين مثلًا دالا على الرفض الاجتماعي الذي تعاني منه هذه الأقلية، إذ أنّ أحمد بن عمر، نائب رئيس الجمعية، قد دُفع، إثر الضغوط النفسية والتهديدات بالقتل بسبب ظهوره في وسائل الإعلام، إلى الإقدام على محاولة انتحار³¹.

ظلتّ جمعية « شمس »، منذ الاعتراف بها في ماي 2015، تطالب برفع تجريم المثليّة سحب المادة 230 من قانون العقوبات. بعد أن علّقت الدولة جمعية « شمس » لمدة شهر، سمحت لها المحكمة الابتدائية بتونس العاصمة باستئناف نشاطها³².

حصلت جمعية « شمس » مؤخرًا على تصريح يسمح لها بالإرسال على موجات الراديو. تمثّل هذه الواقعة « سابقة » في العالم العربي ؛ لكنها أثارت، في الوقت نفسه، جدالًا وإدانات حازمة من الأخلاقيين ومن نقابة الأئمة. وفي آخر الأخبار، يبدو أن الراديو قد تم منعه من قِبَل وزارة الداخلية. وهو ما يدلّ على هشاشة واقع الأقليات في مجتمع يهيمن فيه الإجماع والنزعة للتقيّد بالأعراف المقرّرة، دون القابلية التمييزية

30. <http://www.kapitalis.com/politique/11579-peut-on-encore-etre-athee-en-tunisie.html>

31. <http://www.realites.com.tn/2016/07/tentative-de-suicide-du-vice-president-de-lassociation->

32. http://www.huffpostmaghreb.com/2016/02/23/tunisie-shams-proces_n_9298632.html

للنصوص القانونية. وهذا على عكس المادة 21 من دستور 2014 التي تثبت المساواة بين المواطنين دون أي تمييز³³.

يُحظى نضال جمعية « شمس » بدعم عدد من الجمعيات مثل « الجمعية التونسية لدعم الأقليات ». وقد تعرّضت هذه الأخيرة، هي أيضا، إلى ضغوط وتهديدات من قبل المحافظين والسلط القائمة ؛ لكنها، على العكس من ذلك، تحظى بدعم المنظمات غير الحكومية في العالم ومن السفارات الغربية.

حتى هذه اللحظة، لا يصطدم النضال من أجل الأمازيغية بمقاومات شبيهة بتلك التي يصطدم بها نضال الملحدّين والمثليين، وهذا بسبب الشرعية التاريخية للمطلب الهويّاتي الأمازيغي وضعف هذا المطلب على المستوى السياسي. ورغم ذلك، فإنّ رفض تامازغت ميثوث في تفكير المثقّفين القوميين والإسلاميين. ليس هذا فحسب، بل يتعرّض المناضلون الأمازيغ إلى الإعتداء كما حصل مؤخرا في مجاز الباب حيث تعرّضت مناضلة شابة للإعتداء والشتم من قبل تلاميذ³⁴، وضد أماكن اللقاء التي تعلن انتماءها الهويّاتي كما حصل مع مطعم أمازيغي بالحمامات الذي تم إغلاقه بحجة التشويش الصوتي والمعنوي على المؤمنين الذين يرتادون مسجدا مجاورا³⁵. وفي الحالتين، فإنّ الدين هو الذي يُستحضر لاستهداف الهوية الأمازيغية من قبل المتشدّدين في وسط مواطني سلمي وغير مبال.

لازال المطلب الهويّاتي الأمازيغي، رغم المجهودات الجمعياتي المحمود، محصورا في بعض الدوائر الثقافية الهامشية دون أن تتمكن من البروز سياسيا، على عكس الحركة السلفية خاصة التي برزت بروزا لافتا خلال السنوات الأخيرة.

بخصوص مسألة الإنتماء الأمازيغي، بين لنا التحريّ النوعي الذي قمنا به بصدد 23 ناشطا ملتزما، إلى هذا الحد أو ذاك، بالدفاع عن القضية، وجود موقفين كبيرين : يتمثل الموقف الأول في تبني هوية أمازيغية « خالصة » أو حصرية ؛ ويتبنى الموقف الثاني هوية مُدمجة حيث الإنتماء الأمازيغي يتوافق وهوية تاريخية، عربية وإسلامية. تنجم المعطاة العربية من الإستخدام المشترك للغة العربية، والإسلام لكونه الدين الرسمي ولكونه دين الأغلبية المطلقة من التونسيين. بل إنّ الهوية الإسلامية هي أكثر حضورا لدى الشبان منها لدى المناضلين الذين يتجاوزون سن الخمسين والذي يبدو أنهم أقل ارتباطا بالدين ؛ وهذا حتى إن أقلية هي التي تطالب باللائكية في عموم المجتمع التونسي كما في الحركة الأمازيغية.

33. Cf. EL MEKKI Abir, « Tunisie : quels droits pour quelles minorités ? », *MetaLaw*, publié le

34. <https://www.tunisie-berbere.com/revuedepresse/beja-des-eleves-agressent-une-activiste-amazighe-et-la-menacent-de-mort-en-criant>

35. <https://www.tunisie-berbere.com/revuedepresse/hammamet-les-fideles-de-la-mosquee-font-fermer-le-restaurant-le-berbere>

يرى بعض الذين استجوبناهم، أن الخروج من الإسلام يبدو مسألة طوباوية، كما أن رفض العروبة سيمثل، بصورة أو أخرى، خيانة للقضية الفلسطينية. ومن هنا تعقّد المطالب السياسي للأمازيغ الذين كثيرا ما يُتهمون بأن الإستعمار يتلاعب بهم من أجل ضرب الوحدة الوطنية. بل إن هذا الخطاب الشائع يتم إنتاجه من قبل مثقفين عروبيين وإسلاميين يعتبرون الأمازيغ والبربر أقلية هي عُرضة للإستعمار والتلاعب من قبل الإستعمار والإستعمار الجديد في « المغرب العربي ».

والمروّج الحالي لهذه الأطروحة « المؤامراتية » في تونس هو النائب والوزير السابق في « الترويكا »، سالم الأبيض³⁶ الذي يعتبر أن الهوية البربرية، القديمة تاريخيا، تنبعث من جديد على غرار « طائر الفينيق »، بفعل تأثير إيديولوجيا التنظيمات والقوى العالمية التي تهدف، بحجة الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان، إلى تدويل القضية وتدمير الدولة، وذلك بتوظيف وسائل الإتصال المتجاوزة للحدود القومية، على غرار قناة « الجزيرة »، هذه القناة الدعائية بامتياز.

في السابق، كان القوميون العرب والإسلاميون قد وقفوا ضد الهوية البربرية التي كانوا يعتبرونها « هوية زائفة » باعتبار أن أصولها سامية، عربية وشرقية، وأن ماضي وحاضر ومستقبل المغرب الكبير يكمن في عروبه وإسلامه³⁷.

والواقع أنّ سالم لبيض يقف موقفا متناقضا من المسألة الأمازيغية. فهو ينحدر من منطقة الجنوب-الشرقي، المهده التاريخي والأنتروبولوجي لـ« تامازغا »؛ وهو لا ينكر تامازغت التي هو واحد منها دون أن يتبناها باعتبارها أمازيغيا، على غرار حلفائه الإسلاميين الذين ينحدر أغلب زعمائهم من المنطقة نفسها. وتمثل الإيديولوجيا العُروبية والإسلاموية « عقبة إستمولوجية » تمنعه من إدراك الدوافع العميقة المحركة للتمايز الاجتماعي والثقافي والسياسي. ذلك أنّ أطروحة المؤامرة الغربية إنّما تُخفي، في الواقع، آليات إنتاج التعددية والتنوع، وكذلك تأكيد الهويات في مرحلة الإنتقال الديموقراطي، في سياق العولمة وتراجع نفوذ الدولة-الأمّة.

2 - الجمعيات الأمازيغية التونسية

كانت توجد، قبل 2011، رقابة رسمية تمس كل الجمعيات، بما في ذلك الجمعيات الأمازيغية المعترف بها والخاضعة، في الوقت نفسه، للرقابة عن كتب على غرار « دويرة جربة »

36. Cf. son livre *La minorité berbère en Tunisie. Les usages culturels et politiques des communautés berbères dans le Maghreb arabe* (en arabe), Tunis, Editions Sotumedia, 2017 (1^{er} éd. 2011).

37. ينظر : عفيف بوني، الوعي بالهوية في الفكر التونسي المعاصر، باريس، منشورات العالم العربي؛ عرباوي محمد مختار، البربر، عرب قدامى، تونس، بدون تاريخ؛ عربلوي محمد مختار، مجابهة النزعة البربرية ومخاطر التقسيم، تونس، دار نقوش عربية، 1998؛ نجار عبد المجيد، الشهادة الحضارية والمستقبل الثقافي للمغرب الإسلامي، تونس، المركز المغاربي للبحوث، 2017

التي أُمرت بأن تقصر نشاطها على الجانب السياحي وتتفادى التعبير عن مطالب سياسية أو هوياتية³⁸.

وعليه، فإن القضية الأمازيغية كانت موجودة بالقوة دون أن يتم التعبير عنها جهارا كما يشهد على ذلك وجود بعض الجمعيات المحلية النشطة، على غرار « جمعية جربة فلالة الأمازيغية ». وتعدّ جزيرة جربة، ذات المنزح الحرفي والسياحي، حاضنة للمجموعات الأمازيغية في الجنوب التونسي؛ وهي كذلك مكان تواجد المذهب الإباضي، هذه المدرسة التي تنتمي للمذهب الخارجي المغاربي المنتشر وسط جماعة بني مزاب بالجزائر.

غداة سقوط نظام بن علي، ازدهرت الحياة الجمعوية والسياسية، وهو ما سمح بنشأة وتطور ما يشبه « مجموعة ضغط » التقت في « كتل الجمعيات الأمازيغية في تونس »³⁹. من بين الجمعيات الأكثر بروزا في هذا التكتل، يمكن الإشارة، في المقام الأول، إلى « الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية » (ATCA)⁴⁰، التي حصلت على الإعتماد بتاريخ 30 أفريل 2011، باعتبارها جمعية ثقافية وفنية، واحتفلت في أكتوبر 2011 عن طريق تنظيم مؤتمر صحافي ويوم ثقافي.

والواقع أن « الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية » أسّست في أفريل 2011 بمناسبة المؤتمر الدولي الأمازيغي الذي نُظّم في جربة. واعتبرت السيدة خديجة بن سعيدان⁴¹، رئيسة الجمعية، خلال المؤتمر الصحفي، أن الاعتراف بقانونية الجمعية هو مكسب من مكاسب الثورة نظرا لاستحالة حصولها على الإعتماد قبل⁴² 2011.

على المستوى الوطني، عرفت سنة 2011 تأسيس جمعيتين أخريين هما: « جمعية تامازغت للثقافة والفنون » و« جمعية تطوير التراث الموسيقي والشعري الأمازيغي ».

38. <http://www.tunisia-live.net/2014/03/18/tunisi-as-amazigh-identity-deeply-embedded-little-recognized/>

39. Ce Collectif fut créé sur le modèle du « Collectif National des Amazighs de France » (CNAF), né en septembre 2013, en tant que « réseau de franco-amazighs et d'associations amazighes » : https://www.facebook.com/pg/Collectif-national-des-amazighs-de-France-1240795602621969/about/?ref=page_internal

40. <http://imazighentounes.e-monsite.com> <https://www.facebook.com/pages-الجمعية-التونسية-للثقافة-الأمازيغية/483313751817318/>

41. <https://www.youtube.com/watch?v=7QERbevWbFg>

42. « جمعية للثقافة الأمازيغية بتونس », موقع الجزيرة نت، تاريخ الزيارة 28/6/2017 <http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2011/7/31>

هناك جمعية بارزة أخرى هي : « الجمعية التونسية للمرأة الأمازيغية. ثقافة واتصال »⁴³ التي نشأت في نوفمبر 2015. هذه الجمعية ترأسها السيدة عربية نور الباز، في حين أن رئيسها المؤسس هو أحمد الطرابلسي⁴⁴.

منذ 2012، تأسست عديد الجمعيات على المستوى المحلي ؛ توجد من بينها « الجمعية الأمازيغية بجزيرة » (2012)، و« جمعية صيانة بلدة تاوجوت الأمازيغية » (2013) بمطماطة، و« جمعية عُرباطة من أجل الثقافة الأمازيغية »⁴⁵ بقفصة.

3 - الطاقات الفردية والجماعية

إضافة إلى هذه الكوكبة من الجمعيات، نشأ «المنتدى الثقافي الأمازيغي» بصفاقس⁴⁶، وآخر بالمحرس بالولاية نفسها. وظهر منتدى آخر بتونس العاصمة. من شأن كل هذه المنتديات أن تسهر على تعليم ونشر الأمازيغية التي يتكون جمهورها أساسا من الشبان والتلاميذ والطلبة. يتكون عدد أعضائها من عشرين إلى ثلاثين فردا ؛ ولا يداوم على حضور نشاطاتها إلا نصف هذا العدد.

وفي المجموع، توجد ثلاث جمعيات وطنية تناضل من أجل القضية الأمازيغية وعدد من الجمعيات المحلية المتمركزة في الجنوب التونسي، خاصة بجزيرة وتامزرت. لكن الإتجاه العام لا يمضي باتجاه التعدد بل باتجاه التركيز الجمعياتي بالنظر إلى وعي المناضلين، كما ظهر من خلال لقاءاتنا معهم، بضرورة الإتحاد ووعيهم كذلك بمحدودية وزنهم على المستوى السياسي.

وإنّ تكوين « مجموعة ضغط » أمازيغية يمرّ عبر تركيز العمل التعبوي داخل أول وأكبر جمعية هي « الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية »، مع ضرورة مواصلة التعبئة النسوية داخل « الجمعية التونسية للمرأة الأمازيغية-الثقافة والإتصال ».

43. <https://www.facebook.com/AssociationTunisienneDeLaFemmeAmazighe/1935> personnes aiment, 1930 personnes suivent ce lieu.

44. <http://directinfo.webmanagercenter.com/2015/10/09/creation-officiellement-de-lassociation-tunisienne-de-la-femme-amazighe/>

45. <https://www.facebook.com/amazigheorbata/1289> personnes aiment. 301 personnes sont abonnées cause. il nsideré l'a question Amazighe n'as des moyens necessaires
قلوكلو اخدمنهمايفيدالي

46. <https://www.facebook.com/ClubdelaCultureAmazighaSfax/2244> personnes aiment et 2261 personnes sont abonnées

Entretien avec Nora Gharyéni, le 8 août 2017. Nora est la fondatrice du Club Culturel Amazigh de Sfax avant de quitter « la capitale du Sud » pour Tunis afin de poursuivre ses études universitaires

ليست كل الجمعيات الأمازيغية ذات منحنى سياسي. وإن بعضها تحصر نشاطها في الحقل الثقافي والهوياتي، مع تكريس نفسها للقضية الأمازيغية كما هو حال « الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية » و« جمعية حماية التراث الأمازيغي » لكن، وكيفها كانت طبيعة العمل الذي تؤدّيه هذه الجمعيات على المستوى المحلي أو الوطني، فإنها تصنف باعتبارها جمعيات ثقافية. زيادة على ذلك، فهي تقدم نفسها بهذه الصفة، من خلال أهدافها ووسائل عملها. وتمثل حماية وترقية التراث الأمازيغي المادي واللامادي، خصوصا اللغة، القصدية المشتركة لكل هذه الجمعيات.

من جهة أخرى، فإن « الجمعية التونسية للمرأة الأمازيغية »، المدركة لكون الثقافة والتراث الأمازيغي هما في طور الإنقراض، قد حددت لنفسها مهمة أساسية تتمثل في الحفاظ على هذا التراث عن طريق التواصل بين الأجيال لتبليغه. في هذا الإطار المحدد، تلعب المرأة دورا أساسيا⁴⁷.

رغم هذا الدور الهام الذي تؤدّيه أو يمكن أن تؤدّيه الجمعيات الأمازيغية لحماية التراث من جهة، وتوجيه المطالبات الهوياتية من جهة أخرى، إلا أن جزءا هاما من تلك الجمعيات لم تعد تنشط. يعود هذا إلى أسباب عدة : أولا، لأن هذه الجمعيات، مثل قسم كبير من المجتمع المدني، لا تتوفر على الوسائل والموارد المالية الخاصة والضرورية للقيام بالنشاطات. وهي لا تستفيد أيضا من دعم النخب الإقتصادية الأمازيغية. وفي بعض المناطق، خاصة في جربة، يتفوق التضامن الاجتماعي وسط المجموعة الأمازيغية على النشاط الجمعي.

يضاف إلى كل هذا، أزمة الزعامة والتنافس من أجل احتلال مراكز القيادة داخل بعض الجمعيات. إن مثل هذه الأزمة، ذات المنزغ الشخصي، لا تفيد البتة في انبعاث الحياة الجموعية وفي مأسستها.

أخيرا، فإن هجرة الشبان من أجل الدراسة أو الشغل تمثل سببا مباشرا في تقليل النشاط الجمعي على المستويين المحلي والوطني. وتعدّ حالة خديجة بن سعيدان حالة دالة إذ، عندما تزوّجت من مغربي، غادرت تونس وتخلّت عن العمل الجمعي والنضالي. يجب التأكيد، بهذا الصدد، على أن القضية الأمازيغية ليست قضية وطنية فحسب، بل إنّهل تشكل، بالتأكيد، قضية مغربية، بل عالمية. وهكذا، فإن النضال الأمازيغي في تونس يستفيد من الدعم والتجربة الأقدم والأرسخ التي راكمها أمازيغ الجزائر والمغرب. يتجسد هذا الدعم من خلال الإرتباط الموجود بين المناضلين الأمازيغ عن طريق « المؤتمر

47. https://www.facebook.com/pg/AssociationTunisienneDeLaFemmeAmazighe/about/?ref=page_internal

العالمي الأمازيغي « الذي يلعب دوراً محورياً، ليس على مستوى التحسيس فحسب، بل على مستوى التنسيق بين مختلف الحركات المطالبة الهوياتية الأمازيغية. وهكذا، فقد عقد « المؤتمر الأمازيغي العالمي »، لأول مرة في تاريخه، جمعيته في جربة بتاريخ سبتمبر 2011. ومن يومها، تدعّمت العلاقات بين المناضلين التونسيين والمناضلين الأمازيغ المغاربة الآخرين.

في إطار هذا المنظور، قدم « المؤتمر العالمي الأمازيغي » في سبتمبر 2016، تقريره البديل المتعلق بتونس إلى لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التابعة للأمم المتحدة، بمناسبة النظر في التقرير المقدم من قبل الحكومة التونسية، تحت عنوان « الإقصاء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لأمازيغ تونس ». وقد ركّز التقرير، خاصة، على إنكار الهوية الأمازيغية. خلال الاجتماع مع المنظمات غير الحكومية، قام جلول غاكي، نائب رئيس « المؤتمر الدولي للأمازيغ »، بـ« لفت الإنتباه لتهميش المناطق التي يسكنها الأمازيغ، خاصة بلدات المرتفعات الجبلية والجنوب التي تمثل الجهات الأكثر حرماناً في البلاد »⁴⁸.

لم يقنع الرد الذي قدمه الوزير التونسي على تساؤلات اللجنة الأممية حول المسألة الأمازيغية، لم يقنع أعضاء اللجنة. وبالفعل، فقد أكد السيد مهدي بن غربية أن هناك « هوية عربية-إسلامية لكن الدستور يحمي الأقليات، وإن الحكومة ليس لها أي مشكل مع أي مجموعة مهما كانت ».

يُشير التقرير، عن حق، إلى « أن اللجنة تلاحظ أن تحديد الهوية العربية والإسلامية للدولة من شأنه أن يؤدي إلى خرق الحقوق اللغوية والثقافية للأقلية الأمازيغية، خاصة بفرض اللغة العربية باعتبارها لغة التعليم العمومي الوحيدة ». كما يلاحظ التقرير أخيراً، مُتأسفاً لذلك، « ضعف الموارد المالية المخصصة للثقافة ولحماية التراث الثقافي للسكان الأمازيغ ».

وإذ تنحاز للمطالب المقدمة من قبل « المؤتمر العالمي الأمازيغي »، فإن اللجنة توصي تونس، من بين وصايا أخرى، بالإعتراف الرسمي باللغة الأمازيغية وضمّان تدرسيها في كل المستويات الدراسية⁴⁹.

48. Communiqué du 12/10/2016 : « Eclatante victoire des Amazighs de Tunisie à l'ONU », le site officiel du Congrès Mondial Amazigh : <https://www.congres-mondial-amazigh.org/2016/10/15/nouvel-article-de-blog/>

49. Rihab Boukhayatia, « L'Etat tunisien vilipendé par l'ONU pour sa déconsidération de sa culture amazighe », *Huffpost Tunisie*, 11/10/2016 http://www.huffpostmaghreb.com/2016/10/11/etat-tunisien-onu-amazigh_n_12440002.html

زيادة على بروز «مجموعة الضغط» الأمازيغية المحلية والدولية هذه، توجد جمعيات أخرى غير متخصصة تقدم، رغم ذلك، مساهماتها ودعمها الثمين للقضية الأمازيغية. ذلك هو، على الخصوص، شان جمعية « لم الشمل » التي هي عبارة عن شبكة من الجمعيات المواطنة التي تجمع أكثر من أربعين منظمة غير حكومية ؛ وكذلك شأن « الجمعية التونسية للمتجولين » التي تُنظم بانتظام نشاطات تحسيس وتدعيم للأمازيغ⁵⁰. كما أن الجمعيات المستقلة عن الأحزاب السياسية، والمنظمات غير الحكومية التي تكتلت داخل تجمع « لم الشمل » قد دُعمت عن كُتب الحركة الهوياتية الأمازيغية. وهكذا، فقد نظم هذا التجمع، في جانفي 2014، الإحتفال بالسنة الأمازيغية ودافع عن الثقافة الأمازيغية⁵¹.

من المهم، بالنظر إلى كفاح كل هذه المجموعات التي تتميز من حيث الأصول والثقافة والمطالب، أن نلفت إلى بروز جمعية متميزة ذات مسعى توليفي، غداة الثورة، هي « الجمعية التونسية لدعم الأقليات »⁵² التي تم تأسيسها في سبتمبر 2011 من قبل مجموعة صغيرة ترأسها طالبة شابة في الطب : أمينة ثابت.

تناضل هذه المنظمة غير الحكومية من أجل حقوق الأقليات، بتركيز نشاطها ضد معاداة السامية والمثلية على وجه الخصوص. وهي تنظم نشاطات وأعمالا تحسيسية من أجل الدفاع عن حقوق كل المواطنين والتنديد بالتجاوزات التي تتعرض لها الأقليات.

تتميز منظمة غير حكومية أخرى، تأسست مؤخرا في 2017، بدعمها أيضا للأمازيغ والدفاع عن أقلية أخرى تتمثل في الملحدون وغير المتدينين. إنها « جمعية المفكرين الأحرار » التي تناضل ضد العقائد الدينية، وخاصة ضد الإحالات المرجعية القانونية والسياسية إلى الشريعة⁵³.

لكن ليست هذه هي حالة جمعيات المجتمع المدني الأخرى التي يقف أغلبها، بفعل معتقداتها العروبية والإسلاموية، موقفا مناوئا للقضية ؛ وهي، أغلب الأحيان، لاتبالي بالقضية الأمازيغية محتجة بألوية المسائل التي تعدها « أساسية »، ألا وهي الإقتصاد والأمن الوطنيين.

50. http://www.lamechaml.org/actualites_details.php?id=111 ; Amazigh South Trek 1/7/2016). <http://www.randotunisie.tn/event/eventamazigh-south-trek/>.

51. http://www.lamechaml.org/actualites_details.php?id=34

52. www.atusmi.com

53. <http://kapitalis.com/tunisie/2017/10/27/tunisie-les-athees-autorises-a-creer-une-association/> ; <http://www.businessnews.com.tn/Une-association-d%C3%A9fendant-les-droits-des-ath%C3%A9es-obtient-son-visa--520,75698,3>

لا وجود للقضية الأمازيغية على مستوى التوجه العام للمثقفين. وسواء أكانوا من اليسار أو الوسط المعتدل أو القوميون أو الإسلامويين، فإن مسألة القوميات تبدو لهم مختلفة، مبالغا فيها وبلا أساس سياسي. وإن موقفهم، بإزاء الأقليات، هو الموقف الذي كان لهم، والذي لا زال إلى حد ما، بخصوص الكفاح النسوي ومن أجل مساواة الجنسين. يشهد على ذلك النقاش الدائر حاليا بخصوص المساواة في الميراث وزواج المسلمة من غير المسلم⁵⁴ الذي لا يجد دعما كبيرا سواء من قبل المثقفين أو السياسيين؛ والشيء نفسه بخصوص كفاح الأقليات الأمازيغية وأصحاب البشرة السوداء واليهود والملاحدين والبهائيين... وهو ما يدل على أزمة المثقفين التونسيين في علاقتهم مع التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي يناوئونها بفعل مواقف محافظة والحرص على الحفاظ على التوازنات الهشة التي كانت قد عمقت هشاشتها علاقات الهيمنة الداخلية والخارجية.

4 - الإختلافات داخل الحركة الأمازيغية

ليست الحركة الأمازيغية متجانسة حتى وإن كانت متّحدة حول الهدف المشترك المتمثل في تأكيد هويّة سكان شمال إفريقيا الأصليين وثقافتهم وحضورهم المتواصل عبر التاريخ.

للهمة الأولى، يبدو أنه توجد أربعة أنواع من الإختلافات والإنقسامات لا يجب النظر إليها من جهة الإختلافات فقط، بل كذلك باعتبار التقاطعات والتفصلات التي تربطها ببعضها. وعليه سندرك تعقّد القضية الأمازيغية في علاقاتها مع السياسة والمجتمع.

يتعلق الإختلاف الأول بطبيعة الكفاح الذي يجب خوضه من أجل تأكيد الهوية الأمازيغية: هل هو كفاح ثقافي أم كفاح سياسي؟

يتعلق الإختلاف الثاني باستعمال أو عدم استعمال اللغة الأمازيغية. يتميز النشطاء الذين يستعملون اللغة المحلية عن الآخرين الذين يجهلونها. في هذا المستوى، يرى بعض النشطاء أن التمكن من اللغة يفرض تمييزا يستهدف خلق إحساس بالنقص لأولئك الذين لا يتكلمون الأمازيغية⁵⁵؛ بينما يرى آخرون أن المسألة لا تتعلق بخط فاصل، خاصة وأن تعلم اللغة في تناول الجميع بفضل المنتديات الثقافية الأمازيغية⁵⁶.

54. Cf. « Trois questions pour comprendre la polémique autour des successions et du mariage de la musulmane avec le non-musulman », *Huffpost Tunisie*, 30/08/2017 : http://www.huffpostmaghreb.com/mohamed-kerrou/trois-questions-pour-comprendre-la-polemique-autour-des-successions-et-du-mariage-de-la-musulmane-avec-le-non-musulman_b_17866200.html

55. Entretien avec Hédi El Jeni, le 24 juillet 2017.

56. Entretien avec Nora Gharyéni, le 8 août 2017

أما الإختلاف الثالث، فهو ذو طابع جهوي بين أمازيخ الجنوب والشمال من ناحية، وداخل كل جهة من ناحية أخرى ؛ على سبيل المثال بين الدويرات وجربة وجبالية الجنوب وجبالية السند، ألخ...

ويوجد الإختلاف الأخير بين الأجيال : بين الشبان والكهول.

يشغل كل إختلاف على مستوى خاص من الصراعات والتناقضات واستراتيجيات التمايز والنفوذ التي طوّرها المناضلون الجمعويون أو غير الجمعويين.

بقي أن هذه الإختلافات عبارة عن « نماذج-مثلى » هي، في الحقيقة، متداخلة ومن مستوى واحد، مثل ذلك المتعلق بالأجيال الذي يمكن أن يندرج في إطاره مستوى أو مستويات من التناقضات.

بتعبير آخر، فإن الإختلاف بين الأفراد يمكن أن يكون، في الوقت نفسه، ذا طابع جيلي، سياسي، لغوي وجهوي. أحيانا، يمكن لمستوى واحد أن يُفرّق أو، على العكس، أن يوحد. فالصراع، من وجهة نظر « سيمال » السوسولوجية، هو شكل من أشكال الإندماج الاجتماعي وافتسام النفوذ. إنه يسمح بالإلتقاء كما يسمح بالتمييز.

إنّ من طبيعة الإختلافات السوسيو-سياسية والإيديولوجية أنها تنتج، في الوقت نفسه، نقاط الضعف ونقاط القوة وسط الحركة التعبوية. وبالفعل، فإن الإنقسامات تسبّب توترات بين الأفراد والمجموعات، مع تشجيع روح التنافس في الوقت نفسه وإرادة فرض النفس داخل الحركة وخارجها. وهكذا، فإن الإختلافات داخل الحركة الأمازيغية التونسية جعلت هذه الحركة الوليدة توحى بأنها حركة أقلية ومتشظية ؛ فتكون النتيجة أنها تبدو ذات وزن ضئيل وتأثير ضعيف على مجريات الأمور.

ويبدو، إذا نظرنا للأمور عن كثب، أن مركز الضعف في الحركة الأمازيغية يكمن في ممارسة اللغة. هذه الممارسة محدودة، إذ أن قلة قليلة من الناس يستعملون الأمازيغية للتعبير والتواصل بينهم. وإذا استثنينا الأشخاص المسنين الذين هم في الطريق إلى العالم الآخر، فإنّ الشبان قليلا ما يستعملون هذه اللغة حتى وإن كانت جهود تُبذل من قبل الجمعيات من أجل الإنبعاث اللغوي والثقافي. وهو ما يستدعي بذل جهود كبيرة على هذا المستوى بالذات، بتنسيق مجمل الأعمال. وفي هذا المجال، فإن « الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية » تطالب بتعليم اللغة الأمازيغية رسميا في المدارس العمومية.

وفي آخر المطاف، فإن أكثر ما تفتقد إليه الحركة الأمازيغية، على ما يبدو، هو الرؤية الإستراتيجية التي تضع أهدافا واقعية وتحدد المراحل اللازمة من أجل بلوغ مثل هذه الأهداف، باعتماد سياسة تجميع وتحالفات من أجل التمكّن من فرض النفس في الساحة العمومية الوطنية والإقليمية.

هذا، وتجب الملاحظة بأن الحركة الأمازيغية التونسية التي هي حركة فنية وصاعدة تتوفّر على نقاط قوّة يتوجّب ذكرها ومعرفتها. من بين نقاط القوة هذه، يمكن ذكر الإرث التاريخي الذي يمنح الحركة هوية اجتماعية وسياسية، بحيث أن من ينكرون وجود هذه القضية أنفسهم لا يمكن لهم محو هذا التاريخ الأصلي للبلاد وللمنطقة. إن أصول تونس والمغرب الكبير هي أصول أمازيغية لا غبار عليها بالنسبة لكل مؤرّخي العصور القديمة والعارفين بالتاريخ الماضي. تُتوارث هذه الأصول الأمازيغية عن طريق المعتقدات والأساطير والعادات والتقاليد التي تُؤسس الثقافة والحضارة التونسية والمغربية.

ينضاف إلى نقطة القوة التاريخية والأنثروبولوجية هذه، بداية انبعاث ثقافي وهوياتي أمازيغي يقوده رجال ونساء، أفراد وجمعيات، ينشطون على أرض الواقع وعن طريق شبكات اجتماعية؛ وهم يؤسسون بهذا شيئاً يشبه «لوبي» أمازيغي على المستوى الوطني والمنطقي والدولي، مع دور نشيط تقوم به الجماعات المغاربية المهاجرة في أوروبا، وفي فرنسا على وجه الخصوص⁵⁷.

II - مطالب ووسائل تعبير المناضلين الأمازيغ

مثلت ثورة 2011 « نقطة تحول » بالنسبة لنشطاء القضية الأمازيغية في تونس. وقد اتخذ نشاطهم، أساساً، شكلين: الأول هو شكل المجتمع المدني عن طريق جمعيات ظهرت بعد جانفي 2011. أما الثاني فهو شكل النشاط الفردي، عن طريق التعبير عبر الشبكات الاجتماعية أو المشاركة في نشاطات المجتمع المدني.

يختلف مستوى المطالب بحسب درجة التزام النشطاء؛ وهو يتراوح بين المطالبة بالإعتراف السياسي بالموّكّن الأمازيغي من الثقافة التونسية، والمطالبة المرفوعة في 2013 لتعديل المادة الأولى من الدستور التي تنص على أن « تونس دولة حرة مستقلة وذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامه ».

والحاصل أن المطالبات الأمازيغية تظهر على النحو التالي من خلال المقابلات التي أُجريت:

* تموقع سياسي واضح عبر الجانب الثقافي والتربوي

* رفض التصنيف القائم على فكرة الأقليات والإعتراف بالأصول الأمازيغية للبلاد

* هويّة جديدة خارج إطار الهوية الدينية

57. يجتهد احد الذين استجوبناهم، وهو ينحدر من « دويرات » ويعيش في فرنسا، من أجل تأسيس جمعية جديدة تحمل اسم « تويزة »، بعد أن كان قد ناضل في صفوف « الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية ». ويُعدّ البعد الأمازيغي، بهذا الصدد، فرصة لبعث النشاط الوطني التونسي. أُجريت المقابلة في 19 أوت 2017.

* إدراج تونس في « تامزغا الكبرى »، أي المجال الأمازيغي الثقافي-المتعابر. ولهذا يُشار إلى دور المؤتمر العالمي الأمازيغي في صياغة وتدويل المطالب الهوياتية.

* تعليم الأمازيغية باستخدام الكتابة بالتيفيناغ

* إعادة الإعتبار للبعد «الحضاري» ومشروع إعادة كتابة تاريخ تونس

* صيانة التراث في العلاقة بالسياحة

* عدم تسييس القضية الأمازيغية والإبقاء على الجانب الهوياتي الإنساني والثقافي للإلتزام الأمازيغي.

وفي المحصلة، يتمثل المطلب الهوياتي الأساسي في الوعي بأمازيغية تونس وبأصول التونسيين الثقافية، التي تم تجاهلها عن قصد أو سياسيا.

فالأمر لا يتعلق إذن بمطلب أقلّي بقدر ما هو مطلب «أقلية لغوية» تدعو إلى ضرورة تغيير الوضعية الثقافية للمجتمع الذي تعيش في إطاره.

لكن السؤال المطروح هو : كيف يمكن الوصول إلى تحقيق هذا الوعي؟

تتمثل إحدى المعارك التي يخوضها مناضلو القضية الأمازيغية في « معركة الأرقام ». وهكذا، يدحض بعض المناضلين تقديرات المستعمر التي تتحدث عن نسبة 1% من مجموع السكان ؛ أما هم، فيذكرون العدد 500000 وأحيانا 100000 يتكلمون اللغة الأمازيغية في تونس⁵⁸.

هناك معركتان أخريان يتعين خوضهما لبلوغ ذلك الهدف حسب مناضلي القضية الأمازيغية. الأولى ذات طبيعة سياسية ومؤسسية ؛ والثانية ذات طبيعة ثقافية، حتى وإن كان أغلبية النشطاء الأمازيغ يضعون المعركة الثقافية في المقدمة. وهم، بهذا يطالبون بالإعتراف السياسي الرسمي ب«تامزغا»، دون الطموح إلى تكوين حزب سياسي ذي مرجعية اتنية، هوياتية أو دينية.

1 - المسار النضالي : المسالك والملاح

من المهم تسجيل التالي : إن المسار النضالي الذي انخرط فيه أغلب المستجوبين تم قبل الإنخراط في القضية الأمازيغية ؛ وكان العديد من المناضلين الأمازيغيين المستجوبين منخرطين بعدد في العمل السياسي أو النقابي. على سبيل المثال « ربيعة » ؛ وهي نقابية منخرطة في الإتحاد العام التونسي للشغل. وقد بدأت مسارها إبان الدراسة الجامعية، ثم التحقت بالمناضلين القاعديين ذوي التوجّه الإشتراكي من أجل تدعيم ما تعتبره من القضايا العادلة ؛ وهذا، رغم أنها لم تكن منخرطة في حزب سياسي. وهي ترسم مسارها

58. <http://directinfo.webmanagercenter.com/2015/10/09/creation-officiellement-de-lassociation-tunisienne-de-la-femme-amazighe/>

من خلال التزامها بالدفاع عن « وذرف »، بلدتها الأصلية، بعد الثورة، عن طريق كفاح ذي طابع بيئي وثقافي. تؤكد ربيعة أن التزامها بالدفاع عن الهوية الأمازيغية يندرج في هذا الإطار، نظرا لأن « أوظريف » هي بلدة أمازيغية بامتياز؛ وهي، كما تقول: « إن كل شيء في تقاليدنا وأسلوب عيشنا يؤكد هذا الطابع الأمازيغي ».

ذاك هو الأمر أيضا في «حالة» مراد وأروى اللذين عرفا تجربة الإلتزام السياسي-الإيديولوجي (دستوري في حالة أروى وشيوعي في حالة مراد) قبل اكتشاف الإلتزام الهوياتي، مع تأكيد أن قيم واختيارات حزبيهما السياسية لا تتناقض مع الدفاع عن القضية الأمازيغية.

تشكل الهوية الأمازيغية داخل العائلة منذ الصغر عن طريق اللغة والعادات، بما في ذلك بالنسبة لأولئك الذين وُلدوا خارج البلدات الأمازيغية. هذه هي وجهة نظر المناضلين الأمازيغ الذين تم استجوابهم، خاصة أولئك الذين يعرفون اللغة الأمازيغية أو الذين يتحدثونها أقرباؤهم.

من جهة أخرى، يؤكد أغلب المستجوبين أن « وعيهم بالهوية الأمازيغية » جاء نتيجة تساؤل وبناء ثقافي شخصي. كانت المسألة الأمازيغية، بالنسبة إليهم، بمثابة « الطابو » في المجتمع التونسي، يتم تجاهلها من قبل الدولة كما من قبل المثقفين والمؤرخين التونسيين، الذي انخرطوا في الخط الإيديولوجي للحكام التونسيين. ويرى هؤلاء المستجوبين أن الحكام التونسيين حاولوا خنق أي أثر من آثار انتماء تونس إلى « تامازغت »؛ وبهذه الطريقة فرض وطنية خيالية لا تستجيب لمتطلبات السكان.

تبرز نقطتان أساسيتان من خلال خطاب النشطاء الذين يبررون التزامهم من أجل المسألة الأمازيغية: هناك أولا العودة إلى تراث وتقاليد وثقافة الأجداد (نمط العيش، اللغة المتداولة في الكلام، الموسيقى، اللباس، القيم...). هناك أيضا المقاومة البطولية من قبل الشعب الأصلي في وجه الغزوات الأجنبية، وخصوصا الغزو « العربي ».

تنضاف إلى هذا المطلب المزدوج مسألة أصالة الهوية الأمازيغية إزاء الجدل المتعلق بالهوية الذي ثار في تونس، تزامنا مع صعود حزب النهضة الإسلامي الذي كان ينادي بالهوية العربية-الإسلامية و«الإمتثال للنمط المجتمعي الجاري في المجتمعات العربية والإسلامية».

يرى النشطاء المستجوبون أن الثقافة الأمازيغية ثقافة منفتحة على الثقافات الأخرى مع بقائها مستقلة. وبناء على هذا، فإنها ترفض أي أصولية دينية وأي شكل من أشكال التمييز الديني أو الجنسي..

ويلح أغلبهم على المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع والتاريخ الأمازيغي، وكذلك هامش الحرية الفردي الكبير الذي يتمتع به الإنسان الأمازيغي. إن الحرية هي القيمة الأساسية في الثقافة، ذلك أن كلمة الأمازيغي تعني «الرجل الحر».

غير أن من المُستجوبين من يرفضون اعتبار المسألة الأمازيغية قضية. وهم يعتبرون أنفسهم نشطاء ثقافيين وهُويّاتيين أكثر منهم مناضلين سياسيين.

يمكن، حسب اللقاءات النوعية التي تمت مع 23 مناضلا أمازيغيا، أن نُميّز عديد الملامح داخل الحركة الجمعوية الأمازيغية التونسية. ومن الواضح أن الجمعيات الأمازيغية مرتبطة ارتباطا قويا بالأفراد الذين أسسوا تلك الجمعيات وبالجهات التي نشأت فيها أو بالجهة التي ينتمي إليها معظم أعضائها المؤسسين.

بخصوص الملامح، يبدو أنّ هناك ثلاثة أمطاط يمكن أن نفترض حضورهم بالنظر إلى فضاء نشاط الأفراد والجمعيات. وتتمثل أمطاط الملامح الثلاثة في النشاط المحلي والوطني والعالمي.

لا يجب بالطبع النظر إلى كل ملمح من هذه الملامح على حده أو ضمن علاقة حصرية بل ضمن علاقة تضمينية، لأن الأمر يتعلق، بالأحرى، باتجاهات وسمات غالبية في مستوى مسارات المناضلين الفردية.

في الواقع، يمكن أن يكون كلّ من النشاط العالمي أو الوطني متجذّر محليّا. لكن المناضل المحلي قد لا ينشط بالضرورة على المستوى الوطني ولا، بالأحرى على المستوى العالمي، حتى وإن كانت الشبكات الاجتماعية الجديدة، المركّزة حول استعمال الأنترنت، تسمح تحديدا بانفتاح المحلي والوطني على العالمي.

يبدو أن الملمح النمطي للنشاط الأمازيغي العالمي تجسّده شخصية ستيفان ألن عرّامي. من هي هذه الشخصية التي لم نتمكن، مع الأسف، من استجوابها، وهي التي تلعب دورا هاما على مستوى الشبكات الاجتماعية الجديدة؟

يتعلق الأمر، حسب المعطيات التي وضعها المعني على «النت»⁵⁹، بمُكوّن ومطوّر في مجال الشبكات العنكبوتية، متخصص في هندسة وسائل التواصل المتعددة. يقطن هذا «المُقاوّل الناتي» كما يُعرّف نفسه بمدينة ليون بفرنسا، ويهدف عمله إلى تسيير «مشاريع مُجدّدة» يوجد، من بينها، الموقع [www. Kabyle.com](http://www.Kabyle.com),

يتعلق الأمر، على ما يبدو، بشخصية متنازّع حوله لأنه موضع جدل مطرد. فمنذ 2009، حصل نقاش حام بين عرّامي الذي يمتلك نصف أسهم الشركة ذات المسؤولية

المحدودة : kabylye.com، وماري قاضي من موقع kabylye.net التي اهتمته بالنصب على القبائل⁶⁰، موضحة أنه لا يعرف اللغة القبائلية وأنه لم يزر أبدا منطقة القبائل.

في 2017، حصل جدال آخر بين عرّامي وحساسيات قبائلية مثل kabylye «tamazygha» لم تتردد، عن طريق بوسعد أقبو، في أن تستخدم كليشيهات معادية لليهود وافتراءات ضده من أجل تشويه سمعته لدى الرأي العام القبائلي⁶¹.

ودون الدخول في تفاصيل هذه المجادلات ذات الرهانات الفردية والمالية، فإن الأهم يكمن في التركيز على الظهور في وسائل الإتصال عبر «النت» من خلال منشورات دورية، خاصة وأن الشخص المعني يزعم تنظيمه لأكثر من ستين موقعا. إن مثل هذا الظهور عبر وسائل الإتصال الرقمي يترافق وخاصيتين أساسيتين : إمكانية الوصول إلى الموقع والإرتباط - البيئي⁶². وهو ما يسهّل النقاش العلني.

إن مساره، عند مفترق الطرق، هو الذي يعطي فكرة عن ملامح هذا الناشط على المستوى العالمي. لقد قضّى جزءا من شبابه بتونس حيث درس في الثانوية الفرنسية « بيير منديس فرانس » بمدينة ميتوالفيل (Mutuelleville) ؛ وساهم كذلك في نشاطات ثقافية بنشر مقالات في جريدة « la presse de tunisie »، ثم في مكتب الطلبة التونسيين بمنطقة Rhone-Alpes

أنشأ عرّامي مؤسسة أمازيغ تونس وكذلك موقع : Tunisieberbere.com، بالإضافة إلى إطلاق الجامعة الرقمية البربرية Tasdawit-Moocscivigisation langue berbère بالإشتراك مع المجلس العالمي الأمازيغي والجامعة الشعبية القبائلية⁶³.

بل أكثر من ذلك ؛ إنّ ستيفان ألن عرّامي، الذي يسمي نفسه أيضا ستيفان مرابط عرّامي، يصنع لنفسه نسبا مزدوجا : أصل أمازيغي تونسي بموقعه في بلدة عرّام الموجودة في طريق فّابس ومدنين في الجنوب-الشرقي التونسي، وتمتد أصولها الليبية حتى الزمن الحاضر بانتماؤها إلى اتحاد عرّامة اللقبلي. كما يضيف نسبة طرّقية مزعومة إلى الساقية الحمراء بالصحراء الغربية وأصولا يهودية بلنسية تعود إلى القرن الثالث عشر. ويتم إخبارنا كذلك بأن عرّامي يرتبط لغويا بكلمة الرّامي التي تعني « الرجل الشريف، من عائلة قديمة من الأشراف »⁶⁴. يُضاف إلى كل هذا، في نهاية المطاف، علاقة نسبة

60. <https://kabylietamazgha.wordpress.com/2017/08/19/stephane-arrami-le-juif-tunisien-qui-escroque-les-kabyles/>

61. <https://kabylietamazgha.wordpress.com/2017/08/19/stephane-arrami-le-juif-tunisien-qui-escroque-les-kabyles/>

62. Cf. « Kabylye sur le Net », http://www.persee.fr/doc/homig_1142-852x_2002_num_1240_1_3918

63. <https://www.tunisie-berbere.com/mot-cles-thematiques/stephane-arrami>

64. <https://stephane.arami.me/billets/dou-vient-le-nom-de-famille-arami-en-tunisie>

أبوية ناحية بجاية، وبصورة أدق ناحية أسيف أميزور، ببلدة آيت اعميروب بالقبائل⁶⁵. ويضيف ستيفان عَرّامي بأن البحث عن أصوله وعن أبيه هو الذي دفعه إلى تأسيس موقع kabyles.com وإدراج نشاطه في الحقل الثقافي والإعلامي لا في حقل حزب سياسي. سنجد هذا الإختيار الشخصي، كما سيتبين، لدى العديد من المناضلين الأمازيغ.

وفي المحصلة، فإن هذا الناشط الذي يلعب دور «الرابط» بين القضية الأمازيغية التونسية والقضية الأمازيغية القبائلية يوجد، من حيث تموقعه في الأرض الفرنسية - فرنسا البلد المستعمر سابقا الذي لا يزال يحتفظ بنفوذ في البلاد المغاربية - في تقاطع المحلي والوطني والشامل. وهو يقول عن نفسه إنه « رجل الضفتين » ورجل عوالم كثيرة. يقول إنه : « نورماندي » و« فانديني » و« بيكاردي » و« قبائلي فخور وفاتح »⁶⁶.

تمتد كلمة « شامل » حصافتها من مستوى الإندماج والإرتباط-البيني للشخص المعني الذي يعتبر نفسه مواطنا له هوية خاصة، هي الأمازيغية مع انتمائه، في الوقت نفسه، إلى عوالم مختلفة مرتبطة، بل متداخلة.

بهذا المعنى، يشير مصطلح « الإشتغال »، من الناحية الأنتروبولوجية إلى التعلّق بهوية ثقافية والإنتماء، في الوقت نفسه، إلى عالم مُعوم يرتبط فيه كل واحد بالآخر، مع إحساسه باختلافه عنه⁶⁷.

بقي أن ملمح الناشط « العالمي » المرتبط ارتباطا عضويا بمستوي التماهي الأخرى -الوطني والمحلي - هو ملمح متغير ومتحرك. يشهد على ذلك مسارات شاملة ومتميزة أخرى، كما هو الحال بالنسبة لمها جويني في مجال القضية الأمازيغية التونسية.

وبالفعل، فإن هذه الشابة التي ناضلت، في البداية، في النقابة الطلابية ودافعت عن الأطروحات اليسارية، لعبت، بعد انخراطها في القضية الأمازيغية، دورا هاما باعتبارها مستشارة في المجال الإتصالي داخل الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية والمؤتمر العالمي الأمازيغي. ومِعيّة هاجر بزبنة، أعطت ديناميكية ثقافية وسياسية للجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية، وتميّزت بتدخّلاتها في وسائل الإتصال الوطنية والعالمية.

يتمثل الهدف الأساسي لنشاطها في الدفاع عن أمازيغ تونس الذين لا تعتبرهم « أقليات لغوية » بل، بالأحرى، « أغليات ثقافية »⁶⁸. فالحضور الأمازيغي يتجلى في الطقوس والعادات وفنون الطبخ والملبس، وهو ما يطبع الثقافة إلى درجة أنّ فكرة الإستثناء التونسي نفسها تنحدر من التقليد الأمازيغي الذي يثمن المرأة⁶⁹؛ المرأة الحرة الفخورة بحريتها.

65. <https://stephane.arrami.me/billets/mes-racines-kabyles-oued-amizour>

66. <https://stephane.arrami.me/billets/normand-vendeen-picard-kabyle-fier-et-conquerant>

67. ABELES Marc, *Anthropologie de la globalisation*, Paris, Payot, 2008.

68. Entretien Maha Jouini, le 1^{er} juillet 2017.

69. <https://www.maghrebvoices.com/a/amazigh-Tunisia/391554.html>

وبهذا، تُعارض جويني امبريالية « الهوية العربية-الاسلامية » التي تُخمد، في رأيها، التعدد الثقافي وتاريخ تونس القديم، البلد الذي تعتبره « إفريقيا وأمازيغيا بامتياز.

والإنتماء الأمازيغي، بالنسبة لهذه الناشطة الشابة، لا يحصل عن طريق رابطة الدم بل بالإنتماء إلى الأرض؛ بينما الذي يحدد الهوية الأمازيغية هي اللغة التي يجب تعلّمها وتثمينها في إطار تعدد لغوي حيث اللغة العربية هي اللغة الرسمية، في حين أن اللغة، في واقع الإستعمال، هي مزيج يتكون من كلمات عربية وأمازيغية وفرنسية وإيطالية...

تتبنى جويني أمازيغيتها وتدرجها ضمن إطار محلي - من المهاجر، بالقرب من مدينة بُرْسُق في الشمال-الغربي ووطني تونسي ومغربي وعالمي في الوقت نفسه.

بخصوص المستوى المغاربي⁷⁰، تعتبر مها جويني أن أفضل نموذج بالنسبة للنشاطات الجموعية التونسية هو النموذج المغربي الذي يسمح بثمين اللغة ودمج الثقافة في إطار وطني، كما هو الشأن بالنسبة للطريقة التي اعتمدها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، دون المخاطرة بتشجيع النزعة الانفصالية أو العصيان الإثني الجهوي، كما هو الحال في منطقة القبائل.

تتتمي مها جويني إلى « حركة الشبيبة الإفريقية »، وهي تحوز على تجربة قارية اكتسبتها في أديس أبابا بأثيوبيا، حيث استقرت مدة وعملت في منظمة الوحدة الإفريقية. وهي الآن تواصل دراستها في الماستر في تينامين، بالصين. في هذه البلاد وفي الأماكن الأخرى التي سافرت إليها مثل كردستان واليمن، دافعت عن القضية الأمازيغية. إنها تنعت نفسها بكونها مغاربية وإفريقية وأممية، مع التأكيد تأكيداً على انتمائها كأمراة أمازيغية حرة. لهذا السبب، اختيرت ضمن الشخصيات الأمازيغية الخمسة الذين طبعوا ببصمتهم سنة 2017، إلى جانب مناضلين مثل المزايي كمال فخّار والليبيين سهام طالب وسالم قلوي والقائد الريفي ناصر زفزافي⁷¹.

وضعت مها جويني عملاً أدبياً يتكون من قصص قصيرة تحت عنوان « عاشقة من إفريقيا »⁷²، تكتب وتعبّر فيه وتُبرز « تامازغت » وفق رؤية خاصة، سياسية وثقافية في الوقت نفسه. وهي بهذا تتميز عن النشطاء الأمازيغ التونسيين الآخرين الذين يحرصون نشاطهم في الحقل الثقافي فحسب ويفرضون تسييس المسألة.

إذا كان ملمح الناشطة، التي تُوسّع مجال القضية لتشمل مناطق عدّة من العالم، يبدو معبراً عن منظور مستقبلي ليس في تناول الجميع، فإن ملمح أغلب النشطاء الأمازيغ التونسيين هو، بالأحرى، ملمح محلي و/أو وطني.

70. Stéphanie POUESSEL, « De la Tunisianité à la Chaîne du Grand Maghreb : ré(émergence) du panmaghrébisme ? », in *Penser le national au Maghreb et ailleurs*. Actes du colloque organisé à Tunis les 22-24 septembre 2011, édité par F. Ben Slimane & H. Abdessamad, Tunis, Dirasset/Arabesques, 2012, pp. 125-138.

71. <https://www.maghrebvoices.com/a/410026.html>

72. نُشر من قبل AdalEditions بالتعاون مع دار صفصفا بأديس أبابا في 2017

إن الالتقاء بين المستويين ممكن حتى وإن كان المستوى المحلي، وأحيانا الوطني، هو السائد في المسار الفردي كما يظهر من خلال الإستجابات التي تمت. لكن كثيرا ما نجد، على العكس، حالات كثيرة يكون الملمح فيها وطنيا مع تجذّر محلي. غير أن عديد الناشطين المحليين يظلّون مرتبطين بالنكهة المحليّة لكونهم يعيشون بعيدا عن العاصمة حيث يتركز أغلب النشاط الثقافي والسياسيين ويتنظمون بشكل مطرد.

كثيرون، من المستجوبين، من كان لهم مسار محلي خالص ؛ وأغلب المحليين شباب تحت سن الثلاثين لازالت تجربتهم في النشاط يافعة ؛ وهكذا اكتشفوا واعتنقوا القضية الأمازيغية بعد الثورة، وهم ينشطون في جمعيات أو منتديات ذات ميل محلي أو جهوي. تلك هي، من بين أمثلة أخرى، « حالة » أيمن سندي، المنحدر كما يدل على ذلك اسمه من بلدة سند البربرية الموجودة في منطقة ففصة بالجنوب الغربي التونسي. ينعت أيمن سندي نفسه باعتباره « أمازيغي جبايلي » وليس باعتباره « سندي ». ومن وجهة نظره، فإن ما يميّز الجبايلي هو الإستقلال والحرية. وهو بهذا يعارض العروبة ويعتقد الإسلام باعتباره دينا وهوية. ويمثل رفع العلم الأمازيغي، في بلدته، إلى جانب العلم التونسي، تجسيد الجذور التاريخية للثقافة المحلية، في المكان والزمان. يتعلق الأمر هنا بوضع وسُم يهدف إلى القطيعة مع الإحتثات الثقافي الذي يعود إلى المرحلة الإستعمارية وإلى مرحلة الإستقلال. فقد عمّم بورقيبة التعليم ودمقرطه، لكنه استبعد منه البُعد الأمازيغي. وحتى إن عادت الإشكالية الأمازيغية اليوم إلى الساحة، إلا أنها تظل ضعيفة بفعل الإنقسامات التي عرفتها منذ قرون ؛ هذه الإنقسامات التي يُعيد الشبان اليوم إنتاجها رغما عنهم. ويورد القول المأثور : « البُغض جبايلي ».

لكن هناك أمل أن تنتصر « تامازاغت » باعتبارها ثقافة وهوية تاريخية عريقة، شريطة أن تُقرن بالكفاح النقابي والاجتماعي. ذلك أن الإشكالية الوطنية الحقيقية لا تتمثل في التنوع، بل تتمثل، في نظر مُستجوبنا الشاب، في الفساد. أما بخصوص المسألة الأمازيغية، فهو يعترف بأن البلدين المغاربيين الآخرين (الجزائر والمغرب) هما أكثر تقدما، وأنه من الأفضل استلهامهما من أجل تجذير القضية التي كانت من قبيل المحرّمات والممنوعة في تونس ما قبل الثورة⁷³.

إذا نظرنا إلى الأمور عن كثب، فإن المسألة المطروحة على المستوى المحلي هي كيفية تمفصلها مع الوطني والإقليمي والعالمي ؛ وهو أمر ممكن، افتراضيا، من خلال شبكات اجتماعية جديدة ؛ لكن تحقيقه على أرض الواقع أمر صعب نظرا لانعزال المواقع الأمازيغية المغاربية جغرافيا وثقافيا.

بقي أن نعاين النشاط الأمازيغي على المستوى الوطني. إذا أردنا الإحالة إلى رموز وطنية ومرجعية بالنسبة للحركة الأمازيغية التونسية، فإن ثلاث شخصيات تتصدّر

المشهد. يتعلق الأمر بكل من علي سعيدان ومنصور غاقي ومحمد خلف الله. يحوز هؤلاء الثلاثة على هالة وطنية داخل الحركة الأمازيغية مع تجذّر محلي، في الوقت نفسه، ومسار شخصي مميز لكل واحد منهم.

يُعدّ الأول، الذي ينحدر من « دويرات »، مرجعا أساسيا بالنسبة للتراث الشعبي التونسي - الأغاني والتقاليد والتاريخ... - ذي الأسس الأمازيغية. الثاني، وهومن تامزرت، عالم آثار متخصص في الآثار الليبية. أما الثالث، من قفصة، فهو، في الوقت نفسه، مُؤثّق وأستاذ متطوع لتدريس الأمازيغية في المنتديات والجمعيات الأمازيغية في تونس.

خلال لقائنا مع عالم الآثار، منصور غاقي، تبين لنا أن المبعادة بين الباحث والموضوع الذي هو في حالة تماه معه، بفعل أصوله الأمازيغية، يسمح له بالإحاطة إحاطة أفضل بالمسألة من حيث شكلها وحدودها. ومنه، فإن المسألة اللغوية التي هي مركز الدائرة تبدو مسألة مُعقّدة لا يعود تعقيدها إلى موقف السلطة الراض بل، بالأحرى في أرض الواقع، إلى غياب المختص اللغوي الذي يُدرج اللغة في مجال التدريس والتوصيل. وإذا كانت كل اللغات تدرّس في الجامعة، باستثناء الأمازيغية، فذلك، بكل بساطة، لأنه لا يوجد في تونس مختص في اللسانيات قادر على تقديم الدروس وتسيير الأعمال الموجهة. كما أن القضية الأمازيغية لا تفتقر إلى الجمعيات، بل إلى مناضلين نشطين « متجنّدين وقابلين للتجنّد ». لا شك أن المناضلين مدركون لأمازيغيتهم باعتبارها ثقافة وهوية ؛ لكنهم يعبرون عن تحفظ عندما يتعلق الأمر بتحويل المسألة الثقافية إلى مسألة سياسية. والواقع أن « الأمازيغية » تظهر باعتبارها « عاملا متشظيا تماما »⁷⁴ ينقصه « مراكمة » الطاقة الثقافية والتراثية⁷⁵.

تتوفر الشخصيات الوطنية المذكورة، في خطوطها الكبرى، على طاقات ثقافية وإنسانية هائلة ؛ لكن يبدو أنها غير موظفة من قبل الحركة الأمازيغية التي تظنّ مُنكفئة ثقافيا وسياسيا. لا شك أنها حديثة النشأة وأنها ظلت باستمرار ضحية إنكار سياسي ؛ لذا، فهي مجبرة على المقاومة من أجل ضمان بقائها كثقافة تاريخية وقضية ثقافية مشروعة.

2 - المقاومة الثقافية

إن الكفاح الأساسي في سبيل القضية الأمازيغية هو من طبيعة ثقافية، لكون أحد أهم المطالب يتمثل في تكوين « مجلس وطني لصيانة الثقافة الأمازيغية ». في هذا المجال، يلعب المطلب اللغوي دورا أساسيا لكون اللغة هي التي تحدد « تامازغت » أكثر من الأصول الإثنية.

74. مقابلة مع منصور غاقي بتاريخ 4 جويلية 2017

75. مقابلة مع لعروش خميري بتاريخ 16 أكتوبر 2017

تُبنى اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة وطنية أصلية، تتمحور حول كتابة التيفيناغ. تنتج هذه المطالبة عن التصور الذي يعتبر أن اللغة الأمازيغية تشكل « القاعدة التاريخية » لتونس والمغرب الكبير؛ وإن المناضلين الأمازيغ يطالبون بترسيم اللغة الأمازيغية إلى جانب اللغة العربية التي فرضت نفسها طيلة قرون. وهم يطمحون إلى جعل الأمازيغية ليس لغة وطنية فحسب، بل أيضا لغة الدول المغاربية الأمازيغية الموحدة.

إنّ لغة الكلام هي لغة مُبْنِيَة للثقافة الأمازيغية حتى وإن كانت، في الحالة التونسية، قد هُمّشت بل استبعدت من قبل مؤسسات الدولة - خاصة في المدرسة والجامعة حيث لا تُدرّس البتة، وكذلك في الجهاز الإحصائي حيث لا يتم التعداد منذ الإستقلال الوطني على أساس الجماعات الاجتماعية - ومن قبل الأمازيغ أنفسهم الذين لا يطالبون بذلك خوفا من التعرض للتمييز بهم ورفضهم سواء كجماعة اجتماعية أو كأفراد. إن مثل هذا الكبت و« كره الذات » يستأهل تفكيراً ونقاشاً. وهذا هو بالضبط ما يحاول اليوم مناضلو القضية الأمازيغية طرحه جهارا في مواجهة إرادة فرض لون واحد في الفضاء العمومي من قبل الأديولوجيا المهيمنة، إيديولوجية الدولة ومختلف الفاعلين السياسيين.

ومن أجل التمكن من تجسيد مشروع تونس « ملوّنة وذات مكونات متعددة »، تتركز مطالباتهم على الإنتماء الأمازيغي: « لا يمكن مُماهات التونسيين مع العرب وهم ليسوا كذلك في أغلبيتهم ». هذا هو الشعار الذي يتقاسمه كل النشطاء الذين استجوبناهم. وهم ينتهزون كل الفرص لتأكيد اختلافهم/تمييزهم عن العرب ويتبنون أصولا أمازيغية تاريخية مرتبطة بشخصيات شهيرة مثل الكاهنة والملوك كسيلة، اللذين قاوما الغزوات العربية والإسلامية، وماسينيسا ويوغرطة وحنبل.. ويركز الناشطون كلهم على الرموز الشهيرة، وخاصة على وضعية المرأة الأمازيغية الحرة التي تتميز بها تماما عن المرأة العربية.

تتمثل السمة المميّزة الأخرى للأمازيغ في انتمائهم الإسلامي الذي لا يفترض العروبة بالضرورة. يشهد على ذلك، حسب المستجوبين، كبار القادة العسكريين الأمازيغ مثل طارق ابن زياد ويوسف بن تاشفين. ويتمثل النزاع، بالأحرى، مع العروبة لا مع الإسلام إلى درجة أن بعض النشطاء يظيفون إلى أسمائهم العربية أسماء أمازيغية. فقد اختارت سحر لنفسها « أريناس » اسما ثانيا؛ واختارت كاهنة « تحية » واختار هادي « أغيلاس »...

من الوجهة النضالية، يجب اعتبار الأمازيغية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية وضمان المساواة بخصوص كتب التاريخ. ويتمثل حلم الجميع في تأسيس « أكاديمية بربرية تونسية » تتوفر على كراسي لتدريس الأمازيغية في كل الجامعات، وإدخال

تعليم الأمازيغية في المدارس الابتدائية، وإطلاق برامج متخصصة في وسائل الإعلام والاتصال، والتعويض المتدرج للأمة الذين يتم إرسالهم إلى الخارج بأسنادة لائكيين متخصصين في اللغات والتراث التونسي.

وعلى عكس ذوي البشرة السوداء الذين يتعرّضون للتمييز العرقي في كل المستويات، فإن الأمازيغ لا يُستبعدون حقا وإنما يُتجاهل وجودهم من قِبَل الدولة والأحزاب السياسية والجمعيات القومية والإسلاموية. لذا، فإن المطلب الأول يتمثل في الاعتراف الرسمي بالأمازيغ باعتبارهم جزءا تاريخيا وثقافيا من الهوية الوطنية. وعليه، تقوم حملة تحسيس من أجل نشر الثقافة الأمازيغية بإحياء العادات والتقاليد والطقوس القديمة. وهكذا تم، في 2013، الإحتفال للمرة الأولى في تونس بالسنة الجديدة الأمازيغية من قِبَل جمعية « لم الشمل » و« تجمّع الجمعيات الأمازيغية لتونس »⁷⁶. وتدافع صفحات متخصصة في الشبكات الاجتماعية، بفايسبوك خاصة، على القضية الأمازيغية وتثمن ثقافة وتراث الأمازيغ القديم بتونس والمغرب الكبير.

وقد تعلّم بعض المُستجوبين، بما في ذلك الذين وُلدوا ونشأوا في كبريات المدن، اللغة الأمازيغية منذ نعومة أظفارهم، عن طريق آبائهم أو أجدادهم. أما الذين يسكنون البلدات الأمازيغية، فإنهم لا يتكلمون، قبل سن التمدرس، إلاّ اللغة الأمازيغية. وقد سبّب هذا صعوبة في التعليم لتلاميذ ومعلّمي المدارس الابتدائية في هذه البلدات، خاصة بالنسبة للسنة الأولى؛ وهو ما جعل وزارة التربية الوطنية تُعين معلّمين تعود أصولهم إلى المناطق البربرية.

هناك مُستجوبون آخرون لا يحسنون اللغة الأمازيغية رغم أنهم يؤكّدون اهتمامهم بتعلّمها. كما يؤكّدون أنهم لا يتابعون القنوات الأمازيغية غير التونسية. لكن بعضهم يؤكّدون بأنهم يتابعون القنوات الأمازيغية على اليوتوب، وأنهم قاموا بمحاولات لتعلم اللغة عن طريق تلك القنوات.

يُشدد كل المُستجوبين على أهمية اللغة للحفاظ على الثقافة الأمازيغية وتأكيد الهوية الأمازيغية للتونسيين. لكن اثنين منهم فحسب، يؤكّدون أن تعلم اللغة الأمازيغية في المدرسة يجب أن يكون إجباريا، وأنه يجب اعتبارها لغة وطنية. أما بالنسبة للمُستجوبين الآخرين، فإن تعلمها يجب أن يكون اختياريا، على الأقل في مرحلة أولى تسبق الاعتراف السياسي بالهوية الأمازيغية في تونس.

76. <http://www.kapitalis.com/culture/13828-premiere-en-tunisie-celebration-de-la-fete-du-nouvel-an-amazigh.html>

يعتبر أغلب المُستجوبين أن اللغة والثقافة العربية هما من طبيعة خارجية، بل استعمارية، رغم أن أغلبهم يُؤكدون بأنهما يشكلان جزءا من الثقافة التونسية، المرتبطة بالدين الإسلامي. ونلاحظ أن المستجوبين، في الأجوبة التي استقينها منهم، يميزون بين الهوية الدينية والهوية الثقافية والأتنية؛ وأن يكون الإنسان مؤمنا لا يعني أن ذلك نفيا للأمازيغية كما لا يعني بالضرورة الإلتقاء إلى الثقافة العربية.

يستحضر بعضهم مفهوم التهجين الثقافي بين العربي والأمازيغ من زوايا مختلفة. يرى البعض مثلا، أن هذا التهجين متجذر في تاريخ تونس بحيث لا يمكن تجاهله إذا أردنا أن نفهم الثقافة التونسية. أما البعض الآخر، فيعتبره تهجينا مصطنعا، مزيفا ومفروضا من قبل السياسيين طيلة التاريخ التونسي.

يرفض كل المُستجوبين تلخيص « تامازغت » في فلكلور المأكّل أو الملابس، ويفضّلون الحديث عن التقاليد والثقافة والأصول التاريخية. إن إضفاء « الطابع الفلكلوري » على الثقافة الأمازيغية هو، في نظرهم، أداة سياسية لإنكار وجود هوية أمازيغية في المجتمع التونسي.

3 - مُرافعة لصالح الإعتراّف بالمكوّن الأمازيغي في الهوية التونسية

من أجل الدفاع عن المطلب الهوياتي الأمازيغي، كان لا بد من مجابهة الموقف المهيم الذي ينكر الهوية الأمازيغية. والواقع أن المقاومة في وجه القضية الأمازيغية إنما يوجد مكانها المفضّل في المؤسسة التشريعية والأحزاب السياسية ووسائل الإتصال والإعلام. هذه المواقع الثلاثة التي تحتضن النقاشات العمومية، تستقبل، بين الحين والآخر، آراء للمناهضين للنزعة البربرية يعبرون فيها عن رفضهم للمطلب الهوياتي الأمازيغي؛ والأكثر شراسة هم، كما أشرنا، القوميون العرب الذين ينكرون وجود قضية أمازيغية ويدعمون بالأحرى أطروحة « الأصول العربية للبربر » وكذا شعوب العالم العربي الأخرى - في المغرب الكبير والشرق الأوسط.

غير أن النقاش العلني يُظهر وجود مواقف مُعتدلة، حتى وإن كان المعارضون للقضية الأمازيغية يشكلون الأغلبية. هناك مواقف مناصرة للأمازيغ أو للبربر تتطور بالإرتباط مع الخطاب المناوئ للقضية الأمازيغية. لذا، يكون من المهم تحليل مواقف النشطاء وطبيعة النقاشات الدائرة حول الأمازيغية في الأماكن العمومية، ممثلة بامتياز في مجلس ممثلي الشعب والأحزاب السياسية ووسائل الإعلام.

أ- على المستوى الدستوري

إن كفاح المناضلين من أجل الأمازيغية هو، في المقام الأول، ذو طبيعة سياسية ومؤسسية، أي دسترة حقهم باعتبارهم أقلية. يتعلق الأمر بالإعتراّف السياسي

والتشريعي بالمكون الأمازيغي في الهوية التونسية، في نص الدستور ؛ وكذلك ترسيم اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة وطنية إلى جانب اللغة العربية التي هي اللغة الرسمية (المادة الأولى من دستور 1959 وكذلك الدستور الجديد الصادر في 2014).

عشية إعلان الدستور الجديد، نظّمت الجمعيات الأمازيغية تظاهرة أمام المجلس الوطني للتنديد بـ « معاداة الدولة » مُجسّدة في رفض المنتخبين إدراج مطلبهم الهوياتي في القانون الأساسي⁷⁷.

لكن مشروع إدراج الهوية الأمازيغية في الدستور بقي حبرا على ورق، ولم يتم تجسيده رغم تجنّد الجمعيات الأمازيغية منذ 2011 والدعم الذي قدمته جمعيات مثل « البوصلة »⁷⁸.

على مستوى الدستور، ورغم العمل التحسيبي المتعلق باللغة والهوية الأمازيغية الذي قامت به الجمعيات، رفضت النخبة السياسية التي انتخبت بحرية في المجلس الوطني التأسيسي - السابق على مجلس ممثلي الشعب الحالي - رفضا قاطعا تسجيل الهوية الأمازيغية في الدستور الجديد الذي صودق عليه في 26 جانفي 2014.

وهكذا، أدّى الدستور الجديد إلى تأكيد وتدعيم الهوية العربية-الإسلامية. فمنذ الديباجة، تم إدراج التمسك بالانتماء الثقافي والحضاري للأمة العربية والإسلامية. وقد تم الإعلان في المادة الأولى أن « تونس دولة حرة، مستقلة وسيدة، الإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامها ».

ويرى بعض المناضلين النقديين، على غرار هادي غيلاس، أن معارضة النخبة السياسية لإدراج المرجعيات الأمازيغية في الدستور الجديد لا يمكن أن يكون التبرير الوحيد، ذلك أن التعبئة حول القضية الأمازيغية تنقصها منهجية لغوية واستراتيجية اتصالية قادرة على إقناع الخصم والرأي العام بـ « الحقيقة التاريخية للقضية »⁷⁹.

بهذا الصدد، يقترح الذي استجوبناه اعتماد بيداغوجية جموعية تركز على اللغة وكذا سياسة اتصال مع عديد الزوار الجزائريين، ذوي الأغلبية القبائلية أو الشاوية، إلى البلاد من أجل تنمية السياحة والإهتمام بالتراث الثقافي.

بالإضافة إلى المطلب اللغوي، يطالب الأمازيغ بالعدالة في مجال تدريس التاريخ الذي تم، في نظرهم، مصادرتة وتوجيهه من قبل الإيديولوجيا العربية-الإسلامية. وفي هذا

77. <http://tamazgha.fr/L-Etat-tunisien-hostile-a-l.html>

78. <https://www.tunisie-berbere.com/revuedepresse/manifestation-pour-la-reconnaissance-de-tamazight-le-25-decembre-en-tunisie-323> <https://tunisienouvelle2014.wordpress.com/2014/02/11/les-berberes-attendent-le-printemps/>

79. Entretien 24 juillet 2017.

الصدد، فإنهم يحرصون على إنشاء « أكاديمية بربرية » من أجل ضمان نشر اللغة عن طريق التعليم - إدخال اللغة الأمازيغية في المدارس الابتدائية وإنشاء كرسي الأمازيغية في كليات الآداب - ووسائل الإتصال الثقافية باعتبارها قنوات إعلام واتصال جماهيرية.

لم يُؤخذ هذا المطلب بعين الإعتبار ؛ ويؤكد واضعو الدستور، في المادة 39 المخصصة للتعليم، أن « الدولة تسهر (...) على تجذير الهوية العربية-الإسلامية والإنتماء الوطني في الأجيال الشابة وترسيخ ودعم وتعميم استعمال اللغة العربية وكذا الإنفتاح على اللغات الأجنبية والحضارات الإنسانية ».

خلال النقاشات الدستورية التي استمرت أكثر من سنتين، لم يرفض منتخبو الأمة ذكر اللغة الأمازيغية فحسب، بل كذلك الهوية الإفريقية والمتوسطية لتونس.

يدل هذا الرفض على إنكار، بل حتى عن جهل التاريخ بخصوص الأمازيغية والإفريقية وعن الخشية، التي عبّر عنها المنتخَبون العروبيون، من أن تصبح الإحالة إلى الطابع المتوسطي لتونس، ذريعة من أجل الإعتراف بالدولة القومية اليهودية التي يُعدّ التطبيع معها، في نظرهم، عبارة عن « جريمة ».

من المهم الإشارة إلى أن إنكار التاريخ هو ناتج الثقافة المهيمنة وسط الأغلبية المطلقة من الشعب، بما في ذلك من انتخبهم الشعب، ما عدا أقلية، ممثلة في حزب « المسار » اليساري (الحزب الشيوعي سابقا) الذي يُؤيّد، على استحياء، القضية الأمازيغية، والذي لا يمثله سوى خمسة نواب من أصل 217 من مجموع المنتخبين في المجلس الوطني التأسيسي.

يعدّ الدستور التونسي الجديد نتاجا لتوافق و« تسوية تاريخية » بين مختلف الحساسيات السياسية، وعلى الخصوص بين العلمانيين والإسلاميين.

وهذا يعني أن القضية الأمازيغية تتعرّض لرفض قويّ ومحاربة من قبل النخبة السياسية، سواء على مستوى السلطة التشريعية أو السلطة التنفيذية والرأي العام.

وفي نهاية المطاف، فإن المشروع الوطني، الحدائي أو المحافظ، يُعارض فكرة تكوين وتعبير الأقليات (الأمازيغ وذوي البشرة السوداء واليهود والبهائيين والشيعة والإباضيين..) بذريعة الإنسجام الوطني خلال حكم النظام السابق (2011-1956)، والمساواة بين المواطنين منذ « ثورة الكرامة » (14 جانفي 2011).

وقد جسّدت النقاشات داخل المجلس التأسيسي مقاومة الأغلبية، بخصوص مسألة الأقليات الإنتبية والطائفية. تزعم هذه الأغلبية، التي تسمى نفسها ديمقراطية، أن المادة 6 من الدستور تضمن « حرية العقيدة والضمير والممارسة الحرة للشعائر »، علما بأن

الدولة تلتزم، حسب أحكام المادة نفسها، بـ « نشر قيم الإعتدال والتسامح، وحماية المقدس، ومنع التكفير والتحريض على الكراهية والعنف »

ب - على مستوى الأحزاب السياسية

إن نشاط مناصلي القضية الأمازيغية في التقرب من الأحزاب السياسية نشاط ضعيف. وإن أغلب الأحزاب التونسية العلمانية، سواء أكانوا في الحكم (نداء تونس) أو في المعارضة (الجبهة الشعبية، آفاق، الإتحاد الوطني الحر، الحزب الجمهوري، الحركة الديمقراطية..) يلتزمون الصمت ولا يتخذون موقفا بخصوص القضية الأمازيغية التي لا يعتبرونها من الأولويات؛ بينما تقاومها الأحزاب القومية وإسلاموي النهضة، ولا يترددون في محاربتها في وضوح النهار بحجة أنها تمثل خطرا على وحدة الأمة العربية والإسلامية. بل أكثر من ذلك، إذ يعتبر البعض أن القضية الأمازيغية هي جزء من « مؤامرة يدبرها أعداء الأمة »، أي « الصهاينة والإمبرياليات الغربية، وخاصة الإمبريالية الأمريكية ».

إن الأكثر مناوأة للقضية الأمازيغية هم القوميون العرب والإسلاميون. ويشترك الإتجاهان السياسيان والإيديولوجيان، أغلب الأوقات، في إنكار القضية الأمازيغية. بل إن الحركة الإسلامية قد حاربت القضية الأمازيغية خلال بروزها، إذ انتقدت نشاطاتها الثقافية، على غرار مهرجان تامزرت، كما انتقدت استعمالها العلني للراية واللغة والأغاني الأمازيغية⁸⁰.

أكد وزير الثقافة السابق، خلال حكم « الترويكا » التي كان يهيمن عليها حزب النهضة، أن « تونس بلد عربي-إسلامي منفتح على الثقافات الأخرى » مع رفض اعتبار الأمازيغ أقلية. والثقافة الأمازيغية، بالنسبة له، تساهم في التعدد الثقافي للأمة⁸¹.

لكن المناضلين الأمازيغ يرفضون أن تُعتبر ثقافتهم، كما يسعى إلى تكريس ذلك خطاب السلطة، مكونا من مكونات الثقافة الوطنية. إنهم يعدون الثقافة الأمازيغية الثقافة الأصلية وأنها تتميز عن الثقافات الأخرى الغازية، خاصة الثقافة العربية. لذا، يؤكد الأمازيغ بقوة أنهم « ليسوا عربا ».

بالنسبة لحزب النهضة الإسلامي، لا يُعد الاعتراف بالقضية الأمازيغية مسألة راهنة، خاصة أن العقيدة العربية-الإسلامية هي مكون أساسي للهوية لا يخضع للنقاش. وفي أحسن الأحوال، كما أكد نائب في البرلمان، يمكن اقتراح تعليم الأمازيغية في المدارس، من بين اللغات، حسب اختيار التلاميذ والطلبة.

80. <http://www.eurasiareview.com/01092012-tunisia-amazighs-face-islamist-harassment/>

81. Cf. L'émission « Fissamim » qui consacre un reportage à la culture amazighe en Tunisie, chaîne de télévision « Ettounsiya », 2/11/2012, citée par POUESSEL Stéphanie, « Premiers pas d'une renaissance amazighe en Tunisie. Entre pressions panamazighes, réalités locales et gouvernement islamiste », *Le Carnet de l'IRMC*, 7/12/2012 : <http://irmc.hypotheses.org/646>

وفي الخط نفسه، يرفض العروبيون أيّ حديث عن الهوية الأمازيغية، سواء أكانت لغوية أو إثنية أو ثقافية أو سياسية ؛ بل يذهبون أبعد من ذلك عندما يعتبرون أن « البربر لهم أصول إثنية سامية وعربية ».

الوحيد الذي يدافع عن فكرة أن « تامازغت » هي مكون من مكونات الهوية هو حزب « المسار » اليساري، وأنه يجب إجراء مناقشة بصددها وإدراجها في نص القانون، باعتبار ذلك حقا واعترافا بالثقافة والتاريخ.

وعلى عكس ذلك، يقف حزب الجبهة الشعبية، المتعلق بالإيديولوجيا الماركسية والقومية العربية، موقفا مناوئا لقضية الأقليات.

أما حزب نداء تونس الوسطي الموجود حاليا في السلطة - وهي سلطة موزعة بين أحزاب التحالف الحكومي الأربعة التي من بينها حزب النهضة الإسلامي - فإنه لا يتناول القضية الأمازيغية ؛ ويبدو أنه يكتفي بالإيديولوجيا التوحيدية للدولة الوطنية البورقينية، رغم التحولات السياسية والثقافية التي أحدثتها الثورة.

والأمر نفسه بالنسبة لأحزاب الوسط الأخرى (آفاق، الإتحاد الوطني الحر، الجمهوري..) ما عدا حزب « التكتل » الذي يُدافع نوابه، مثل كريمة سويد وسلمى مبروك، عن فكرة حماية الأقليات اللغوية والدينية من أجل إنجاح الانتقال الديمقراطي.

أما الأحزاب السلفية وحزب التحرير، غير الممثلين في المجلس، فإنهم اعترضوا على فكرة التأكيد على أية هوية غير إسلامية. إنهم معارضون للهوية البربرية خاصة وأن المناضلين الأمازيغ يتبنون حداثة ديمقراطية لائكية.

وفي المحصلة، فإن أغلبية الأحزاب السياسية التونسية تعارض الاعتراف بالأمازيغ الذين ليس هناك من يدعمهم حقا سوى عدد من جمعيات المجتمع المدني، في حين أن وسائل الإعلام تظل، على مستوى محتوى البرامج، مترددة وقليلة الميل إلى تبيين الهوية الأمازيغية إلا في بعض المناسبات، خلال تنظيم تظاهرات أو أيام ثقافية.

ج - في وسائل الإعلام والاتصال

يتزايد، في وسائل الإعلام الوطنية وخاصة العالمية، نشر مواقف المناضلين الأمازيغ الذين يتبنون هوية خاصة، موجهة نحو الاعتراف بالأصول واللغة والثقافة الأمازيغية التي كانت في أساس بناء حضارة إفريقيا العريقة.

تقدم وسائل الإعلام، بين الفينة والأخرى، برامج ثقافية أمازيغية مع التركيز على البعد الفولكلوري والتقليدي، « الإكسوتي »⁸² (exotique) في نهاية المطاف، للتراث الأمازيغي،

82. لا يوجد في اللغة العربية كلمة تعبر تعبيرا دقيقا عن معنى الكلمة الفرنسية exotique لذا اكتفيت بتعريبها

لا المكون الثقافي والسياسي. بل إن المناضلين الأمازيغ يوجهون انتقادا حادا لوسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية التي يتهمونها بالتحيز للإيديولوجيا العربية-الإسلامية المهيمنة التي فرضت نفسها في أماكن عدّة : في المدرسة ووسائل الإعلام والحس المشترك. إنهم يتبنون تصورا ثقافيا وسياسيا مختلفا، تُوجّهه قراءة أخرى للتاريخ والجغرافيا وخرائط خصوصية⁸³، يجب دراستها وربطها بخطابا لمهيمنين والمهيمن عليهم من أجل إدراك أفضل لـ « المعطاة الأمازيغية » التي هي في طور إعادة التركيب منذ الثورة.

وكحلٍ بديلٍ، حاول المناضلون الأمازيغ ترتيب وسائل إعلامهم واتصالهم الخاصة. في هذا الإطار تم توطين « راديو أمازيغ تونس » على صفحات الأتزيبت⁸⁴؛ لكن كلّ الروابط مع هذه الراديو، الموضوع على صفحتها الرسمية في شبكة الفاييسوك، لا تشتغل⁸⁵.

على العكس من ذلك، ينشط المناضلون الأمازيغ بقوة على الشبكات الاجتماعية، خاصة الفاييسوك واليوتوب. على هذا الفضاء الافتراضي، يضعون مطالبهم الهوياتية ويروجون لثقافتهم وتاريخهم. من بين الصفحات التونسية الأكثر نشاطا، يمكن ذكر ثلاث على الأقل : ⁸⁶ Amazigh Tunisiens و ⁸⁷ Imazighen center for culture و ⁸⁸ Amazigh Tounes. تتميز هذه الصفحة الأخيرة، بالنسبة للصفحات الأخرى، بوضعها للعلم التونسي بصحبة حرف أمازيغي في الصورة الجانبية، وهي بهذا تشهد على التجذّر الهوياتي للتونسين. وبعبارة أخرى، إن التونسية والأمازيغية هما شيء واحد. شكّل يوتوب موقعا بديلا لوسائل الإعلام الكلاسيكية ؛ فهو الوسيلة الأكثر فعالية لنشر مستندات وثائقية وفيديوهات عن الثقافة والتاريخ الأمازيغي. وتحميل الموسيقى، وخاصة الراب⁸⁹، المطالب الهوياتية الهادفة إلى إعادة الاعتبار للتراث الأمازيغي⁹⁰.

83. <https://www.amazigh24.com/carte-du-peuple-amazigh-damazighie-27091-25102011>
Voir annexe n° 1

84. <http://imazighentounes.e-monsite.com> Voir annexe n° 2

85. <https://www.facebook.com/Radio-Amazighs-Tounes-213972718792547>

86. <https://www.facebook.com/Amazigh-tunisiens-359979277356322/>
avec 2239 personnes qui suivent le lien <https://www.facebook.com/Amazigh-tunisiens-359979277356322/>

87. <https://www.facebook.com/Imazighen.TN/>

88. <https://www.facebook.com/Amazigh-1671978103076796/avec-2161-personnes-qui-suivent-le-lien>

89. Voir par exemple les vidéo clips du rappeur tunisien Manou César, notamment ses deux chansons « Azoul wa lan nawoul » et « Twansa moucha rab »
<https://www.youtube.com/watch?v=XuUDwOGWyFE>
<https://www.youtube.com/watch?v=2mh61drY5dE>

90. Voir a titre d'exemple
<https://www.youtube.com/watch?v=9MwGDLJ2H0c>

حصيلة وآفاق

كان هدف هذه المساهمة التفكير، انطلاقا من المسألة الأمازيغية، في المنطلقات التي تُؤدي، بالإرتباط مع الدولة والمجتمع، إلى إعادة إنتاج النظام الثقافي القديم وتلك التي تفرض القطيعة مع الماضي. أدى تحليل مواقف النشطاء ومسارات وإمكانات الحركة الأمازيغية التي رأت النور غداة « ثورة الكرامة » في 2011، مع توفُّرها على جذور عميقة في الماضي البعيد والقريب، أدى إلى حصيلة متأرجحة. لقد بدأ منطق القطيعة لصالح القضية الأمازيغية يفرض نفسه على الرأي العام والعلاقات السياسية. فلأول مرّة في التاريخ، تردّدت أصداء القضية الأمازيغية وبدأ النقاش يدور حولها في الفضاء العمومي. وبدأت أصوات النشطاء تتردّد في الإجتماعات وفي وسائل الإعلام. لقد تحطّم « الطابو ». غير أن منطق إعادة إنتاج النظام الاجتماعي والثقافي المهيمن ظلّ حاضرا بقوة ومُهَيِّكلا. ولازال الإنكار الرسمي والرفض قائما بحجة خطر انفجار الوحدة الوطنية، بل خطر مؤامرة أجنبية. وهكذا، لازال هذا المنطق قائما ولا زالت المقاومات ضد التغيير قويّة.

على مستوى الحركة النضالية أو النشطاء الأمازيغ، يُلاحظ غياب تصور ووعي جماعي. يوجد، في الواقع، أفراد يتوفّرون على إرادة ومشروع تثمين التراث الأمازيغي وكذلك دعم التعبير الجموعي. يبدو أن هذا النوع من أنواع التعبير يكتسي، في الوقت الحالي، طابعا إراديا وميلا ثقافيا أكثر منه سياسيا، حتى وإن كان المستويان متداخلين.

يمكن، إنطلاقا من تحليل البروز التاريخي والاجتماعي للقضية الأمازيغية في تونس، أن نقترح التوصيات التالية من أجل تدعيم الحق في الإختلاف والتعددية الثقافية والسياسية :

- في المحل الأول، يتعين توحيد الخطابات والممارسات وأشكال النضال الجموعي في إطار « تجمع أمازيغ تونس » الذي ظهر في 2011 والذي يتعين إعادة تنشيطه حتى يلعب دورا حقيقيا في التنسيق والتجميع. ويتعين التوصية بقوة على جعل التجمع بنية تمثل كل نشطاء القضية الأمازيغية.

- من مصلحة الأمازيغ التونسيين، في المحل الثاني، عقد تحالفات في المجالين الثقافي والسياسي وكذلك مع جمعيات الدفاع عن الأقليات والحريّات ؛ وذلك من أجل ضمان تقدم قضيتهم التي لازالت ضحية التصلّبات الاجتماعية والسياسية والإيديولوجية المرتبطة بالدولة-الأمة والأوهام الوحدوية العربية والإسلامية.

- في المحل الثالث، لا يتوفر المناضلون الأمازيغ وجمعياتهم على اختبار آخر سوى التموقع بالنسبة للمسألة الاجتماعية والإقتصادية في علاقتها مع تشكل الحركات الاجتماعية في المناطق النائية والمهمّشة حيث يتوفرون على تجذّر تاريخي وجغرافي، بل لغوي وثقافي. وتظهر مسألة الريف، بهذا الصدد، مسألة دالة حتى وإن كان السياق السياسي - البنية القبلية والعلاقة بالمخزن - والتاريخي - تقليد التمرد الذي يجسّده عبد الكريم الخطابي - مختلفا اختلافا كبيرا.

- أخيرا، تبدو القضية الأمازيغية رهينة معركة لغوية واسعة يلعب فيها توريث الأمازيغية داخل العائلة، وتوصيلها في المدرسة العمومية والخاصة وفي وسائل الإعلام وفضاءات التنشئة الاجتماعية والفضاءات الثقافية، يلعب كل هذا دورا أساسيا. ويبدو أن مستقبل القضية الأمازيغية مرتبط باللغة باعتبارها حاملا ثقافيا ورباط الدمج الاجتماعي والمخيال السياسي.

ملاحق

قائمة المُسْتَجَوِبِينَ

النشاط	المهنة	مكان الولادة والإقامة	السن	الاسم واللقب	
بدون انتماء	بدون	دويرات	50	محمد مزيطا	1
بدون انتماء	موظف في وزارة الفلاحة	دويرات	62	لطفي بن يحي	2
بدون انتماء	حرّ	تونس العاصمة	32	جمال بن سعيدان	3
لا	الشرطة الوطنية للنقل	تونس العاصمة	55	عبد الرؤوف طالبي	4
لا	شركة بترولية	مارت	57	زكريا	5
لا	ناقل	قرماسة	46	خالد	6
لا	موظف في FDSPT	قرماسة	51	عادل بوغني	7
الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية	ديوان المحاسبة	تاجاعوت	56	كيلاني بوشهوه	8
بدون انتماء	صناعة الخزف	قلالة/جربة	46	شادلية	9
حزب نداء تونس	مدير شركة	جربة	35	أروى بهرون	10
منتدى وذرف، المقهى الثقافي بالمروج 5، ونقابية نشيطة	أستاذة	وذرف	52	ربيعة بوعبده	11
حزب الوطد/الجهة الشعبية ؛ جمعية تاريخ جربة	موظف	جربة	50	مراد بن يونس	12
الشبكات الاجتماعية	جربة	35	رضوان عبد الجواد	13
جمعية أمازيغ تونس منتدى الثقافة الأمازيغية	إطار في مركز التوثيق الوطني	فُفصة	59	محمد خلف الله	14
مناضلة أمازيغية، إفريقية وأممية	طالبة ماستر في الصين	تبرسق	28	مها جويني	15

ناشطة بدون انتماء	طالبة في الماستر	سوسة	21	سحر دالي	16
ناشطة في الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية	عاطلة عن العمل	تونس العاصمة، أصولها من دويرات	34	كاهنة طالبي	17
بلا انتماء	عالم أثريات	تامزرت	70	منصور غاكي	18
منتدى الثقافة الأمازيغية بصفاقس	طالبة	صفاقس	25	نورة غريان	19
جمعية أمازيغ تويزة	مستشار	دويرات	57	لعروسي خميرة	20
ناشط بدون انتماء		تطاوين/أصوله من دويرات	47	هادي الجني	21
جمعية عُرْباطة تطوير السياحة الثقافية بالسند الجبل	فلاح	سند/قفصة	29	أيمن سندي	22
ناشط يصبو إلى تأسيس جمعية أمازيغية جديدة.	مهندس	دويرات/باريس	50	خالد خميرة	23

الببليوغرافيا

- Abassi Driss, *Entre Bourguiba et Hannibal. Identité tunisienne et Histoire depuis l'Indépendance*, Karthala/Iremam, Paris/Aix-en-Provence, 2005.
- Abassi Driss, *Le Maghreb dans la construction identitaire de la Tunisie postcoloniale, Conflits et Cultures*, n° 70, 2008, pp.115-137.
- Abassi Driss, *Quand la Tunisie s'invente. Entre Orient et Occident, des imaginaires politiques*, Editions Autrement, Paris, 2009.
- Abeles Marc, *Anthropologie de la globalisation*, Payot, Paris, 2008.
- Bahri Fathi (dir.), *Histoire des Hautes steppes. Antiquité et Moyen Age. Actes du colloque de Sbeitla de 1998-1999*, INP, Tunis, 2000.
- Bahri Fathi, *Céramique et religion chrétienne*, Publications de l'INP, Tunis, 1997.
- Bardin Pierre, *Les Djebalia de la région de Gafsa. Etude sur les populations berbères habitant les massifs montagneux à l'Est de Gafsa*, Revue Tunisienne, 1939, pp. 87-126.
- Basset André, *Les parlers berbères*, in *Initiation à la Tunisie*, Maisonneuve, Paris, 1950, pp. 220-226.
- Ben Baaziz Sadok, *Rouhia et Sra Ouertane dans l'Antiquité*, Publications de l'INP, Tunis, 2000.
- Ben Jafer Evelyne, *Les Noms des lieux en Tunisie. Racines vivantes de l'identité tunisienne*, Cahiers du CERES, Tunis, 1985.
- Ben Hamadi Sarah, *Ghaki Jalloul : Portrait d'un Tunisien amazigh* Al Huffington Post Maghreb-Tunisie, 13 juillet 2016.
http://www.huffpostmaghreb.com/2013/06/24/ghaki-jalloul-tunisien-amazigh_n_3478872.html
- Ben Oueddou Hédi, *Découvrir la Tunisie du Sud. De Matmata à Tataouine. Ksour, Jessour et troglodytes*, Publications de la Faculté des sciences

humaines et sociales de Tunis, Tunis, 2001.

- Bertholon Louis, *Exploration anthropologique de l'île de Djerba*, Paris, Masson, 1897.

- Bertholon Louis & Chantre Emile, *Recherches anthropologiques dans la Berbérie Orientale (Tripolitaine, Tunisie, Algérie)*, A. Rey, 2 Vol., Lyon, 1911-1912.

- Beschaouch Ezzedine, *Mustitana. Recueil des nouvelles inscriptions latines de Mustis*, Klincksieck, Paris, 1968.

- Beschaouch Ezzedine, *La Légende de Carthage*, Gallimard, Paris, 1993.

- Bouagila Fathi, *Les Ibadites tunisiens et leur influence dans la culture nationale. Introduction à l'étude de l'Autre dans le local (en arabe)*, Maktabat 'Ala Eddine, Sfax, 2016.

- Boukous Ahmed, *Le Berbère en Tunisie*, Etudes et Documents Berbères, 1988.
http://www.mondeberbere.com/langue/tunisie/indexc.htm

- Bouni Afif, *La conscience de l'identité arabe dans la pensée tunisienne contemporaine (en arabe)*, Editions du monde arabe (EMA), Paris.

- Camps Gabriel, *Les Berbères. Mémoire et identité*. Préface de Salem Chaker, Actes Sud, Arles, 2007 (1^{re} éd. 1980).

- Congrès Mondial Amazigh (CMA), Conseil des droits de l'Homme des Nations Unies. Examen périodique universel, 2^e cycle, 13^e session, Genève, 31 mai-2 juin 2012. Contribution du CMA à l'EPU concernant la Tunisie. *Les Amazighs (Berbères) de Tunisie. Marginalisation, négation, occultation*, CMA, novembre 2011.

- Ennabli Abdelamjid, *Inscriptions chrétiennes au Musée du Bardo*, Publications de l'INP, Tunis, 2001.

- Fantar M'hamed-Hassine, *Kerkouane, Cité punique du Cap-Bon*, Publications de l'INP, Tunis, 1984-1986.

- Fantar M'hamed-Hassine & Decret Français, *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité. Histoire et civilisation des origines au V^e siècle*, Payot, Paris, 1981 ; rééd. 1998.

- Ghalia Taher, *Les Mosaïques de Hergla*, Publications de l'INP, Tunis, 1998.

- Ghaki Mansour, *Les Houanet de Sidi Mhamed Latrech*, Publications de l'INP, Tunis, 1999.

- Ghaki Mansour, *Le Lybique*, Revue Tunisienne d'Archéologie, n°1, 2013, pp. 9-28.

- Gutron Clémentine, *L'Archéologie en Tunisie. Jeux généalogiques sur l'Anti-*

quité, Karthala-IRMC, Paris-Tunis, 2010.

- Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*. Traduction de William Mac Guckin de Slane, Paris, édition 2014.

- Ibn Khaldoun, *Le Livre des exemples*. Traduction de Abdesselam Cheddadi, Gallimard, *La Pléiade*, 2 tomes, Paris, 2002.

- Ibn Khaldoun, *Discours sur l'Histoire universelle - Al-Muqaddima*. Traduction nouvelle, préface et notes par Vincent Monteil, Sindbad, Paris, 1997.

- Jouini Maha, *Passionnée d'Ifriqiya*, Adal Editions en coopération avec Dar Safsafa, Addis Abeba, 2017.

- Julien Charles-André, *Histoire de l'Afrique du Nord (Tunisie, Algérie, Maroc)*.

- Kaak Othman, *Les Berbères*, Kitâb Al-Baâth, Tunis, 1955.

- Kmira Khaled, *De la situation des Amazighs de Tunisie*, Huffpost Tunisie, 17 octobre 2016.

http://www.huffpostmaghreb.com/khaled-kmira/de-la-situation-des-amazighs-de-tunisie_b_12523280.html

- Krandel-Ben Younes Alia, *La Présence punique en pays numide*, Publications de l'INP, 2002.

- Labiadh Salem, *La minorité berbère de Tunisie. Les usages culturels et politiques des communautés berbères dans le Maghreb arabe* (en arabe), Publications SOTUMEDIA, Tunis, 2017, 2^e éd., (1^{re} éd. 2011).

- Labiadh Salem, *Identité : Islam, arabité et tunisianité* (en arabe), Publications du Centre d'études de l'unité arabe, Beyrouth, 2009.

- Lacoste Camille & Yves (dir.), *L'Etat du Maghreb*, La Découverte, Paris, 1991, 2^e éd., Cérès Productions, Tunis, 1991.

- Louis André, *Les îles Kerkena. Etude d'ethnographie tunisienne et de géographie humaine*, Publications de l'IBLA, 3 Tomes (T.1 : les travaux ; T.2 : les jours ; T.3 : Index), Tunis, 1961-3.

- Louis André, *La Tunisie du Sud : ksars et villages de crêtes*, CNRS-CRESM, Paris, 1975.

- Louis André, *Douiret, étrange cité berbère du Sud tunisien*, STD, Tunis, 1975.

- Louis André, *Bibliographie ethno-sociologique de la Tunisie*, IBLA-CNRS, Tunis, 1977.

- Louis André, *Nomades d'hier et d'aujourd'hui dans le Sud Tunisien*, Edisud/Mondes méditerranéens, La Calade-Aix-en-Provence, 1979.

- Marçais William & Guiga Abderrahmane, *Le parler arabe de Takrouna*, Imprimerie Nationale, Vol. 1. : Texte, transcription et traduction annotée, Paris, 1925.
- Najjar Abdelmagid, *Le témoignage civilisationnel et l'avenir culturel du Maghreb islamique*, Centre Maghrébin de Recherches, Tunis, 2017.
- Othman Farhat, *Le Nouvel An Amazigh en Tunisie ou Jerba à l'honneur*, Huffpostmaghreb, 12 janvier 2016. [En ligne] http://www.huffpostmaghreb.com/farhat-othman/nouvel-an-amazigh-tunisie_b_8960622.html
- Picard M. G, *La Tunisie antique. Berbères et Puniques*, in *Initiation à la Tunisie*, Adrien-Maisonneuve, Paris, 1950, pp. 33-72.
- Pouessel Stéphanie, *Premiers pas d'une « renaissance » amazighe en Tunisie. Entre pression panamazighe, réalités locales et gouvernement islamiste*, *Le Carnet de l'IRMC*, 7 décembre 2012. [En ligne] <http://irmc.hypotheses.org/646>
- Pouessel Stéphanie, *De la Tunisianité à « la Chaîne du Grand Maghreb » : (ré) émergence du Panmaghrébisme*, in *Penser le national au Maghreb et ailleurs*. Actes du colloque organisé à Tunis en 2011, F. Ben Slimane & H. Abdessamad (dir.), Arabesques, Tunis, 2012, pp. 125-138.
- Pouessel Stéphanie, *Les marges renaissantes : Amazigh, Juif, Noir. Ce que la révolution a changé dans ce petit pays homogène par excellence qu'est la Tunisie*, *L'Année du Maghreb*, Vol. VIII, 2012, pp. 143-160.
- Sboui Sana, *Interview avec l'Association Tunisienne de la Culture Amazighe, Nawaat*, 27 février 2012. [En ligne] <https://nawaat.org/portail/2012/02/27/interview-avec-association-tunisienne-de-culture-amazigh/>
- Sebai-Laadjimi Leïla, *Index général des inscriptions latines païennes de Carthage*, Publications de l'INP, Tunis, 2002.
- Seklani Mahmoud, *La population de la Tunisie*, CICRED, Tunis, 1974.
- Servier Jean, *Les Berbères*, PUF, Coll. « Que sais-je ? », Paris, 1990.
- Stablo René, *Les Djerbiens. Une communauté arabo-berbère*, SAPI, Tunis, 1941.
- Yassine Tassadit, *La question amazighe en Tunisie*, *Revue Awal*, n° 19, Paris, 1999.
- Zamiti Khalil, *La culture amazighe et la révolution*, *Carnet de l'IRMC*, 5 Décembre 2012. [En ligne] <http://irmc.hypotheses.org/628>.

الربيع الأمازيغي في ليبيا :
بين مكتسبات الثورة وتحدي الإنقسام

بلال عبد الله

ديدا بادي

الفهرس

233.....	المقدمة
235.....	فرضية الدراسة
235.....	المقاربة المنهجية
237.....	المبحث الأول : بروز وتطور المسألة الأمازيغية
237.....	أولاً : أوضاع وقضايا أمازيغ الشمال
237.....	1 - الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
242.....	2 - ولادة وتطور المسألة الأمازيغية
249.....	ثانياً : تطور قضايا أمازيغ الجنوب
250.....	ثالثاً : أمازيغ الجنوب
252.....	1 - تحالفات فرع غات
252.....	2 - تحالفات فرع تارجا
253.....	توارق منطقة الساحل في ليبيا : مصير قضية
254.....	توارق الساحل في ليبيا
257.....	المبحث الثاني : الفاعلون في الحراك الأمازيغي الليبي
257.....	أولاً : أمازيغ الشمال بين الفاعلين التقليديين والجدد
258.....	1 - أسبقية الفاعلين التقليديين
258.....	أ - المجالس البلدية
260.....	ب - مجالس الشورى والحكماء والأعيان
260.....	ج - الميليشيات العسكرية
262.....	2 - بزوغ الفاعلين الجدد
262.....	أ- المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا
264.....	ب- فاعلون حكوميون

- ج- منظمات مجتمع مدني 265
- د- منظمات إعلامية اقتراضية 265
- ثانياً : هيمنة الفاعلين القبليين لدى أمازيغ الجنوب 265
- 1 - التوارق والصراع من أجل البقاء 268
- 2 - المخاض الصعب لبروز مجتمع مدني 269
- المبحث الثالث : أنماط وأدوات التعبير 273
- أولاً : أمازيغ الشمال 273
- 1 - التحولات في نمط التفاعل السياسي 273
- 2 - بؤادر العنف في الحراك الأمازيغي 278
- 3 - إحياء المذهب الإباضي 280
- 4 - محورية دور المرأة والشباب 281
- 5 - انتعاش التعبير الفني والثقافي 284
- ثانياً : تفاعلات أمازيغ الجنوب 284
- 1 - التوارق الليبيون ومسألة الهوية الثقافية 291
- خاتمة 293
- البيبلوغرافيا 297

المقدمة

تعد ليبيا أكثر بلدان شمال إفريقيا التي ظهر بها التأثير الفارق لما يسمى بـ«الربيع العربي» على المسألة الأمازيغية، بشكل يمكن معه القول أنها سلكت مساراً مختلفاً تماماً منذ عام 2011؛ وذلك على الرغم من المنعرجات والعراقيل الذاتية والموضوعية التي يمتلئ بها هذا المسار. ويأتي على رأس هذه العراقيل الانقسام الداخلي القائم بين السكان الأمازيغ إلى مجموعتين كبيرتين استناداً إلى مزيج من العوامل القبلية والجهوية، ما بين أمازيغ جبل نفوسة في الشمال الغربي وبين التوارق في الجنوب والغرب؛ ثم الانقسام داخل كل مجموعة وفقاً لاعتبارات سياسية أو قرابية أو شخصية. حال هذا الانقسام تاريخياً دون توحيد الجهود من أجل الذود عن الحقوق الثقافية واللغوية، ومن ثم لم يتم بلورة خطاب نضالي موحد يمكن الإستناد إليه في توحيد الصف الأمازيغي؛ وعلى العكس من ذلك، كانت التجارب النضالية الأمازيغية في الغالب تجارب فردية، أو تمثل محاولات جمعيات محدودة وضعيفة الصدى؛ وارتبط أغلبها بالنخبة المثقفة من أبناء المناطق الحضرية في جبل نفوسة، من دون وجود دور كبير للتوارق، الذين كان يشغلهم بشكل أكبر حالة التهميش الجهوي وانعدام الخدمات الأساسية في مناطقهم في الجنوب، بالإضافة إلى سيطرة العلاقات الصراعية مع القبائل المجاورة، وهو ما أدى إلى خضوع علاقتهم بالسلطة إلى اعتبارات مغايرة عن تلك التي خضعت لها علاقة أمازيغ الشمال مع السلطة السياسية، وهو ما ظهرت انعكاساته في مجريات الثورة ضد نظام القذافي، وتباين الموقف من النظام ما بين القتال ضده أو الانخراط ضمن صفوف المدافعين عنه.

يتمثل التحول الأهم الحادث في مسار النضال الأمازيغي منذ عام 2011 في أن التدايعات المرتبطة بالإطاحة بالقذافي، وعلى الرغم من طابعها السلمي المتمثل في سقوط وتفكك الدولة، أفضت إلى غياب القدرات القمعية للدولة المركزية، ومن ثم تم فرض أمر واقع جديد تكون فيه اللامركزية الإدارية جانب محوري محل إجماع في جهود إعادة بناء الدولة. وفي هذا الإطار شهد الحراك الأمازيغي لأول مرة انتقالاً إلى الداخل الليبي، بعد أن كان هذا الحراك من قبل مقتصرًا وفي أغلبه على بلاد المهجر،

وخلاف ذلك فإن أي تحركات أمازيغية في الداخل الليبي إبان حكم القذافي كانت تُواجه بالقمع والتنكيل.

عقب الإطاحة بالقذافي تحققت عدد من المكتسبات بالنسبة للأمازيغ، كأمر واقع جديد تم فرضه بالقوة، والتي يأتي على رأسها إحياء اللغة الأمازيغية واستخدامها في المكاتبات الرسمية للمجالس المحلية وتدريسها في بعض المدن ذات الأغلبية الأمازيغية؛ ولكن في المقابل يظل النضال الدستوري والقانوني، الذي يمثل ضماناً للمكتسبات المتحققة بالفعل، يواجه بعض المعوقات التي يصعب تجاوزها، هذا فضلاً عن أن الانقسام بين أمازيغ جبل نفوسة وبين التوارق قد تم ترسيخه دستورياً، مع صدور الإعلان الدستوري خلال الفترة الانتقالية، ثم المداولات المتعثرة لإعداد الدستور الجديد، حيث يتم التمييز بين الهوية الأمازيغية والهوية الترقية، بدلاً من أن يتم التعامل معهم كهوية أمازيغية واحدة¹.

لم تقتصر ديناميات ترسيخ الانقسام على الصعيد الدستوري فقط، لكن هذا الانقسام يجد سنده الرئيسي في اختلاف السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقبلية واللغوية بين كل من سكان جبل نفوسة وبين التوارق، ومن ثم اختلفت التحالفات السياسية والمطالب والاحتياجات والأولويات بين الطرفين، وهو ما وفر الظروف الموضوعية لاستدامة الافتراق القائم بين شطريّ الحراك الأمازيغي على الصعيد الليبي، وتباين مستوى حضور البعد الهوياتي الثقافي في الخطاب المطلبي للطرفين.

في هذا الإطار تأتي الدراسة الحالية، والتي تهدف إلى الوقوف على راهن الحراك الأمازيغي في ليبيا منذ انطلاق الربيع العربي، وكيف اصطحب هذا الربيع العربي معه ربيعاً أمازيغياً من نوع خاص. وعلى الرغم من أن عام 2011 سيكون هو نقطة الانطلاق الرئيسية، إلا أن تكوين رؤية متكاملة للصيرورة التاريخية للحراك الأمازيغي الليبي وجذوره، فضلاً عن جذور الانقسام بين جناحيّ هذا الحراك، يقتضي أولاً تتبع مسار التشكل التاريخي للحركة الأمازيغية، والتعرف على الديناميات السياسية والاجتماعية المخلفة لهذا الانقسام، ليس فقط بين شطريه الرئيسيين، ولكن أيضاً داخل كل طرف، ولاسيماً الانقسام داخل المجتمع الترقّي في الجنوب.

1. ينص الإعلان الدستوري الصادر عام 2011، في مادته الأولى، على أن «...اللغة الرسمية هي اللغة العربية مع ضمان الحقوق اللغوية والثقافية للأمازيغ والتبو وتوارق وكل مكونات المجتمع الليبي». وفي المادة الثانية من مسودة الدستور الذي أقرته اللجنة التأسيسية عام 2017، تنص المادة الثانية من الدستور على أن «...تضمن الدولة حماية وتنمية اللغات المحلية كالأمازيغية والتارقية والتبوية، وأن يتم تنظيم قانون خلال أول دورة انتخابية بعد إقرار الدستور، يكون من شأنه إدماج اللغات المحلية في الحياة العامة، على أن تظل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة».

وإضافة لذلك تقدم الدراسة رؤية استكشافية شاملة لمختلف ملامح ومفردات الحراك الأمازيغي بعد الثورة، من زاوية التعريف بأبرز الفاعلين فيه، وأهمّات التعبير المختلفة على الصعيد السياسي والثقافي، كما يتم إبراز طبيعة الخصائص الجغرافية والديموغرافية والاقتصادية للمناطق التي يقطنها السكان المتحدّثون بالأمازيغية.

فرضية الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى التحقق من صحة فرضية رئيسية، مفادها أن طبيعة التطورات السياسية في ليبيا منذ 2011 قد خلقت واقعاً جديداً يسمح بتحقيق مكاسب أكبر للحركة الأمازيغية، التي نجحت بشكل كبير في التمفصل بهرولة مع هذه التغيرات ومواكبتها؛ غير أن التغيرات في بيئة الحراك تظل غير ذات علاقة بعوامل الانقسام التاريخية بين شطريّ الوجود الأمازيغي؛ ومن ثم فإنه بصرف النظر عن حجم المكاسب التي ستتحقق للأمازيغ في المدى المنظور، لكن لن يكون من بينها القضاء على الانقسام القائم، الذي يرتبط بعوامل قبلية وجهوية وتاريخية تستعصى على التغيير، وهو ما قد يضعف بدوره من شوكة النضال الأمازيغي، لاسيّما على الصعيد الدستوري.

المقاربة المنهجية

تم التركيز على التحليل الكيفي لبحث مختلف إشكاليات الدراسة؛ كيف نشأ الحراك الأمازيغي في ليبيا؟ كيف تطور وماهي وضعيته الحالية؟ ومن هم الفاعلون الحاليون؟ كما تمّ التركيز على مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين في مناطق البحث، بحيث تشمل كلا الجنسين ومختلف الشرائح العمرية.

وتتمثل أهم المحاور في التعريف بالنظام السياسي للتوارق الليبيين وعلاقتهم مع العشائر الليبية الأخرى في ظل نظام القذافي؛ والاستراتيجيات التي أتبعوها للتموقع على الساحة السياسية بعد الحرب؛ وموقفهم من مسألة دسترة الأمازيغية والاعتراف بالهوية الأمازيغية؛ وعلاقتهم مع حكومتي الشرق والغرب؛ وبروز بوادر من المجتمع المدني في ظل استمرارية التركيبة السياسية التقليدية. وكذا تم تطوير طائفة من الأسئلة التي تناسب تفاصيل الحراك الخاص بمدن جبل نفوسة، سواء في بعدها السياسي أو العسكري أو المذهبي أو اللغوي والتراثي.

بأخذ طبيعة الانقسام والتنوع الذي يميّز الوجود الأمازيغيّ في ليبيا بعين الاعتبار، فضلاً عن الاعتبارات اللوجستية، وتباين الخبرات المعرفية المطلوبة للتعامل مع مختلف جوانب الحراك بجناحيه النفسي والترقي، فقد تم توزيع مهام العمل في الدراسة

بين كلا الباحثين الاثنين القائمين على الدراسة، بحيث يوظف أحدهما بالقسم الخاص بالتوارق، ويوظف الآخر بانجاز الشق الخاص بجبل نفوسة، ثم تم المزج بين نواتج الجهد البحثي لكليهما، لإنتاج عمل بحثي متكامل يقدم مختلف جوانب الحراك الأمازيغي كحالة وطنية واحدة، على ما تحويه من فروق وتباينات داخلية.

بالنظر إلى خطورة الوضع الأمني في ليبيا، بشكل يجعل المعيشة الميدانية بمثابة خطر أمني داهم على الأمن الشخصي للباحثين، فقد تم التركيز على العلاقات الميدانية والشخصية التي تكونت لدى الباحثين في إطار خبرات بحثية سابقة، على أن يتم التواصل مع العينة المختارة من المبحوثين عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى التواصل المباشر وجهاً لوجه مع بعض الليبيين المتواجدين في كل من الجزائر ومصر وتونس.

حاول الباحثان استغلال كل الفرص التي أتاحت للتحديث مع كل الليبيين الذين تيسر الالتقاء بهم. وقد تم إجراء جملة معتبرة من المقابلات المباشرة والاستجابات عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي. وقد تم انتقاء المبحوثين من بين الفاعلين الجمعيين والسياسيين مع اعتماد مبدأ التنوع العمري وتمثيل النخب التقليدية والعصرية والعنصر النسوي.

أتاح طبيعة التكوين الحدائي للحراك الخاص بجبل نفوسة الفرصة لإجراء استبيان إلكتروني مع عدد من المواطنين من ذوي الأصول الأمازيغية في الشمال الغربي، وذلك في ضوء انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وكثافة استخدامها في التواصل في أوساط الحراك الأمازيغي في جبل نفوسة. وتم تصميم الاستبيان ليلائم مختلف المحاور والقضايا التي تستهدف الدراسة تغطيتها؛ وتفاعل معه نحو ربعمئة فرد، أجاب كل منهم على أغلب الأسئلة المطروحة. وقد تمت عملية اختيار العينة التي تم إجراء الاستبيان عليها بشكل عشوائي (عنقودي)، من خلال إرسال رابط الاستبيان، عبر رسائل الفيسبوك، إلى حوالي عشرين شخص من النشطاء الأمازيغ، وطلب تداول هذا الاستبيان مع من يعرفونهم من الأمازيغ. وتتمثل أهمية ذلك في أن الفيسبوك هو الإطار الذي يمثل مرآة للحراك الأمازيغي على أرض الواقع، كما أنه تدور عبره الكثير من التفاعلات المستقلة التي تعد جزءاً لا يتجزأ من الحراك، فيما يتعلق بعملية الترويج للأفكار والمواقف السياسية، والتعبئة والحشد، الذي تنعكس بعض آثاره على أرض الواقع.

في المقابل لم يكن متاحاً استخدام ذات الأداة في الشق الخاص بدراسة التوارق، وذلك نظراً لغلبة الطابع التقليدي القبلي على الحراك التوارقي، وعدم الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي في الحراك بذات القدر الكثيف الموجود بين أمازيغ الشمال الغربي للبلاد.

كما أن النقاشات الكثيفة فيما بين القيادات والنشطاء من أمازيغ الجبل على صفحات الفيسبوك كانت بمثابة تعويض عن عدم التمكن من عمل جماعات

تركيز focus group على أرض الواقع، حيث توجد عدد من المنشورات التي تطرقت إلى العديد من القضايا المحورية في الحراك الأمازيغي وإشكالياته، وشهدت هذه المنشورات نقاشات حادة ومكثفة بين أعضاء المجلس الأعلى ونشطاء المجتمع المدني، مما أتاح للباحث من خلال الاطلاع عليها التعرف على اتجاهات التفكير في هذه القضايا داخل أوساط الحراك.

مقابل الاعتماد على هذه الأدوات المنهجية التي تفرضها الطبيعة الحدثية لحراك أمازيغ نفوسة، فإن الطبيعة التقليدية للمجتمع والحراك الترقى يتطلب ضرورة الاعتماد على أدوات تحليلية من حقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية والسياسية بالأساس، فيتم تناول المجموعة السياسية التقليدية للتوارق الليبيين في منظور دياكروني diachronic approach، لفهم التحالفات التقليدية التي عقدها توارق مع العشائر الأخرى في ليبيا، وذلك في إطار إدارة أراضيها التقليدية، وكيف تمت إعادة صياغة هذه التحالفات في ضوء التطورات التي شهدتها ليبيا منذ 2011.

المبحث الأول : بروز وتطور المسألة الأمازيغية

يرتكز الواقع المتمثل في الانفصال بين شطري الحراك الأمازيغي في ليبيا إلى حقائق اجتماعية وجغرافية وأنثروبولوجية وسياسية لا يمكن الفكك منها من قبل الأمازيغ، ولا يمكن تجاهلها من قبل الدارسين. وسوف يركز هذا المبحث على استعراض بعض هذه الحقائق، والانطلاق منها لتتبع مسار تطور المسألة الأمازيغية في كل حالة، بما يساعد على التعرف بشكل أعمق على طبيعة الإشكالية التي تتعامل معها الدراسة.

أولاً : أوضاع وقضايا أمازيغ الشمال

يتضمن هذا المحور التعريف بالأوضاع الاجتماعية والديموقراطية، ثم استعراض ولادة وتطور المسألة الأمازيغية.

1 - الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

ينتشر الأمازيغ الليبيون في الجزء الشمالي الغربي من البلاد، ولا توجد تقديرات دقيقة لعددهم، غير أن أغلب التقديرات المتداولة تدور حول نسبة تتراوح من 5 إلى 10 بالمئة من السكان. ويتركز الوجود الأمازيغي في مدن جبل نفوسة، ومدينة زوارة الساحلية، بالإضافة إلى العاصمة طرابلس، التي يتركز الأمازيغ في الجزء الغربي منها، وتحديداً أحياء الأندلس والسراج، وصولاً إلى مدينة جنزور. والمناطق التي يغلب عليها الوجود الأمازيغي، أو ربما تكون مناطق أمازيغية خالصة، ويتم تمثيلها داخل المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا هي زوارة ونالوت ووازن وجادو ويفرن والرحيبات وكاباو والقلعة والحراة وجريجن وزلتين، فيما لا يوجد تمثيل للعاصمة طرابلس؛ فضلاً عن بعض الأمازيغ الموجودين في المنطقة الشرقية، مثل بلدات أوجلة وبنغازي.

على الرغم من عدم وجود إحصاء رسمي لعدد الأمازيغ في ليبيا، إلا أن التعداد السكاني المتاح يشير إلى أن نسبة 10% من السكان قد تكون قريبة من الصحة²، وذلك إذا ما تم النظر إلى تعداد المناطق التي يتركز فيها الأمازيغ، ومع الأخذ في الاعتبار أن بعض المناطق المشار إليها في التعداد تشمل خليط من السكان العرب والأمازيغ، مثل طرابلس والجبل الغربي (جبل نفوسة) بالنسبة لأمازيغ الشمال، في حين أن زوارة ونالوت يغلب عليهم التكوين الأمازيغي؛ إضافة إلى مناطق غات ووادي الحياة ومرزق ووادي الشاطئ، التي يقطنها توارق إضافة إلى العرب والتبو.

تقدير عدد السكان الليبيين في منتصف السنة حسب النوع والمناطق للعام 2010

جملة	إناث	ذكور	الشعبية
161395	80256	81139	طبرق
166815	83169	83646	درنة
206840	102875	103965	الجبل الأخضر
188341	94024	94317	المرج
667839	326971	340868	بنغازي
176815	87865	88950	الواحات
45910	23009	22901	الكفرة
141464	70572	70892	سرت
50344	24932	25412	الجفرة
549202	270981	278221	مصراته
440311	217982	222329	المرقب
1070289	521189	549100	طرابلس
454064	222454	231610	الجفارة
290635	143091	147544	الزاوية
289349	143332	146017	زوارة

2. بطبيعة الحال تلقى هذه النسبة تحفظ كبير من قبل أطراف مختلفة داخل ليبيا، سواء من الأمازيغ الذين يرون أن النسبة أكبر من ذلك، أو الليبيين غير الأمازيغ الذين يرونها نسبة مبالغ فيها. ويرى طارق متري، في مذكراته عن الفترة التي شغل فيها منصب مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى ليبيا، أن عدد الأمازيغ « أقل من ذلك بكثير» وفق تعبيره. انظر:

طارق متري، مسالك وعرة: سنتان في ليبيا ومن أجلها (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2015)، ص 181.

310164	152990	157174	الجبل الغربي
94218	46464	47754	نالوت
127780	62658	65122	سبها
78837	39627	39210	وادي الشاطئ
77838	39245	38593	مرزق
75904	37215	38689	وادي الحياة
22894	11461	11433	غات
5687248	2802362	2884886	المجموع

المصدر : « الإحصاءات الحيوية 2010 »، وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، قسم الإحصاءات السكانية، ص 6.

نظراً لطبيعة التحولات الاقتصادية التي شهدتها ليبيا إبان فترة حكم القذافي، فإن السياسات الاقتصادية والتنموية المتبعة انعكست على طبيعة النشاط الاقتصادي والانتشار الديموغرافي للأمازيغ. على الصعيد الاقتصادي أفضت سياسات القذافي إلى انتشار الوظائف الحكومية، بحيث بات الارتباط بالوظائف العمومية داخل مؤسسات الدولة هو السمة المميزة للسكان ذوي الأصول الأمازيغية.

أما على الصعيد الديموغرافي، فقد أدى استئثار العاصمة طرابلس بأغلب برامج التنمية إلى أن أصبحت العاصمة هي أكبر مدينة من حيث عدد الأمازيغ المقيمين فيها؛ ويحدث الانتقال عادة بداية من الذهاب للعاصمة بغرض الالتحاق بالجامعة ثم الاستقرار بها بحثاً عن وظيفة، أو حتى في حالة اعتراف العمل التجاري الحر³؛ لذا أصبحت توجد أجيال من المواطنين الذين تعود أصولهم إلى إحدى المدن الأمازيغية، لكنهم ولدوا وعاشوا في العاصمة طرابلس، وجزء من هؤلاء فقد صلته بلغته الأمازيغية⁴. ويتجاوز الأمر فقدان الصلة باللغة ليشتمل أحياناً في فقدان الصلة بالهوية الأمازيغية في مجملها⁵.

وتصل كثير من التقديرات إلى أن أكثر من نصف أمازيغ الشمال يعيشون في العاصمة؛ وقد أظهرت نتائج الاستبيان إلى أن 131 من بين 375 ولدوا في العاصمة، بما نسبته 34.93% ممن أجابوا على السؤال الخاص بمدينة الميلاد، في حين أن 175 من

3. حوار مع توفيق عياد الشقروني، مدير الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية. تم إجراء الحوار بالاتصال الصوتي عبر الأنترنت، بتاريخ 25 مايو 2017.

4. حوار مع توفيق عياد الشقروني، مرجع سبق ذكره.

5. طارق متري، مرجع سبق ذكره، ص 157.

بين 377 مستجوب يعيشون في العاصمة، بما نسبته 46.42%، وأغلبهم يقيمون فيها بشكل دائم، ونسبة قليلة تقيم فيها بالتناوب مع العودة لمسقط رأسهم في إحدى المدن الأمازيغية، علماً بأنه يوجد نسبة من المستجيبين تقيم خارج ليبيا.

تشير الإحصاءات الرسمية المتاحة إلى أن الأوضاع المعيشية للأمازيغ لا تختلف عن السكان العرب بشكل لافت؛ وهو ما تبرزه عدد من الإحصاءات الصادرة عن مصلحة الإحصاء والتعداد التابعة لوزارة التخطيط، والمتضمنة في الملحق الخاص بهذه الدراسة. فعلى سبيل المثال، نجد أن نسبة غير الملتحقين بالتعليم، لمن هم دون 14 عام، تبلغ أعلى نسبة في الزنتان 6.3%، في حين نجد المناطق التي يقطنها الأمازيغ تنخفض فيها النسبة، حيث تبلغ 1.5% في باطن الجبل، وفي أوباري 2.4%، وفي غات 2.5%.

على صعيد استخدام اللغة الأمازيغية، فقد تم طرح سؤال عن استخدامها في الحياة اليومية، وقد أجاب على السؤال 394، يقوم 355 منهم باستخدامها في حياتهم اليومية، بما نسبته 90.1% من عدد المستجوبين، في حين أجاب البقية بأنهم لا يستخدمونها. وتم طرح سؤال آخر حول ما إذا كان المستجوب يقبل على تعلم كتابة اللغة الأمازيغية باستخدام حرف تيفيناغ، حيث أجاب 386 شخص، منهم 317 يقبلون على تعلمها، بما نسبته 82.1% من عدد المستجوبين، مقابل 32 شخص بنسبة 8.3% قالوا أنهم لا يقبلون على ذلك، في حين أجاب 37 شخص، بنسبة 9.6% بأن حماسهم لتعلمها تراجع مع الوقت. وتم طرح سؤال حول مدى وجود صعوبة في التعامل مع اللافتات المكتوبة بحرف التيفيناغ في البلدات الأمازيغية، حيث أجاب على السؤال 387 شخص، يرى منهم 199 شخص، بنسبة 51.4% أنه لا توجد صعوبة، بينما يرى 166، بنسبة 42.9% أنه توجد صعوبة، بالإضافة إلى عدد من الإجابات الفردية الأخرى التي تحاول شرح مقدار الصعوبة.

الجدير بالذكر هنا مسألة الاختلاف بين اللغة الأمازيغية المستخدمة من قبل أمازيغ الشمال وبين اللغة التي يستخدمها التوارق، حيث الأخيرة تعد لغة متفرعة من الأمازيغية، ولكن بها بعض الاختلافات. ولذلك فإنه يوجد بعض الصعوبات في التفاهم والتواصل اللغوي بين الطرفين؛ فعلى الرغم من وجود المشترك المعجمي، وهو كبير جداً، إلا أنهم لا يتواصلون بسهولة، بسبب عدم الاختلاط عبر قرون، وغياب الإعلام المشترك، وعدم دراسة اللغة في المدرسة⁶.

بخلاف استخدام اللغة الأمازيغية بين الأمازيغ وبعضهم البعض، يمكن القول أنه لا يوجد أسس قوية للفصل بين الأمازيغ والعرب، فعلى الرغم من انتشار المذهب الإباضي

6. حوار مع مادغيس مادي، تم الحوار بالتواصل الصوتي عبر الانترنت، بتاريخ 16 مايو 2017.

بين الأمازيغ بجبل نفوسة ومدنها، إلا أن ذلك لم ينعكس في صورة وجود مقابر خاصة بالاباضيين، كما أنه فيما يتعلق بالمصاهرة فلا يوجد تقاليد ملزمة لعدم الزواج من العرب، وقد لا يختلف الأمازيغ عن القبائل والعشائر العربية حين يتوقف الزواج على علاقات التحالف والعداء بين التكوينات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية (عشائر أو عائلات أو قرى). وقد لا تنفصل دلالات ذلك عن عدم وجود خطوط انقسام إثنية بين العرب والأمازيغ، بشكل جعل المسألة الأمازيغية في ليبيا حديثة العهد، حيث لم يكن لها زخم في التاريخ الليبي الحديث والمعاصر، وصولاً إلى الثورة ضد القذافي.

أثناء الثورة، لم يكن السلوك الأمازيغي يتحدد وفق خطوط الانقسام الاثني واللغوي أو المذهبي، لكنه تحدد وفق مزيج من العوامل المرتبطة بالموقف من نظام القذافي نفسه، والموروثات التاريخية في العلاقات الصراعية بين المكونات المجتمعية داخل جبل نفوسة، والتي تعود جذورها إلى قرن مضى، حيث انتظام التحالفات القبلية فيما يعرف بصفّ يوسف وصفّ شداد⁷، والصراعات حول إدارة الأراضي بشكل عابر للانقسامات بين ثنائية عرب وأمازيغ؛ وأحياناً ما تغلب أحد العاملين على الآخر، فشهدت الثورة تحالفاً مرحلياً بين بعض البلدات الأمازيغية وبين قبيلة الزنتان العربية، رغم الخصومة التاريخية بين الطرفين، ولكن سرعان ما عاد الصراع بينهما بعد التمكن من الإطاحة بالقذافي. كما أن هذه الخصومة التاريخية يستثنى منها مدينة جادو، التي تتمتع بعلاقات طيبة مع الزنتان⁸.

من بين الاختلافات الأخرى بين العرب والأمازيغ، هي تلك المتعلقة بمركزية العامل القبلي لدى العرب، في مقابل تراجع تأثيره السياسي لدى الأمازيغ، حيث يقتصر مدلوله على الإطار الاجتماعي الضيق، في ضوء انقسام القبائل الأمازيغية إلى لحَم وعائلات. ويمكن القول أن العلاقات على الصعيد الاجتماعي تدور وفق الانتماء القروي⁹.

7. أحلاف عسكرية سياسية دخلت فيها قبائل ليبيا وتونس، شمل نفس الحلف قبائل عربية وأمازيغية. بل أن بعض المدن الأمازيغية في جبل نفوسة توزع سكانها بين الحلفين شداد ويوسف. لمزيد من التفاصيل أنظر: عمر سعيد بغني: أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر. منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، سلسلة دراسات تاريخية عدد 17/1996، ص ص 39/38

8. لمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين المجتمعات المحلية الأمازيغية والعربية داخل جبل نفوسة قبل وأثناء وبعد الثورة، انظر:

Wolfram Lacher and Ahmed Labnouj, «Factionalism resurgent: The war in the Jabal Nafusa», in:

Peter Cole and Brian McQuinn (ed), The Libyan revolution and its aftermath (New York: Oxford university press, 2015). Pp. 257 – 284.

9. حوار مع توفيق عياد الشقروني، مرجع سبق ذكره.

انظر كذلك:

Wolfram Lacher and Ahmed Labnouj, Ibid, P 258.

2 - ولادة وتطور المسألة الأمازيغية

كانت ثورة فبراير 2011 هي نقطة التحول في مسار الحراك الأمازيغي الليبي، بشكل بدا معه الحراك وكأنه ولد للتوّ. وعلى سبيل المثال، يمكن النظر إلى كتاب صادر في العاصمة طرابلس عام 2017 بعنوان « سير ومؤلفات الأمازيغ الليبيين القدامى والمعاصرين »، فهذا الكتاب يتضمن في أحد أجزاءه بيانات عن عدد 95 من أمازيغ الشمال في ليبيا، ممن كانت لهم مؤلفات وآثار ثقافية في مجالات الدين والأدب والعلوم الاجتماعية والطبيعية والرياضية وغير ذلك، وباستثناء بعض علماء المذهب الأباضي، يكاد لا يوجد أي ذكر لما يمكن اعتباره اهتماماً من قبل هذه الأعلام الثقافية بإحياء الهوية الأمازيغية، وذلك على مستوى سيرتهم الحياتية أو مؤلفاتهم؛ بل إن بعض هذه المؤلفات تعكس في عناوينها استبطاناً للهوية العربية لليبيين¹⁰.

لا يقتصر الأمر فقط على النخب المثقفة الأمازيغية، لكن الكتابات الأكاديمية التي قدمها غير الأمازيغ، والمتعلقة بليبيا قبل الثورة بشكل عام، لم تولي اهتماماً للأمازيغ، وحتى بعد الثورة، وبعد أن أصبحت المسألة الأمازيغية حاضرة في المشهد السياسي، فإن الكتابات التي صدرت حديثاً وتناولت مرحلة ما قبل الثورة وتطور دولة الاستقلال في ليبيا، فإنها لم تولي الاهتمام لتتبع جذور المسألة الأمازيغية التي فرضت نفسها فيما بعد¹¹. والإستثناءات القليلة قبل الثورة تمثلت في تقارير تعلقت بالأقليات العرقية في المنطقة العربية¹². وحتى الكتابات التي تتناول الأوضاع بعد الثورة، فإنها إن

10. أ. د. محمد أحمد جرانز، سير ومؤلفات الأمازيغ الليبيين القدامى والمعاصرين (طرابلس: دار الرواد، 2017)، ص 107 - 261.

11. كمثال لذلك انظر :

د. مصطفى عمر التير، أسئلة الحداثة والانتقال الديمقراطي في ليبيا : المهمة العصية (بيروت : منتدى المعارف، 2013).

د. مصطفى عمر التير، صراع الخيمة والقصر : رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي (بيروت : منتدى المعارف، 2014).

كان من الطبيعي والحال هكذا ألا يقتصر الأمر على الأكاديميين الليبيين فقط، فحتى بعض الأكاديميين العرب الذين صدرت لهم دراسات عن ليبيا قبل أو بعد الثورة، لا تعكس هذه الكتابات اهتماماً بالمسألة الأمازيغية، كمثال لذلك انظر :

د. المولدي الأحمر، الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا : الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).

محمد نجيب بوطالب، الظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي المعاصر : دراسة مقارنة في الثورتين التونسية والليبية (الدوحة : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).

المنصف ونّاس، الشخصية الليبية : ثالوث القبيلة والغنيمة والغلبة (تونس : الدار المتوسطة للنشر، 2014).

12. انظر :

د. سعد الدين إبراهيم (إشراف)، الملل والنحل والأعراف (القاهرة : مركز ابن خلدون للدراسات الامثائية، التقرير السنوي الثامن 2005)، ص 97 : 99.

تطرقت للمسألة الأمازيغية، يكون ذلك في حدود ضيقة وبدون الغوص في التفاصيل¹³، مع وجود استثناء وحيد لدراسة أكاديمية ركزت على الحراك الأمازيغي البازغ بعد الثورة وحتى عام 2014¹⁴. ولا يختلف الحال كثيراً في اللغة الانجليزية، حيث يظهر كذلك ندرة الدراسات التي تهتم بالموضوع¹⁵.

ومع ذلك فلا يمكن القول أن الحراك البادئ في عام 2011 لم يكن بلا تاريخ أو جذور، على الرغم من أن هذه الجذور لا تبدو ذات تأثير كبير على مسار الحراك الأمازيغي منذ 2011.

إن أهمية هذا التاريخ لا تكمن في محصلته المتواضعة، لكن هذه الشعلة النضالية التي كانت خافتة ومنحصرة في إطار ضيق من أفراد أو مجموعات نخبوية محدودة العدد والتأثير تكمن أهميتها في كونها بمثابة الحبل السري الذي حافظ على كينونة القضية دون أن تتحول إلى عدم؛ وهو ما أتاح لاحقاً إمكانية التأسيس على هذا التاريخ النضالي المحاصر، لتيسير عملية الترميز والأيقنة، وبما يسهم في تعزيز الشعور بالهوية وخلق ذات جمعية تستبطن مشاعر الاضطهاد الواقع سابقاً على رموز النضال، وبالتالي تعميق الإحساس بوحدة المصير، بما يسهل عمليات الحشد والتعبئة وخلق روح التضامن بين عموم الأمازيغ الليبيين.

13. نموذج لهذه الدراسات، انظر :

د. يوسف محمد جمعة الصواني، ليبيا : الثورة وتحديات بناء الدولة (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2013)، ص 184 : 187.

14. بلال عبد الله، الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية : بين إمكانات التكيف وأزمة الاندماج الوطني (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة دراسات استراتيجية، عدد 197، 2014).

15. من أهم هذه الدراسات هي الدراسة المهمة لكل من فولفرام لاجر وأحمد لابنوج، التي تتطرق للتفاعلات داخل جبل نفوسة قبل وأثناء وبعد الثورة. انظر :

.Wolfram Lacher and Ahmed Labnouj, Ibid

هناك أيضاً ثلاث دراسات عملت على تقديم متابعة عامة لبزوغ المسألة الأمازيغية بعد الثورة، من دون أن تحتوي على أهمية كبيرة في رصد مفردات وعناصر الحراك بشكل مفصل. انظر :

Kim Lee, "The Amazigh's Fight for Cultural Revival in the New Libya : Reclaiming and Establishing Identity Through Antiquity", Seattle Journal for Social Justice, Vol. 11, Iss. 1. Marissa Cramer, "The Amazigh Question in Post-Gadhafi Libya", April 2014. available at : https://www.academia.edu/10806852/The_Amazigh_Question_in_Post-Gadhafi_Libya_April_2014

Jesse Brent, Berber Consciousness & Resistance : From the Algerian Berber Spring to the Libyan Berber Revolution, BA Thesis (Wesleyan University, College of Letters, The Department of Romance Languages and Literatures, 2013).

ولاستيضاح هذا المعنى، تم في الاستبيان طرح سؤال عن الاضطهاد الذي عانت منه المناطق التي يقطنها ذوي الأصول الأمازيغية خلال فترة حكم القذافي، هل تم لاعتبارات إثنية بوصفهم أمازيغ، أم أنه كان جزء من القمع والاضطهاد الواقع على الليبيين ككل. أجاب على هذا السؤال 391 مستجوب، يرى منهم 238، أي 60.9% أن الاضطهاد كان يتم لاعتبارات إثنية، في حين رأى 135، أي 34.5%، أنه كان جزء من الممارسات القمعية والسلطوية التي عاها الليبيين ككل؛ بينما اختار 18 مستجوب، أي 4.7% الإجابة بـ «لا أعرف».

نظرياً وتاريخياً، كان الوعي بالهوية الأمازيغية هو أول محاولة جادة من السكان المحليين لانتاج سردية هوياتية، بجهود محلية خالصة، عن التاريخ القديم ووتتبع جذور التكوين التاريخي للكيان الليبي، ديموجرافياً وجيوبوليتيكياً وعلى مستوى التسمية؛ حيث يكاد يعتمد التاريخ الليبي بشكل شبه مطلق على ما ينتجه «الآخر» الاستعماري خلال حقبة تاريخية مختلفة، ويظل تاريخ البلاد وتطورها أسير هذه السرديات الخارجية على تنوعها. وتعد المحاولات القليلة التي تحاول تتبّع أصول الهوية الليبية من منظور أمازيغي، على ما يشوبها من دوافع قومية وسياسية، من المحاولات القليلة الجادة لانتاج تاريخ من منظور محلي وليس خارجي¹⁶.

ولكن عملياً، لا يمكن الحديث عن وجود وعي بالهوية الأمازيغية بالمعنى النضالي إلا في دولة الاستقلال؛ فكما يوضح الناشط الأمازيغي مادغيس مادي، فإن «تعريف الهوية يختلف باختلاف الطرف الصراع، ولضرورة الصراع يتم خلق الآخر»¹⁷. ووفق هذا المعنى كان من الطبيعي غياب المسألة الأمازيغية في ليبيا إبان حقبة الاستعمار. وخلال دولة الاستقلال تشكل الوعي بالهوية الأمازيغية تدريجياً، وبتأثير من عدد عوامل، تنوعت بين العوامل الإقليمية والمحلية والعالمية. وفي السطور التالية سيتم استعراض بعض هذه المؤثرات زمنياً وبشكل متداخل.

في بداية عمر دولة الاستقلال سيطر على العالم العربي مناخ قومي عروبي، ولم تكن دول شمال إفريقيا بعيدة عن هذا المناخ؛ وعملياً كانت الأمازيغية ضحية لهذا التوجه، هو ما أتاح تعزيز سردية أن «الهوية الأمازيغية» مجرد صنعة استعمارية تمت بغرض تقسيم المجتمع¹⁸. هذه السردية تم الترويج لها في عموم شمال إفريقيا

16. محمد أحمد أبوصوة، جدلية المجال والهوية: مدخل لتاريخ ليبيا العام (طرابلس: دار الرواد، 2012)، ص 210 - 229.

17. حوار مع مادغيس مادي، مرجع سبق ذكره.

18. كنموذج لهذا النوع من الكتابات، انظر: ناصر الدين سعيدوني، «المسألة البربرية في الجزائر: دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية»، عالم الفكر، المجلد 32، العدد 4 (إبريل - يونيو 2004)، ص 141 - 198.

من قبل المناهضين لهذا التوجه التوعوي الأمازيغي، وكان القذافي واحداً ممن تهادوا في اعتماد هذه السردية لاحقاً، كذريعة لتبرير سياساته الاقصائية ضد الأمازيغ.

في ذلك الحين لم يكن هناك معنى نضالي موازي للمطلب الأمازيغي على الساحة الليبية، فدولة الاستقلال في ليبيا كانت تعاني من مشكلات جمّة مرتبطة بالفقر وانخفاض مستوى التعليم وقلة البنى التحتية، كما أن غلبة الطابع الصوفي المتسامح دينياً، وعدم وجود مشكلات لغوية، وهيمنة النزعتين القبلية والجهوية، كل هذه العوامل وغيرها جعلت من الصعب بروز مسألة أمازيغية إبان فترة حكم الملك إدريس السنوسي، ومع ذلك كانت هناك تحركات فردية لكل من خليفة الأسطى وعلي الشروي بن طالب، ثم فاضل المسعودي صاحب جريدة الميدان، وهي الجريدة التي فتحت فيما بعد صفحاتها لكتابات الرمز الأمازيغي المعروف سعيد سيفاو المحروق. وخلال تلك الفترة بدأت ظاهرة استخدام الأسماء الأمازيغية في تسمية المواليد¹⁹.

اكتسبت عملية ولادة الوعي الأمازيغي قوة دفع أكبر مع وصول القذافي إلى السلطة بعد انقلاب سبتمبر 1969، حيث أسهمت النزعة القومية العروبية، المترافقة مع نزعة قمعية لديه، في استنفار الهوية الأمازيغية، ليبدأ ولادة الوعي الهوياتي لدى الأمازيغ على استحياء، وهو الوعي الذي أتاحت السياسات التحديثية للقذافي الفرصة في نموه وتطوره، في ظل وجود ذوي الأصول الأمازيغية في مدن إقليم طرابلس الذي استأثر بأغلب برامج التنمية خلال عقود حكم القذافي، فكانت الفرصة التاريخية لتطور التكوين التقليدي للمجتمع الأمازيغي، لتظهر فئات وتكوينات مدنية، كانت هي حاضنة الحراك الأمازيغي المحدود في الداخل والخارج.

خلال السبعينات بدأ الوعي الأمازيغي في الارتقاء من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي، لاسيما في أروقة الجامعة؛ وكان الوعي بالهوية في أثره السياسي انعكاساً لتنامي الوعي في بعده الثقافي والمذهبي؛ ولم يكتسب المسار السياسي استقلاليته الحركية إلا مع تأسيس رابطة شمال إفريقيا عام 1977، بزعامة علي الشروي بن طالب. كانت الرابطة هي أول إطار تنظيمي يشهده الحراك الأمازيغي، وجابهتها السلطة في عامي 1978-1979 بحملات اعتقال ومداهمات جماعية بحق عدد من الأمازيغ في مدن الجبل. وشهدت السبعينات والثمانينات أيضاً جهود موازية من قبل بعض الرموز الهامة، مثل الفقيه الإباضي علي يحيى معمر، والأديب عمر النامي؛ اللذان لم يفلتا كذلك من القبضة القمعية للنظام²⁰. بنهاية الثمانينات بدأت الأنشطة الثقافية

19. إبراهيم قرادة، نص كلمة ملقاة في ندوة عن « الأمازيغية في ليبيا » (لاهاي : 14 نوفمبر 2003).

20. أدرار نفوسة (إبراهيم قرادة)، الأمازيغية في ليبيا : التقرير الدوري الأول للمؤتمر الليبي للأمازيغية، 16 إبريل 2002 - 15 إبريل 2003 (المملكة المتحدة : ميدلسكس، 2003)، ص 12.

تشهد انتشاراً في المدن الأمازيغية، من خلال المهرجانات السنوية والدور الذي لعبته النوادي في تنظيم الأمسيات والأنشطة الثقافية.

في التسعينيات تمكن الأمازيغ من الاستفادة من تزايد الاهتمام العالمي بقضايا الاثنيات، فبدأ دور أمازيغ المهجر في الانتعاش، وتأسس في منتصف التسعينيات جمعية « سيفاو »، ثم بدأ هؤلاء في التشبيك مع عموم الأمازيغ في المهجر عند تأسيس « الكونجرس الأمازيغي العالمي » في منتصف التسعينات أيضاً، كأول إطار فوق وطني جامع لعموم الحركات الأمازيغية. وفي شهر سبتمبر من عام 2000 تأسس « المؤتمر الليبي للأمازيغية »²¹. ولم يبق المؤتمر الليبي طويلاً، بسبب نشوب الخلافات الشخصية بين مؤسسيه²². وخلال العقد الأول من الألفية، ومع انتشار الانترنت وزيادة استخدامه عالمياً، تأسست بعض الكيانات التي نشطت في استخدام هذه الأداة التكنولوجية في نشر الوعي بالهوية الأمازيغية وإحيائها؛ ومن أبرز هذه الكيانات مؤسسة « تاولت » الثقافية، التي ينهض بالجهد الأكبر فيها الناشط الأمازيغي مادغيس مادي.

في عام 2001 أصدر القذافي القانون رقم 24 القاضي بمنع استخدام غير العربية في جميع المعاملات. ولكن بعد ذلك، بدأ الخطاب الرسمي الليبي، وتحديداً من قبل معمر القذافي وابنه سيف الإسلام، يشهد انفراجة تجاه المسألة الأمازيغية، تمثلت في حوارات أجريت مع بعض النشطاء الأمازيغ تعهد فيها نظام القذافي بالتراجع عن تبني خطاب إنكار وجود الهوية الأمازيغية. وحدث انقسام حول التجاوب مع المرونة التي أبداهها نظام القذافي؛ حيث أطلق بعض النشطاء وصف « الأمازيغ الخضر » على النشطاء الآخرين الذين تجاوبوا مع دعوة القذافي²³.

لكن مع ذلك لم يخلو الأمر من صدامات وحملات قمعية، تمثل أبرزها في أحداث يفرن في ديسمبر 2008، من خلال قيام قوات أمنية بمداهمة منازل نشطاء أمازيغيين في المدينة، ومحاصرة المدينة نفسها لعدة أيام²⁴. ويفسر البعض هذا التعامل الخشن من قبل السلطة مع الحراك الأمازيغي على الرغم من كونه لا يمثل تهديداً مباشراً لسلطة الدولة، في ضوء أن الأنشطة التي كان يجري إقامتها كانت تتم من دون الرجوع

21. أغلب المعلومات التي تم ذكرها في الفقرات السابقة بشأن المحطات النضالية تم استخلاصها من محاضرة إبراهيم قرادة الملقاة في لهاي بهولندا بتاريخ 14 نوفمبر 2003؛ أما التحليل الخاص بالدلالات والعامل السياقي فمسؤولية الباحث.

22. حوار مع عبد الله فوناس، وهو ناشط أمازيغي منذ الثمانينات، وأسهم في تأسيس المؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي عام 2011. تم الحوار من خلال الاتصال الصوتي عبر الانترنت، بتاريخ 16 مايو 2017.

23. حوار مع عبد الله فوناس، مرجع سبق ذكره.

24. « مليشيات القذافي تهاجم أمازيغ ليبيا في يفرن | قناة العربية 2008 ». متاح على الرابط التالي :

<https://www.youtube.com/watch?v=sXGNkUEma3c>

إلى الأجهزة الأمنية، ومن ثم يعد ذلك خروجاً على التقاليد المعمول بها من قبل نظام القذافي في إخضاع الأنشطة من هذا النوع لرقابة وتوجيه الأجهزة الأمنية، لاسيما مع الأهمية الرمزية والنظرية لهذه الأنشطة، والمتمثلة في انتشار فكرة إقامة المهرجانات في المدن الأمازيغية²⁵.

حدثت الانفراجة الكبرى مع اندلاع الثورة وتمكّنها من إطاحة القذافي، فتأسس « المؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي » في سبتمبر 2011، كأول كيان سياسي يتم تأسيسه في مرحلة ما بعد القذافي. ثم توالى بعد ذلك فعاليات الحراك الأمازيغي التي لم يعد من الممكن إيقافها وقمعها، كما كان يحدث خلال العهد السابق. وخلال الثورة لعب الأمازيغ دوراً كبيراً في محاربة نظام القذافي، فبعد أن اندلعت من المنطقة الشرقية للبلاد، كان يتم تهريب الأسلحة من ميناء بنغازي عبر البحر إلى تونس، ليتم إدخاله برياً إلى المنطقة الغربية في ليبيا، فيصل إلى يد الثوار في مدن الجبل²⁶. كما لعب الأمازيغ دوراً حيويّاً في حسم السيطرة على العاصمة طرابلس في أغسطس 2011.

عند هذه المرحلة، من الإطاحة بالنظام القديم عبر حرب أهلية، ومن ثم انهيار مؤسسات الدولة، أصبح الليبيون في مقبل مرحلة جديدة من التأسيس وإعادة بناء الدولة وفق أسس ومعايير جديدة؛ وكانت هذه العملية، التي لازالت متعثرة، هي موضوع التفاعلات السياسية والعسكرية في ليبيا طوال السنوات التي تلت الثورة وحتى الآن، وكانت كذلك جوهر الحراك الأمازيغي طوال تلك الفترة. ومن العوامل التي مثلت قوة دفع لهذا التوجه أن اللحظة التاريخية الراهنة تشهد تطبيعاً مع مسألة دسترة الأمازيغية في كل من الجزائر والمغرب. ومن ثم فإن سقف المطالب في الأنظمة الأكثر استقراراً لم يعد يمكن تخفيضه عن مطلب الدسترة، وبالتالي فمن الأولى، إذا تحدثنا من زاوية نظر النشاط الأمازيغي، عدم التنازل عن هذا المطالب في ضوء حالة السيولة التي تشهدها ليبيا، والتي تعد محفزاً إضافياً على ضرورة اقتناص الفرصة المتاحة في لحظة إعادة بناء الدولة.

بالانتقال إلى مستوى آخر من تحليل السلوك الأمازيغي على الساحة الليبية، وهو الانحيازات السياسية في التفاعلات على الصعيد الوطني، فإن الإلتفات للتجربة التاريخية يقدم لنا إضاءة تفسيرية أخرى لشرح السلوك الأمازيغي. فمن الأمور اللافتة هي حالة العداء الأمازيغي الشديد لقائد الجيش الوطني الليبي المشير خليفة حفتر، ووصف مشروعه السياسي بأنه يسعى للقضاء على مكتسبات الثورة وإحياء نظام القذافي، وذلك على الرغم من أن حفتر كان منخرطاً في المعارضة ضد نظام القذافي قبل

25. حوار مع عبد الله فوناس، مرجع سبق ذكره.

26. تقرير مقدم إلى مجلس الأمن من فريق خبراء الأمم المتحدة المعني بليبيا، 1 يونيو 2017، ص 27.

اندلاع الثورة بحوالي ربع قرن، وأن ثمة عداءً شخصياً بينه وبين القذافي، فضلاً عن أن حفتر كان مشاركاً في الثورة المسلحة ضد القذافي، ولازالت علاقاته متوترة ببعض القوى الاجتماعية المحسوبة على النظام الساقط، مثل مدينة بني وليد على سبيل المثال. ويزداد الأمر غرابة بالنظر إلى أن النطاق الجغرافي لنفوذ حفتر العسكري ظل مقتصرًا لوقت طويل بالأساس على المنطقة الشرقية، التي تمثل أساس قاعدته الاجتماعية الداعمة، بينما يتمركز الأمازيغ في المنطقة الغربية، التي ينتشر بها الميليشيات الإسلامية، وتكاد تنعدم فيها سلطة الدولة قياساً بالمنطقة الشرقية.

التفسير المرجح لهذا السلوك هو نفور الأمازيغ من أي مشروع سياسي يسعى إلى تأسيس سلطة مركزية قوية في ليبيا. فالخبرة الأمازيغية ترى أن أي وجود لسلطة مركزية قوية معناه احتمالات أكبر للقمع، ومن ثم فإن اللامركزية تظل هي الخيار الحاسم بالنسبة للأمازيغ،

كما أن هناك عامل ثاني الذي يفسر الموقف الأمازيغي من حفتر، وهو العامل الجهوي، والصراع المعروف بين المنطقتين الشرقية والغربية، والانحياز التقليدي للأمازيغ إلى المنطقة الغربية. فأهل المنطقة الشرقية في ليبيا دائماً ما ينظرون إلى المنطقة الغربية بشيء من السخط، بسبب استئثار مدن إقليم طرابلس بأغلب مخصصات التنمية، في حين أن موارد الدولة تعتمد بالأساس على النفط الذي يقع أغلبه في أراضي إقليم برقة. وفي المقابل يسود لدى أهل إقليم طرابلس نظرة استعلائية إزاء المجتمع البرقاوي، الأكثر تقليدية وأقل تطوراً في مستوى التمدن من مدن إقليم طرابلس.

تكتسب هذه النزعة الاستعلائية قوة دفع مضاعفة لدى بعض الأمازيغ من واقع الربط الأنثروبولوجي بين العروبة وبين البداوة والقبلية، باعتبار أن أصل الثقافة العربية خرج تاريخياً من شبه الجزيرة العربية، حيث الثقافة القبلية البدوية، ومنها انتشرت العربية إلى مناطق أخرى من بينها شمال إفريقيا²⁷. وتزيد الكراهية الأمازيغية لحفتر مع الجدل المرتبط بالتسمية المعتمدة للقوات المسلحة التي يقودها، والتي يتم تسميتها حيناً بالجيش الوطني الليبي وحيناً آخر الجيش العربي الليبي. وقد تورط حفتر في أحد الحوارات التليفزيونية التي أجريت معه في اتخاذ موقف هوياتي بشأن هذه التسمية؛ ففي لقاء أجرته معه قناة فرانس 24، بتاريخ 27 يوليو، قام حفتر بتبرير استخدام مسمى الجيش العربي الليبي بأن معظم الليبيين هم من العرب، وهو ما دفع المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا إلى إصدار بيان استنكاري، تم فيه وصف قوات حفتر بأنها ميليشيات عرقية إرهابية²⁸.

27. تمثل هذه الملاحظات خلاصة متابعة ممتدة على مدار خمس سنوات للخطاب السائد لدى كثير من الأمازيغ الليبيين على مواقع التواصل الاجتماعي.

28. بيان المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا، طرابلس، 30 يوليو 2017.

مع ذلك فقد كشفت التطورات العسكرية التي شهدتها الصراع خلال الربيع الأخير من عام 2017 عن جانب آخر من تفاعل الأمازيغ بشكل عام مع حفتر، حيث أشار الناطق باسم قوات حفتر إلى وجود تعاون مع ضباط أمازيغ وتوارق وتبو يتبعون القيادة العامة للقوات المسلحة (أي قوات حفتر)، وأن هناك خمسة من هؤلاء الضباط يشاركون في محادثات القاهرة بشأن إعادة توحيد المؤسسة العسكرية ؛ كما أشار إلى الدور المحوري والدعم الذي يقدمه أمازيغ الجبل إلى قوات حفتر من أجل الدخول إلى العاصمة طرابلس²⁹. ولكن يظل هذا التطور مجرد استثناء، كما أنه يأتي من قبل بعض العناصر العسكرية التي ليس لها صلة بالحراك الأمازيغي.

وصل عام 2017 إلى نهايته، وقت كتابة الدراسة، من دون الوصول لحل للمشكل الأمازيغي ؛ فالمطلب الرئيسي الخاص بالديسترة لا يبدو أن هناك أفقاً لتحقيقه، فقد تم التوصل في 29 يوليو 2017، في مدينة البيضاء شرق البلاد، إلى مسودة للدستور، تم إقرارها من قبل لجنة الستين المكلفة بكتابة الدستور. وتنص المادة الثانية من الدستور على أن تضمن الدولة حماية وتنمية اللغات المحلية كالأمازيغية والتارقية والتبوية، وأن يتم تنظيم قانون خلال أول دورة انتخابية بعد إقرار الدستور، يكون من شأنه إدماج اللغات المحلية في الحياة العامة، على أن تظل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.

خلال الاستبيان، تم طرح سؤال حول ما إذا كان النضال الدستوري هو الشكل الأهم للنضال في المرحلة الحالية بوصفه الضامن لكافة المكتسبات الأخرى مستقبلاً، وأجاب على السؤال 392 شخص، أجاب 288 منهم، أي 73.5% بنعم، بينما أجاب 50 شخص، أي 12.8% بلا، واختار الباقي الإجابة بلا أعرف. بذلك فإنه بسبب عدم تحقيق مطلب الديسترة، فلاتزال نظرة الأمازيغ إلى هذه المكاسب تتسم بعدم الرضا. وقد تم طرح سؤال حول تقييم المكتسبات التي تحققت للأمازيغ بعد الثورة، وأجاب على هذا السؤال عدد 392 مستجوب، وكان المتوسط العام للتقييم الذي تم على متصل من 1 إلى 10 درجات هو 3.7 من 10.

ثانياً : تطور قضايا أمازيغ الجنوب

يتمثل أمازيغ الجنوب بالأساس في قبائل التوارق. وينتشر توارق بشكل رئيسي بين كل من ليبيا والجزائر والنيجر وتشاد ؛ ومن ثم فإن توارق الليبيين يمثلون جزءاً من المجموعة التي يطلق عليها « توارق الشمال »، نظراً لوقوعهم جغرافياً في الأجزاء

29. "ليبيا : خطة لتوحيد الجيش... ودخول مصراتة بلا قتال"، الشرق الأوسط، لندن، 31 أكتوبر 2017. متاح

على الرابط التالي :

[/https://aawsat.com/home/article/1068751](https://aawsat.com/home/article/1068751)

الشمالية من المناطق التي تنتشر بها قبائل توارق؛ ويشكل كيل أجر³⁰، مع توارق كيل أهقار³¹، تلك المجموعة التي تحمل صفة توارق الشمال³².

ثالثاً : أمازيغ الجنوب

تمتد بلاد التوارق كيل أجر³³ على الحدود بين الجزائر وليبيا. ويتطابق مع حدود ولاية إليزي في جانبها الجزائري وشعبيتي أوباري وغات، في الجانب الليبي. وقد شكل كيل أجر وحدة اجتماعية وسياسية تحت سلطة قائد واحد أو ما يعرف بـ«أموكال»، قبل الاحتلال الفرنسي والإيطالي، على التوالي، في عام 1916 و1930³⁴.

وقد عقد كيل أجر، لأجل تسيير وإدارة أراضيهم التقليدية، تحالفات ذات طابع سياسي أو اقتصادي في تأمين طرق القوافل، وخاصة مع الجماعات المجاورة لهم، وكما دأبوا على الحفاظ على علاقة الوصاية والحماية مع المدن والوحدات التي تقع في بلدهم، مثل غات وغدامس. وأيضاً كمثال للجماعات المجاورة التي ارتبط بها التوارق، يمكن للمرء أن يذكر التبو، الذين يعيشون في شمال مرزق في ليبيا، وتبستي شمال تشاد. وقد تم، في عام 2003، تجديد معاهدة الصداقة التي تربط بين الطرفين.

إن امتداد الأراضي التقليدية لكيل أجر داخل الحدود الجزائرية، حيث يعيش فرع آخر من فروعهم، وكذا حدودهم المشتركة مع التوارق في النيجر، يعطيهم بعد جيوسياسي كبير الأهمية في هذا الفضاء الذي يشكل نقطة التقاء بين فزان وطرابلس، على ساحل البحر المتوسط ومنطقة الساحل الإفريقي، لاسيما عند النظر إليها كمنطقة عبور إلى أوروبا.

حالياً، ينقسم كيل أجر اللبيين إلى فرعين سياسيين رئيسيين. فبعد وفاة أموكال³⁵ محمد أغ أن تليماق، في عام 1886، خلفه في قيادة أوراغن ابن شقيقته أنقدازن أغ كلالا. ويعتبر أنقدازن آخر أموكال لأجر موحد ومنتخب حسب العرف الأموسي

30. كيل أجر، أي توارق منطقة أجر، وهي منطقة طبيعية ممتدة على الحدود الجزائرية الليبية؛ تسكنها قبائل ذات نظام قبلي توجد على رأسه قبيلة أوراغن التي يأتي منها شيخ المنطقة، يطلق عليه لقب «أموكال». ويتم انتقال السلطة عندهم عن طريق الأم.

31. كيل أهقار هم توارق الذين يسكنون منطقة أهقار أو الهقار، في الجنوب الجزائري.

32. Duveyrier, H. (1864) : «*Les Touareg du Nord*» Edit. Challamel Ainé, libraire-éditeur. Paris.

33. Badi, D. 2015 : «*Les Touaregs du Tassili n Ajjer : Pour une lecture de la structure sociopolitique touaregue*». Communauté, communautaire, communautarisme. Dir. Hafid Hamdi-Cherif and Abderrahman Moussaoui. Revue *Naqd*, Revue d'études et de critique sociale n°32, the University of Algiers. <http://www.cairn.info/revue-naqd.htm>

34. Badi, D. 2004 : *Les régions de l'Ahaggar et du Tassili n'Azjer : réalité d'un mythe*. Pp.222. Edit. ANEP, Alger.

35.. أموكال هو الحاكم العام لكونفدرالية التوارق في اطار حدود سياسية عرفية متعارف عنها تسمى «تسراض»، يتم انتخابه من طرف القبائل الموالية.

التقليدي³⁶. غير أن ابن أخته وخليفته القانوني في قيادة كيل أجر، بوبكر آغ ألغوي، لم يتمكن من اعتلاء السلطة بسبب احتلال القوات الفرنسية لجزء من منطقة أجر، وكذا حالة الحرب التي نجمت عن ذلك. بعد وفاة بوبكر آغ ألغوي، فقد التوارق الليبيين وحدتهم السياسية وانقسمت قيادتهم إلى أربع مجموعات متنافسة³⁷، وهي كالتالي :

- مجموعة أوباري، برئاسة ابن أخت بوبكر آغ ألغوي، الخير آغ خمدان.

- مجموعة غات، تحت سلطة الخسيني آغ بوبكر.

- مجموعة تارجا، تحت قيادة الفقي آغ انقدازن.

- وأخيراً، مجموعة كيل أجر الجزائريين تحت قيادة إبراهيم آغ أبكدة.

وقد عزز وشجع الإيطاليون هذا الانقسام بعد احتلالهم النهائي لليبيا في عام 1930. واستمر ذلك بعد الاستقلال، عقب انسحاب بريطانيا في عام 1951 وإقامة نظام ملكي فيدرالي، مع أول حاكم لليبيا المستقلة، الملك محمد إدريس السنوسي، الملقب بإدريس الأول، ومقدم زاوية الاخوان السنوسيين، التي حاربت التغلغل الاستعماري الأوروبي في الصحراء الإفريقية.

تمكن التوارق الليبيين، الذين لم يعارضوا نظام اللجان الثورية التي أنشأها القذافي بعد توليه السلطة في عام 1969، من الحفاظ على المكانة المتميزة التي تحصلوا عليها في مؤسسات الدولة في وقت الملك، من خلال عقد تحالفات سياسية مع القبائل المسيطرة على السلطة في النظام الجديد. ومن جانبه، قام القذافي، الذي جعل من التحالفات القبلية حجر الزاوية في النظام السياسي، بإعادة تأهيل قادة التوارق التقليديين في وظائفهم العرفية، وذلك لاستخدامهم في مختلف سياساته الصحراوية.

سنرى فيما يلي، كيف أعيد تنشيط هذه التحالفات التقليدية، من طرف الفرعين المتنافسين من التوارق الليبيين أثناء النزاع، لتلعب بعد ذلك دورا رئيسيا في موقف كليهما من الحرب الأخيرة التي عرفتها بلدهما، قبل أن يصبحا متنافسين، بحيث يبحث كل واحد منهما عن مكانة له في الطيف السياسي في ليبيا ما بعد الحرب.

وسوف نتناول هذا الموضوع من منظور دياكروني (diachronic perspective). للقيام بذلك، سوف نبدأ من خلال دراسة الاستراتيجيات المتبعة من قبل فرع غات، لمواجهة آثار النزاع، قبل أن نستحضر ما يقوم به فرع تارجا³⁸ أو أوباري.

36. Badi, D. (2010). « Genesis and Change in the socio-political Structure of The Tuareg. » *Tuareg Moving global : Social Anthropological Aspects of Saharian Life in Transition*. Anja Fischer & Ines Kohl (eds.) Publisher : I.B.Tauris & Co Ltd. London/New York

37. Badi, D. 2012 : *Les Touaregs du Tassili n Ajjer : Mémoire collective et organisation sociale*. Mémoire du Centre Nationale de Recherches Préhistoriques, Anthropologiques et Historiques d'Alger, nouvelle série n°17. 269 pages. Edit. CNRPAH, Alger.

38. تارجا هو اسم منطقة فزان باللغة الطارقية

1 - تحالفات فرع غات

لا تزال القبائل العربية القادمة من وادي الشاطي تحتفظ في الذاكرة بذكرى الزيارة التي قام بها أمنوكال محمد اخنوخن، قائد توارق أجز، عام 1879، عندما جاء إلى مدينة براك، يسعى إلى مشاركة عشيرة المقارحة، جنباً إلى جنب، مع توارق أجز في قتالهم ضد شعانية³⁹ ورقلة وحلفائهم الفرنسيين. المعاهدة التي أجراها القائد أخنوخن مع هذه الاتحادات القبلية، من منطقة سكنة، مهد قبيلة أوراغن، حسب أسطورتهم المؤسسة، تم استغلالها من قبل خليفته، بوبكر آغ ألغوي عندما طلب، بدوره، السماح له بالرعي في الفضاء الواقع بين منطقة الجفرة وسرت، في وقت قرر فيه تحاشي تقدم القوات الفرنسية، مقترباً، في نفس الوقت، من الزاوية السنوسية التي أصبح من أخلص أتباعها.

بعد ذلك، ساند التوارق نضال هذه الاتحادات القبلية العربية في حربها ضد الإيطاليين قبل أن تهزم وتطرد إلى النيجر⁴⁰. ومع ذلك، عادت تلك العشائر في وقت لاحق، وتحالفت مع مجموعة القذاذفة، في السلطة في ليبيا، كما لعبت دوراً هاماً في التقريب بينها وبين حلفائها السابقين، التوارق. ومن جانبهم، عقد القذاذفة، الذين كانوا قبيلة صغيرة، بدأت تزداد أهمية وتصبح بارزة فقط منذ أيام الاحتلال الإيطالي للبلاد، تحالفات نسبية مع التوارق، كما هو الحال مع حلفائهم: أولاد سليمان والمقارحة. وأعتمد القذاذفة أيضاً، في إدارتهم لشؤون البلاد، على عشائر ورقلة وترهونة، وهما المجموعتان الليبيتان الأكثر أهمية من حيث العدد.

كما تجدر الإشارة إلى انضمام، بمناسبة النزاع الحالي، توارق أوراغن والقبائل التابعة لهم إلى مجموعة أولاد سليمان والمقارحة على حد سواء، إلى جانب الحلفاء التقليديين، ورقلة وترهونة والقذاذفة، في دعم نظام القذاذفي تحت قيادة قبيلة القذاذفة. فهذا التيار، يمثل غالبية سكان مناطق فزان وطرابلس، لا سيما في مدينتي طرابلس وسبها؛ وسيكون له، بلا شك، دور أساسي في السيطرة على المؤسسات المنتخبة في المستقبل، في هذه المناطق. رغم انهزامه اثناء الإطاحة بالقذاذفي تحت ضربات طيران الناتو.

2 - تحالفات فرع تارجا

في مواجهة تحالف القبائل الرئيسية من طرابلس وفزان، هناك فرع تارجا وحلفائه. ويتكون فرع تارجا من عشيرة امنغساتن ومواليهم من القبائل الترقية التي تعيش

39. من العشائر البدوية العربية الكبيرة التي تسكن في الصحراء الوسطى الجزائرية وقد استقرت في السنوات الأخيرة خاصة في واحات ورقلة، متليلي والمنيعية.

40. استمرار في إيمانا لشبكات تحالفات قديمة، عقدت مع هذه العشائر، عندما كانت في النيجر، قد تفسر هروب بعض أتباع النظام السابق إلى هذا البلد.

في منطقة فزان. ولقد غادرت عشيرة امنغساتن مركز سلطة أجز، الواقع في منطقة غات، لتستقر في فزان. أثارت خطوة أمنوكال الخير أغ خمدان، والذي ينحدر أبوه من عشيرة امنغساتن (ولكن من أم أوراغن)، حين حاول أن ينقل مركز السلطة التقليدية إلى فزان للالتحاق بوالده الذي كان تابعاً للزاوية السنوسية، انقسام في السلطة التقليدية؛ فأُسست تلك الخطوة لانقسام توارق ليبيا إلى فرعين متنافسين.

ساهمت هذه الأزمة خاصة في بروز عشيرة امنغساتن، الذين وجدوا في ذلك الفرصة التي كانوا ينتظرونها لكي يتحرروا من وصاية أوراغن، والتي لم يتقبلوها يوماً منذ وصول هؤلاء إلى السلطة في أجز بعد الإطاحة في منتصف القرن 17 بسلطنة امنان⁴¹، الذين كانوا على رأس توارق الشمال.⁴² ولتعميق استقلالهم عن السلطة التقليدية الأم، قام امنغساتن بنسج تحالفات سياسية مع الجماعات العربية المنافسة لعشائر توارق أوراغن في السلطة؛ وفي سبيل ذلك تحالفوا مع جيرانهم من قبائل الزنتان العربية التي تقطن جبال نفوسة. والجدير بالذكر أن قبائل الزنتان متحالفة مع امنغساتن منذ الموقف المساند لهذه الأخيرة لصالح الأولى في الصراع الذي دار بينها وبين أوراغن في غات، خلال مشاجرة وقعت بين شباهم وآخرون ينتمون إلى قبيلة موالية لاوراغن في منتصف القرن التاسع عشر⁴³.

توارق منطقة الساحل في ليبيا : مصير قضية

في الأزمنة العابرة، كان التوارق يترددون دائماً على الأراضي الليبية وذلك قبل وضع الحدود الحالية في سبعينات القرن الماضي وظهور نظام القذافي في عام 1969⁴⁴. ولذلك فمن الطبيعي أن يلجأ توارق منطقة الساحل إلى هذا البلد بعد الأزمات البيئية والأحداث السياسية التي نجمت عن الإدارة الأمنية، من قبل دولهم والتي أدت إلى تسريع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في هذه المجتمعات. لذا، فالذهاب إلى ليبيا، التي تعيش فيها عشائر أخرى من توارق، على غرار تلك الموجودة في الساحل والصحراء، يعتبر بمثابة سفر عبر الزمن إلى مناطق عرفها أسلافهم، واحتفظوا بذكراها في مخيلتهم الجماعية.

41. كلمة تعني «السمك» عند توارق الجنوب. كانوا سلاطين «توارق الشمال» الكلمة التي أطلقها Duveyrier على توارق منطقتي أجز والهقار. لم يتبقى منهم الا بعض الأفراد في واحتي جانت وإهيري، بالصحراء الجزائرية.

(Duveyrier) 1964. 42

43. قام عناصر من عشيرة امقرغسن بقتل ابن شيخ قبيلة الزنتان. فقام أوراغن بالتضامن والوقوف إلى جانب موالهم ورفضوا دفع الجزية. أمنغساتن ايدوا الزنتان في موقفهم ضد أوراغن وكان ذلك بداية لتحالفهم الحالي. 44. Bart, H. (1858) : Travels and discoveries in North and Central Africa, 1849-1855, London, 5 vol. Longman, Brown, Green, Longmans and Roberts.

ومع ذلك، فإن العلاقة المثيرة للجدل للزعيم الليبي بـ «مشكلة توارق» والتي تولدت عن وجود هؤلاء المهاجرين، لم تساعد فحسب على إخفاء طبيعة العلاقة بين توارق الوطنيين مع نظام القذافي⁴⁵، ولكن أيضاً علاقاتهم مع إخوانهم الساحليين المستقرين في هذا البلد منذ السبعينات.

إن هاتين النقطتين السابقتين، واللتين برزتا إلى العيان خلال النزاع الأخير، ستحظيان باهتمام خاص من قبلنا فيما يلي.

توارق الساحل في ليبيا

يتألف توارق منطقة الساحل من موجات مختلفة من اللاجئيين الماليين والنيجريين الذين انجذبوا بالرخاء الذي عرفته ليبيا في السبعينات، جراء ارتفاع أسعار النفط، ولم يعودوا إلى أوطانهم بعد عدة ثورات جرت في مالي والنيجر منذ التسعينات. خاطبهم قائد الثورة الخضراء في عام 1981 في مدينة أوباري، بلدة يسكنها توارق الليبيين، في الجنوب، وقال عنهم بأنهم من أصول ليبية، وهم اليوم محل ترحيب في بلدهم الأصلي⁴⁶. ومن بين القرارات التي اتخذتها السلطات الليبية، بعد إعلان أوباري، هو افتتاح معسكرات تدريب لتعليم شباب توارق استعمال الأسلحة، بهدف دمجهم في القوات المسلحة لهذا البلد وإرسالهم إلى ساحات القتال المختلفة، مثل لبنان وتشاد⁴⁷.

بعد اكتساب تجربة القتال، في مختلف مسارح العمليات، أنشأ « Ichoumar » (وهي التسمية التي يطلقونها على أنفسهم، وتعني بالفرنسية «العاطلين عن العمل») منظمة سياسية عسكرية خاصة بهم بمناسبة مؤتمر سري عقد في مدينة الخمس الليبية⁴⁸. وكان انعقاد هذا المؤتمر السري يبين سوء الفهم الذي كان قائماً في رؤية الطرفين لحقيقة وجود توارق من منطقة الساحل في ليبيا والمعنى الخفي وراء نداء أوباري؛ فبالنسبة

45. حول هذا الموضوع راجع: علاقات توارق بالدول: حالة الجزائر وليبيا، وذلك كجزء من الندوة: المغرب العربي في بيئته الإقليمية والدولية، التي قدمتها في IFRI في باريس تحت إشراف آلان انتيل، في 2009.

46. ظهرت العديد من المنشورات في ليبيا في سنوات السبعينات والتسعينات من القرن الماضي، تفيد بأن هذه البلد هو مسقط رأس أمة توارق، وكمثال لهذه المنشورات في هذا الجانب هو كتاب بعنوان: توارق: عرب الصحراء الكبرى، لصاحبه محمد سعيد آلقشاط، الذي نشر في عام 1989 من قبل مركز الشؤون الصحراوية، طرابلس.

47. - لذلك فإنه لم يكن هناك واردا مسألة تدريب توارق عسكرياً لإعادتهم لأوطانهم لمحاربة الدول المركزية التي ينتمون إليها، كما يروج له كثيرون في بعض الصحف.

48. لم تأذن السلطات الليبية لعقد مؤتمر «أخمس»، بل سعت إلى اعتقال زعماء توارق، بما في ذلك الأمين العام، مما أدى بهم إلى مغادرة البلاد بصورة غير مشروعة وفتح القتال في الشمال مالي في يونيو 1990.

للجانب الليبي، هؤلاء توارق سيستقرون في ليبيا ؛ أما بالنسبة لهم، فوجودهم في هذا البلد لا يمكن إلا أن يكون مؤقتاً، في انتظار العودة إلى بلدانهم الأصلية بغية تغيير الظروف الصعبة التي كانت تعيشها عائلاتهم هناك.

لكن ليبيا، التي كانت تفتقد للمقاتلين أثناء الصراع التشادي-الليبي، قامت بإبرام اتفاق ضمني مع قيادة حركة التوارق الجديدة. وفقاً لأحكام هذه الاتفاقية، سيقاتل التوارق في شريط اوزو، في التشاد، جنباً إلى جنب مع القوات الليبية، مقابل التدريب العسكري الذي سيتحصلون عليه جراء ذلك والذي من المفترض أن يستعملوه ضد حكومات بلدانهم الأصلية، في مالي والنيجر، عندما يحين الوقت.

في إطار هذا التفاهم غير المعلن، استخدمت السلطات الليبية مصطلح « مغاوير » لوصف هؤلاء المقاتلين من توارق، متحاشية بذلك ذكر تسمية منظماتهم السياسية والعسكرية، لكي لا يكون لها الوجود الرسمي ؛ وهكذا ولد شعار بين المقاتلين توارق مفاده « الدم مقابل التكوين ». ووفقاً لهذا الشعار، كان التوارق مضطرين لتبادل خبراتهم الحربية مقابل التدريب العسكري، وهو الشئ الذي لا يمكنهم الحصول عليه دون تقديم حياتهم ومشاركتهم في الحرب. ويعد هذا الاتفاق، حتى وان كان غير رسمي، بمثابة المحاولات الأولى على طريق المفاوضات بين منظمة طارقية حديثة وإحدى دول المنطقة.

وبناء على هذا الاتفاق غير المعلن، جمعت أسر المقاتلين في مركز استقبال، يقع في مدينة بدر في غرب ليبيا، قرب الحدود مع تونس. مع ذلك، تم إغلاق هذا المركز، الذي كان تحت إدارة القوات المسلحة الليبية، في أعقاب شكاوى من السكان المحليين الذين استنكروا أعراف هؤلاء توارق، التي تعتبر مختلفة جداً عن معيشتهم التقليدية ؛ فنقل شاغليه في عام 1996 إلى معسكرات تقع في ضواحي مدينة سبها في الجنون الليبي، كان من المفترض أنها مؤقتة، غير انها لا تزال قائمة (2017).

في عامي 2005 و2006، قرر القذافي منح بطاقة هوية مؤقتة⁴⁹ لكل التوارق النيجريين والماليين الموجودين على أراضيه، مع الوعد بالتجنيس لأولئك الذين يخدمون في الجيش.

في شهر أغسطس، من عام 2008، ألقى القذافي خطاباً آخر، وكالعادة في مدينة أوباري، لم يدع إليه سوى التوارق. أعلن القذافي في هذا الخطاب الموجه خصيصاً

49. Kohl I. 2007 : "Tuareg moving transregional or strategies of avoidance and accommodation", In Kohl, Ines/Anja Fischer (eds.), *Tuareg Moving global. Social Anthropological Aspects of Saharan Life in Transition*, Vienna.

للتوارق أنهم لا يتوفرون بعد على مقومات تؤهلهم على قيادة أمة، وليس هناك توافق في الآراء بين قبائلهم حول مشروع إقامة دولة تارقية. إن نضال التوارق من أجل حقوقهم قد انحرف إلى تهريب المخدرات والأسلحة. إذا كانت هناك لابد من دولة للتوارق فإنها ستكون في ليبيا. وكذلك، نظراً لكون اسمه يرتبط بمشكلة التوارق، فإن القذافي حثهم على التخلي عن الكفاح المسلح ودعاهم جميعاً للقدوم إلى ليبيا أو الانخراط في السياسات التنموية لبلدانهم.

هذا الخطاب الثاني في مدينة أوباري يعطي فكرة على التوجهات الجديدة لسياسة القذافي تجاه توارق منطقة الساحل المتواجدون على أراضيه. إنه يعتبر بمثابة قطيعة واضحة مع سياساته السابقة، والتي جلبت له النبذ من قبل دول الساحل والصحراء، التي تتهمه بمحاولة استغلال مشكلة توارق الساحل كوسيلة ضغط لزعزعة استقرارهم. ويمثل الخطاب كذلك إبداء نوايا حسنة تجاه الدول الغربية التي تتهمه بدعم الارهاب. وعلى صعيد آخر، كرر القذافي لعدة مرات، في خطابه، عبارة « عرب توارق » وهو مايدل على نظرتة لما ينبغي لهوية توارق أن تكون، كما يعطي فكرة على الحل الذي يراه مناسباً لها ؛ الحل الذي لا يختلف عن الذي قرره « للتوارق الليبيين »، أي الاندماج في الثقافة العربية الإسلامية، وعلى الأكثر، إستعمالهم لتكوين قاعدة اجتماعية لحكمه في ليبيا قصد موازنة الثقل السياسي والديموغرافي للعشائر الأخرى في البلاد لصالحه.

فيما بعد، يظهر خطاب أوباري كخطوة حاسمة في سياسة الاندماج السياسي النهائي لتوارق منطقة الساحل في النسيج الاجتماعي الليبي. ومع ذلك فإن الحصول على الجنسية الليبية، لفائدة توارق منطقة الساحل، والذي تقرر في عام 2006، لم يتم بسبب الطبيعة المعقدة للغاية لقانون الجنسية الليبي. وعملية التجنيس لم تكتمل بعد عندما اندلع النزاع الأخير الذي راح ضحيته نظام الجماهيرية. خلال هذا الصراع، كان توارق، المستقرين على الأراضي الليبية منذ عقود والذين فقدوا تقريبا كل الروابط مع بلدانهم الأصلية، أول الضحايا، بحيث تم إرسالهم إلى الخطوط الأمامية على جبهات كل من مصراتة وطرابلس والزواوية للدفاع عن نظام القذافي. وفي رأي المراقبين، فإنهم ساهموا ببسالتهم والتزامهم العسكري، في تأخير نهاية الحرب لعدة أشهر، على الرغم من القصف المستمر لطيران تحالف شمال الأطلسي.

بعد انهزام الجيش الليبي، ظهر اتجاهان في اوساط توارق الساحل المستقرين في ليبيا، وذلك أثناء اجتماع عقده في مدينة سبها، في شهر أوت 2011. يتكون الاتجاه الأول من الذين اعتبروا أنه لم يعد هناك مبرر لوجودهم في ليبيا بعد سقوط القذافي، وأنه قد حان الوقت للعودة إلى الديار ؛ أما الاتجاه الثاني فإنه يتكون من أولئك الذين شعروا في النهاية أنهم لا يستطيعون مغادرة البلد الذي ضحوا بكل شيء من أجله.

سوف يكون لهذين الاتجاهين مصيرين مختلفين. فإذا كان مصير أولئك الذين عادوا إلى أوطانهم، بكل ما يملكون من الأمتعة، رغم أنهم يشكلون مشكلة أمنية خطيرة لحكوماتهم، بسبب وضعهم كمقاتلين وطبيعة الأسلحة التي في حوزتهم، سيتقرر في بلادهم، فإن مستقبل هؤلاء الذين بقوا في ليبيا يتوقف على قدرتهم على إقامة تحالفات سياسية مع العشائر المختلفة في هذا البلد الذي يعرفونه الآن بشكل جيد للغاية. لذلك دراستنا الحالية هي بخصوص هذا الاتجاه الثاني.

الواقع أن سمعة توارق منطقة الساحل، والذين تراجعوا بعد الحرب إلى مناطق توارق في أوباري وغدامس وغات، للتحصن في مواقعهم التي كانوا يتواجدون فيها قبل بداية الصراع كمحاربين بسلاء، جيدة للغاية اليوم ؛ وذلك بفضل الدور الذي لعبوه في الحرب، والتسليح الذي في حوزتهم أثناء عودتهم إلى قواعدهم في جنوب البلاد. فقد استطاعوا أن يقدموا أنفسهم كمدافعين عن المدنيين توارق الليبيين، ضد غارات الميليشيات المختلفة والتي تريد القيام بهجمات انتقامية على بعض القادة من هذا المجتمع، والذين أنهمت بهم بالتعاون مع نظام القذافي، كما كان الحال في غدامس في شهر أغسطس 2011، أو في مدينة أوباري في سنوات تالية، حيث تم استهداف وتصفية العديد من قادة توارق.

الوعي الذي تولد عند توارق، عقب ثورة 17 فبراير 2011، بوجود خصوصية لهم داخل المجتمع الليبي، يتطلب من نخبهم موقفاً حذراً تجاه الوضع السياسي المعقد الذي تواجهه البلاد، تمليه عليهم الظروف الخاصة التي يعيشونها في معقلهم البعيد في جنوب البلاد، وكذلك تحالفاتهم الحالية والسابقة مع المكونات الاجتماعية الأخرى.

المبحث الثاني : الفاعلون في الحراك الأمازيغي الليبي

ويتطرق هذا المبحث إلى أهم الفاعلين في الحراك الأمازيغي شمالاً وجنوباً، من حيث التعريف بهم، وتحليل للأدوار التي يقومون بها وأهميتها بالنسبة لمجمل الحراك الأمازيغي في هذا البلد.

أولاً : أمازيغ الشمال بين الفاعلين التقليديين والجدد

قبل الحديث عن الفاعلين، من الضروري في البداية أن تثار مسألة تعريف الأمازيغية، والتناقض الذي ينطوي عليه الخطاب الأمازيغي في هذا الشأن.

بمتابعة الجدول الدائر والخطاب الرائج في الأوساط الأمازيغية، سواء في أوساط النخبة السياسية والثقافية، أو في الأوساط الجماهيرية، والتفاعل المتبادل فيما بينهم وفق ما يظهر في التفاعلات الكثيفة على مواقع التواصل الاجتماعي، يتضح وجود ميل واضح إلى إعتداد المعيار الجيني والسلالي في تعريف الأمازيغ، وذلك بغرض توسيع

دائرة المنتميين إلى الأصل الأمازيغي لليبيين، ومن ثم خدمة المقولة التي مفادها أن أغلب الليبيين هم من الأمازيغ حتى وإن أنكروا ذلك، وأن قلة منهم هي التي تعود إلى أصول عربية خالصة. ويؤدي ذلك إلى القول بأن الهوية الأمازيغية هي الهوية « الحقيقية » لليبيين.

اختباراً لهذا الاتجاه تم طرح سؤال عن موقع الأمازيغية من الهوية الليبية : « هل تؤمن أن الهوية الأمازيغية هي الهوية الحقيقية الوحيدة لليبيين، وأن سكان بلدك هم أمازيغ تم تعريبهم مع الوقت؟ أم ترى أن الهوية الأمازيغية هي أحد روافد الهوية الليبية بجانب الهوية العربية ؟ ». وأجاب 394 على هذا السؤال، منهم 269، أي 68.3%، يرون أن الأمازيغية هي الهوية الحقيقية، في حين رأى 115، أي 29.9%، أن الأمازيغية هي أحد الروافد، فيما أعطى 12 مستجيب إجابات تحاول الاقتراب من أحد الخيارين ولكن بصيغة تبريرية مخففة.

كما تم طرح سؤال حول ما إذا كان هناك ضرورة لإجراء إحصاء سكاني لذوي الأصول الأمازيغية، أجب على السؤال 386 شخص، اختار منهم 328 شخص، أي 85% الإجابة بنعم، فيما أجب بلا 40 شخص، أي 10.4%، واختار البقية لا أعرف.

في مقابل ذلك، وعند الحديث عن التفاعلات السياسية والعسكرية، ومناقشة سلوكيات محددة نجد أن المعيار الشائع في النظر لسلوك الفاعل السياسي هو مدى وعيه بأمازيغيته، أو مرجعية الهوية الأمازيغية في تشكيل الرؤية والسلوك السياسي لهذا الفاعل، ومن ثم موقع المطلب الهوياتي على أجندة أولوياته. وعلى هذا الأساس يتم التبرؤ من سلوكيات كثير من الفاعلين ذوي الأصول الأمازيغية، بسبب عدم اكتراثهم بالأجندة المطالبة للحراك الأمازيغي، أو عدم إلتزامهم بمواقف التيار الرئيسي داخل هذا الحراك. وسوف تسعى الورقة في هذا المحور إلى تغطية الفاعلين المنتميين للمناطق التي تقطنها أغلبية أمازيغية في الشمال الغربي من البلاد، لتقديم صورة بانورامية أشمل عن طبيعة أوضاع المجتمع الأمازيغي في ليبيا.

1 - أسبقية الفاعلين التقليديين

كان للفاعلين التقليديين الدور الأبرز في المراحل الأولى المواكبة للثورة وما بعدها، فلم يكن قد ظهر بعد الدور الحيوي للفاعلين الجدد.

أ - المجالس البلدية

لعبت المجالس البلدية دوراً كبيراً، ولاتزال، في إدارة الحياة اليومية للمدن الأمازيغية. وهذا الوضع ليس بدعاً ولا يعكس خصوصية أمازيغية، ولكن هذا هو الحال في عموم مناطق ليبيا بشكل عام، وفي ضوء ما تمت الإشارة إليه من تفكك

مؤسسات الدولة أثناء الحرب، وتعثر عملية إعادة البناء بعد الإطاحة بالقذافي. ويصف القيادي بالمجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا هشام أحمدادي هذا الوضع بأن « كل مدينة ليبيا تكاد تكون دولة قائمة بذاتها، وأن الحكم الذاتي هو أمر واقع، بل إن هناك بعض المدن التي تبرم اتفاقات مع أطراف خارجية ؛ وأن حالة الحكم الذاتي القائمة هي ضمان الاستقرار في ظل الظروف الراهنة، وهي ما أنقذت ليبيا من الفوضى »⁵⁰.

ولعبت المجالس البلدية دوراً رائداً في تفعيل مظاهر إحياء الهوية في المناطق الأمازيغية، ويمكن القول بأن الصلاحيات التي تقع في حكم هذه المجالس وطبيعة الظرف السياسي العام هي ما خوّلتها النهوض بهذا الدور الرائد بعد الثورة، وهو الدور الذي سنشير له بقدر أكبر من التفصيل في المحور القادم من الدراسة الخاص بأدوات وأمطاب التعبير. غير أن هذا الدور الرائد لم يلقى التقدير الكافي فيما يبدو من قبل القواعد الشعبية ؛ فقد تم طرح سؤال حول تقييم دور المجالس البلدية في تبني سياسات تعمل على إحياء الهوية ودمجها في مظاهر الحياة اليومية ؛ وأجاب على السؤال عدد 380 مستجوب، على أن يأتي التقييم على متصل من 1 إلى 10 درجات، وكان المتوسط العام للتقييم هو 3.23 من 10.

هذا التقييم المتدني بعض الشيء أمر في حاجة إلى تفسير، ويمكن القول أن التفسير الأرجح يرتبط بالعامل الزمني ؛ فهذه الريادة الخاصة بالمجالس في تبني سياسات إحياء الهوية كانت في الفترة التي تلت الإطاحة بالقذافي، وتحديداً في عامي 2012-2013. بعد ذلك تأسس المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا في عام 2013، بوصفه الممثل السياسي الحصري للأمازيغ. وتم تصميم المجلس بحيث تكون هناك علاقة ارتباطية بينه وبين المجالس البلدية، لضمان وجود تنسيق وشراكة بين الطرفين، ومن ثم إمكانية إنفاذ القرارات التي يعتمدها المجلس ؛ ويكون الارتباط بين المجلس الأعلى والمجالس البلدية من خلال العضوية التلقائية لممثل المجلس البلدي في المجلس الأعلى.

في هذا الإطار يمكن طرح عدة عوامل تفسيرية لهذا التقييم المتدني المشار إليه. العامل الأول هو أن تأسيس المجلس الأعلى جعله هو الطرف المعني بشكل مباشر بالدفاع عن المطالب الأمازيغية، ومن ثم سلب المجالس البلدية الهالة المرتبطة بالدور الرائد سابقاً. العامل الثاني أن المجلس الأعلى نفسه دخل مع الوقت في أزمت داخلية، ناتجة عن تنازع القيادة والخلافات الشخصية بين بعض أعضائه، مما أثر على صورة وفاعلية عمل المجلس. العامل الثالث أن بعض هذه الخلافات كان أحد أطرافها ممثلي البلديات، فتم إثارة منازعات قانونية داخلية بشأن تفسير اللوائح، حول تمثيل البلديات

50. حوار مع هشام أحمدادي، عضو المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا، بتاريخ 18 مايو 2017. تم إجراء الحوار بالاتصال بالصوت والصورة عبر الانترنت.

في المجلس الأعلى، وما إذا كان يجب أن يكون التمثيل من خلال عميد البلدية أم تكون هناك حرية للبلديات في تعيين ممثل لها. والعامل الرابع هو أن أزمة الدستور طال أمدها ولم تعرف الحل، والخطاب العام المعتمد من النخب الأمازيغية ينزع إلى تصوير الأمر وكأن الدستور هي كل شيء، وهذا ما أفقد المكتسبات المتحققة، والتي اضطلعت البلديات بدور كبير في تحقيقها وفقما تم ذكره، البريق المرتبط بها وقت عمل الاستبيان في يونيو 2017، فغاب تدريجياً الشعور بالانتصار الذي كان سائداً فيما سبق بشأن انتزاع هذه المكتسبات. وأخيراً أن المواطن الليبي، بشكل عام وليس ذوي الأصول الأمازيغية فقط، يعاني من مشكلات معيشية جمّة، ومن ثم فإن النظر لدور البلديات أصبح يرتبط أكثر بدورها في حلحلة تلك المشكلات؛ فرمما يكون استمرار التوقعات المرتفعة مع استدامة المشكلات المعيشية واستدامة أزمة الدستور، قد أورت البلديات صورة سلبية تلقائية لدى المواطن.

ب - مجالس الشورى والحكام والأعيان

من بين الفاعلين التقليديين أيضاً مجالس الشورى والأعيان والحكام. ويظل دور هذه المجالس شديد المحلية، وهو دور ازدادت أهميته في ضوء عدم وجود الدولة منذ 2011، ومن ثم غياب الأدوات اللازمة لتحقيق الضبط الاجتماعي. وفي هذا الإطار تم طرح سؤال حول ما إذا كان المستجوب يعتقد في أن تلك المجالس تلعب دوراً في تحقيق السلم الاجتماعي، فاستجاب 387 مستجوب، أجاب 55.6% منهم بالإيجاب، و28.2% بالسلب، فيما اختار 16.3% الإجابة بـ«لا أعرف». وعند طرح سؤال آخر حول تقييم دور هذه المجالس في تحقيق السلم الاجتماعي، أجاب على السؤال عدد 362 مستجوب، وكان المتوسط العام لتقييم هذا الدور على متصل من 10 درجات هو 4.1 من 10.

هذه المجالس لا تعمل بطبيعة الحال بمعزل عن المجالس البلدية، لاسيما لضمان فاعلية أكبر لدور مجالس الشورى، بل وتكتنف العلاقة بين الطرفين بعض التنافس والخلافات الناجمة عن ما قد يحدث من تقاطع وتداخل في الصلاحيات؛ فلو أخذنا مجلس الشورى والحكام بمدينة زوارة كمثال، سنجد أن المنشورات المتضمنة في صفحته على فيسبوك، والتفاعلات مع هذه المنشورات من قبل أبناء مدينة زوارة، تحمل مؤشرات عديدة على هذه العلاقة المتشابكة بين الطرفين.

ج - الميليشيات العسكرية

من الفاعلين التقليديين أيضاً تأتي الميليشيات العسكرية المسلحة. وهذه الميليشيات لعبت الدور الأكبر لها في المواجهات المسلحة التي وقعت إبان الثورة. ولم تكن هذه ظاهرة خاصة بالمدن الأمازيغية بطبيعة الحال، لكنها كانت ظاهرة شائعة في معظم المدن التي شهدت مواجهات بين النظام والثوار، حيث انتظمت المعارضة المسلحة في صورة مجالس عسكرية لكل مدينة، ومن ضمنها المدن ذات الأغلبية الأمازيغية.

وعقب انتصار المعارضة والإطاحة بالنظام عاد معظم الثوار الأمازيغ إلى مناطقهم الأصلية، فلم تكن المجالس العسكرية لهذه المدن طرفاً في الصراع على العاصمة، والتزمت المجالس العسكرية بمهام حفظ الأمن والنظام داخل مدنها، وهي دائماً التنسيق مع المجالس البلدية والمجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا⁵¹. وكان الاستثناء من ذلك هو الكيان العسكري المعروف بالقوة الوطنية المتحركة، والتي تأسست بقرار من المؤتمر الوطني العام. هذه القوة كان يغلب عليها التكوين الأمازيغي، وتعتبر هي الميليشيا الأمازيغية الوحيدة المنخرطة في صراعات العاصمة. ومع ذلك فإن أغلب الأمازيغ لا يعتبرونها ممثلة لهم. ففي الاستبيان، تم طرح سؤال على المستجوب، حول إذا كان يعتبر القوة الوطنية المتحركة تمثله كأمازيغي؛ أجاب على هذا السؤال 389 مستجوب، رأي منهم 50، أي 12.9% فقط أنها تمثله، بينما اعتبر 263، بواقع 67.6% أنها لا تخدم قضيته، في حين اختار 76، بواقع 19.5% الإجابة « لأعرف ».

حاولت القوة في بعض بياناتها الزج بالقضية الأمازيغية في صراعاتها على العاصمة، من خلال تعمد الإشارة إلى الأصول الأمازيغية لقياداتها وعناصرها، وما يقع ضد هم من اعتداءات من قبل الأطراف الأخرى، لكن لا يوجد أي طرف من الفاعلين الأمازيغيين يعلن دعمه لهذه الميليشيا باعتبارها ممثلة للأمازيغ، وثمة رأي شائع ينظر للأمر في إطار كونه مجرد خصومات بين ميليشيات عسكرية، من دون أن يكون للأمر أبعاد هوياتية⁵². والمجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا يؤكد دائماً في جميع بياناته على أن الأمازيغ ليسوا طرفاً في صراعات العاصمة. بل أن أمازيغ العاصمة أنفسهم طالبوا بخروج القوة المتحركة من الأحياء التي يقطنونها، وأن تنسحب إلى خارج العاصمة⁵³، وهو ما تم في عام 2017، حيث تتمركز القوة في منطقة جنزور غرب طرابلس. ويمكن القول أن أمازيغ العاصمة لا يريدون دفع فاتورة الصراعات التي تنخرط فيها القوة المتحركة، بشكل يترد سلباً على أمنهم الشخصي ومعيشتهم اليومية⁵⁴.

الفاعل العسكري الأحدث هو المجلس العسكري لأمازيغ ليبيا. ويمكن النظر لهذا الفاعل، الذي تم الإعلان عن الشروع في تشكيله في يونيو 2017⁵⁵، باعتباره يمثل معالجة لإشكاليات التمثيل العسكري للأمازيغ؛ فالمجلس يعالج النقص الذي كان يعاني منه

51. حوار مع هشام أحمدادي، مرجع سبق ذكره.

52. حوار مع مادغيس مادي، مرجع سبق ذكره.

53. حوار مع أسماء عكة، عضو المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا، بتاريخ 25 مايو 2017. تم إجراء الحوار بالاتصال الصوتي عبر الانترنت.

54. حوار مع أسماء عكة، المرجع السابق.

55. "ضباط عسكريون أمازيغ يعتمرون تأسيس المجلس العسكري لأمازيغ ليبيا"، فساطو نيوز، 22 يونيو 2017. متاح على الرابط التالي <http://www.fassatonews.net/2017/06/>

التمثيل العسكري الأمازيغي في السابق، والذي كان ينقسم ما بين المجالس العسكرية التي تحوز شرعية وتمثيل ودعم الأمازيغ، لكنها ميليشيات محلية يقتصر دور كل منها على حدود المدينة التي يمثلها المجلس العسكري، وما بين القوة الوطنية المتحركة التي تتكون من عناصر أمازيغية ينتمون لعدة مدن وينخرطون في صراعات السلطة على الصعيد الوطني، لكنهم لا يتمتعون بأي شرعية تمثيلية للأمازيغ، ولا يحوزون دعم علني مباشر من الكيانات السياسية والاجتماعية والإدارية الممثلة للأمازيغ.

أما المجلس العسكري لأمازيغ ليبيا فيفترض أنه مجلس أمازيغي جامع، يتجاوز الانقسامات المدنية، ويكون بمثابة درع وسيف للدفاع عن الوجود الأمازيغي في ليبيا، في أي مواجهات مستقبلية محتملة تقع على خلفية الصراع الهوياتي، لاسيما مع الخطوات التي قطعها المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا في الربع الثاني من عام 2017 على طريق فرض نظام الحكم الذاتي لمناطقهم من طرف واحد.

2 - بزوغ الفاعلين الجدد

أصبح الفاعلون الجدد هم المهيمنون على مشهد الحراك الأمازيغي، وفيما يلي استعراض لأهم هؤلاء الفاعلين.

أ- المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا

تأسس المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا بتاريخ 14 يناير 2013، وتم الإعلان عن التأسيس في إطار فعاليات ملتقى الاستحقاق الدستوري. وتم تنظيم الملتقى بمبادرة من المجالس البلدية الليبية بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني. ويشير سياق التأسيس إلى محورية الاستحقاق الدستوري بالنسبة للمهام المنوط بالمجلس الأعلى العمل على تحقيقها. كما يشير السياق إلى محورية دور المجالس البلدية في تأسيس المجلس، وهو ما تم ترجمته في الهيكلية الداخلية، والتي تقضي، وفق ما تم توضيحه فيما سبق، بالعضوية التلقائية لممثلي المجالس البلدية في المجلس الأعلى.

بالإضافة إلى العضوية التلقائية، يتم انتخاب عضوين عن كل مدينة، مناصفة بين الرجال والنساء، أي رجل وامرأة عن كل مدينة. ويعد المجلس وريثاً للدور الذي كان يقوم به كيان سابق عليه، وهو المؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي، الذي كان يعقد بشكل متكرر كل عدة أشهر في عدة مدن ليبية، وكان بمثابة إطار وطني وسياسي للتعبير عن جموع الأمازيغ الليبيين. وكان المؤتمر يعمل على تمثيل أمازيغ الشمال والتوارق سوياً، لكن مع اختفاء دور المؤتمر لصالح المجلس الأعلى، أصبح هناك فصل أكثر وضوحاً بين الأمازيغ والتوارق على الصعيد التنظيمي. ويمكن رد ذلك جزئياً إلى أن تفاعلات الفترة الانتقالية عملت على الحد من الطموح المتمثل في توحيد الحركة

الأمازيغية، لاسيما مع التفرقة بين الأمازيغ والتوارق في الإعلان الدستوري، ووجود كيانات وهيكل تنظيمية خاصة بالتوارق ومعبرة عن واقعهم الاجتماعي.

يعد المجلس الأعلى بمثابة برلمان أمازيغي من جهة، ومن جهة أخرى فهو يضم أيضاً أجهزة تنفيذية تابعة له، لاسيما مع تمثيل المجالس البلدية في عضوية المجلس الأعلى ؛ وأيضاً يوجد مفوضية للانتخابات الأمازيغية. ويمكن القول أن المجلس على هذا النحو يعكس تصور واضح وطموح لمأسسة الحراك الأمازيغي ؛ ولا يمكن النظر إلى هذا الأمر بوصفه فقط منجر يستحق الاحتفاء بقدر ما هو تحدي يقتضي التعمق في فهم الإشكاليات المرتبطة به، وهو التحدي الذي ظهرت بعض مؤشراته خلال ممارسات المجلس منذ تأسيسه، ما يؤكد وجهة النظر القائلة بأن عضوية المجالس البلدية في المجلس الأعلى لا تعني بالضرورة الاتفاق في كافة القضايا⁵⁶.

الإشكالية الأولى متعلقة بثقافة العمل السياسي المؤسسي. فمن المعروف أن ليبيا عانت طوال فترة حكم القذافي من حظر الممارسة السياسية الحرة، ومن ثم غياب حرية التنظيم في العمل السياسي، وحظر تأسيس الأحزاب السياسية ؛ وحتى إدارة السلطة كانت تتسم بدرجة عالية من الشخصانية المرتبطة بتوجهات وإرادة القذافي الشخصية وأهواءه المتقلبة ؛ وكانت النتيجة الطبيعية لكل ذلك هو عدم وجود تقاليد وثقافة مؤسسية لدى أغلب الليبيين، لاسيما بالنسبة للأطر المؤسسية الحداثية، حيث نستثني هنا الحديث عن التكوينات القبلية التقليدية التي لها ثقافتها وتقاليدھا التنظيمية الخاصة والمتجذرة اجتماعياً. وقد فاقم غياب الثقافة والتقاليد المؤسسية في الممارسة السياسية على هذا النحو من الصراع السياسي الذي شهدته ليبيا.

في مواجهة هذه السمات فإن لدى الأمازيغ توافق وإصرار على تحقيق مطالبهم، وقناعة مسيطرة عن وحدة المصير وكأن معركة الدستور هي معركة وجودية يعد الانتصار فيها هو الضمانة الحقيقية ضد أي قمع محتمل مستقبلاً استناداً إلى الهوية. وقد زاد هذا الشعور من التعاضد داخل الجسد الأمازيغي بالمعنى المادي والتنظيمي، وكان تأسيس المجلس الأعلى تجسيداً لهذا التعاضد. ولكن الممارسة الفعلية خلال ما يزيد على أربعة سنوات ونصف أفرزت بعض الخلافات الداخلية بين أعضاء المجلس، والتي كان أبرزها اتهام بعض الأعضاء لآخرين بالاستئثار بالقرارات وسياسات إدارة المجلس، أو وجود اتهامات عكسية بالتغيب المستمر والامتناع عن المشاركة الفعالة ؛ وهو ما استدعى منازعات إدارية داخلية حول تأويل لوائح عمل المجلس بشأن تمثيل البلديات، وما إذا كان يجب أن يتم من خلال عمدائها أم ممثل يتم اختياره من قبل

56. حوار مع توفيق عياد الشقروني، مرجع سبق ذكره.

البلدية ؛ وعليه يرد المطعون في شرعيتهم بالدفع بفكرة الطعن بأثر رجعي في شرعية القرارات التي تم إصدارها وشاركوا هم في التصويت عليها. وتطورت هذه الخلافات إلى مواقف معلنة بمقاطعة حضور الجلسات، وطرح بعض النشطاء من خارج المجلس مبادرات للحل. ومن بين تداعيات هذه الخلافات عدم إجراء الانتخابات الدورية للمجلس كل عامين في موعدها المقرر في عام 2017.

الإشكالية الثانية هي المتعلقة بالتبعية الإدارية للمجالس البلدية، ومن ثم دستورية القرارات التي يصدرها المجلس. فالجدير بالذكر أن المجالس البلدية تتبع وزارة الحكم المحلي، أي السلطة المركزية في العاصمة ؛ وعليه فثمة إشكالية بشأن قانونية ودستورية القرارات التي يصدرها المجلس. وهنا يمكن توصيف الإشكالية بطريقتين متباينتين، الأولى أن المجلس الأعلى يسعى إلى ضمان إنفاذ القرارات التي يجرى إصدارها والسياسات التي يتم التوافق عليها من خلال الارتباط التنظيمي للبلديات بالمجلس ؛ والطريقة الثانية لتوصيف الإشكالية هي أن الوضع في الأصل بأنه محاولة من البلديات لتنفيذ سياسات من طرف واحد بدون الرجوع للسلطة المركزية، من خلال المجلس الأعلى الذي أسهمت البلديات بدور رئيسي في خلقه ؛ وأياً ما كان الأمر فهناك وضع قانوني معيب بشأن تكييف القرارات الصادرة عن المجلس.

من بين الأمثلة التي تجسدت فيها هذه الإشكالية هي واقعة معارضة ديوان المحاسبة لقرار تعيين مدرسين لتدريس اللغة الأمازيغية. ففي 8 مارس 2016، أرسل وكيل ديوان المحاسبة علاء الدين منصور المسلاقي خطاباً إلى وكيل وزارة التربية والتعليم أسامة ميلود العموري، رداً على طلب الأخير الإذن من الديوان بالتعاقد مع عدد 371 معلماً لتدريس مادة اللغة الأمازيغية في المناطق الناطقة بها، حيث رد المسلاقي بأن الاستجابة بهذا الطلب يقتضي أن يتم في إطار حزمة متكاملة هي ليست متوفرة، في ظل عدم دسترة الأمازيغية، وما يترتب على ذلك من عدم وجود إطار تشريعي ينظم مسألة تدريس الأمازيغية بما لا يتعارض مع خطة الوزارة في وضع المناهج، ومع ميزانيتها المعتمدة وعلاقات وإجراءات العمل المتبعة داخل الوزارة. وبدوره أصدر المجلس الأعلى بياناً احتجاجياً على هذا الموقف من قبل ديوان المحاسبة، استناداً إلى القانون رقم 18 لسنة 2013 الصادر عن المؤتمر الوطني العام، والخاص بحقوق المكونات الثقافية واللغوية.

ب- فاعلون حكوميون

بموجب القرار رقم 18 المشار إليه، جرى تأسيس كيانات تنظيمية تعنى بإحياء الهوية الأمازيغية، وتقديم الرعاية للأنشطة والفعاليات المطلوبة لتعزيز التنوع الثقافي

في ليبيا. وفي هذا الخصوص يمكن الإشارة إلى منطمتين حكوميتين تتبعان هيئة البحث العلمي بوزارة التعليم العالي. المنظمة الأولى هي المركز الليبي للثقافات المحلية، وهو مركز بحثي يعني بجميع الثقافات المحلية في ليبيا، ومن بينها الثقافة الأمازيغية. أما المنظمة الثانية فهي المركز الليبي للدراسات الأمازيغية؛ ويتولى إدارة هذا المركز السيد فتحي أبو زخار. والجدير بالذكر أن عائلة أبو زخار بها العديد من الأفراد الذين سخروا حياتهم لخدمة الشأن الأمازيغي قبل وبعد الثورة على السواء، ولهم أدوار رائدة، سواء كنشطاء، أو على الصعيد التنظيمي من خلال بعض الكيانات، مثل المؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي (لم يعد موجود)، أو منظمة تيرا الثقافية، وغير ذلك. ومن الجهات الحكومية أيضاً يمكن الإشارة أيضاً إلى قسم اللغة الأمازيغية بكلية الآداب بوزارة.

ج- منظمات مجتمع مدني

شهد السنوات الماضية طفرة في عدد المنظمات والجمعيات الأهلية التي تأسست لإحياء الهوية الأمازيغية، بشكل يصعب معه حصر أعدادها، ومن بين هذه الجمعيات تأتي الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية، وهي منظمة يقتصر دورها حتى الآن على الجانب المعرفي المتمثل في نشر الكتب الخاصة بالتاريخ والثقافة الأمازيغيين. وهناك الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية بوزارة؛ وجمعية زوارة للهوية والتراث التي تأسست عام 2003، لكنها لم يتم إشرافها رسمياً إلا في عام 2011 بعد الثورة؛ وجمعية تالا للتراث والسياحة؛ وجمعية نانا مارن الأهلية الخيرية، وجمعية ندير الخيرية؛ واتحاد الفنانين التشكيليين لأمازيغ ليبيا. وعلى الصعيد الفقهي هناك جمعية الفتح للدراسات الأباضية، وجمعية عبد الرحمن الولولي للدراسات الأباضية.

د- منظمات إعلامية اقتراضية

هناك فاعلون افتراضيون ضمن المجتمع الأمازيغي النشط على موقع الفيسبوك. وليس المقصود هنا أن يكون الفيسبوك مجرد وسيط، لكن المقصود هو وجود فاعلين متمثلين في صفحات على الموقع تحظى بألاف أو عشرات الآلاف من المتابعين، ولا ترتبط الصفحة بكيان حقيقي موجود على أرض الواقع ويتخذ الفيسبوك كوسيط للتواصل. ومن أبرز هؤلاء الفاعلون قناة الأمازيغ على الفيسبوك، وقناة يفرن، ومركز زوارة الإعلامي وغير ذلك.

ثانياً: هيمنة الفاعلين القبليين لدى أمازيغ الجنوب

لم يتوقف تدخل القبائل في سياسة ليبيا بحلول ثورة 17 فبراير 2011، بل، بدلا من ذلك، بلغ هذا التدخل ذروته بعد فشل الفترة الانتقالية التي شهدت ظهور الأحزاب السياسية. هذه الأخيرة بدأت تنافس القبيلة في تسيير وإدارة الشؤون العمومية. وقد تجلى ذلك إلى العيان بعد انعقاد مؤتمر القبائل الليبية، في مدينة الزنتان، 6 يوليو

2013. وقد حاول المؤتمر أن يفرض القبيلة كلاعب أساسي وبديل للأحزاب السياسية في إدارة شؤون البلاد.

في هذا الإطار، انعقدت عدة مؤتمرات قبلية في عدة مناطق من البلاد، مثلها في ذلك مثل مؤتمر ورشفانة في غرب ليبيا (مايو 2014)، القاهرة، مصر (مايو 2015) والجنوب الليبي (سبتمبر 2015)، ومؤتمر مصراتة (أكتوبر 2015). من الملاحظ أن القاسم المشترك بين كل هذه المؤتمرات القبلية هو المطالبة بإلغاء نتائج انتخابات عام 2012، والتي نتج عنها المؤتمر الوطني وكذلك ضرورة إقرار حل المؤسسات العسكرية والأمنية التي تكونت بعد 17 فبراير 2011.

وهكذا، فإن مؤتمر القبائل الذي انعقد في جنوب ليبيا، في مدينة سبها، في شهر سبتمبر 2015، انتقد علناً الزخم السياسي الناجم عن المنظمات الثورية، وحملها مسؤولية الفوضى التي يعيشها البلد. ولقد ذهب المؤتمر إلى أبعد من ذلك، معتبراً أن 17 فبراير كان مؤامرة دولية ضد ليبيا، حضر ودبر لها الإسلاميون، مطالباً لأجل ذلك بمقاضاتهم. فبالنسبة للمؤتمرين، يجب العودة إلى ثورة الفاتح من سبتمبر 1969، باعتبارها المرجعية الأساسية لتسوية النزاعات وتحقيق الاستقرار في ليبيا. واختتم أعضاء المؤتمر أشغالهم بالتأكيد على أن حل الأزمة الليبية يتطلب إصلاح جذري للجيش، ودمج القبائل في القتال تحت راية قوات الأمن الوطني، وأخيراً حل الميليشيات.

بطبيعة الحال فإن التوارق، كغيرهم من المجموعات، قد قاموا بالانخراط في هذه الديناميكية المتمثلة في المجالس والمؤتمرات القبلية وخير دليل على ذلك مشاركتهم في مؤتمر سبها، الذي نظمه حلفائهم التقليديين في الجنوب. وفي مقابل هذه التنسيقيات أو المجالس القبلية، هناك مجموعات عسكرية وسياسية، ظهرت بعد 17 من فبراير، تنشط باسم الشرعية الثورية، تنوي فرض هيمنتها وتحويل العشائر القبلية كقاعدة اجتماعية لها لتبرير أنشطتها المختلفة.

فيما يلي، أهم وأكبر المنظمات والميليشيات المسلحة في مرحلة ما بعد الحرب في ليبيا، والتي لها بعض التأثير على الديناميات السياسية في منطقتي طرابلس ومنطقة الجنوب، خاصة، وهي :

- **فجر ليبيا** : تحالف من الجماعات المسلحة الإسلامية التي تتشكل من ميليشيات من مدينة مصراتة، وقد استقطبت الكثير من الميليشيات الأساسية في المنطقة الجنوبية ؛

- **الكرامة أو الجيش الوطني** : تحت قيادة الجنرال خليفة حفتر، وهو يقاتل جنبا إلى جنب مع بعض كتائب التبو وتوارق، في الجنوب ؛

- **مليشيات الزنتان** : وأكبرها هي كتيبة « القعقاع » التي سيطرت على مطار طرابلس قبل طردها من قبل مليشيات فجر ليبيا في عام 2014. وهذه المليشيا هي متحالفة حاليا مع الكرامة، تحت امرة الجنرال حفتر.

مليشيات مدينة الزاوية غرب طرابلس وهي متحالفة مع فجر ليبيا. وتتكون مليشيات الزاوية، في أغليبتها، من أمازيغ هذه المنطقة :

- **مليشيات « الجبل الغربي » أو الجبهة الغربية** : تتكون أساسا من مليشيات أمازيغ جبل نفوسة. هم في تحالف مع فجر ليبيا، التي تسيطر على العاصمة طرابلس، ومطار تلك المدينة ؛

- **مليشيات التبو** : وهي واحدة من أهم مليشيات مناطق الجنوب الليبي. وهي متحالفة مع الكرامة، التابعة للجنرال حفتر. وقد عززت مليشيات التبو بدعم من مرتزقة جنجاويد المتحالفة مع حفتر، وتتألف الأخيرة من القبائل العربية البدوية التي تحمل الاسم نفسه وهي ذات اصول سودانية من دارفور. تم تشكيل هذا الائتلاف من مليشيات الجنجاويد والتبو بعد حل، في سبتمبر 2015، القوات المشتركة السودانية الليبية التي أنشأت من قبل القذافي، على الحدود بين ليبيا والسودان. مما سمح بانتشار السلاح والمقاتلين الذين دخلوا ليبيا للسيطرة على منطقة الكفرة الغنية بالمياه والنفط، في الجنوب الشرقي.

- **مليشيات توارق الليبيين** : وتتواجد هذه المليشيات بشكل رئيسي في الجنوب، في أوباري ووادي عتبة وغات. وبالرغم من انقسامهم حاليا بين دعم الكرامة وفجر ليبيا، فإن قادتهم السياسيين يحاولون الحفاظ على حيادهم إزاء حكومتي الشرق والغرب، والتركيز على المشاكل الداخلية، خاصة بعد التوقيع على اتفاق السلام مع التبو. ومع ذلك، فإن كل توارق الذين يعتبرون أنفسهم من الجيش الوطني السابق، بما في ذلك توارق الساحل (المغاوير)، يتبعون لحكومة طرابلس، باستثناء بعض المليشيات الجنوبية المسلحة من مدينة غات، الذين لم يقاتلوا النظام القديم، ولهم صلات وثيقة مع مليشيات التبو المتحالفة مع حفتر، والتي تقاوم توارق حول مدينة أوباري.

- كأمثلة عن هذه المليشيات الجنوبية التابعة لجيش حفتر، سرية توارق الجبل أو (توارق تادرات) تحت قيادة العقيد عيسى دودو. وهؤلاء توارق هم، في غالبيتهم، من قبيلة امقرغسن المتحالفة، منذ القدم، مع تبو منطقة مرزق، والتي تتبع تقليديا عشيرة أوراغن ذات السيادة التقليدية.

- المليشيات القبلية لأولاد سليمان، التي تتمركز حاليا في مدينة سبها والمنطقة المحيطة بها، وترتكز، كقاعدة اجتماعية لها، على العشيرة التي تحمل الاسم نفسه.

تجب الإشارة هنا إلى أن عشائر أولاد سليمان كانت من بين أول من أنخرط في الثورة ضد القذافي على الرغم من أنها تعتبر جزء من الحلف التقليدي للقذافة، القبيلة التي ينتمي إليها قائد الثورة الخضراء المتوفى.

كل هذه الميليشيات، وغيرها الكثير، بما في ذلك التارقية في الجنوب، تحاول في الوقت المناسب بناء قاعدة اجتماعية لها بين القبائل الليبية، بحيث يكون لها في نفس الوقت، على الصعيد الوطني، امتداد داخل المؤسسات السياسية التي أنشأت بعد الثورة وهي البرلمان والحكومة، التي يحاولون مراقبتها واستغلالها.

وكذلك، فإن الحكومات والبرلمانات (المجلس الوطني الانتقالي وحكومة الكيب وحكومة زيدان وأيضاً حكومة الوفاق الوطني الحالية للسراج)، تحاول كلها الاعتماد على الميليشيات والمنظمات المسلحة لتثبيت شرعيتها في هذا المجال. وكذلك الحال بالنسبة لحكومة طبرق، في الشرق، التي تدعمها «عملية الكرامة» والجيش الوطني للجزائر حفتر، المتحالفة مع غيرها من الميليشيات كالتبو، وبعض ميليشيات توارق، وبعض القبائل من بين مؤيدي النظام السابق مثل القذافة ومجموعات من الفزانة، من وادي عتبا والحياة في الجنوب، والزنتان في الغرب.

في حين أن حكومة طرابلس أو (حكومة الإنقاذ الوطني)، فإنها مدعومة من قبل فجر ليبيا التي تتكون، أساساً، من الميليشيات المصرية وسوق الجمعة، والتي هي أحد المناطق المحيطة للعاصمة طرابلس، فضلاً عن كوكبة من الجماعات المسلحة الأخرى في نفس ضواحي طرابلس. هذا، بالإضافة إلى الميليشيات الأمازيغية في جبال نفوسة.

في الوقت الحاضر، تحاول حكومة السراج، أو حكومة الوحدة الوطنية الحالية، الاعتماد على جماعة الإخوان المسلمين، والقوة الثالثة (ائتلاف الميليشيات الإسلامية)، والزنتان وميليشيات أخرى في الغرب.

1 - توارق والصراع من أجل البقاء

من الواضح أن القبائل الليبية لديها نظرة مختلفة للأحداث التي تشهدها بلادهم، عن نظرة الأحزاب السياسية والمنظمات العسكرية والأمنية المنحدرة من 17 فبراير 2011. جنوب ليبيا هو المكان الذي يبدو فيه هذا الانقسام محسوساً على نطاق واسع في الوقت الحاضر، بسبب العلاقات الوثيقة التي كان القذافي قد ربطها مع العشائر الكبرى في المنطقة. ولذلك، فإن الجنوب هو الجزء الرخو من السياسة الليبية في مرحلة ما بعد الثورة، بسبب هشاشة التركيبة السياسية وتعدد المجموعات العرقية التي تعيش فيه على أسس قبلية. وهكذا، بدءاً من المرحلة الانتقالية، سرعان ما أصبح الصراع العرقي في أشده بين مكونات قبلية مهمة في هذه المنطقة، وهي التوارق والتبو. وقد ذهب هذا الصراع في اتجاهين.

الاتجاه الأول هو العمل من أجل السيطرة على الموارد الجنوبية لليبي، مما تسبب في اشتباكات متعددة بين المجموعتين. وفي هذا السياق، عمل التبو على الاستفادة من وجود تسعة من نوابهم في المؤتمر الوطني، كدليل على نفوذهم السياسي في محاولة لتوسيع وجودهم في ليبيا من خلال محاولة النفوذ إلى المناطق الشمالية، وذلك على حساب القبائل العربية التي وضعوها تحت الضغط لدفعها إلى ترك مناطقها. كما عملوا على تطبيق نفس السياسة على توارق، ولكن أفضى الصراع في النهاية إلى محادثات سلام، تلاها التوقيع على اتفاق سلام لا يزال هشاً.

أما بالنسبة للتوارق، ممثلين في المجلس الاجتماعي لقبائل التوارق في ليبيا، فإنهم يحاولون تعزيز علاقاتهم مع القبائل العربية، وخصوصاً مع قوات « درع ليبيا » أو « القوة الثالثة »، مع الحفاظ على علاقات وثيقة مع الجزائر حفر. وهذه الوضعية تعطي الصراع العرقي الليبي في الجنوب طابع الحرب الأهلية التي تواجه مختلف الفئات الاجتماعية التي تتماس وتتقاطع مع الأزمة السياسية في البلاد، لإشراك الكيانات الاجتماعية الأخرى مثل أولاد سليمان، والفضاذفة. الكيانات التي تتبنى مواقف مختلفة تجاه ثورة 17 فبراير.

يرتبط الاتجاه الثاني بمصلحة التبو لإقامة تحالفات سياسية مع الجماعات العرقية الشمالية. ولذلك فإنها شاركت في كتيبة « القعقاع » قبل أن ينضموا إلى مقاتلي جيش القبائل، في الاشتباكات التي بدأت في يوليو 2014 من أجل السيطرة على المطار ومناطق غرب طرابلس العاصمة. كما أنهم تحالفوا مع قوات حفر وعملية « الكرامة » في منظور الالتحاق بالجيش الليبي في المستقبل. ومن خلال التحالف مع الزنتان و« عملية الكرامة » التابعة لحفر، يهدف التبو للخروج من العزلة الجغرافية، للعب دور أكثر أهمية على المستوى الوطني.

2 - المخاض الصعب لبروز مجتمع مدني

كان النزاع الأخير فرصة للتوارق الليبيين للخوض في تجربة صعبة لتنظيم أنفسهم، وذلك للمرة الأولى في تاريخهم، في كيان فوق قبلي، من خلال إنشاء المجلس الاستشاري لقبائل التوارق. وكان الأعضاء المؤسسين لهذا المجلس هم القاضي محمد أحمد الخير رئيساً، وأربعة نواب للرئيس، هم بوبكر عبد النبي ومصطفى حمادي سليمان، وهما ينحدران على التوالي من عشائر افيلان وكيل تين الكوم، من بين توارق الوطنيين، و كليهما تابعة للقطب السياسي لأوراغن. وانضم إليهما ممثلان من توارق الساحل الذين استقروا في ليبيا، في شخص موسى التوجي من قبيلة افوغاس، والجيلالي الطيب علي، وهو من قبيلة اولمدن.

نلاحظ، في هذه القائمة الإسمية، المساواة في التمثيل بين الأعضاء المؤسسين، وذلك بين توارق الوطنيين (عضوين) وتوارق الساحل (عضوين). وبالرغم من هذا، تجب الإشارة إلى أنه لم يلتحق أي من ممثلي المجموعتين المهممتين، وهي امنغساتن واوراغن، إلى هذه الرباعية. ربما يعد ذلك من بين الأسباب التي أدت بالمجلس الاستشاري التاريخي أن لا يدوم طويلا، لأنه أصيب بالشلل، سواء بسبب التناقضات الداخلية في مجتمع التوارق أو من جراء دوامة العنف والفوضى التي أعقبت نهاية الحرب.

التحدي الأول الذي واجه المجلس الاستشاري التاريخي جاء من قبل إبراهيم أبو بكر ماخي، الذي أنشأ المجلس الاستشاري لقبائل التوارق الذي يرأسه. وخلافا للمجلس التاريخي فإن المجلس الاستشاري لإبراهيم أبو بكر ماخي، المنحدر من عشيرة المرابطين، يضم بين أعضائه المؤسسين شخصيات من عشيرة أوراغن المهمة، بما في ذلك إبراهيم بوشا الكوني، النائب الأول للرئيس، عبد الحفيظ تككام من عشيرة اظججانت، كنانث ثاني للرئيس، سليمان صالح سليمان كنا، من عشيرة تين الكوم، كنانث ثالث. وكان لدى المجلس الاستشاري لجان متخصصة وهي لجنة الخبراء، برئاسة النائب الثالث للرئيس، سليمان صالح سليمان كنا، لجنة العلاقات العامة برئاسة موسى كننو، من عشيرة كيل تادارت، وبعبارة أخرى، امقرغسن من تادارت. لجنة الاعلام ويتأسها موسى تككام من عشيرة ابطنان.

ومن الواضح أنه لا يوجد ممثل لتوارق منطقة الساحل أو القطب السياسي الثاني الذي يمثله امنغساتن وحلفاؤهم ضمن تركيبة أعضاء مكتب المجلس الاستشاري. ولكن، بالرغم من كل شيء، لم يحقق المجلس الاستشاري الإجماع المنتظر داخل صفوف التوارق ولم يشهد الانضمام المتوقع.

في عام 2012، في حين كان المجلس الاستشاري التاريخي، الذي أنشأ في عام 2011، مستترا، بادر كل من مولاي قديدي، محمد العربي أحميذة ورمضان سيدي عمر، الذين كانوا في طرابلس حينها، على صياغة النظام الأساسي لمنظمة جديدة، سميت فيما بعد بالمجلس الأعلى. ثم، في أوائل شهر مارس 2013، تأثراً بأحداث غدامس الأليمة، التي اضطرتهم إلى مغادرة المدينة، أسست عشيرة افوغاس مدينة جديدة، قرب غدامس، على الحدود مع الجزائر، اطلقوا عليها تسمية أوال.

مولاي قديدي، الذي ينحدر من هذه المجموعة البشرية، الحليفة التقليدية لقبيلة امنغساتن، استخدم موجة التعاطف التي أثارها هذه الأحداث الأليمة ليعلن في أوباري، تأسيس المجلس الأعلى لقبائل التوارق. ومن الجدير بالذكر أن مدينة أوال تأسست من قبل الناجين من مذبحه ارتكبت في أعقاب أحداث عام 2011، ضد التوارق على يد ميليشيات أمازيغية، التي أتهمتهم بدعم النظام المخلوع. وكان لهذا الحدث تأثير سلبي على العلاقات المستقبلية التي تخللها الشك والشعور بعدم الثقة

بين المجموعتين الأمازيغيتين، كما كان ذلك جليا للعيان، على وجه الخصوص، خلال المناقشات على دسترة اللغة الأمازيغية.

وخلافا للمجلس الاستشاري التاريخي، الذي أنشقوا عنه، والمجلس الاجتماعي، الذي يعارضونه، بالرغم من أن هذين المجلسين منتظمين في جمعية عمومية تتكون من المكاتب واللجان الفنية، فإن المجلس الأعلى ينحصر في مجلس مصغر لا يتعدى أعضاؤه خمسة اشخاص، وهم الرئيس ونوابه الأربعة، ويتلقى صعوبة كبيرة في الحصول على دعم وقاعدة اجتماعية أوسع نطاقا بين قبائل التوارق. وبالإضافة إلى ذلك، اتخذ المجلس الأعلى مبادرة تفتقد للحكمة وهي إقامة اتصالات مع التبو، دون استشارة بقية العشائر، والمتكونة أساسا من قبائل التوارق، في الوقت الذي كان القتال على أشده بين المقاتلين التوارق من أوباري وميليشيات التبو. فمن المحتمل أن تكون هذه المبادرة، والتي انتقدت أيضا في ذلك الوقت، عائقا امام المجلس الأعلى من توسيع قاعدته الاجتماعية داخل مجتمع التوارق، ليقصر على مجرد وجود في وسائل الإعلام، في العاصمة طرابلس.

يتكون مكتب المجلس الأعلى، بالإضافة إلى الرئيس، مولاي قديدي قديدي، من عشيرة افوغاس، من كل من عبد الكريم درجي، من امنغساتن ومحمد رمضان سيدي عمر، من عشيرة إلمتين، محمد العربي احميده، من عشيرة المرابطين. من الملاحظ أن كل هؤلاء الاعضاء يقيمون في طرابلس، العاصمة، مما يسمح لهم أن يكونوا في اتصال دائم مع وسائل الإعلام بكل سهولة.

مثله مثل المجلس الاستشاري، فإن المجلس الأعلى لا يحتوي ضمن قياديه ممثلين من توارق الساحل ولا من أوراغن. كان طموح المجلس الأعلى، على الأقل وفقا لنظامه الأساسي، أن يكون هيئة استشارية وسياسية للتوارق وواجهة رسمية يحق لها اتخاذ خطوات لدى الهيئات الوطنية والدولية لمناقشة حقوق هذا المكون من المجتمع الليبي. لذلك أعلن المجلس الأعلى للتوارق في ليبيا، في مايو 2014، إنشاء لجنة لصياغة جملة من المطالب، على أن تدرج في الدستور الليبي المستقبلي. وفقا لتصريحات مولاي قديدي، فإن المطالبة ستشمل أموراً أخرى، من بينها الاعتراف باللغة والهوية الثقافية للتوارق.

نظرا لحجم المشاكل التي تواجه التوارق، بما في ذلك عدم وجود تمثيل المجلسين، أطلق وجهاء وزعماء قبائل التوارق، في مدينة البركت بالقرب من غات في جنوب البلاد، في فبراير عام 2015، منظمة اجتماعية تضمهم، وتدعى « المجلس الاجتماعي لقبائل التوارق ». ورغبة منه في أن يكون مظلة لجميع التوارق، ولد المجلس الاجتماعي من الاندماج بين المجلس الاستشاري لقبائل توارق، برئاسة إبراهيم عبد القادر ماخي،

من قبيلة المرابطين من مدينة العوينات في الجنوب الليبي، والمجلس الأعلى لقبائل التوارق، الذي تأسس في 23 شباط 2013، ويرأسه مولاي قديدي من عشيرة افوغاس من غدامس. وبذلك تجاوزت الأحداث هذين المجلسين.

انتخب المجلس الاجتماعي لقبائل التوارق في ليبيا رئيسا له، في شخص محمد حسين الكوني، السفير الليبي السابق لدى النيجر ومحافظ محافظة غات في ظل نظام القذافي المخلوع. ينتمي الرئيس إلى قبيلة أوراغن النيلية، التي تملك السلطة التقليدية لتوارق كيل أجر، من جانب أبيه، ووالدته من عشيرة إلمتين المستقرة، في واحة البركت، والتي تعد الحليف التقليدي لأوراغن. ويساعد رئيس المجلس الاجتماعي أربعة نواب للرئيس، هم أبوبكر الفقي انقدازن من عشيرة أوراغن، وسليمان صالح سليمان كنا من عشيرة كيل تين الكوم، التي تنتمي إلى حلف أوراغن، موسى توجي، من عشيرة افوغاس الساحل، محمد درجي، من قبيلة امنغساتن.

ومن الواضح أنه، بالإضافة إلى القطبين السياسيين التقليديين اللذين يتمثلان في كل من أوراغن، الممثلين من خلال الخوسيني الكوني، رئيس المجلس وامنغساتن في شخص محمد درجي، النائب الرابع للرئيس، أن هناك محاولة إيجاد توازن في التمثيل. وهكذا، فالنائب الثاني للرئيس، الذي هو سليمان صالح سليمان، هو من عشيرة إورورن، التابعة تقليديا لمجموعة امنغساتن. الأهم من ذلك، هناك أيضا تمثيل لتوارق الساحل، من بين نواب الرئيس، عن طريق شخص موسى توجي، من عشيرة افوغاس من منطقة أضاغ. هذه النقطة الأخيرة لها أهميتها بحيث أنها قد يفهم منها أن توارق ليبيا يريدون دمج توارق منطقة الساحل المستقرين في البلاد منذ السبعينات.

لمساعدة المجلس في أداء مهامه، فقد تقرر إنشاء خمس لجان متخصصة، وهي لجنة التنسيق، برئاسة سليمان أحمد محمد، من قبيلة امنغساتن، لجنة المصالحة، برئاسة محمود محمد علي، من قبيلة الأنصار من مدينة غات، لجنة الخبراء، برئاسة محمد عبد المالك الأنصاري، وهو مهندس معماري من عشيرة كيل انتصر، من توارق الساحل، وأخيرا اللجنة القانونية برئاسة أبا عثمان محمد، من قبيلة امقرغسن.

نرى مرة أخرى، نفس الاهتمام بالعدالة في التمثيل، مع دخول عناصر جديدة تمثل العشائر المستقرة بالعبدية، وهي الأنصار من غات، الذين هم ينحدرون في أصولهم من بلدة سالي، في منطقة توات الجزائرية. ويتكونون من خليط بين أوراغن وعشيرة اياجن التي تملك السلطة السياسية التقليدية في المدينة الدولة، غات. كذلك الحال لمكون كيل انتصر، الذين ينحدرون في أصولهم من تمبكتو ويعتبرون من بين توارق الساحل المستقرين في ليبيا منذ فترة طويلة.

عشيرة أخرى من توارق كيل أجر التابعة لأوراغن، وهي امقرغسن، ممثلة في المجلس، من خلال شخص أبابا عثمان محمد. ومن الجدير بالذكر أن عشيرة امقرغسن،

التي لديها امتداد في الجزائر، تعد واحدة من أكثر قبائل المنطقة عددا وقوة. في الحقيقة، كونهم غير ممثلين الا بلجنة واحدة قد يفسر الموقف المتطرف لهذه العشيرة التي فضلت التحالف مع التبو في حربهم ضد توارق اللبيين المدعومين من توارق الساحل الذين تعتبرهم أجنب. كما تقرر تعيين لجنة تنفيذية للمجلس، برئاسة محمد أحمد محمد والمتحدث الرسمي في شخص محمد مولاي قديدي من افوغاس ليبيا.

على الرغم من أن مولاي قديدي، رئيس المجلس الأعلى، حافظ على مركز قيادي بصفته المتحدث الرسمي باسم المجلس الجديد، في حين لم يسند أي منصب لزميله أبوبكر صالح ماخي، رئيس المجلس الاستشاري، على الرغم من أن مجلسه قد ادمج في الهيكل الجديد. ويمكن تفسير ذلك بكون أبوبكر صالح ماخي لا ينحدر من أصول تارقية، بحيث ينتمى إلى مجموعة المرابطين العربية، من منطقة فزان، في الجنوب الليبي.

تتألف الجمعية العامة للمجلس الاجتماعي من أعضاء المكاتب واللجان المتخصصة ورؤساء القبائل. ويشغل منصب مقرر المجلس الاجتماعي الخير أغ عيسى، من عشيرة امقرغسن. ومن الملاحظ هنا أن كل من السيد أوفنايت الكوني، وهو شخصية بارزة من امنغساتن، وشقيق موسى الكوني، عضو المجلس الرئاسي لحكومة السراج، وكذلك رئيس قبيلة امنغساتن، في شخص الحاج أحمد ما تكو نينو قد حضرا تأسيس المجلس الاجتماعي، وهو ما يعد بمثابة ضمانة لشرعية هذه المنظمة الجديدة التي تهدف لتمثيل كامل توارق الليبيين. وعلى صعيد آخر، فبالرغم من أنه يعتبر نشط نسبيا، فإن البعض يتهم الحخوسيني الكوني، رئيس المجلس الاجتماعي بالنزعة الانفرادية، بحيث لا يرجع في قراراته إلى المجلس إلا نادراً.

المبحث الثالث : أمهات وأدوات التعبير

خلال هذا المبحث سيتم رصد تفاعلات وأمهات وأدوات التعبير عن المطالب لدى الحراك الأمازيغي، لدى النفوسيين وتوارق على السواء.

أولاً : أمازيغ الشمال

اتسم حراك أمازيغ الشمال بدرجة عالية من الزخم والحيوية وتعدد أمهات وأدوات التعبير، وهو ما سيتم استعراضه فيها يلي.

1 - التحولات في فُط التفاعل السياسي

يمكن القول إن الأمازيغ عمدوا إلى السير في خطين متوازيين غداة الاطاحة بالقذافي ؛ الخط الأول هو السعي إلى تبني سياسات تهدف إلى إحياء مظاهر الهوية في مناطقهم التي يشكلون فيها أغلبية، عبر فرض أمر واقع جديد من طرف واحد ؛ والخط الثاني هو انتهاج سلوك تشاركي على الصعيد الوطني، من خلال الانخراط بكثافة في

التفاعلات السياسية. هذه الاستراتيجية ثنائية المسار كانت تهدف إلى ضمان تحقيق الحد الأدنى من المصالح الهوياتية، وفي ذات الوقت السعي إلى تعزيز الحضور الأمازيغي على الصعيد الوطني، لضمان ديمومة الحماية المستقبلية للمكتسبات الثقافية.

أدى التعثر الذي عرفته المسألة الدستورية إلى دفع الأمازيغ لإدخال تعديلات على الاستراتيجية المتبعة، فتنعكس النزعة التشاركية على الصعيد الوطني، ليتخذ السلوك الأمازيغي منحى أكثر انعزالية، تمثل في مقاطعة الكيانات والفاعليات السياسية الوطنية تحت شعار « لا نعترف بمن لا يعترف بنا »، مع وجود حالات ووقائع لكسر هذا العزوف والخروج عن الموقف الذي يتبناه المجلس الأعلى. وهذه القطيعة أدت إلى تسريع وتكثيف الحركة على المسار الخاص بفرض أمر واقع في المدن الأمازيغية، ليصير الوضع في عام 2017 إلى تبني سياسات تهدف لتحقيق الحكم الذاتي، بشكل شديد الشبه بالوضع القائم في كردستان العراق؛ وهو ما ظهر صدها في النقاشات بين النشطاء والقيادات والجماهير الأمازيغية، فكانت بعض النقاشات تدور بشكل مباشر حول استعارة النموذج الكردي.

كانت أبرز سياسات فرض الأمر واقع هي قرار المجالس البلدية تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس، وجعل يوم رأس السنة الأمازيغية أجازة رسمية، واستخدام الأمازيغية بجانب العربية في اللافتات العامة والأوراق الرسمية، وكذلك استخدام الرموز الأمازيغية والعلم الأمازيغي بجانب العلم الوطني الليبي، وهو الأمر الذي أثار جدلاً بسبب وضع العلم على المنافذ الحدودية بين ليبيا وتونس، وهي المنافذ التي تقع ضمن الحدود الإدارية للمدن الأمازيغية. ولكن مع ذلك فإن استخدام الأمازيغية لازال في مراحله الأولى، ومن ثم فليس هناك حتى الآن رواج للمطبوعات التي تستخدم اللغة الأمازيغية⁵⁷.

بموازاة ذلك كان هناك مطالبات بالتمثيل السياسي في المناصب الرئيسية على الصعيد الوطني، وقد أدى خلو حكومة عبد الرحيم الكيب التي تم تشكيلها في نوفمبر 2011 من التمثيل الأمازيغي إلى احتجاج الأمازيغ، ومطالبة البعض بضرورة سحب ممثلهم من المجلس الوطني الانتقالي. وفي سياق آخر، واتصالاً بمسألة التمثيل، شدد البيان الختامي للمؤتمر الثاني لمؤسسات المجتمع المدني الأمازيغي، والمنعقد في أوباري نهاية مايو 2013، على « حق التمثيل السياسي (الكوتا) والعمل على تطوير المناطق الأمازيغية المهمشة بالضغط المستمر على الدولة لتحقيق المحاصصة العادلة »⁵⁸.

57. حوار مع هشام أحمادي، مرجع سبق ذكره.

58. "بيان ختام أعمال المؤتمر الثاني لمؤسسات المجتمع المدني الأمازيغي"، أوباري، 30 مايو 2013.

فكرة المحاصصة من الأفكار التي لا يوجد إجماع بشأنها ؛ ويوجد انطباع عام بأن المحاصصة خيار سيء ولا تمثل انعكاساً أميناً لقيم المواطنة المتساوية، وغالباً ما تكون التجربة اللبنانية بكل إشكالياتها وإخفاقاتها وتعثراتها هي التجربة الماثلة حين يتم إثارة الفكرة ؛ غير أن خبرة ما يزيد عن ست سنوات من تعثر العملية السياسية، وشيوع المحاصصة على أسس قبلية وجهوية، جعلت بعض الأمازيغ يعتقد أن المحاصصة قد تكون شر لابد منه خلال المرحلة الراهنة⁵⁹. كما أن عدم تحقيق المطالب هي ما يدفع البعض إلى التشبث بأي مكسب يمكن تحقيقه⁶⁰.

وحول الموقف من المحاصصة، تم طرح سؤال أجاب عليه 382 شخص، يرى منهم 122 شخص، أي 31.9%، أن المحاصصة ضرورية في المرحلة الحالية فقط ؛ فيما يعارض المحاصصة بشكل عام 77 شخص، أي 20.2% ؛ ويؤيدها بشكل عام 85 شخص، أي 22.3% ؛ واختار البقية الإجابة بلا أعرف.

في يناير 2013 تم تنظيم ملتقى الاستحقاق الدستوري، حيث كانت تلك الفترة تشهد مداولات بشأن تشكيل لجنة الستين لوضع الدستور ؛ وفي البيان الختامي تمت الإشارة نصاً إلى عدد من المطالب، وهي المطالب التي مثلت أرضية الانطلاق لمسار الحراك الأمازيغي منذ ذلك الحين، وهي :

1 - النص على أن الهوية الليبية هي هوية دولة ليبيا، بعمقها الأمازيغي العريق، وكل روافدها الحضارية والثقافية المتعاقبة، مع الإلتزام بإبراز معالم هذه الهوية في كل شعارات الدولة ورموزها السيادية ؛ كالعلم، والنشيد الوطني، والعملية، ووثائق ثبوت الهوية، طوابع البريد، مناهج التعليم، الإعلام، ... الخ

2 - النص على أن اللغة الأمازيغية لغة رسمية لليبي، وأنها متساوية مع غيرها من اللغات الرسمية في قيمتها لدى جميع الليبيين.

3 - النص على ضرورة وضع قانون تنظيمي، يحدد كيفية إدراج اللغة الأمازيغية في مجالات الحياة العامة بالدولة الليبية، لضمان الحماية القانونية لتفعيل اللغة الأمازيغية كلغة رسمية.

4 - رد الإعتبار للمذهب الإباضي، بإقرار الحق في ممارسته تشريعاً وإفتاءً، وشعائراً وعلمياً وإعلامياً.

تطورت الخلافات بشأن المسألة الدستورية، وانحصرت في الجدل بشأن المادة 30 من الإعلان الدستوري، والقاضية بتمرير مواد الدستور بالإغلبية، حيث يرى الأمازيغ أن

59. حوار مع هشام أحمادي، مرجع سبق ذكره.

60. حوار مع مادغيس مادي، مرجع سبق ذكره.

هذه المادة لن تضمن لهم حقوقهم في الدستور، وكانت لهم مطالب واضحة حول رفض إخضاع الحقوق الثقافية للتصويت، وتنادت الأصوات بضرورة منح المكونات الثقافية من أمازيغ وتوارق وتبو حق الفيتو في منع تمرير أي مادة تتعلق بحقوق هذه المكونات، غير أن هذه المطالب لم تلق نصيب وافر من البحث أو التأييد⁶¹؛ كما كان ثمة تحفظ على تمثيل الأمازيغ بمقعدين فقط من بين ستين مقعد في اللجنة التأسيسية لكتابة الدستور.

على هذا الأساس قرر الأمازيغ مقاطعة انتخابات لجنة الستين لصياغة الدستور التي جرت في فبراير 2014. ومع ذلك فقد تم تعديل هذه المادة داخل المؤتمر الوطني في منتصف 2014، لتنص في صيغتها الجديدة على أن « تصدر القرارات داخل الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور بنظام الثلثين+1، على أن يكون أحد أعضاء المكونات الثقافية واللغوية ضمن النصاب في الشأن المتعلق بالمكون، وموافقته شرط أساسي لتمرير المادة ». ورغم هذا التعديل، فلم يلين موقف الأمازيغ، وظلوا على مقاطعتهم للجنة صياغة الدستور.

أصبح منذ ذلك الحين قرار المقاطعة بمثابة الخط الثابت في تعامل الأمازيغ، ممثلين في مجلسهم الأعلى، مع التفاعلات السياسية في البلاد؛ فتم اتخاذ قرار بالانسحاب من المؤتمر الوطني عام؛ ثم تم اتخاذ قرار بمقاطعة انتخابات مجلس النواب؛ وكذا مقاطعة مفاوضات الصخيرات وما نبتق عنها من كيانات سياسية. وفي كل مرة كان هناك من يشق الصف الأمازيغي؛ فقد عاد عضو المؤتمر عن مدينة يفرن إلى حضور الجلسات بعد انسحاب الممثلين الأمازيغ، ونفس الأمر بالنسبة لممثل مدينة جادو، كما أن نوري بوسهمين رئيس المؤتمر، والمُنتخب عن مدينة زوارة، ليس له علاقة بتفاعلات المسألة الأمازيغية ولا يعتبره الأمازيغ ممثلاً لقضيتهم رغم أصوله الأمازيغية؛ بل يقال أنه أساء استقبال وفد من المجلس الأعلى وتشاجر معهم⁶².

وفي مدينة نالوت تم خرق مقاطعة انتخابات مجلس النواب، وشاركت المدينة في انتخاب ممثلاً عنها. وأيضاً يوجد في المجلس الأعلى للدولة من يمكن تصنيفه أحد أبرز السياسيين المدافعين عن المسألة الأمازيغية، وهو السيد سالم مادي، الذي يشغل أيضاً عضوية المجلس الأعلى للمصالحة، وهذه العضوية تجعله بطبيعة الحال ينتهج مساراً نقيضاً لمسار المقاطعة.

وتم طرح سؤال عن صوابية قرار انسحاب الأمازيغ من المؤتمر الوطني العام، وأجاب على السؤال 388 شخص، يرى 189، أي 48.7% أن الانسحاب لم يكن قراراً صائباً، فيما 151 شخص، أي 38.9% أن الانسحاب كان قراراً صائباً، وأجاب البقية بلا أعرف.

61. طارق ميري، مرجع سبق ذكره، ص 156.

62. حوار مع عبد الله فوناس، مرجع سبق ذكره.

وتم طرح ذات السؤال عن مقاطعة انتخابات مجلس النواب، وأجاب 387 شخص، رأي منهم 164 شخص، أي 42.4% أن المقاطعة لم تكن خياراً صائباً، فيما اعتبر 190 شخص، أي 49.1% أن المقاطعة كانت خياراً صائباً، وأجاب البقية بلا أعرف.

بعد ذلك تم طرح سؤال حول جدوى استراتيجية المقاطعة خلال المرحلة المقبلة، وأجاب 383 شخص، رأي 83 شخص، أي 21.7% أن المقاطعة وعدم الاعتراف بالهيئات السياسية القائمة استراتيجية مناسبة ما دامت المطالب الأمازيغية لم تتحقق، فيما رأي 240 شخص، أي 62.7% ضرورة اعتماد نهج مغاير، تجنباً للعزلة والاستبعاد من الترتيبات السياسية، وأجاب البقية بلا أعرف.

بشكل عام، دخلت المسألة الأمازيغية مرحلة من الكمون مع انطلاق مفاعيل الحرب الأهلية البادئة منذ يوليو 2014، وتواترت لصالح قضايا أخرى أكثر حيوية تمس الانقسام على الصعيد الوطني؛ وخلال هذا الفترة لم يكن هناك مواقف حيوية تخص المسألة الأمازيغية إلا المقاطعة المشار إليها، والتي اقتضت بطبيعة الحال سيادة حالة من الانزواء، تعمقت بفعل رغبة الأمازيغ في النأي بأنفسهم عن أضرار الحرب الأهلية، والحفاظ على مناطقهم آمنة قدر الإمكان، وهو الأمر الذي تحقق جزئياً وليس كلياً. ومنذ ذلك الحين كان يجري تنشيط الحديث عن المسألة الأمازيغية مع كل مرة تظراً خلالها مستجدات بشأن أعمال اللجنة التأسيسية للدستور، فكان المجلس الأعلى للأمازيغ يخرج من حين لآخر في الفترة من 2015 إلى 2017 بيانات تؤكد على مقاطعته أعمال لجنة الـ58 كما يسميها الأمازيغ بدلاً من استخدام تسمية لجنة الستين.

التطور المفصلي الحقيقي جاء في الربع الثاني من عام 2017، حيث أصدر المجلس الأعلى، بتاريخ 20 إبريل 2017، القانون رقم 1 لعام 2017، بشأن ترسيم اللغة الأمازيغية في المناطق الواقعة ضمن نطاق اختصاصه. ويمثل هذا القانون بدياجته وبنوده بمثابة إعلاناً عن تبني الخيار الكردي (نسبة إلى نموذج كردستان العراق) كخيار استراتيجي لأمازيغ ليبيا، من خلال استهداف إدماج الأمازيغية، ليس فقط في المجال العام، ولكن في جوانب ذات طابع سيادي⁶³.

بعد إصدار هذا القانون بستة أيام، أصدر المجلس الأعلى بياناً بتاريخ 26 إبريل 2017، يعلن عزم المجلس عدم الاكتفاء بمقاطعة أعمال اللجنة التأسيسية للدستور، ولكن أيضاً نيته بالشروع في وضع دستور خاص بالمناطق الأمازيغية. وفي شهر يونيو من ذات العام ظهرت أنباء عن قرب تشكيل المجلس العسكري لأمازيغ ليبيا. وبذلك

63. يمكن الاطلاع على نص القانون في الرابط التالي :

<http://tamazgha24.com>

يكون الأمازيغ على طريق السعي لخلق واقع، يمكن اعتباره أكثر من فيدرالية وأقل من دولة. وفي 30 سبتمبر 2017، خلال الاجتماع الدوري للمجلس، والمنعقد في مدينة جادو. وتم الاتفاق على إعلان عن العقد الاجتماعي « تامنداوت » لتنظيم المناطق الأمازيغية، ومن أهم فصوله وأحكامه إنشاء مؤسسات إلى جانب المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا والمفوضية العليا للانتخابات، إضافة إلى مجلس عسكري موحد بمثابة هيئة الدفاع، وهيئة التحكيم العليا، والهيئة التنفيذية العليا، وطرح هذا العقد على كافة المناطق الأمازيغية لمناقشته وإبداء الرأي فيه، إضافة إلى تفعيل قانون رقم (1) بشأن ترسيم اللغة الأمازيغية⁶⁴.

وبشكل عام، وبخصوص المسارات المتباينة للحراك الأمازيغي، والخلافات بشأن أي المسارات أكثر جدوى، تم طرح سؤال عام حول الخطاب المعتمد من النخب الأمازيغية، وأيهما أكثر جدوى، هل تبني خطاب معتدل موجه للشارع العربي لحشد الدعم للمطالب الأمازيغية، أم تبني خطاب حماسي موجه للشارع الأمازيغي لتقوية روح التضامن بين الأمازيغ. وأجاب على السؤال 376 شخص، يرى 172 شخص، أي 45.7% أن الأجدى هو تبني خطاب موجه للشارع العربي، بينما اختار 171 شخص، أي 45.5% أن الأجدى التركيز على الخطاب الموجه للشارع الأمازيغي، وأعطت البقية إجابات تدور أغلبها حول الجمع بين الخطابين. ويشير التساوي في النسبة بين الخيارين الرئيسيين إلى التباين القائم في الموقف من الخطاب الذي يجب اعتماده في الدفاع عن المطالب الأمازيغية. والمتابع للشأن الأمازيغي يستطيع أن يلحظ بوضوح أن هذا الانقسام يكاد يكون بالغ الوضوح؛ بين نشطاء وسياسيين شديدي التشدد في التمسك خلف خطاب غارق في المركزية الإثنية؛ وقطاع آخر أكثر برجماتية يمارس السياسية في إطارها الواسع، مع وجود درجات متفاوتة من الإهتمام بالأجندة المطلوبة للرئيسية للحراك الأمازيغي.

2 - بؤادر العنف في الحراك الأمازيغي

خلال هذا المسار يمكن القول أن الحراك الأمازيغي اتسم بالسلمية في أغلب تفاعلاته، ولم يشهد ممارسات عنيفة إلا بشكل عرضي عابر وفي نطاق ضيق لم يلقى تأييد كبير. ففي البداية هناك العسكرية التلقائية التي شهدتها المواجهات بين أبناء المدن الأمازيغية وبين نظام القذافي منذ بداية الثورة. وبعد انتهاء الثورة عادت الميليشيات الأمازيغية إلى مدنها ونأت بنفسها عن صراعات العاصمة، لكن سرعان ما تورطت الميليشيات العسكرية في الحرب الأهلية الثانية البادئة في منتصف 2014، حيث قاتل

64. "قرارات جديدة للهيئة العليا للمجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا"، فساطو نيوز، 30 سبتمبر 2017. متاح على

الرابط التالي :

<https://www.libyaakhbar.com/libya-news/445049.html>

الأمازيغ بجانب قوات فجر ليبيا. وخلاف هذه المواجهات ضمن مفاعيل الحرب الأهلية الأولى عام 2011، والحرب الأهلية الثانية عام 2014، لم ينخرط الأمازيغ في صراعات السلطة ولعبة السيطرة على العاصمة، باستثناء العناصر المنتمجة للقوة الوطنية المتحركة. ويرى البعض أن إنشاء القوة الوطنية المتحركة والإبقاء عليها في العاصمة، ربما أتى بغرض إحداث نوع من التوازن وإثبات الحضور الأمازيغي بعد انسحاب المجالس العسكرية للمدن الأمازيغية من العاصمة⁶⁵.

ثمة وجهة نظر شائعة في الأوساط الأمازيغية، مفادها أن الأمازيغ لو انخرطوا في الصراع المسلح على السلطة بوصفهم أمازيغ (أي لو قرروا التداخل مع الصراع المسلح على السلطة وفق أجندة هوياتية وتحت الراية الأمازيغية)، فإن هذا الصراع كان سيفنيهم⁶⁶. في المقابل توجد وجهة نظر أخرى تستبطن المقولة الشهيرة « إذا أردت السلم فاستعد للحرب » ؛ وعلى هذا الأساس ينادي أصحاب هذا الرأي بضرورة الاستعداد لخيار المواجهة إذا ما فرضَ على الأمازيغ الدفاع عن هويتهم بقوة السلاح⁶⁷ ؛ وهو الرأي الذي أصبح يجد طريقه إلى أرض الواقع مع الإعلان عن تأسيس المجلس العسكري لأمازيغ ليبيا، وإن كان الأمر لم يتجاوز هذا الإعلان حتى الآن، حيث لم تظهر مؤشرات على وجود هذه القوات على أرض الواقع حتى نهاية عام 2017.

وتم طرح سؤال حول أهمية الخيار العسكري للدفاع عن المطالب الأمازيغية عند اللزوم، وفي حالة عدم حدوث انفراجة في تحقيق هذه المطالب، وأجاب على هذا السؤال 388 شخص، رأى 259 منهم، أي 66.8%، أن هناك ضرورة لتكوين قوات عسكرية أمازيغية، في حين اعتبر 97 شخص، أي 25%، أنه لا يوجد ضرورة لهذا الخيار، فيما اختار 32 شخص، أي 8.2% الإجابة بلا أعرف.

ولكن قبل الوصول لمرحلة الاستعداد لخيار الكفاح المسلح، يمكن العودة إلى نمط آخر من استخدام العنف على نطاق ضيق، وبعيداً عن العنف المسلح بصورته التقليدية ؛ والمقصود هنا هو العنف الشعبي أو عنف الجماهير الغاضبة. ومثال لذلك إغلاق خط النفط والغاز الذي يمر في مدينة نالوت، في 25 يوليو 2013، على خلفية ما اعتبره الأمازيغ تهمة شاملاً لهم من قبل المؤتمر الوطني في إعداد قانون الهيئة التأسيسية للدستور⁶⁸، على الرغم من إعلان المجلسين المحلي والعسكري للمدينة إعادة

65. حوار مع توفيق عياد الشقروني، مرجع سبق ذكره.

66. حوار مع أسماء عكة، مرجع سبق ذكره.

67. حوار مع عبد الله فوناس، مرجع سبق ذكره.

68. "ليبيا.. أمازيغ الجبل يغلقون خطاً نفطياً"، سكاى نيوز العربية، 26 يوليو 2013، متاح على الرابط :

<https://www.skynewsarabia.com/web/article/357120/libya-amazig-jabal-yaglaqon-khat-nafitiya>

فتحه تقدماً لـ « المصلحة الوطنية »⁶⁹، وقد تكررت حالات إغلاق مرافق النفط والغاز، فبخلاف أنه تم إعادة إغلاق خط الغاز السابق الإشارة إليه في 29 سبتمبر من ذات العام 2013، فهناك أيضاً حقلا البوري وبحر السلام في زوارة وحقل ريسون في أوباري. هناك أيضاً واقعة خروج المعتصمين الأمازيغ أمام مقر المؤتمر الوطني عن سلميتهم في 13 أغسطس 2013 وقيامهم باقتحامه وتخريب محتوياته⁷⁰.

وعلى أي حال فإن كافة هذه الوقائع ينظر لها البعض باعتبارها بمثابة سلوكيات متهورة ولا تمثل توجهات الشارع الأمازيغي⁷¹. وقد تم طرح سؤال « هل تؤيد إغلاق أنابيب النفط والغاز كأداة ضغط للاستجابة للمطالب الأمازيغية على غرار ما تم عام 2013 »، وأجاب على السؤال 389 شخص، عارض 239 شخص منهم هذا الخيار، أي 61.4%، فيما أيدته 105 أشخاص، بنسبة 27% من المستجيبين، وأجاب البقية بلا أعرف.

3 - إحياء المذهب الإباضي

على صعيد الإحياء المذهبي، شهد المذهب الإباضي اهتماماً محموداً من قبل مشايخ جبل نفوسة بعد الإطاحة بالقذافي، كجزء من عملية الإحياء الهوياتي التي يعيشها الأمازيغ. من المحطات الأولى كانت زيارة سفير سلطنة عمان في ليبيا إلى الجبل في أكتوبر 2011. وكانت سلطنة عمان قد قدمت مساعدات طبية وغذائية لليبيا أثناء الحرب الأهلية؛ كما أن مفتي عمان أحمد الخليلي كان له حضور متقطع على الساحة الليبية قبل الثورة.

أثناء الثورة قام شيوخ الأباضية الليبيين بإصدار فتوى بجواز الخروج على القذافي؛ ومن ثم تم توفير الإطار الشرعي للأباضيين للقتال ضد النظام. ومن المحطات البارزة كذلك كان تأسيس جمعية الفتح للدراسات الأباضية، وهي التي تعقد اجتماعاً شهرياً بين المشايخ والأئمة ومدراء فروع الجمعية والمدرسين والمهتمين بالشأن الإباضي. وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد مسجد في قلب العاصمة طرابلس بمنطقة غوط الشعال يتبع المذهب الإباضي.

يطالب الأباضيين الأمازيغ باعتماد المذهب الإباضي في التشريع ورد الاعتبار له وتعليمه واستخدامه في الإفتاء، وتعديل القانون رقم 15 لعام 2012 بشأن إنشاء دار الإفتاء، لكي يكون نائب المفتي أباضياً، وأن يشتمل مجلس الإفتاء علماء الأباضية،

69. المجلس المحلي نالوت، « بيان المجلس المحلي نالوت بخصوص الأحداث الأخيرة »، نالوت، 30 يوليو 2013.

70. «أمازيغ ليبيا يقتحمون مقر المؤتمر الوطني»، سكاى نيوز العربية، 13 أغسطس 2013، متاح على الرابط :

https://www.skynewsarabia.com/web/article/387653/أمازيغ-ليبيا-يقتحمون-مقر-المؤتمر-الوطني

71. حوار مع توفيق عياد الشقروني، مرجع سبق ذكره.

وكذلك اللجنة العلمية للمجلس، وأن يكون في كل مدينة رئيسية مفتي فرعي أباضي، وفي كل قرية مفتي محلي أباضي.⁷²

الجدير بالذكر أنه ليس كل الأمازيغ في ليبيا يعتنقون المذهب الأباضي، فهناك من يتبعون المذهب المالكي، ولذلك يرى البعض أن العامل القومي لدى الأمازيغ أقوى من تأثير العامل المذهبي الديني⁷³، ويلتقي هذا الرأي مع حقيقة وجود تيار علماني لا يكثر لتأثير العامل الديني. وخلال الاستبيان تم طرح تساؤل حول ما إذا كان المستجوب يتبع المذهب الأباضي، وأجاب على السؤال 375 شخص، منهم 226، أي 60.3% قالوا أنهم يعتنقون المذهب الأباضي، والبقية لا تعتنقه. وتم طرح سؤال آخر حول ما إذا كان الشخص يعتقد بوجود اضطهاد للأباضيين، وأجاب على السؤال 386 شخص، اعتبر 231 منهم، أي 59.8%، أن هناك اضطهاد يقع على الأباضيين، بينما رأى 75 شخص، أي 19.4%، أنه لا يوجد اضطهاد للأباضيين، وأجاب الباقي بلا أعرف. ويلاحظ هنا وجود ما يشبه التطابق بين من يعتنق الأباضية ومن يرى أن الأباضيين مضطهدين؛ وقد يعكس ذلك الشعور بعدم الرضا لدى معتنقي هذا المذهب في ليبيا.

وفيما يتعلق بالتوترات المذهبية، تجدر الإشارة إلى الفتوى المثيرة للجدل التي أصدرتها اللجنة العليا للإفتاء في يوليو 2017، التابعة للحكومة المؤقتة بمدينة البيضاء؛ حيث أفتت بأن الأباضية فرقة باطنية من الخوارج، ولديهم عقائد كفرية، ومن ثم فلا يجوز الصلاة خلفهم. وقد أثارت هذه الواقعة لغطاً كبيراً كان محل اهتمام وسائل الإعلام الدولية، وكانت محل استهجان واستنكار من قبل الكثير من المنابر الإعلامية والحقوقية والسياسية⁷⁴.

4 - محورية دور المرأة والشباب

انتقالاً لما يخص المرأة، فالمجتمع الأمازيغي في جبل نفوسة كان تاريخياً يتميز بتقدير مكانة المرأة، وهو ما انعكس في وجود عاملات وامتفقات في الدين كن مرجعية للتعلم وأخذ الفتوى، وهذا على خلاف الحال في مختلف بقاع العالم الإسلامي حيث مهنة الفتوى وتعليم العلوم الشرعية حكراً على الرجال. ومن أبرز العاملات الأمازيغيات

72. بشأن مطالب الأباضيين، يمكن مطالعة هذا فيديو بعنوان «أمازيغ ليبيا | جمعية الفتح للدراسات الأباضية». متاح على الرابط التالي :

<https://www.youtube.com/watch?v=QEw2wbE7zrA>

73. حوار مع هشام أحمدادي، مرجع سبق ذكره.

74. "إدانة واسعة لتكفير الإباضية من قبل لجنة إفتاء المؤقتة"، بوابة إفريقيا الإخبارية، 8 يوليو 2017. متاح على :

<http://www.afrigatenews.net/content/إدانة-واسعة-لتكفير-الإباضية-من-قبل-لجنة-إفتاء-المؤقتة>

في جبل نفوسة عبر التاريخ كل من العاملات الفاضلات نانا مارن، وبهلولة النفوسية، وأم يحيى (تكسليت)، وأم الخطاب، وزورغ الأرجانية، ونانا تابركانت السدراتية، وعافية (أم ماطوس)، وأم سحنون اللالوتية، وأم الربيع الوريورية، وأم جلدين النفوسية، وزينب اللالوتية، وغيرهن كثيرات⁷⁵.

في العصر الحديث، تأثر أمازيغ الشمال بعملية التحضر والتحديث المجتمعي التي قام بها نظام القذافي، بسبب الموقع الجغرافي وقربهم من العاصمة ووقوع مدنهم داخل إقليم طرابلس الذي استأثر بأغلب مخصصات التنمية، فضلاً عن الانخراط الكبير للمجتمع الأمازيغي بشكل عام في التطورات السياسية والمجتمعية التي شهدتها ليبيا خلال أنظمة الحكم المتعاقبة، ولم يتسم سلوكهم بالعزلة عن الشأن العام والتحويلات التاريخية والمجتمعية. ومن بين أبرز جوانب عملية التحديث التي قام بها القذافي هي تلك المتعلقة بالمرأة؛ فقد تم الاهتمام بتعليم الفتيات حتى المرحلة الجامعية، وإفساح المجال لهن للمشاركة في سوق العمل، وتم سن العديد من التشريعات المنصفة للمرأة بشكل عام في شؤون الزواج والأسرة، لا يوجد أي قيود على مشاركة المرأة في المناصب الكبرى في الدولة، حيث وصلت المرأة إلى منصب رئيس محكمة الاستئناف على سبيل المثال. كما أن القذافي قد بلغ به الأمر حد القيام بممارسات كانت محط سخرية في تمييزه الإيجابي للمرأة، حيث كان السياسي الوحيد في العالم تقريباً الذي يتخذ من النساء حرساً شخصياً له.

تفاعلت التقاليد الاجتماعية المقدّرة لمكانة المرأة مع عملية التحديث والتمدين التي قام بها القذافي بشكل عام وفيما يخص المرأة بشكل خاص، وكانت المحصلة أن أصبح المجتمع الأمازيغي يغيب عنه المشكلات التقليدية المتعلقة بالمرأة في كثير من المجتمعات القبلية المحافظة؛ بل وجعل المناطق الأمازيغية أقل تأثراً نسبياً بالتحويلات التي شهدتها الداخل الليبي نفسه بعد الثورة في صورة ردة عكسية فيما يتعلق بوضعية المرأة اجتماعياً، على خلفية ما شهدته ليبيا من مد سلفي وانتشار لحركات الإسلام السياسي وعودة أقوى لدور القبيلة في المجال العام، بكل ما تحمله القبيلة من موروثات وثقافة ذكورية.

عملياً، يشهد المجتمع الأمازيغي نشاطاً للعنصر النسوي. ويظهر ذلك في الفاعليات الكثيرة والمتعددة التي تنظمها منظمات المجتمع المدني، والتي تطلع الفتيات والنساء الشابات بدور تنظيمي كبير في هذه المناشط، حتى وإن لم تكن هذه الفاعليات تتعلق

75. لمزيد من التفاصيل عن سير هؤلاء العاملات، انظر :

محمد جرناز، مرجع سبق ذكره، ص 323 - 342.

بشكل مباشر بشؤون المرأة. كما أنه من اللافت أن النظام الأساسي للمجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا يقضي بأن تكون عضويته المنتخبة مناصفة بين الرجل والمرأة، من خلال عضو رجل وعضو امرأة يتم انتخابهم عن كل مدينة من المدن التي تتمتع مجالسها البلدية بعضوية المجلس الأعلى؛ والمدن التي لا تتمتع مجالسها البلدية بالعضوية يتم تمثيلها بمقعد واحد يجرى التنافس عليه انتخابياً بين الرجال والنساء على السواء.

الواقع العملي يشير إلى أن العنصر النسائي لم يتفاعل بشكل كامل مع هذا المنحى من المجلس الأعلى، حيث يوجد حالياً أربع عضوات منتخبات فقط في المجلس عن أربع بلدات أمازيغية، فيما توجد أربع بلدات أخريات لم تترشح عنهن أي امرأة، بالإضافة إلى أن بعض البلدات الأخرى لم تترشح لها إلا امرأة واحدة فازت بالمقعد المخصص للبلدة دون منافسة حقيقية. ويمكن، جزئياً، تفسير هذا الإعراض عن المشاركة الواسعة من قبل المرأة، بالإشارة إلى غلبة الهاجس الأمني الموروث من تجارب العمل السياسي في ظل حكم القذافي، بالإضافة إلى البيئة الأمنية المضطربة التي تشهدها ليبيا⁷⁶.

من بين أبرز المنظمات النسائية العاملة في ليبيا هي المنظمة المعروفة بـ«حراك النساء الأمازيغيات»؛ وهو حراك يضطلع بتنظيم عدد من الأنشطة التي تتفاعل من خلالها النساء والفتيات الأمازيغيات مع القضايا التي تمسهن ومع قضايا الشأن العام، مثل قضية وضع الدستور والنصوص المتعلقة بوضعية المرأة أو وضعية السكان الأصليين وحقوقهم الثقافية. كما يوفر الحراك ساحة للجدال والتداول الحر بشأن هذه القضايا من خلال منصته الإلكترونية على موقع فيسبوك. وهناك أيضاً «مركز المرأة» بمدينة يفرن، وهو مركز يعمل على تطوير قدرات المرأة، من خلال تنظيم عدد من الأنشطة، من أبرزها لقاء شهري بعنوان نساء ملهمات، يتم فيه تنظيم ندوة تتحدث فيها امرأة ناجحة عن نضالها ومسيرتها الحياتية؛ كذلك هناك حصة أسبوعية لإذاعة فيلم وثائقي عن النساء، بالإضافة إلى الأنشطة التدريبية في مجالات تعليم اللغة الانجليزية، والتكنولوجيا، ومهارات القيادة والإدارة، وتاريخ المرأة الأمازيغية، وقضايا الأمومة والطفولة. وهناك جمعيات أخرى، مثل جمعية 17 فبراير النسائية بجادو؛ وجمعية زرفان لحقوق المرأة والطفل بجادو أيضاً؛ وجمعية شمس الحرية؛ وغير ذلك الكثير.

بالانتقال إلى فئة الشباب، يمكن القول أن هذه الفئة لا يوجد ما يمكن اعتباره تمييزاً يتم بشأنها داخل المجتمع الأمازيغي، فمعظم الحراك الأمازيغي يقوم به الشباب، ومعظم أعضاء المجلس الأعلى ينتمون إلى المرحلة العمرية بين 30 و50 عام. وحتى في الكيانات التي قد يغيب عنها الشباب، فإن هذا لا يرجع لعوامل يمكن توصيفها باعتبارها تهميش لهذه الفئة، مثل مجالس الشورى والحكماء، وهي مجالس، بحكم

76. حوار مع أسماء عُكة، مرجع سبق ذكره.

طبيعتها، يكون هدفها تمثيل الفئات الأكثر خبرة في المجتمع ؛ وهذه المجالس على اتصال دائم بالمنظمات الأهلية والكيانات التي يغلب عليها التمثيل الشبابي. لذا فإنه لا مجال للحديث عن فجوة جيلية أو صراع جيلي داخل المجتمع الأمازيغي في ليبيا.

5 - انتعاش التعبير الفني والثقافي

على صعيد أنماط التعبير الفني فإن الفنانين الأمازيغيين ينشطون في مجالات الغناء والموسيقى والرسم وغير ذلك. فعلى صعيد الفن التشكيلي تم تأسيس اتحاد الفنانين التشكيليين لأمازيغ ليبيا ؛ وينشط الفنان التشكيلي يوسف سيفوا الغول في رسم العديد من الجداريات (الجرافيتي) المعبرة عن الهوية الأمازيغية ؛ كما ينشط في تنظيم بعض الفاعليات في مختلف المناطق الأمازيغية. وعلى صعيد إحياء الأزياء التراثية، هناك مهرجان الزي التقليدي الليبي الذي تشارك فيه مدن أمازيغية، وكذلك ثمة جهود ملموسة في الحفاظ على الآثار التاريخية في المدن الأمازيغية وترميمها بالشراكة مع هيئات وطنية ودولية ؛ وفي هذا الإطار تم إدراج عدد من الآثار التاريخية في كل من نالوت وغدامس ضمن قائمة التراث العالمي لدى اليونسكو ؛ وقد تم ذلك بجهود من السكان المحليين من دون تدخل مباشر من قبل النخب المتزعمة للحراك⁷⁷. وهناك أيضاً بعض المعارض، مثل معرض المقتنيات التقليدية الذي نظّمته جمعية زوارة للهوية والتراث في إبريل 2017، برعاية من المركز الليبي للثقافات المحلية، وهذا التعاون نموذج للشراكة بين الهيئات الحكومية والأهلية في رعاية التراث الثقافي الأمازيغي. وفيما يتعلق بالفاعليات والمهرجانات فوق الوطنية في منطقة شمال إفريقيا، يشارك الفنانين الأمازيغيين من ليبيا في، مثل مهرجان الأغنية الأمازيغية ومهرجان الفيلم الأمازيغي بالجزائر والمغرب.

ثانياً : تفاعلات أمازيغ الجنوب

بمناسبة الأحداث الجارية في ليبيا منذ 2011، أعاد امنغساتن إحياء التحالفات التقليدية مع الزنتان، التي انضمت إليهم في قتالهم ضد جيش القذافي منذ الأيام الأولى للصراع. وقد أجبر الصراع ضد القذافي العدوين التقليديين المتجاورين، وهما الزنتان وأمازيغ جبل نفوسة، على التقارب، بالرغم من أن حالة انعدام الثقة بين المجموعتين المتنافستين لم تتبدد تماماً بعد. وهذا التحالف الظرفي، بين المجموعتين المجاورتين والمتنافستين تقليدياً، حول الحرب ضد نظام القذافي، ألزم أيضاً توارق امنغساتن بالانضمام إليه بصفتهم الحلفاء التقليديين لأحد الطرفين.

من جانبهم، أبدى أمازيغ جبل نفوسة الرغبة في الخروج من عزلتهم التقليدية، التي دأبوا عليها بسبب مذهبهم الأباضي في سياق هيمنة المذهب المالكي الذي يمثل

77. حوار مع مادغيس مادي.

الأغلبية في ليبيا، وسياسة اللجان الثورية لنظام القذافي الذين كانوا معادين لهم. لقد حاول أمازيغ الشمال التقرب إلى التوارق الليبيين وتوارق منطقة الساحل الذين استقروا في البلاد، مركزين على العامل الذي يجمعهم أكثر وهو الهوية الثقافية الأمازيغية. لقد نظموا لأجل ذلك اجتماعين في مدينتي أوباري ونالوت تحت علمهم الموسوم بحرف «Z» في كتابة تيفيناغ، في أكتوبر 2011، لمناقشة بنود حلف جديد.

لكن التحالف بين توارق امنغساتن وأمازيغ الشمال له حدوده، بقدر ما يعتمد على موقف الزنتان الذين سوف يرون أي تقارب بين التوارق، حلفائهم التقليديين، وأمازيغ الشمال، منافسيهم الدائمين، كمحاولة من الأخيرين للولوج إلى الميدان السياسي الخاص بهم. ومع ذلك، فإن امنغساتن يحتاجون إلى التحالف مع أمازيغ الشمال لمواجهة نفوذ منافسيهم الآخرين الذين يمثلهم أوراغن وحلفائهم، ويمثل هذا التحالف فرصة لهم للنفوذ إلى الساحل، بما في ذلك العاصمة طرابلس، حيث أن هؤلاء الأمازيغ ممثلين تمثيلاً جيداً من الناحية العددية. وهذا التقارب الجديد بين امنغساتن وأمازيغ الشمال يمثل، بالرغم من كل شيء، انفتاح جديد لتوارق الصحراء الكبرى نحو أمازيغ شمال إفريقيا والعكس صحيح.

في رأي مخبرنا في الميدان، يمكن لهذا التقارب أن يؤدي إلى إعادة صياغة التحالفات التقليدية، ليس فقط داخل الجماعات الليبية، ولكن حتى خارجها، ليشمل توارق الصحراء والساحل، مما سيسهم بالتبعية في إدخال البعد الهوياتي للتوارق في تعريف الذات وعلاقتهم بالآخر. ولكن من المرجح بشكل عام أن يصطدم الطموح السياسي للأمازيغ بحقيقة أن التوارق الليبيين أنفسهم غير متجانسين، بالإضافة إلى صعوبة تجاوز التحالفات التقليدية مع العشائر الأخرى الناطقة بالعربية، التي لن تقبل أن تنضم إلى تحالف يكون أمازيغ جبل نفوسة طرفاً فيه. هذا بخلاف الانقسامات بين الساسة الأمازيغ أنفسهم، وفق ما يبدو من الخلافات التي عكستها تجربة المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا.

وبخصوص توارق الساحل، فيفضل دور الحماية الذي يقومون به تجاه المدنيين، فانهم بدأوا بالفعل في الاقتراب من التوارق الليبيين، بما في ذلك عشائر امنغساتن وأمازيغ جبال نفوسة، الذين لم يعودوا يؤاخذونهم على الدور الذي لعبوه في حصار مناطقهم أثناء الحرب. وهكذا، في هذه الحالة، والتي تمثلت في غياب تام للدولة، يكون هناك حاجة ماسة إلى قوة عسكرية كبيرة لأي عشيرة ليبية تصبو إلى أن يكون لها شأن في التوازنات السياسية بعد الحرب. ولذلك، فإن أمنغساتن، الذين لعبوا دوراً هاماً في الحرب ضد نظام القذافي، جنباً إلى جنب مع الزنتان وأمازيغ جبال نفوسة، أبدوا الرغبة في تعويض وزنهم العددي باستقطاب، منذ الأيام الأولى، مقاتلي الساحل الذين أصبحوا يتمتعون بسمعة طيبة كمقاتلين ومحاربين نشطاء ومهرة.

وبالتالي، يجب أن نشير إلى ظهور، في الوقت الحاضر بين أوساط التوارق الليبيين، خاصة الشباب من امنغساتن، خطاب هوياتي يشملهم، بل يتعداهم أحياناً إلى عموم الأمازيغ، مقابل خطاب هوياتي ذا اتجاه عروبي، بالرغم من صعوبة قياس نطاقه الفعلي وامتداده في الزمن. ويمكن أن يفهم ذلك على أنه رغبة لفرع امنغساتن على تقديم أنفسهم باعتبارهم «حملة راية» توارق الليبيين، بعد ضعف عشيرة أوراغن بسبب هزيمة حلفائها في الحرب.

وهكذا، في الوقت الحاضر، فإن غالبية التحالفات القبلية التقليدية للتوارق، مثلما رأينا أعلاه، تغيرت تماماً، وهي بصدد إعادة الصياغة بناءً على معطيات جديدة، مثل الصراع مع التبو والحضور القوي للإسلاميين ومسألة الهوية الثقافية، وقضايا وطنية أخرى تتعلق بطبيعة النظام السياسي، كالحكم الذاتي الإقليمي والفيدرالية أو حتى الانفصال.

في الواقع، فإن معظم القبائل المتحالفة تقليدياً مع التوارق، وعلى الرغم من ذلك، هي اليوم مساندة لحكومة الشرق في دعمها للتبو في حربهم ضد حلفاء السابقين، التوارق. ولكن هذا الدعم التكتيكي والمرحلي، الذي تفرضه الأحداث الجارية، لا يعني الانقطاع في الأخير في العلاقات التاريخية بين الطرفين الذين يتعايشان في الحيز الجغرافي نفسه. وهكذا، على الرغم من كل شيء، فإن غالبية كوادر التوارق، الذين هم ليبراليون ليست لهم نزعة إسلامية، لديهم ميول نحو الشرق لأسباب أيديولوجية، مثل حلفائهم السابقين. ولكن يجب الإشارة هنا إلى أن التوارق، وخاصة المقاتلون منهم، لديهم حساسية عالية إزاء قضية دعم التبو، الشيء الذي ساهم إلى حد كبير في دفعهم إلى أحضان الميليشيات الغربية.

وعلى الرغم من ذلك، ولأسباب إدارية مرتبطة بالمعيشة، فإن التوارق يكونون نوع من الاحترام لحكومة طرابلس. من بين هذه الأسباب الإدارية أن مقر إدارة هيئة الأركان العامة للجيش الليبي يقع في طرابلس، وهو ما جعل العسكريين منهم، الذين يرغبون في الحصول على رواتبهم، مرتبطين إدارياً بالعاصمة على الرغم من تفضيلهم للشرق. كذلك، فإن كون أن حكومة الشرق دعمت بصراحة التبو في حربهم ضد التوارق، في حين أن حكومة الغرب والميليشيات التابعة لها قد اعتمدت موقفاً وسطاً، جعل التوارق يميلون إلى الغرب.

إضافة لذلك، كان هناك تارقي بين نواب رئيس المجلس الرئاسي فايز السراج، وهو السيد موسى الكوني (وقد استقال من منصبه فيما بعد)، الذي يحظى ببعض الاحترام في أوساط توارق. والجدير بالذكر فإن موسى الكوني قد ذهب به الحال إلى أن أصبح رئيس المجلس الرئاسي لمدة أسبوع واحد في بداية سبتمبر 2016. وعلى الرغم من الثقة

التي يحظى بها في بعض الدوائر داخل مجتمع توارق، فان موسى الكوني ليس عضواً في التنظيمات الجديدة التي أنشأها التوارق.

بالإضافة إلى موسى الكوني، فان حكومة السراج تضم ضمن فريقها اثنين من شخصيات مجتمع التوارق، وهي وزيرة الشؤون الاجتماعية، فاضي منصور الشافعي والعقيد محمد لكرح، نائب رئيس الحرس الرئاسي. ووفقاً لمحدثينا في الميدان، فإن التوارق لم يحظوا بمثل هذا التمثيل الذي تحصلوا عليه في حكومة السراج، لا في زمن القذافي ولا في عهد الملك إدريس الأول؛ لذلك هناك من يرى أن هذه أسباب كافية لمنظمات المجتمع المدني للتوارق ليبدوا دعمهم لحكومة الوفاق الوطني.

كما أن السياسة الحالية المتسمة بالحياد، التي يحاول التوارق الالتزام بها، يبدو من الصعب التقيد بها في الظروف الراهنة، حيث تشهد ليبيا تغيرات عميقة، بما في ذلك محاولة المساس بالتوازن العرقي فيها. وما يزيد من صعوبة الحفاظ على هذا الموقف أن الأغلبية الساحقة من الألوية المسلحة للتوارق تتبع الميليشيات التي شاركت في عملية فجر ليبيا (والمقسمين بين دعم حكومة الوفاق الوطني المعترف بها أو حكومة الانقاذ)، الراضة صراحة للحكومة المؤقتة الداعمة لقوات خليفة حفتر في شرق البلاد. ومع ذلك، فإن سياسة الحياد، وهو ما يعني أن المنظمات الترقية ليست ملزمة بأن تساند أي طرف، تؤهلها لدعم حكومة الوفاق الوطني المدعومة من المجتمع الدولي.

ولذلك، فإن مع مجيء حكومة الوفاق الوطني للسراج، بدعم من الأمم المتحدة والمجتمع الدولي، يبدو أنه أعطى دينامية سياسية جديدة جعلت الخطوط تتحرك على المستوى الوطني والدولي، مما جعل التوارق يريدون الاستثمار في ذلك. وينبغي للمجلس الاجتماعي استيعاب هذا الوضع الجديد إذا كان يريد أن يوحد جميع القوى الحية من قاعدته الاجتماعية.

إن مولاي قديدي، رئيس المجلس الأعلى السابق، والنشط على الصعيد الإعلامي، يبدو أنه أول من عرف هذه الحقيقة. بأن الموقف المحايد لم يعد مقبولاً في ظل الظروف الراهنة، وهو ما دفعه إلى إعادة بعث منظمته القديمة على الرغم من أنها حلت في عام 2014، وحل مكانها المجلس الاجتماعي لحسين الكوني، الذي أصبح قديدي الناطق الرسمي له.

هذا ليس أول خروج من السرب بالنسبة لمولاي قديدي منذ أن شارك بالفعل في اجتماع القبائل الليبية في القاهرة، أيام 26، 27 و28 مايو 2015، حيث أدلى بعبدة تصريحات للصحافة، بصفته رئيس المجلس الأعلى، في حين قاطع المجلس الاجتماعي ذلك اللقاء، باسم سياسة الحياد التي ينتهجها. هذا الاشكال يدل على مدى صعوبة الحفاظ على موقف وسط في وضع سياسي يتغير بسرعة.

لكن إعادة تنشيط المجلس الأعلى، عن طريق رئيسه، يمكن أيضا أن يفسر من قبل البعض على أنه يمثل امتدادا، داخل التنظيمات الحديثة للتوارق، للقبطية الثنائية السياسية التقليدية بين امنغساتن وأوراغن، على الرغم من استقطاب عناصر جديدة من توارق الساحل، الذين يبدو أنهم أصبحوا يمثلون قضية تجاذب رئيسية بين القطين السياسيين التقليديين.

على الرغم من أن المجلس الأعلى معروف عنه قربة من برلمان وحكومة الشرق، ومع ذلك، سارع إلى الاعتراف بحكومة السراج، في بيان صادر عن رئيسه، مولاي قديدي، ربما لأن كان من بين أعضاء المجلس الرئاسي يوجد موسى الكوني، الذي ينتمي إلى عشيرة امنغساتن، التي تمثل القطب السياسي الذي ينتمي إليه مولاي قديدي. وكذلك، تجدر الإشارة إلى أن من المفترض أيضا أن يذوب أبو بكر ماخي، رئيس المجلس الاستشاري، في المجلس الاجتماعي الجديد، لكنه لا يزال يتحدث باسم منظمته القديمة، كما ثبت ذلك على وجه التحديد في اجتماع القاهرة، حيث جدد دعمه لبرلمان وحكومة الشرق.

دعم ماخي لبرلمان حكومة الشرق كان بسبب التحالف القائم بين بعض ميليشيات التوارق تحت امرة العقيد عيسى دودو، من عشيرة امقرغسن، المتحالف مع قوات الجزائر حفتر وماخي الذي ينحدر في حد ذاته من عشيرة المرابطين العربية، من فزان. وباختصار، تحول المجلس الاعلى إلى الغرب مع مجيء حكومة السراج، من أجل دعم موسى الكوني، بينما ما زال المجلس الاستشاري يحافظ على تحالفه مع قوات الجزائر حفتر ودعم حكومة الشرق، في حين يتبنى المجلس الاجتماعي موقفاً حيادياً، مع الميل نحو الغرب ودعم حذر للحكومة الجديدة.

أيضا، فقد ذهب رئيس المجلس الأعلى لقبائل التوارق إلى أبعد من الدعم السياسي لحكومة السراج عندما قال «علينا أن نعتزف بأن الوضع الصعب الذي بدأت فيه الحكومة عملها، خلال الأشهر الثلاثة الماضية، لم يسمح لها لتقديم نتائج ملموسة». وبشأن الأحداث الأمنية في جنوب ليبيا، أعلن مولاي قديدي أن هذه الأحداث ترتبط بحالة عدم الاستقرار العام الذي تعرفه كل البلاد. في الأخير، أعلن عن اجتماع لوجهاء الجنوب الليبي في الأيام المقبلة للتوصل إلى اتفاق لرفع الحصانة الاجتماعية عن المجرمين.

إن تصريحات مولاي قديدي المتعددة، باسم المجلس الأعلى، للتعبير عن المطالب السياسية للتوارق، والوضع الأمني في الجنوب وتوفير الدعم السياسي الصريح لحكومة السراج، في حين من المفترض أن مجلسه قد انصهر داخل المجلس الاجتماعي لحسين الكوني، تبين أن الهيكل الأخير لم يحقق الإجماع داخل التوارق. مولاي قديدي، الذي يشغل منصب الناطق الرسمي للمجلس الاجتماعي، كان بإمكانه الكلام من هذا الموقع؛ لكنه فضل إعادة تنشيط الهيكل القديم حتى يتمكن من توفير الدعم لموسى الكوني.

علينا أن نتذكر أن حسين الكوني، رئيس المجلس الاجتماعي لقبائل التوارق، هو من عشيرة أوراغن من قبل والده، ومن مكون إلمتين، من جهة والدته، مما يجعله منافساً سياسياً تقليدياً لموسى الكوني، الذي هو من قبيلة امنغساتن، بالرغم من أنه ابن عمومته. وفي الواقع، موسى، على الرغم من أن أبيه من أوراغن إلا أنه يعد من امنغساتن، من قبل والدته. مع العلم أن توارق الليبيين هم أموميين، فكون موسى الكوني ينحدر من أوراغن من أبيه لا يجعله ينتمي إلى هذه العشيرة.

ومن جانب آخر، فإن إعادة تنشيط المجلس الأعلى، عن طريق مولاي قديدي، من عشيرة افوغاس، الحليف التقليدي لامنغساتن، قد يفهم على أنه وسيلة لجلب الدعم السياسي الصريح لحكومة السراج، من خلال موسى الكوني، أحد أعضاء عشيرة امنغساتن، الدعم الذي لن يحققه له المجلس الاجتماعي. وفي نفس الوقت، يعد وسيلة للتوصل من الخط السياسي لحسين الكوني، رئيس المجلس الاجتماعي، الذي يحاول الحفاظ على موقف وسط بين الجزائر حفتر وطرابلس، مع إعطاء الأولوية للقضايا الداخلية في منطقة الجنوب لتوسيع قاعدته الاجتماعية وبناء الشرعية الشعبية له.

ولذلك، فإن إعلان مولاي قديدي، بخصوص لقاء منتظر بين وجهاء الجنوب، لوضع ميثاق اجتماعي جديد، هو وسيلة لتجاوز المجلس الاجتماعي لحسين الكوني، بهدف إنشاء كيان أكبر يشمل جميع قبائل جنوب ليبيا، وبالتالي تكون بمثابة قاعدة اجتماعية في الجنوب، لحكومة السراج الجديدة. ويمكن القول أن الخط السياسي المتبع من قبل المجلس الاجتماعي لقبائل التوارق، المولود الجديد من المحاولة الفاشلة لدمج المجلسين السابقين، وهما المجلس الاستشاري، لإبراهيم ماخي، والمجلس الأعلى لمولاي قديدي، لمعالجة القضايا الوطنية، لم يفقد أهميته.

في الواقع، بدأ الحديث، في هذه الأيام، لعقد اجتماع آخر حيث سيتم التباحث في كيفية حمل المجلسين الانفصاليين إلى التعقل، أو إذا تعذر ذلك، محاولة لتجاوز الهيئات الثلاث لإنشاء واحدة جديدة، وذلك برئاسة شخصية تكون محل إجماع. وهكذا فإن إسم اللواء علي كنا يرد في معظم الأحيان في المناقشات.

أيضاً، فإنه من الواضح أن إرادة توارق ليبيا للانضواء تحت لواء منظمة سياسية واحدة، تجمع حساسياتهم المتعددة، قد اصطدمت بواقع التركيبة السياسية والاجتماعية للقضية التقليدية بين امنغساتن مقابل أوراغن.

شرع المجلس الاجتماعي منذ نشأته في إجراء الاتصالات مع برلمان طبرق، حيث احتج رسمياً على بيان رئيس هيئة الأركان في حكومة الشرق، في 21 مارس 2015، عبد الرزاق الناضوري، الذي وصف فيه الحرب التي يقودها التبو ضد توارق، في الجنوب، « بالحرب ضد الإرهاب ».

هذا الاعلان جاء ردا على التحالف بين ميليشيات التبو وجيش حفتر، الذي يدعم حكومة الشرق. في الواقع، إن أهم المشاكل الرئيسية التي واجهت المجلس الجديد هو صعوبة توضيح موقف التوارق فيما يتعلق بدعم الإرهاب الذي غالباً ما يتهمون به، خاصة من طرف التبو وحلفاءهم السياسيين، وذلك كجزء من المنافسة الإقليمية بين الطائفتين، في الجنوب الليبي.

موقف حكومة وبرلمان الشرق، خلال هذه الزيارة، والذي يعتبر في صالح التبو، كان له وزنه في الميزان في ترجيح المجلس الاجتماعي لكفة حكومة طرابلس، والتي لعبت دورا هاما في المصالحة بين التبو والتوارق، فيما بعد. وبالفعل، فقد عقد المجلس الاجتماعي اجتماعه الأول في مدينة غات، في 31 مايو 2016، وذلك منذ إنشائه في عام 2014، أي بعد أكثر من عامين. وبعد اللقاء، أدلى رئيس المجلس الاجتماعي ببيان برنامجي أوضح فيه رؤيته فيما يتعلق ببعض القضايا الراهنة، على الصعيدين المحلي والوطني، والتي من بينها النقاط التالية :

- التأكيد على الوحدة الترابية لليبيا ورفض الإرهاب.

- مكافحة الهجرة غير الشرعية ؛ الحفاظ على الموارد الطبيعية للشعب الليبي.

- دعم لتعيين، من قبل قبائل فزان والجنوب، اللواء علي كنا وهو من توارق أوباري، قائدا للقوات العسكرية في المنطقة الجنوبية.

يبدو هذا البيان على أنه موجه لأولئك الذين يتهمون التوارق بالإرهاب، وتشجيع الهجرة غير الشرعية وبكونهم لديهم ميول انفصالية، بالرغبة في السيطرة والاستحواذ على الموارد الطبيعية، بما في ذلك نفط الصحراء. كما يظهر البيان، كذلك عزمهم على استعادة السيطرة على الأمن في المنطقة من خلال تعيين اللواء علي كنا، المكلف، في زمن القذافي، بجيش الجنوب والذي لا يزال يحظى بتقدير جميع الأطراف بفضل الكاريزما العسكرية التي يتمتع بها.

ولتأكيد حياده وإعطاء الأولوية للقضايا المحلية والوطنية، فإن المجلس الاجتماعي لم يشارك في مؤتمر القبائل الليبية الذي عقد في القاهرة، في 26 مايو 2015، والذي استنكر مبادرة الحوار الأممية في جنيف، بين الأطراف والتنظيمات السياسية الليبية. أيضا، فإنه من الضروري الاعتراف للمجلس الاجتماعي بالدور الهام الذي لعبه في التوقيع على اتفاق السلام الذي أنهى الحرب العرقية بين التبو وتوارق، في الدوحة، في نوفمبر تشرين الثاني عام 2015. كما لعب دورا لا يستهان به في توحيد صفوف توارق واستقطاب النخب والشخصيات البارزة، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين، بما في ذلك أتباع النظام السابق.

1 - التوارق الليبيون ومسألة الهوية الثقافية

بدأ النضال من أجل الهوية الأمازيغية في ليبيا خلال العقدين الماضيين من قبل نشطاء القضية الأمازيغية في المهجر، من خلال تأسيس المؤتمر الأمازيغي الليبي في لندن في عام 2000.

تأسس المؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي، بعد سقوط نظام القذافي، عقب اجتماعه الأول في 1 سبتمبر عام 2011، وهذا ما سيؤسس للوجود الرسمي، وللمرة الأولى، « القضية الأمازيغية » على الأراضي الليبية. وكنتيجة لإنشاء المؤتمر الوطني الأمازيغي، ظهور المطالبة بترسيم اللغة.

كان حملة هذا المطلب يتكونون خاصة من أمازيغ جبل نفوسة، الذين أرادوا توسيعه إلى المناطق الأمازيغية الأخرى من البلاد، بما في ذلك التوارق، للخروج من العزلة التي فرضها عليهم نظام القذافي.

لقد تطرقنا فيما سبق إلى محاولة أمازيغ الشمال، في الأيام الأولى من مرحلة ما بعد الحرب، الانفتاح نحو التوارق من أجل كسب التأييد لهذه المطالب، أثناء اجتماع أوباري، ولكن لم تلق هذه القضية الدعم المطلوب الا من بعض شباب التوارق.

عدم قبول مواد مشروع الدستور، الذي يعترف باللغة الأمازيغية كلغة رسمية إلى جانب اللغة العربية، ورفض المقترح من قبل مفتي ليبيا، الصادق الغرياني، جعل الطائفتين، التوارق وأمازيغ الشمال، يعتمدون استراتيجيتين مختلفتين، في مواجهة رفض، تحقيق مطالبهم، لمحاولة الدفع بها إلى الأمام.

في الواقع، لقد اختار الأمازيغ في الشمال المواجهة السياسية من خلال تنظيم، في يناير كانون الثاني عام 2014، بمساعدة من المنظمات الدولية لحقوق الأقليات، لقاء بعنوان « المؤتمر العالمي لحقوق الدستورية لأمازيغ ليبيا. » الفكرة الرئيسية من خارطة الطريق بعد مؤتمر الحقوق الدستورية، هي « عدم الاعتراف بكل من لا يعترف بنا. »

وخلافا لأمازيغ الشمال، فإن التوارق، مدركون في ذلك حقيقة وزنهم السياسي والاجتماعي الضعيف بكثير، فضلوا أن يتخذوا موقفا تصالحيا من السلطات الوطنية من أجل الاعتراف بمطالبهم، في محاولة لفصلها عن تلك التي يطالب بها مواطنيهم من أمازيغ الشمال. أن هذا الموقف أملاه، إلى حد كبير، وزن العلاقات المتعددة الجوانب التي نسجها التوارق عبر الزمن مع كثير من القبائل العربية، مثل الزنتان، التي تعتبر منافسة لأمازيغ جبل نفوسة.

على صعيد آخر، بالرغم من أن التوارق وافقوا على المشاركة في انتخابات الجمعية التأسيسية المكلفة بصياغة الدستور، فان تدهور الوضع الأمني حال دون التصويت في الجزء الجنوبي من البلاد الذي يعيشون فيه.

وفي هذا السياق، يجب أن نفهم بيان رئيس المجلس الأعلى لتوارق ليبيا، مولاي قديدي، الذي أصدره في 26 يوليو 2016، في اتجاه حكومة السراج الجديدة، قائلا: « ممثلو التوارق في لجنة صياغة الدستور، موافقون على ما تم تحقيقه من حيث الحقوق الدستورية في الدستور الجديد، لأننا مقتنعون بأنه من غير الممكن الحصول على أكثر من ذلك، في ظل الظروف الراهنة. أن التوارق قاموا بتضحيات وتنازلات لمصلحة ليبيا وليس لإرضاء أي طرف. »

ولكن، وبغض النظر عن الرغبة في فصل مطالبهم الهوياتية عن الأمازيغ الآخرين في ليبيا، فإن هذا البيان يعبر أيضا عن الدعم السياسي الذي ينوي المجلس الأعلى لقبائل توارق في ليبيا أن يقدمه لحكومة السراج، نظرا لوجود موسى الكوفي ضمن أعضائه.

يجب الإشارة إلى أن، على الرغم من أن هناك العديد من جمعيات التوارق التي تحمل مطالبهم الاجتماعية والثقافية، غياب نخبة مثقفة ومشبعة بقضية المطالبة الأمازيغية عند التوارق، قادرة على حمل القضية الثقافية واعطائها بعدا أوسع جعل مطالبهم تذوب في متاهات المداهنات السياسية للذين يدعون تمثيلهم. كذلك، فقد فشلت هذه القيادات في إعطاء هذه المسألة ملامح واضحة يفهمها التارقي العادي حتى تحقق الدعم الشعبي الكافي لتشكيل عامل وحدة بين كافة أمازيغ ليبيا.

أيضا، فإن كل النخب السياسية الحالية للتوارق قد انخرطت، بشكل أو بآخر، في النظام القديم للجان الثورية المعادي لأي خصوصية ثقافية أو عرقية في ليبيا. وهذا يعني أن مسألة الهوية لا تزال في مراحلها الأولى عند التوارق الليبيين في حين أن الأمازيغ الآخرين قد اكتسبوا التجربة في مجال النضال الطويل من أجل الهوية ضد اضطهاد القذافي وخوضهم تجربة المنفى.

خاتمة

استعرضت الدراسة أوضاع المكون الأمازيغي في ليبيا، بشقيه الرئيسيين شمالاً وجنوباً، من خلال تقديم تغطية شاملة لطبيعة الوضع الديموغرافي والانتشار الجغرافي، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، واستعراض جذور وتطورات القضايا المرتبطة بهم؛ ثم انتقلت الدراسة إلى التطرق تفصيلاً إلى تغطية مختلف الفاعلين التقليديين والجديد، وكيفية تفاعلهم مع التطورات التي شهدتها ليبيا منذ 2011، للتعرف على تأثير التغيير الذي حدث على الساحة الليبية بشكل عام على أوضاع الأمازيغ بشكل خاص.

انطلقت الدراسة من حقيقة أن الوجود الأمازيغي في ليبيا ينقسم إلى جناحين رئيسيين شمالاً وجنوباً، تخضع أوضاع كل منهم لسياقات ومؤثرات تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية على درجة كبيرة من التباين. وكانت الفرضية الرئيسية هي أن طبيعة التطورات السياسية في ليبيا منذ 2011 قد خلقت واقعاً جديداً يسمح بتحقيق مكاسب أكبر للحركة الأمازيغية، التي نجحت بشكل كبير في التمهيد مبرونة مع هذه التغييرات ومواكبتها؛ غير أن التغييرات في بيئة الحراك تظل غير ذات علاقة بعوامل الانقسام التاريخية بين شطريّ الوجود الأمازيغي؛ ومن ثم فإنه بصرف النظر عن حجم المكاسب التي ستتحقق للأمازيغ في المدى المنظور، لكن لن يكون من بينها القضاء على الانقسام القائم.

من خلال مختلف محاور الدراسة، تبين مدى التباين بين محددات تطور أوضاع أمازيغ الشمال والجنوب، وهو ما يتبين على صعيد الفاعلين وعلى مستوى التفاعلات أيضاً، حيث أخفقت محاولات التقارب بين بعض الأطراف الفاعلة على الجهتين، فضلاً عن عدم التمكن من خلق إطار مؤسسي للتمثيل المدني، مثل المحاولة المبتسرة للمؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي، الذي عقد أحد فاعلياته في أوباري، قبل أن يتفكك هذا الكيان لصالح كيانات جمعوية أخرى تأسست فيما بعد.

بالنسبة لأمازيغ الشمال يبدو جلياً الانقسام بين نهج راديكالي يتبناه قطاع رئيسي من النخب المتصدرة لبلورة الخطاب النضالي الأمازيغي، وبين قطاع آخر من النخب السياسية المنخرطة في الممارسة السياسية بالمعنى الأوسع. التيار الأول يميل إلى نزع أي شرعية عن أي ترتيبات لا تحقق السقف الأعلى لمطالبهم، في حين أن التيار الثاني

ينتهج مسار أكثر برجماتية، سواء في اعتداده بالمسألة الأمازيغية بشكل عام، أو حاكمية التطلعات الشخصية لممارسة دور سياسي. وبين هذا وذاك، لم يُختَبَر الشارع الأمازيغي بعد، وإن كان صمته حتى الآن يصلح مؤشراً على شيوع حالة من الحذر تمنعه من الإنجرار وراء مغامرات سياسية غير مأمونة العواقب في ظل هكذا بيئة تتسم بالسيولة السياسية والأمنية والصعوبات المعيشية الجمّة.

تشير محصلة سبع سنوات من عمر الحراك إلى أن سياسية وضع العصا في العجلة التي ينتهجها التيار الراديكالي لم تثمر الكثير الذي يبرر جدوى التمسك بها، وهو ما عكسته نتائج الاستبيان الذي تضمنته الدراسة الحالية، بشأن الموقف من سياسات مقاطعة العملية السياسية والانسحاب من الكيانات السياسية القائمة، وتقييم مسار الحراك والمؤسسات الفاعلة بداخله، فضلاً عن الانقسام بين أفراد التيار الراديكالي أنفسهم.

على صعيد آخر، فإن النهج البرجماتي يبدو أنه يحقق نتائج ضئيلة، قد لا تكون بالأساس نتاج جهد المحسوبين على هذا التيار، بل يمكن اعتبار أن أية مكاسب متحققة هي محصلة للضغوط التي يمارسها التيار الأكثر تشدداً، الذي يتبع أحياناً سياسية حافة الهاوية والدفع باتجاه التأزيم، لكنه لا يرضى عن أي نتائج متحققة، والتي يقوم بالبناء عليها التيار البرجماتي. ونشير إلى التقدم المتحقق دستورياً وقانونياً على صعيد التعامل مع الأمازيغية كلغة وطنية، والإلتزام بالعمل على حماية الثقافة الأمازيغية وتنميتها.

على الرغم من أن الخط الثابت لدى غالبية النخبة السياسية الليبية من غير الأمازيغ، في تعاملها مع المطالب الأمازيغية، هو إبداء أكبر قدر من التجاهل وعدم الاكتراث، لاسيما في ظل تعدد قضايا الصراع التي تفرض نفسها على المشهد السياسي؛ إلا أنه تجدر الإشارة كذلك إلى البرجماتية المضادة التي تظهر لدى بعض السياسيين في التعامل مع المسألة الأمازيغية، والتي تدفعهم نحو مزيد من التفهم والمرونة في التعامل مع المطالب الأمازيغي؛ وهي البرجماتية التي تتكامل مع جهود التيار البرجماتي المحسوب على الأمازيغ، وقد تصلح للبناء عليها على المدى القصير.

يمكن القول أن هذه البرجماتية مدفوعة بعاملين؛ العامل الأول هو الوعي بمخاطر استفحال المشكل الأمازيغي، وتطوره في اتجاه يخلق أزمة اندماج وطني⁷⁸، لاسيما مع بدء انتشار بعض الأصوات الشاردة والمتهورة المطالبة بالانفصال، وصدور القانون رقم (1) عن المجلس الأعلى للأمازيغ، والذي يعد، بشكل أو بآخر، تعبيراً عن أصحاب هذا

78. لمزيد من التفاصيل حول مخاطر تفاعل الحراك الأمازيغي مع المؤثرات الأخرى في البيئة السياسية الليبية، بشكل قد ينعكس على الاندماج الوطني في ليبيا، انظر :

بلال عبد الله، الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية: بين إمكانات التكيف وأزمة الاندماج الوطني (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة دراسات استراتيجية، عدد 197، 2014)، ص 50 - 78.

الاتجاه المتشدد ؛ والعامل الثاني هو الرغبة في الاستغلال السياسي والانتخابي للصوت الأمازيغي، وهو ما يظهر في مواقف بعض السياسيين من أمثال محمود جبريل أو عارف النايض أو غيرهم.

أما عن أمازيغ الجنوب، فإن الاحلاف والعهود التي عقدها التوارق الليبيين مع القبائل الأخرى قد عمقت الانقسام إلى فرعين متنافسين داخل سلطنة كيل أجر. ولقد دفعت امنغساتن من الانعتاق من وصاية أوراغن ليتقربوا إلى جيرانهم، الزنتان، المنافسين التقليديين لهذه الأخيرة. ومع ذلك، تم تعزيز التحالف التقليدي بين امنغساتن والزنتان خلال الحرب، من خلال دمج عنصرين جديدين في الحلف بينهما وهما أمازيغ جبل نفوسة وتوارق منطقة الساحل الذين استقروا في ليبيا.

أما بالنسبة لأوراغن، على الرغم من هزيمة حلفائهم، فهم يتابعون بحذر، من معقلهم التقليدي البعيد في منطقة غات، تطور الوضع الأمني والسياسي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أراضي أوراغن تقع خارج منطقة الحرب وبالتالي لم تطالها ضربات طيران الحلف الأطلسي. أيضا، قربها من الحدود الجزائرية، موطن قبائل التوارق في الجزء الجزائري من منطقة أجر يتيح لهم مجالا للهروب إذا اقتضى الأمر.

وهكذا فإن النضال ضد نظام القذافي، والذي تم على أساس التحالفات العشائرية، في حين ساهم في اتساع الفجوة بين القطبين التقليديين في سلطنة أجر، فإنه يسمح في نفس الوقت للتعرف على الاستراتيجيات المتبعة من قبل توارق للانخراط في النظام السياسي الذي سيبرز بعد الأزمة.

وعموما، فإن الآثار المترتبة عن انخراط التوارق في الصراع الليبي، يمكن حصرها في اتجاهين، على الأقل ؛ الأول هو اتجاه تقارب أكبر بين التوارق الليبيين مع التوارق الآخرين في بلدان الساحل والصحراء، كنتيجة لدمج توارق الساحل المستقرين في ليبيا منذ السبعينات في النسيج الاجتماعي لقبائل التوارق المحلية ؛ والثاني سيكون اتجاه دينامية سياسية أكبر من قبل التوارق للتموقع في ليبيا بعد الحرب. أيضا فإنه إذا نجحت محاولات التقارب الجارية بين أمازيغ الشمال والتوارق، حول مسألة الهوية، بشكل يمكن التعويل عليه، فسوف تستفيد بالتأكيد من الدينامية الثقافية لتوارق منطقة الساحل الذين هم أكثر استجابة للخطاب الهوياتي من إخوانهم الليبيين.

في الواقع، أن توارق الساحل لديهم حرية ومرونة أكبر لربط علاقات أكثر استدامة مع أمازيغ الشمال، بحيث أنهم ليسوا ملزمين من قبل التحالفات السياسية السابقة، بالإضافة إلى أن أمازيغ الشمال يعترفون لهم بحقوقهم في الحصول على الجنسية الليبية. ونتيجة لذلك، من دون الحاجة إلى التنبؤ له بمستقبل مجيد، فإن التحالف بين

امنغساتن وأمازيغ جبال نفوسة وتوارق الساحل المستقرين في ليبيا، يمكن أن تكون له آثاره، حتى وان كانت محدودة، على إعادة الهيكلة المستقبلية للحقل السياسي والتحالفات التقليدية في ليبيا وخارجها، على مستوى مجتمع توارق بكامله وعلاقته بالمجتمعات الأخرى في منطقة الساحل والصحراء ؛ وبالتالي، فإن التوارق الليبيين قد يصبحون، في الوقت المناسب، حلقة وصل في شبكة جديدة من العلاقات التي تمتد من جبال نفوسة لتتوسع إلى التوارق الآخرين من دول الساحل والصحراء من خلال الدينامية الثقافية والسياسية لتوارق «اشومار» المستقرين في ليبيا.

عموما، سمحت ثورة 17 فبراير في ليبيا للتوارق بالبروز للمرة الأولى ككيان أمازيغي بارز، ومحاولة خوض تجربة صعبة لميلاد نواة من المجتمع المدني، على الرغم من الارتباط القوي بالنظم التقليدية. ومع ذلك، حتى وان انخرطوا في البعد الأمازيغي في ليبيا، فان التوارق حريصون على ابراز الخصوصيات الاجتماعية والثقافية التي تميزهم عن غيرهم من مكونات الشعب الليبي. أيضا، وفقا لبعض النخب، فان التوارق، نظراً لتاريخهم الاجتماعي المختلط، والنطاق الجغرافي الذي يجعلهم في اتصال مع كل من البحر الأبيض المتوسط والساحل الأفريقي، يشددون على أهمية وعمق العلاقات المتعددة الأوجه مع القبائل العربية في ليبيا.

البيليوغرافيا

- Wolfram Lacher and Ahmed Labnouj, *Factionalism resurgent : The war in the Jabal Nafusa, in The Libyan revolution and its aftermath*, Peter Cole and Brian Mcquinn ed, New York : Oxford university press, 2015. Pp. 257-284.
- محمد أحمد جرناز، سير ومؤلفات الأمازيغ الليبيين القدامى والمعاصرين، دار الرواد، طرابلس، 2017، ص ص 107-261.
- مصطفى عمر التير، أسئلة الحداثة والانتقال الديمقراطي في ليبيا : المهمة العصية، منتدى المعارف، بيروت، 2013.
- مصطفى عمر التير، صراع الخيمة والقصر : رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي، منتدى المعارف، بيروت، 2014.
- سعد الدين إبراهيم (إشراف)، الملل والنحل والأعراق، مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية، التقرير السنوي الثامن، القاهرة، 2005، ص ص 99-97.
- يوسف محمد جمعة الصواني، ليبيا : الثورة وتحديات بناء الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص ص 184 - 187.
- بلال عبد الله، الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية : بين إمكانات التكيف وأزمة الاندماج الوطني، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة دراسات استراتيجية، أبو ظبي، عدد 197، 2014.
- Kim Lee, *The Amazigh's Fight for Cultural Revival in the New Libya : Reclaiming and Establishing Identity Through Antiquity*, Seattle Journal for Social Justice, Vol. 11, Iss. 1.
- Marissa Cramer, *The Amazigh Question in Post-Gadhafi Libya*, April 2014. available at : https://www.academia.edu/10806852/The_Amazigh_Question_in_Post-Gadhafi_Libya_April_2014.
- Jesse Brent, *Berber Consciousness & Resistance : From the Algerian Berber Spring to the Libyan Berber Revolution*, BA Thesis, Wesleyan University, College

- of Letters, The Department of Romance Languages and Literatures, 2013.
- محمد أحمد أبوصوة، جدلية المجال والهوية : مدخل لتاريخ ليبيا العام، دار الرواد، طرابلس، 2012، ص ص 210 - 229.
- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر : دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية، عالم الفكر، المجلد 32، العدد 4 إبريل - يونيو 2004، ص 141 - 198.
- أدرار نفوسة (إبراهيم قرادة)، الأمازيغية في ليبيا : التقرير الدوري الأول للمؤتمر الليبي للأمازيغية، 16 إبريل 2002 - 15 إبريل 2003، المملكة المتحدة، ميدلسكس، 2003، ص 12.
- Duveyrier, H : *Les Touareg du Nord*, Edit. Challamel Ainé, libraire-éditeur, Paris, 1864.
- Badi, D., *Les Touaregs du Tassili n Ajjer : Pour une lecture de la structure sociopolitique touaregue*, 2015.
- Dir. Hafid Hamdi-Cherif and Abderrahman Moussaoui, *Communauté, communautaire, communautarisme*, Revue « Naqd », Revue d'études et de critique sociale n°32, the University of Algiers. <http://www.cairn.info/revue-naqd.htm>.
- Badi, D., *Les régions de l'Ahaggar et du Tassili n'Azjer : réalité d'un mythe*. ANEP, Alger, 2004. Pp.222.
- Badi, D., *Genesis and Change in the socio-political Structure of The Tuareg*, 2010.
- Badi, D., *Les Touaregs du Tassili n Ajjer : Mémoire collective et organisation sociale*. Mémoire du Centre Nationale de Recherches Préhistoriques, Anthropologiques et Historiques d'Alger, nouvelle série n°17. 269 pages. Edit. CNRPAH, Alger, 2012.
- Bart, H. (1858) : *Travels and discoveries in North and Central Africa, 1849-1855*, 5 vol. Longman, Brown, Green, Longmans and Roberts, London, 1858.
- Kohl I., *Tuareg moving transregional or strategies of avoidance and accommodation*, in Kohl, Ines/Anja Fischer (eds.), *Tuareg Moving global. Social Anthropological Aspects of Saharan Life in Transition*, Vienna, 2007.
- بلال عبد الله، الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية : بين إمكانات التكيف وأزمة الاندماج الوطني، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة دراسات استراتيجية، عدد 197، أبو ظبي، 2014، ص ص 50 - 78.

أمازيغ مصر :

عزلة جغرافية وقلّة ديموغرافية أمام دولة مركزية قوية

هاني الأعصر

بلال عبد الله

الفهرس

- 303..... تهييد
- 304..... أسئلة الدراسة
- 305..... فرضية الدراسة
- 305..... العمل الميداني
- 305..... المبحث الأول : المجتمع الأمازيغي ... التاريخ والسمات
- 305..... المطلب الأول : الجغرافيا والتاريخ
- 305..... أولاً : المجتمع الأمازيغي... عزلة جغرافية
- 308..... ثانياً : تاريخ المجتمع الأمازيغي في مصر
- 310 المطلب الثاني : قلة ديموغرافية وخصوصية ثقافية
- 312 سيطرة النظام العربي والمربوعة
- 313 وضعية المرأة السيوية... عزلة مضاعفة وتحسن طفيف
- 315 الزواج والطلاق... التخلي عن تقاليد الماضي
- 316 الزي الشعبي... خصوصية مقتبسة
- 317 الأعياد والمناسبات... اختلاط الديني بالمجتمعي
- 318 طقوس الميلاد ودفن الموتى... تشبث واضح بالموروث الثقافي
- 319 الحالة الدينية... من التصوف إلى السلفية
- 320 المطلب الثالث : اقتصاد المجتمع الأمازيغي في مصر
- 320 أولاً : الزراعة... النشاط الرئيسي لأهل الواحة
- 321..... ثانياً : الصناعة... نشاط واعد
- 321 ثالثاً : السياحة في سيوة... ثراء غير مُستغل

- 322 رابعاً : الاقتصاد غير الشرعي.. ارتباط بجغرافية الحدود
- 323 خامساً : الجيش كفاعل اقتصادي رئيسي
- 324 المبحث الثاني : المجتمع الأمازيغي... الفاعلون والمطالب
- 324 المطلب الأول : الفاعلون الاجتماعيون
- 324 أولاً : الفاعلون الاجتماعيون التقليديون
- 324 1 - مشايخ القبائل... نفوذ راسخ
- 326 2 - شيوخ المساجد... حضور لا يتجاوز الشرع
- 327 3 - القيادات العسكرية والأمنية... مندوبي السلطة المركزية
- 328 ثانياً : الفاعلون غير التقليديون (الجدد)
- 331 المطلب الثاني : مطالب المجتمع الأمازيغي
- 332 أولاً : مطالب الفاعلين الاجتماعيين التقليديين
- 333 ثانياً : مطالب الفاعلين الاجتماعيين الجدد
- 335 المبحث الثالث : أنماط وأدوات التعبير في المجتمع الأمازيغي
- 335 المطلب الأول : أدوات التعبير عن المطالب
- 337 الحزب الحاكم (الحزب الوطني الديمقراطي-حزب الحرية والعدالة)
- 338 اتجاهات التصويت... ميل واضح للدين والدولة
- 339 الإعلام... إستغلال أمثل للتعبير عن المطالب ورفع المطالم
- 340 المطلب الثاني : أدوات التعبير الثقافي والتعبير عن الرأي
- 340 أولاً : الفاعليات الثقافية والفنية
- 341 ثانياً : دور العبادة... تتجاوز الدور الديني
- 342 ثالثاً : وسائل الإعلام
- 342 1 - الصحف والفضائيات - صُنَاع الأفلام الوثائقية
- 344 2 - مواقع التواصل الاجتماعي
- 345 المطلب الثالث : المطلب الهوياتي (المسألة الأمازيغية)
- 347 خاتمة
- 349 البيبليوغرافيا

تمهيد

لا يمكن الحديث عن وجود مسألة أمازيغية في مصر بذات الكيفية الموجودة في كل من المغرب والجزائر أو حتى ليبيا، ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل، لعل أبرزها هو العدد الضئيل جداً للمصريين الناطقين بالأمازيغية. وعلى الرغم من خفة الوزن السكاني على هذا النحو، والذي يكاد يمثل حجم ميكروسكوبي قياساً بإجمالي تعداد الشعب المصري، إلا أن هذا الوجود الأمازيغي لم يتعرض إلى سياسات قهرية تهدف إلى الطمس القسري للهوية الثقافية الأمازيغية، على الرغم من الطابع العروبي الهوياتي السائد لدى الدولة المصرية، فضلاً عن النزعة المركزية المهيمنة في إدارة الدولة، والتي ينجم عنها مزيد من التهميش أو الاستبعاد إزاء قاطني المناطق الطرفية في مصر.

هذه الحماية التي تمتعت بها الهوية الثقافية للسكان الأمازيغ يمكن تفسيرها بثنائية الفصل والوصل المميزة لواحة سيوة التي يقطن فيها أمازيغ مصر. حيث تقع واحة سيوة في قلب الصحراء الغربية، من دون وجود اتصال بشري بالمناطق الحضرية التي تبعد مئات الكيلومترات، فأصبح كلا الطرفين، أي الواحة والدولة المصرية، يقع خارج حسابات الآخر. من جهة أخرى، فإن الطابع السياحي المميز للواحة، والذي يحتل مكانة محورية في نشاطها الاقتصادي، جعل التواصل بين قاطنيها وبين الوافدين عليها يقع في إطار استشرافي، تكون معها الخصوصية الثقافية أحد عوامل الجذب الرئيسية، سواء في المعمار أو الملابس أو الفنون اليدوية أو الغناء أو الرقص أو الحكايات المروية شفاهة.

بذلك فإنه لم يكن هناك معنى لبروز المطلب الثقافي الأمازيغي، في مقابل إلحاح الاحتياجات الخدمية التنموية، التي تتشابه فيها مطالب أهل الواحة مع مطالب كثير من الجهات المفقرة في قرى ونجوع مصر، شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً. وعلى صعيد آخر، كانت الحركة المدنية في مصر تشهد تطوراً مطرداً منذ بداية القرن الحالي؛ وتمثل ذلك في حدوث طفرة كمية وكيفية في حضور منظمات المجتمع المدني ودورها في المجال العام، مما أدى إلى إنعاش الخطاب الحقوقي، بأبعاده الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإنسانية. وهذا التطور المتصاعد في الحركة المدنية أدى إلى بزوغ المسألة الأمازيغية على استحياء، في صورة بعض الأصوات الخافتة لعدد من الحقوقيين المصريين في القاهرة، وبمعزل عن الحركة الداخلية للمجتمع السيوي في الغالب.

أت الانتفاضة الشعبية التي أفضت إلى الإطاحة بحكم الرئيس السابق حسني مبارك في فبراير 2011، لتمثل نقطة تحول على صعيد إمكانية التلاقي والربط بين المسار الذاتي للمطالب الخدمية التقليدية للمجتمع السيوي الأمازيغي، والمسار الثقافي الحقوقي الذي يتبناه بعض أفراد النخب المدنية في القاهرة. ويمكن القول أن إمكانات هذا التلاقي أتت على وقع بعض المحركات السياسية، يأتي على رأسها قضية التغيير الدستوري، ومن ثم تمثيل «الأقليات» داخل هيئة كتابة الدستور لإيصال صوتهم والتعبير عن مطالبهم؛ وكان المحك الثاني متعلقاً بقضايا الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، والتي ترتبط بعدة قضايا أخرى لازالت محل جدل، مثل تنمية المناطق المهمشة، أو الأخذ باللامركزية الإدارية، وغير ذلك من قضايا.

أسئلة الدراسة

تهدف هذه الدراسة بشكل رئيسي إلى التعرف على أوضاع المصريين الناطقين بالأمازيغية والذين يعيشون بواحة سيوة، وكذا طبيعة الحراك المدني المرتبط بالمسألة الأمازيغية لدى النخب الحقوقية في القاهرة من جهة أخرى، وإلى أي مدى أدت التغيرات السياسية البادئة في يناير 2011، والتي تأتي في إطار ما يطلق عليه «الربيع العربي»، إلى إحداث تحول في طبيعة العلاقة بين المسارين، بغرض التحقق من إمكانات وجود «ربيع أمازيغي» في مصر، على غرار الازدهار الذي أحدثه الربيع العربي في المسألة الأمازيغية داخل دول الشمال الأفريقي.

ولتحقيق هذه الغاية فقد باتت ضرورياً على الدراسة أن تشتبك مع عدد من الأسئلة الفرعية؛ لعل أبرزها:

- ما هي طبيعة المطالب التي ينادي بها أمازيغ سيوة؟
- ما هي طبيعة المشاركة السياسية لسكان سيوة؟ وكيف ينظرون إلى الأصوات الحقوقية التي تتبنى القضية الأمازيغية، وما هو مستوى التنسيق المتحقق؟
- كيف تقوم وسائل الإعلام بتناول قضايا سيوة؟ وما هي طبيعة الإشكاليات التي يتم إبرازها دون غيرها؟
- ما هي أبرز أنماط التعبير الثقافي والفني لدى أبناء الواحة؟
- ما هو دور المرأة في الحراك المجتمعي داخل الواحة؟ وهل ثمة قيود على هذا الدور بفعل الطابع القبلي الذكوري المحافظ؟
- هل يوجد دور مميز للفئات الشابة داخل المجتمع الأمازيغي في مصر؟ أم أن التراتبية القبلية والعمرية تفرض سقفاً منخفضاً على وجود دور بارز للشباب؟

فرضية الدراسة

تسعى الدراسة إلى التحقق من فرضية رئيسية، مفادها أن ثمة عوائق ذاتية وموضوعية تحول دون اختمار وجود حراك أمازيغي قوي في مصر، شبيه بما يجري في بقية دول شمال إفريقيا؛ وعلى الرغم من قوة الدفع النظرية وشديدة المحدودية التي قد تكون اكتسبتها المسألة الأمازيغية بشكل غير مباشر على وقع التغيرات السياسية الحادثة منذ عام 2011، إلا أن عوامل الكبح تظل أقوى بكثير من قوة الدفع هذه؛ ومن ثم فإن فرص نضج الحراك الأمازيغي تظل ضئيلة على المدى القصير.

العمل الميداني

بالإضافة إلى الأدبيات التي اتسمت بالندرة والمواد الصحافية والإعلامية التي تناولت تاريخ الواحة وأحوالها وأحوال سكانها؛ قام فريق العمل بإجراء زيارة ميدانية لواحة «سيوة» استمرت لمدة أسبوع؛ رصد خلالها مظاهر العيش بالواحة وأحوال سكانها، كما ألتقى خلالها عدداً من شيوخ القبائل والأهالي والوافدين للعمل بالواحة، لاستطلاع شهاداتهم بشأن الأسئلة التي سعت الدراسة للإجابة عليها عن طريق مقابلات شخصية معهم.

المبحث الأول : المجتمع الأمازيغي ... التاريخ والسمات

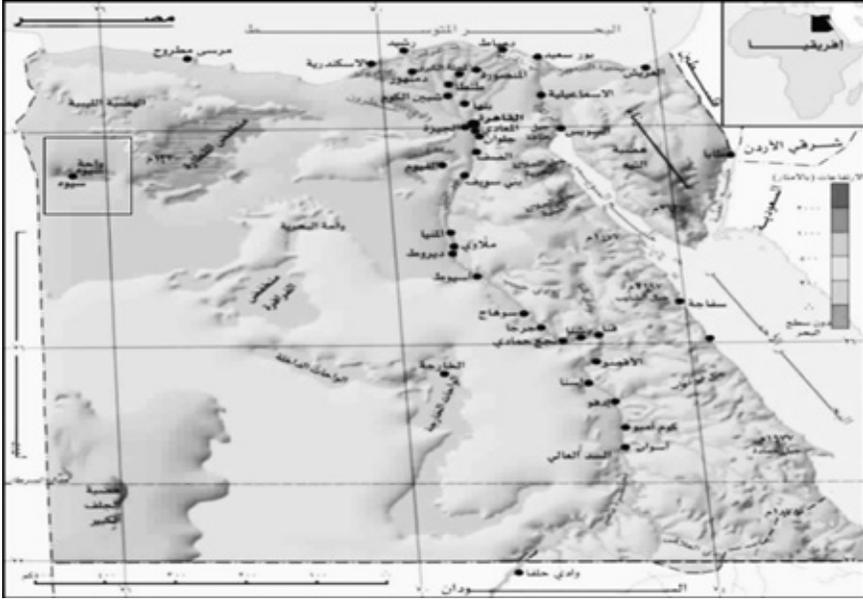
المطلب الأول : الجغرافيا والتاريخ

أولاً : المجتمع الأمازيغي... عزلة جغرافية

يعيش أمازيغ مصر أو المصريون أصحاب الأصل الأمازيغي كما يفضل أغلبهم أن يُطلق عليهم في منطقة واحدة ووحيدة، وهي واحة «سيوة»، والتي تعتبر واحدة من المنخفضات الواقعة بالصحراء الغربية المصرية، وتبعد «سيوة» نحو 820 كيلومتر عن العاصمة المصرية «القاهرة»، في حين لا يفصلها عن ليبيا أكثر من 65 كيلومتر، إذ تقع الواحة التابعة لمحافظة «مطروح»¹ بين خطي طول (26.12 و 25.16 شرقاً) وخطي عرض (29.6 و 29.24 شمالاً)، وهو ما يعني بعدها عن مركز المحافظة التابعة لها بنحو 300 كليومتر جنوباً. (انظر الخريطة رقم 1)

1. تعتبر محافظة مطروح ثالث أكبر المحافظات المصرية من حيث المساحة وتبلغ 166.563 كم مربع أي حوالي 16% من مساحة مصر.

2. عبد العزيز عبد الرحمن الدميري، سيوة والساحل... الماضي والحاضر (الاسكندرية : مطابع ياسو، ط 2، 2016)، ص 8.



خريطة جمهورية مصر العربية وتوضح موقع سيوة في أقصى الغرب

يحد الواحة من الشمال مجموعة من التلال والهضاب التي هي جزء من هضبة « مارمريكا الجنوبية » والتي ترتفع فوق سطح الواحة بنحو 40 إلى 100 متر ؛ أما من الجنوب فيحدها بحر الرمال العظيم، بكثبانه الرملية الناعمة والمتعرجة، والتي يصل ارتفاعها عن سطح الواحة بنحو 30 متر، ويمتد منخفض الواحة ذاته لحوالي من 80 إلى 100 كم من الغرب للشرق، وعرضه يتراوح ما بين 5 إلى 9 كم في الغرب، ويتسع ناحية الشرق ليصل إلي 29 كم ؛ ويبلغ انخفاض هذا الوادي حوالي من 10 م إلى 22 م تحت مستوي سطح البحر، ومن ثم تبلغ المساحة الكلية لمنخفض سيوة حوالي 1730 كم³.

يسود الواحة مناخ قاري صحراوي، شديد الحرارة صيفاً ؛ دافئ شتاءً خلال النهار وشديد البرودة خلال الليل، وذلك لوقوعها في عمق الصحراء. كما تتعرض الواحة على فترات طويلة تتراوح ما بين 15 و20 عاماً لأمطار غزيرة تتسبب في إحداث السيول، أما الرياح التي تتعرض لها الواحة فغالباً ما تهب من جهة الشمال الغربي أو الشمال الشرقي، وتصل سرعتها لنحو 40 كم/ساعة ؛ ويكون ذلك خلال فصلي الشتاء والربيع⁴.

3. المرجع السابق، ص 8 - 9.

4. المرجع السابق، ص 10.

ويحيط بواحة سيوة عدد من المنخفضات المهجورة التي تتباين مواقعها الجغرافية بالنسبة للواحة ؛ فمنها من يقع غرب « سيوة » كواحة «جربت» التي تبعد بنحو 50 كيلومتر شمال غرب « سيوة » ؛ وواحة «شياطة» التي تبعد بنحو 55 كيلومتراً غرباً، وواحتي « أم عشة » و« الملفي » على بعد 75 كيلومتر شمال غرب الواحة، ومنها من يقع في الناحية الشرقية لها ؛ كواحة «اللعرج» والتي تبعد بنحو 110 كيلومتر شرقاً ؛ وواحة « البحرين » على بعد 150 كيلومتر جنوب شرق الواحة ؛ وواحتي « نوامسية » و« ستره » الواقعتان على بعد 160 كيلومتر جنوب شرق الواحة، أما في الجهة الشمالية فنجد منخفضي « تبغخ » و« تميرة » واللذان يبعدان عن « سيوة » بحوالي 80 كيلومتر ؛ ثم منخفض « قارة أم الصغير » (الجاره) والذي يقع على بعد 120 كيلومتر شمال الواحة.

كما يوجد بالواحة أربعة بحيرات مالحة هي بحيرة « المعاصر » الواقعة شمال شرق الواحة ؛ بحيرة « الزيتون » الواقعة شرق الواحة ؛ بحيرة « سيوة » الواقعة غرب مدينة شالي ؛ وبحيرة « المرابي » الواقعة غرباً، في حين يصل عدد عيون المياه الطبيعية بالواحة نحو 220 عين تشكل المصدر الوحيد لمياه الشرب والزراعة⁵. أما نوع التربة في الواحة فيختلف في شمال الواحة عن جنوبها، فبينما تشكل التربة الرملية معظم الأجزاء الجنوبية للواحة، نجد أن التربة في مركز الواحة وشمالها تتباين ما بين الطينية والجيرية الرملية (والتي تشكل 55% من أراضي الواحة)⁶.

بالانتقال إلى التقسيم الإداري لمنطقة، تواجد المصريين أصحاب الأصل الأمازيغي ؛ نجد أن الواحة تقسم إلى مدينة سيوة وخمس وحدات قروية هي قرية « أغورمي » وتبعد عن مدينة سيوة 3 كيلومتر شرقاً ؛ قرية « أبو شروف » وتبعد عن المدينة 30 كيلومتر شرقاً ؛ قرية « أم الصغير » وتبعد عن المدينة 270 كيلومتر شرقاً ؛ قرية « المرابي » وتبعد 20 كيلومتر غرب المدينة ؛ وقرية « بهي الدين غرب » والتي تبعد غرباً 28 كيلومتر. (انظر الخريطة أسفله)

5. المرجع السابق، ص 11.

6. المرجع السابق، ص 14.

اهتماماً كبيراً بالواحة ؛ تجسد في توفير الأمن والثراء لسكانها ؛ كما أنشأ الملك الحصون العسكرية بغرض صد أي اعتداء عسكري قادم لمصر من جهة الغرب، وقد أعقبت هذه الفترة انهيار حكم الأمازيغ لمصر بنحو 400 عام تقريباً، وكان الأمازيغ قد نجحوا في الوصول لحكم مصر والاحتفاظ به لنحو 200 عام، استمرت من 950 ق.م إلى 746 ق.م.⁹ كانت البداية بسيطرة الأمازيغ على الجيش المصري بعدما بدأ الملك رمسيس الثالث (1183 ق.م إلى 1152 ق.م) في الاستعانة بهم، ولكن وبمرور الوقت ضرب الضعف الدولة المصرية ؛ فقام قائد الجيش صاحب الأصل الأمازيغي « شيشنق الأول » بالسيطرة على الحكم لتقوم ثلاث أسر أمازيغية على التوالي بحكم مصر وهي الأسر رقم 22 و23 و24، وهنا تربط الناشطة الأمازيغية أماني الوشيحي سيطرة الأمازيغ على حكم مصر بالتقويم الأمازيغي الذي يزيد بنحو 950 عاماً إذ تؤكد « الوشيحي » إنها سنة وصول شيشنق الأول إلى الحكم وتأسيس ما وصفته الناشطة ذات الأصل الأمازيغي بالإمبراطورية الأمازيغية¹⁰.

تُشير المصادر إلى أن الفوضى عمت الواحة ومعظم المناطق الصحراوية والبعيدة عن الوادي والدلتا خلال القرن الرابع الميلادي بعدما تراجعت قوة وسيطرة الحكم الروماني. في حين يُشير مخطوط سيوة إلى أن الواحة عانت كثيراً من هجمات البدو ومحاولات إخضاع أهل الواحة من قبل الجيوش الإسلامية والتي كان أبرزها محاولة موسى بن نصير إلى أن انتهى الأمر بنجاح الجيوش الفاطمية سنة 969 ميلادية بإخضاع الواحة لحكم الدولة الفاطمية. ومع ذلك فقد ظلت الواحة مستقلة في تدبير أمورها لا تدفع أي ضرائب أو جزية لسلطان خارج الواحة خلال العصر الإسلامي، وكان الرباط الوحيد مع وادي النيل وبرقة هو الرباط الديني كون أهلها أصبحوا من المسلمين. وقد جاء ذكر سيوة لأول مرة في كتابات المؤرخين المسلمين في كتاب ابن الوردي « خريدة العجائب وفريدة الغرائب »¹¹.

أما تبعيتها للدولة المصرية الحديثة فقد جاءت في أعقاب تجهيز محمد علي في فبراير 1820 تجريدة من 1300 جندي بقيادة حسن بك الشماشجي لإخضاع سيوة، حيث نشب قتال بين هذه القوات وأهل الواحة، انتهى بانتصار قوات محمد علي واعتراف أهل سيوة بالولاء للحكومة المصرية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وصل لحد

9. Taklit Mebarek Slaouti , les amazighs en Egypte , des temps les plus recules aux dynasties amazighes .anep , Alger , 2016

10. مايكل فارس، أماني الوشاحي المتحدثة الإعلامية باسم أمازيغ مصر في حوار جريئ مع الطريق والحق، الحوار المتمدن، 2009، انظر :

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=196841>

11. عبد العزيز.....، مرجع سبق ذكره، ص 62 - 63.

قيام محمد علي بفرض ضريبة حرب وجزية على سكان الواحة رغم وجود اعتراضات من جانبهم انتهت بعودة «الشماشرجي» بقوة من 600 جندي وقيامه بإعدام 18 من شيوخ القبائل والتنكيل بالعشرات من رجال الواحة وتعيين مأمور على الواحة وهو « فرج الكاشف »¹².

في حين ترى مراجع أخرى أن سكان الواحة يعود أصلهم لعصر ما قبل الأسرات، والدليل على ذلك أنه تم ذكر عنصرين من العناصر التي تهاجم مصر من الغرب وهما التحنو والتمحو منذ عصر ما قبل الأسرات، فضلاً عن ماعثر عليه من نقش يرجع لعصر الملك العقرب¹³. إلا أن ثمة روايات تشير إلى أن السكان الحاليين ليسوا ورثة الأجيال سالفة الذكر، بل هم قبائل مهاجرة جاءت واستوطنت الواحة بعدما قضي وباء على أهالي الواحة، وتحديدًا وفدوا من قبائل الشاوية الشهيرة بشمال إفريقيا، فمن هناك جاء أهل سيوة المصرية وهنا استقروا وهنا جاؤوا قبائل البدو جماعات أخرى. وتعود جذور العائلات الموجودة في سيوة إلى دول الشمال، سواء كانت المغرب أو الجزائر أو تونس، قبل أن تنفصل هذه العائلات تدريجياً، وتبدأ كل جماعة في الانغلاق على الدولة التي تنتمي إليها. في حين تُشير بعض المصادر إلى أن أصل سكان سيوة ينتمون بالأساس لقبائل سكنت ليبيا منذ حوالي 3000 سنة قبل الميلاد، وقد دأبوا على مهاجمة شمال مصر من وقت لآخر، وأخذوا سيوة منطقة تمركز لهم.

أما اسم « سيوة » فتختلف التفسيرات حوله ؛ فبينما ذكر ابن خلدون الواحة باسم « تيسوة » نسبة لأصل سكانها الذين يدعون بـ « تيسوة » والذين هم فرع من قبيلة « زناتة » في شمال إفريقيا، استنتج عالم ترميم الآثار الألماني « كولمان » أن اسم سيوة القديم هو « سا أن تر »، والتي كانت منقوشة في حجرة قدس الأقداس بمعبد الوحي مقارنة لاسم « سنتره »، كما نجد بعض الكتاب والمؤرخين اليونان والرومان قد أشاروا إليها في كتاباتهم على أنها واحة « جوبتر آمون »، نسبة إلى وحي الإله آمون، الذي كان موجوداً بها.

المطلب الثاني : قلة ديموغرافية وخصوصية ثقافية

يبلغ عدد المصريين أصحاب الأصل الأمازيغي نحو 33 ألف شخص، يعيشون جميعاً في واحة سيوة والتي تضم مدينة سيوة و6 قرى تابعة لها¹⁴ (انظر الجدولين رقم 1 و2)، وينتمون إلى عشر قبائل هي « الظنانيين » و« الحدادين » و« اللحمودات »

12. المرجع السابق، ص 66 - 68.

13. سليم حسن، مصر القديمة ج 7 (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2000)، ص ص 22 - 23.

14. الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.

« الجواسيس » و « الشرامطة » و « أغورمي » و « أولاد موسى » و « السراحنة » و « الشحايم » و « الجارة » ؛ بالإضافة إلى قبيلة « الشهييات » المعروفة بأصلها العربي، وتتحدث جميع القبائل فيما عدا الشهييات التي مازالت تعتمد بشكل كبير على اللغة العربية نفس اللغة التي يطلقون عليها « اللغة السيوية » وهي واحدة من لهجات اللغة الأمازيغية، وقد بدأت بعض الكلمات العربية تتسرب إلى اللغة الأصلية لأهالي الواحة ؛ الأمر الذي يرجعه كثيرون، من بينهم الشيخ عمر راجح، إلى انتشار التلفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي، فضلاً عن ارتفاع نسبة التعليم في الواحة ؛ لاسيما وأن الدراسة في المدارس تكون باللغة العربية، التي درج أهالي الواحة على استخدامها في الصلاة بالمساجد والتعاملات التجارية مع السياح العرب والمصريين من غير أهالي الواحة¹⁵.

الجدول رقم (1) : العدد التقديري لسكان واحة سيوة في 1/7/2016

وفق بيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء

المنطقة	عدد الذكور	عدد الإناث	إجمالي عدد الذكور والإناث
مدينة سيوة	12823	11405	24232
قرية أبو شروف (الكفراوي)	570	641	1211
قرية أغورمي	1085	1144	2229
قرية المراقي	1553	1455	3008
قرية بهي الدين	743	673	1416
قرية أم الصغير	307	338	645
الإجمالي	17085	15656	32741

الجدول رقم (2) : التعداد التقديري لواحة سيوة ونسبة الزيادة السكانية السنوية

خلال الفترة من 2007 إلى 2016 وفق بيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء

2016	2015	2014	2013	2012	2011	2010	2009	2008	2007	
24232	23197	22179	21159	20237	19382	18620	17851	16970	16566	مدينة سيوة

15. مقابلة شخصية أجراها الباحثان مع الشيخ عمر راجح، شيخ قبيلة أولاد موسى، تم إجراء المقابلة في واحة سيوة بتاريخ 31 مايو 2017.

1211	1160	1109	1058	1012	969	931	893	848	828	أبوشروف
2229	2134	2041	1946	1861	1782	1714	1642	1560	1523	أغرومي
3008	2878	2751	2627	2512	2406	2311	2216	2107	2056	المراقي
1416	1355	1297	1235	1182	1131	1087	1042	990	966	بهي الدين
645	617	590	563	538	515	495	475	451	440	أم الصغير
32741	31341	29967	28588	27342	26185	25158	24119	22926	22379	الإجمالي
4.5 %	4.6 %	4.8 %	4.5 %	4.4 %	4.1 %	4.3 %	5.2 %	2.4 %	-	النمو السكاني

وبالعودة للحديث عن الأصل الاثني لأهالي الواحة ؛ نجد أن ثمة اجماع من قبل مشايخ القبائل السيوية على أن جميع القبائل أمازيغية الأصل (فيما عدا قبيلة الشهبات المعروفة بأصلها العربي والتي جاءت واستقرت بالواحة منذ حوالي 100 عام وتزواج أبناءها مع أبناء القبائل الأمازيغية)، كما يؤكدون أنهم ليسوا بأمازيغ أنقياء، فيقول الشيخ عمر راجح، أن السكان الحاليين للواحة هم نتاج تزاوج بين القبائل الأمازيغية والقبائل العربية التي سكنت المناطق والواحات المجاورة والتي بدأت علاقاتهم بالواحة بأعمال سلب ونهب الواحة والاعتداء على سكانها، وذلك قبل أن تتم عمليات الصلح وتتطور العلاقات إلى النسب والمصاهرة بينهما، وبرغم اتفاقه مع ما سبق، يضيف الشيخ عبد الرحمن الدميري أن ثمة سبع قبائل هي الأقدم في استيطان الواحة، ألا وهي الظننين واللحمودات والحدادين وأولاد موسي والشحاييم وأغورمي والشراطة، حيث انضمت باقي القبائل إليها في وقت لاحق.

سيطرة النظام العرفي والمربوعة

يحتكم أهل الواحة بالأساس إلى نظام عرفي مستمد من ميراثهم الأمازيغي وأحكام الشريعة الإسلامية وفق المذهب المالكي الذي ينتمي إليه جميعهم، حيث ينظم هذا النظام كافة أمور الحياة كالزواج والقصاص والبيع والشراء والمواريث وحياسة الأراضي وتوزيع المياه وغيرها، ويكون مجلس الأجواد أو المربوعة كما يُطلق عليه أو المجالس العرفية التي يتم تشكيلها بشكل طارئ من مشايخ وكبار القبائل محل الخلاف أو الخصام، هي المعنية بتطبيق هذا النظام العرفي¹⁶.

أما عقوبات هذا النظام العرفي فتصل إلى حد الجلد الذي يعد أكثر العقوبات وطأة على الفرد وقبيلته، لما يعنيه ذلك من تعاضم الجرم أو الذنب المرتكب، لاسيما وأن الذي يقوم بتنفيذ العقوبة إرضاءً للطرف المضار هو أحد أفراد عائلة الشخص

16. مقابلة شخصية أجراها الباحثان مع الشيخ فتحي الكيلاني، شيخ قبيلة الظننين، تم إجراء المقابلة في واحة سيوة، بتاريخ 1 يونيو 2017.

المذنب، ويتراوح عدد مرات الجلد ما بين 40 و80 جلدة بحسب طبيعة وحجم الجرم أو الذنب المرتكب، يتم تنفيذها بواسطة سياط مكون من حبل سميك يصل طوله إلى 6 أمتار يتم طيه 4 مرات (ليصبح طول الجزء المستخدم في الجلد حوالي 1.5 متر) بحيث يتضاعف تأثيره، أما الأثر النفسي لهذه العقوبة فيتزايد جراء تنفيذه أمام عدد من أهالي الواحة. ويسمح النظام المتبع باستبدال عقوبة الجلد بالغرامة إذا ما كان الشخص المذنب قادر على دفع الغرامة، ما يعني أن النظام العرفي المتبع يُحصن الأغنياء من إهدار الكرامة نتيجة التعرض لتجربة الجلد التي لا يستطيع أي من الفقراء الفرار منها إذا ما أخطأ، أما الشرط الوحيد للحكم بعقوبة الجلد وتنفيذها فهو ارتكاب الشخص المذنب لفعلة بعد سن البلوغ، إذ لا يحكم بهذه العقوبة على من هم دون سن البلوغ والذي يكتفى بترك أمر عقابهم لأبائهم¹⁷.

وضعية المرأة السيوية... عزلة مضاعفة وتحسن طفيف

تخضع المرأة في واحة سيوة لمنظومة ذكورية شديدة المحافظة والانغلاق ؛ فبخلاف العزلة التي تفرضها الجغرافيا على كافة سكان الواحة، هناك عزلة إضافية للمرأة، لتصبح عزلتها عزلتين، عزلة عن العالم خارج الواحة، وعزلة داخلية ناتجة عن تقييد هامش وحرية الحركة داخل الواحة. وتبدأ عملية العزل المتبادل بين الجنسين في مرحلة مبكرة، ليقصر الاحتكاك مع الجنس الآخر على أفراد الأسرة الصغيرة فقط، وهو العزل الذي يتضاعف عقب الزواج، حيث يتضاءل أكثر وأقصر هامش الحركة شديد المحدودية الذي يكون متاح في الغالب للفتيات الصغيرات أكثر من النساء المتزوجات. وعلى الرغم من الأثر السلبي لهذه العزلة على حياة المرأة وتمتعها بحقوقها، إلا أن هذه العزلة جعلت المرأة السيوية بمثابة حارس أمين للهوية الثقافية واللغوية ومخزوناً ثرياً للممارسات الفولكلورية¹⁸.

ولكن هذا الوضع بدأ يطرأ عليه تغيير طفيف في السنوات الأخيرة، وعلى عدة أصعدة¹⁹. فعلى صعيد الاستقلالية المالية، أصبح يحق للمرأة تملك الأراضي إرثاً وشراءً،

17. الشيخ حمودة عمران، حوار صحفي مع جريدة البديل.

18. لمزيد من التفاصيل، انظر :

سوزان السعيد يوسف، « المرأة والهوية : دراسة في واحة سيوة »، الثقافة الشعبية (المنصورة) : جامعة المنصورة، كلية الآداب، المركز المصري لعلوم الإنسان والتراث الشعبي، عدد 3، إبريل 2002، ص 642 - 681.

19. نظراً لطبيعة هذه البيئة المحافظة، فقد واجه فريق البحث صعوبة بالغة في دراسة أوضاع المرأة السيوية عن قرب ومعايشة، لذا فقد تم الاعتماد في هذا المبحث بشكل رئيسي على مخرجات دراسة قامت بها باحثة مصرية، قامت بمعايشة مجتمع الدراسة والتعرف على حياة المرأة السيوية عن قرب وعلى مدار شهور. هذه الدراسة هي :

لكن لا يحق لها إدارتها، ويحق لها كذلك تملك العقارات، كما يحق لها تملك الحلي وبيعها²⁰. ويحق للفتاة السيوية الخروج للعمل مقابل أجر، بينما يحظر ذلك على المرأة المتزوجة. وتتركز مجالات العمل على الحرف اليدوية والبسيطة، مثل صناعة التمر وتعبئته وصناعة الزيتون وصناعة السجاد اليدوي والجريد والفضة والفخار²¹. ومن أبرز المشكلات التي تواجه الفتيات هي مشكلة تدني الأجور وعدم وجود تأمينات ومعاشات وندرة الإجازات وضعف التسويق وندرة فرص التدريب²².

على صعيد التعليم، في السنوات الأخيرة زادت فرص استكمال بعض الفتيات مراحل التعليم العالي، فالتحقت بعضهن بالتعليم الجامعي، وهو ما أتاح التحاقهن ببعض الوظائف الإدارية ومجال التدريس داخل الواحة. غير أن التعليم الجامعي يقتصر على الكليات النظرية التي لا تتطلب حضور مستمر، وذلك نظرًا للانفصال الجغرافي للواحة، والقيود التي تفرضها التقاليد الاجتماعية على سفر الفتيات لوحدهن²³. ولكن هناك فتاة من الواحة تخرجت من كلية الطب قسم النساء والتوليد، وهي أول طبيبة نساء ممن ينتمين إلى الواحة²⁴.

أما داخل الأسرة، فقد أصبح للمرأة سلطة أكبر داخل المنزل بفعل التطور الاقتصادي والاجتماعي، حيث تراجعت الأسر الممتدة لصالح الأسر النووية، بفعل تحسن الوضع الاقتصادي وتحسين قدرة الأبناء على التكفل بمعيشتهم وتأسيس أسر مستقلة، مما قلص حجم الأسرة داخل المنزل، فلم يعد هناك إلا الزوج والزوجة والأبناء. كما أن تحسين وضعية بعض النساء على صعيد التعليم وحق التملك، وإمكانية القيام بأعمال منزلية بغرض الاتجار، كل هذا قد أسهم في تحسين الوضعية الاجتماعية للمرأة داخل الأسرة²⁵. كما أن تزايد دور وسلطة الأم انعكس على مسألة تربية الأبناء، فبعد أن كانت التنشئة تتم في السابق داخل بيوت العائلة التي تضم أسر ممتدة تتعدد فيها

شيماء عبد الحكيم السيد علي عتلم، أثر التغيير الاجتماعي في تنمية المرأة في واحة الجغبوب بليبيا وواحة سيوة مصر: دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية (القاهرة: رسالة ماجستير، قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2014).

20. المرجع السابق، ص 138 - 139.

21. المرجع السابق، ص 142.

22. المرجع السابق، ص 143.

23. المرجع السابق، ص 144 - 145.

24. لقاء ميداني مع أحد العاملين بالسياحة من أهل الواحة، ويدعى إبراهيم، أجري اللقاء بواحة سيوة، بتاريخ 31 مايو 2017.

25. شيماء.....، مرجع سبق ذكره، ص 168.

مصادر السلطة الذكورية، أصبحت التربية اليوم تتم في بيئة تلعب فيها الأم الدور الأكبر في توجيه الأبناء، لاسيما في ظل غياب الأب خارج المنزل للعمل في أغلب ساعات اليوم، وقد انعكس كل هذا على الأجواء النفسية التي ينشأ فيها الأطفال²⁶.

والملاحظ مما سبق، أن توسيع دائرة مكتسبات المرأة ظل يدور في أطر لا تنعكس على الستار الحديدي العازل بين مجالات حركة الجنسين، فيظل الاحتكاك بينهما يدور في مساحات ضيقة جداً وأمنة، ولا تمثل تحدياً للتقاليد المجتمعية الراسخة.

الزواج والطلاق... التخلي عن تقاليد الماضي

كان ثمة تحفظ شديد على زواج بنات الواحة من خارج قبائل السيوية، غير أن هذا الوضع بدأ يطرأ عليه بعض التغيرات، في ظل تزايد وفود مواطنين من محافظات مصرية أخرى للاستقرار في الواحة، بغرض العمل بالزراعة أو غير ذلك. وثمة حالات عدة تعرف عليها فريق البحث، بخصوص حدوث زيجات بين رجال من خارج الواحة ونساء من داخلها، بل وتكون هذه الحالات جزء من حالة تعدد زوجات لدى الزوج الواحد، فتكون المرأة السيوية هي الزوجة الثانية. ويمكن تفسير ذلك بالنظر إلى مستوى الفقر وانخفاض المستوى المعيشي لدى أهل الواحة، بالإضافة إلى عدم خروج المرأة للعمل في أغلب الأحيان، ومن ثم عدم استقلاليتها اقتصادياً وتحولها إلى عبء مادي على عائلتها التي ترغب في تزويجها. ومن بين المؤشرات على كون الفقر هو أحد دوافع القبول بالزواج من رجل ليس من أهل الواحة، هو مقدار المهر الذي يتم دفعه، فمهر الفتاة البكر التي لم يسبق لها الزواج هو خمسة آلاف جنيه فقط، ومهر المرأة المطلقة الثالثة آلاف²⁷. كما أن وصول المد السلفي إلى الواحة، ربما قد يكون مثل أحد دوافع التسامح مع مسألة تعدد الزوجات.

أما الزواج فيبدأ بخطبة الفتاة وهي في سن 8 أو 9 سنوات لأحد أبناء الواحة، ولا يحول ذلك عن قيام بعض العائلات بخطبة بناتها بمجرد ميلادهن، وتتم الخطبة بمجرد قراءة الفاتحة التي تعد بمثابة عقداً عرفياً يربط بين الشاب والفتاة حتى وصولهما سن الزواج، ولذا فإن فترة الخطوبة غالباً ما تمتد لنحو 10 سنوات أو أكثر، لا يحق للشاب خلالها أن يرى خطيبته إلا في عيدي الفطر والأضحى على أن يكون لقاؤهما في حضور والدها أو أخيها، ولا يكون بينهما أي حديث، إذ يقتصر اللقاء على المصافحة فقط وتقديم واجب الضيافة من مشروبات وطعام²⁸.

26. المرجع السابق، ص 170.

27. حوار مع شابين صغيرين انتقلت أسرة كل منهما إلى العيش داخل الواحة لظروف عمل الأب، وقد تزوج والد أحدهما زوجة ثانية من نساء الواحة إضافة للزوجة الأولى. أجري الحوار في واحة سيوة بتاريخ 2 يونيو 2017.

28. يوسف عبد ربه، ملف سيرة الأمازيغ في مصر : 2758 عاماً من العزلة، جريدة البديل (القاهرة : أكتوبر 2008).

أما مراسم الزواج فكانت سابقاً تمتد لنحو سبعة أيام، إلا أنها اختزلت مؤخراً إلى ثلاثة أيام، ينتقل خلالها جميع أقارب العروس إلى بيت العريس والعكس، ويكون واجب الضيافة هو تقديم الطعام لهم لمدة الـ 3 أيام، دون انقطاع، كما كان من الشائع في الماضي أن يتم الاحتفال بالموسيقى والأغاني، لكن مع انتشار الفكر السلفي توقف هذا الأمر وأصبح شبه محرم، أما المهر ومؤخر الصداق فقد بات متفقاً بين القبائل على عدم المغالاة في طلبهما، الأمر الذي قد يفسر ارتفاع معدلات الطلاق وتعدد الزوجات والتي يصعب حصرها؛ لاسيما في ظل انتشار ظاهرة « عدم توثيق الزواج والطلاق »، إذ يخجل أغلب شباب الواحة إلى الآن من توثيق زواجهم حتى لا يبدوون مختلفين عن باقي أفراد عائلاتهم²⁹.

الزي الشعبي... خصوصية مقتبسة

يرتدي أهالي الواحة زي يتطابق بشكل كبير مع زي بدو منطقة الساحل الشمالي وبعض القبائل الليبية، حيث يرتدي عوام الرجال قميص ذو أكمام فضفاضة يسدل حتى الركبتين أو أسفلهما بقليل مع جُبة من الصوف وعمامة، أما الأغنياء والنبلاء من الرجال فيتكون زيهم من السروال والجلباب الأبيض الذي يعلوه صديري منقوش ومطرز و« جرد » يلف الجسد من الخارج على أن يكون أحد الأكتاف خارجه وقبعة حمراء، ويعتقد الدكتور عبد العزيز الدميري (أحد المتخصصين في دراسات التاريخ والآثار ومؤلف كتاب « سيوة والساحل. الماضي والحاضر ») أن زي أهالي الواحة وطريقة ارتدائه قد تكون امتداداً وتطوراً لملايس اليونانيين والرومان، ويدل « الدميري » على صحة فرضيته بالتماثل اليونانية والرومانية الموجودة بامتداد الساحل الشمالي من الإسكندرية وحتى ليبيا والتي يرتدي أصحابها ملابس مشابهة.

أما النساء فترتدي بالأساس ما يُطلق عليه « العباءة السيوية »؛ وهي عبارة عن قطعة كبيرة من القماش مصنوعة من القطن ترتديها المرأة دون أزرار أو مشابك، لتغطي بها جسدها كاملاً؛ فيما عدا عين واحدة لرؤية الشارع، ويتم تزيينها بشريط عريض من الحرير يغلب على ألوانه الأحمر ويتم وضعه على هيئة حزام يلتف حول منطقة الوسط أو بعض الأماكن الأخرى كالرأس، وتشير المصادر إلى أن عمر هذه « العباءة » لا يزيد عن 200 عام، حيث كانت المرأة السيوية قبل ذلك تستخدم غطاء مشابه يغطي الرأس ولكنه يمتد حتى نصف الجسم فقط ويسمى هذا القماش « رومي »، وكان فريق البحث قد رصد ظهور بعض النساء التي ترتدي النقاب الإسلامي والذي أكد

29. المرجع السابق نفسه.

بعض الأهالي أنه ظهر وبدأ في الانتشار خلال العشرين عام الأخيرة رابطتين ذلك بالمد الديني السلفي الذي طال الواحة خلال هذه السنوات³⁰.

الأعياد والمناسبات... اختلاط الديني بالمجتمعي

يحتفل المصريون الناطقون بالأمازيغية بعدد من الأعياد الدينية والمناسبات الشعبية والمولد، فعلى صعيد الأعياد الدينية يحتفل أهالي الواحة بعيد الفطر والذي يطلقون عليه كغيرهم من المسلمين العيد الصغير؛ ولا تختلف مظاهر احتفالهم بالعيد؛ إلا في قيام الأولاد الذين صاموا لرمضان للمرة الأولى بتوزيع المخبوزات والحلوى أو النقود المعدنية على باقي الأطفال الذي لم يسبق لهم الصيام لصغر سنهم، أما على صعيد الاحتفال بعيد الأضحى فلا نجد الآن ثمة اختلاف بين مظاهر احتفال السيويين عن غيرهم من المسلمين المصريين، ويرجع الفضل في ذلك لوجود الثلجات التي باتت تساعد في حفظ لحوم الأضاحي، حيث كانت مظاهر الاحتفال قبل انتشار الثلجات في الواحة تبدأ بخروج الرجال قبل أيام من العيد لإحضار الملح من الملاحات خاصة الموجودة في منطقتي إمبامة أو دهية، وبحلول العيد يؤدي جميع الأهالي الصلاة بمساجد وساحات الواحة، ثم يتم نحر الأضاحي ويؤكل في اليوم الأول كبد الأضحية وجزء من لحم البطن، في حين تقسم باقي الذبيحة جزءاً للإهداء وآخر للفقراء وأخير يتم فصله عن العظام ويقطع شرائح طويلة يتم تمليحها ونشرها على حبال في الشمس حتى تجف، وذلك قبل أن يتم حفظها في سلال مصنوعة من سعف النخيل لترتبط طقوس حفظ اللحوم بهذا العيد.

ثم يأتي عيد «التصالح» والذي يحتفل به أهالي الواحة خلال شهر أكتوبر مع مراعاة أن يكون الاحتفال خلال الأيام البيض من الليالي القمرية للشهر الهجري، ويعتبر هذا العيد هو المناسبة الشعبية الأهم لسكان الواحة، لاسيما وأنه ارتبط بميراثهم الثقافي، حيث يحتفل الأهالي بانتهاء العداء التاريخي بين قبائل المنطقة الشرقية وقبائل المنطقة الغربية والذي استمر لعقود طويلة أثرت على استقرار وأمن الواحة³¹، ويطلق على هذه المناسبة أيضاً عيد «الحصاد» وذلك لتزامنه مع موسم حصاد الزيتون والبلح، كما يطلق عليه عيد «السياحة» وذلك لارتباطه بالسياحة الدينية الصوفية وليس بالسياحة بمفهومها المتعارف عليه، حيث تشتهر الواحة بانتشار الطرق الصوفية وأضرحة الصالحين.

30. يوسف... مرجع سبق ذكره.

31. للمزيد من التفاصيل حول هذه الحرب الأهلية داخل الواحة، انظر :

أما الاحتفال فيكون بخروج الأهالي إلى جبل التكرور والإقامة لمدة ثلاث أيام، ويتم ذبح الجمال والأبقار والأغنام (والتي غالباً ما تكون نوع من النذور) وإعداد الطعام الذي يقدم للأهالي الذين يدعون للجلوس في حلقات على الرمال كنوع من إعلان المساواة والورع، كما تعقد عقب صلاة العشاء حلقات الذكر والتي يطلق عليها الأهالي اسم « الحضرة »، ويحرص شيوخ القبائل على عقد جلسات الصلح بين المتخاصمين من الأهالي، وفي صباح اليوم الرابع يعود الجميع إلى منازلهم؛ في حين يقوم المسؤولون عن الاحتفال بتنظيم مسيرة ترفع علم أخضر (يحمل اسم الرسول والخلفاء الأربعة) على أن تنطلق المسيرة من جبل التكرور وصولاً إلى ميدان سيدي سليمان حيث مركز المدينة القديمة « شالي » والذي يشهد حلقة ذكر قصيرة³².

طقوس الميلاذ ودفن الموتى... تشبث واضح بالموروث الثقافي

لايزال الاعتماد في إتمام عمليات الولادة على النساء ذوات الخبرة (الداية)، لاسيما في ظل عدم وجود طبيبات متخصصات في النساء والتوليد؛ كما تحول عادات وتقاليد القبائل دون الاستعانة بالأطباء الرجال، أما بعد الولادة فيؤخذ المولود ويحنك فمه بالعجوة المصنوعة من بلح الواحة ويؤذن في أذنيه، وذلك قبل أن يتم لف جسمه كاملاً فيما عدا الوجه بلقائف طويلة من الأقمشة، على أن تقوم مجموعة من الفتيات بعد شهر من الميلاذ بأخذ المولود من أمه لزيارة أحد الأضرحة وأكل الوليمة، ثم يُعلق في ملابسه بعض الأحجبة التي تحتوي الكمون والبخور، وقد تراجعت عادي زيارة الأضرحة وتعليق الأحجبة مع تنامي المد السلفي بالواحة، وأخيراً يتم إجراء عملية الختان للمواليد من الذكور في سن صغيرة جداً، في حين لا يتم تختين البنات³³.

بالانتقال إلى دفن الموتى بالواحة، رصد فريق البحث اختلافاً كبيراً بين دفن الموتى بالواحة ودفن الموتى في أغلب أنحاء الجمهورية، لاسيما على صعيد شكل المقابر، فمقابر الواحة ما هي إلا مساحة شاسعة من الأرض المليئة بقطع من حجارة البناء المتفرقة والتي هي بمثابة شواهد على وجود جثامين مدفونة أسفل كل منها دون الإشارة لاسم المتوفي أو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، أما عملية الدفن فتتم وفق الشريعة الإسلامية، ويحرص أهالي المتوفي وأصدقائه على حراسة المنطقة التي تم بها عملية الدفن حتى يتم تحلل الجثة، وذلك بغرض حمايتها من نبش الكلاب والحيوانات البرية³⁴.

بالنسبة مسألة عدم الإشارة إلى هوية المتوفي أو اسم قبيلته على شواهد القبور، لعلها تعكس رغبة أهل الواحة في تجاوز التقسيمات القبلية التي أشعلت الحرب

32. عبد العزيز...، مرجع سبق ذكره، ص 76 - 88.

33. عبد العزيز...، مرجع سبق ذكره، ص 90.

34. مشاهدات لفريق البحث خلال الزيارة الميدانية.

الشهيرة بين شطري الواحة سابقاً، فحين سأل فريق البحث أحد المواطنين عن أن هذه المسألة ربما تعوق ممارسات زيارة قبر أحد المتوفين وقراءة القرآن على روحه والدعاء له، فكان رده أن من يزور المقابر عليه أن يدعو بالرحمة للجميع بدون تفرقة.

الحالة الدينية... من التصوف إلى السلفية

من المعروف أن واحة سيوة كانت تاريخياً ذات طابع صوفي بالنسبة لنمط التدين في الواحة. وكانت هناك حركتان صوفيتان مسيطرتان بشكل أساسي، الأولى والأكثر انتشاراً هي الطريقة السنوسية، والثانية هي الطريقة الشاذلية. وتتقاسم هاتين الطريقتين الانتشار بين سكان الواحة وفقاً لخطوط الانقسام التي شكلتها الحرب الأهلية بين الشرقيين والغربيين. فبالنسبة للطريقة السنوسية، كانت مصر من المحطات المبكرة في رحلة تأسيسها أواسط القرن التاسع عشر، وكانت سيوة من أواخر محطات الشيخ السنوسي في مصر، حيث استقر بها فترة من الوقت³⁵. ومن المعروف أن الطريقة السنوسية تتبع المذهب المالكي. ويوجد العديد من الأضرحة في الواحة لأولياء الله الصالحين، وتنتشر هذه الطريقة بالأساس في أوساط الغربيين. أما الطريقة المدنية الشاذلية فنشأت كمنافس للسنوسية، حيث ظهرت في القرن التاسع عشر نسبة إلى الشيخ محمد المدني الذي كان مقره في اسطنبول بتركيا؛ وقد هدفت الطريقة من وراء انتشارها إلى بلاد متعددة إلى العمل كمصدر لمعلومات للخليفة العثماني في حالة وجود تهديد له، وقد لقيت الطريقة المدنية قبول في أوساط الشرقيين في الواحة كطريقة موازية للسنوسية التي يتبعها الغربيين³⁶.

غير أن واحة سيوة تشهد خلال الحقبة الراهنة تمدداً سلفياً³⁷، وهو ما ينعكس على تراجع الطابع الصوفي السائد تاريخياً في الواحة. ويعد هذا التمدد جزء من المد السلفي الذي شهدته مصر خلال العقود الأخيرة بشكل عام، وفي محافظتي الإسكندرية ومطروح بشكل خاص. وعلى صعيد آخر، فلا يقتصر الأمر على التحدي الذي تمثله

35. لمزيد من التفاصيل حول الطريقة السنوسية في سيوة، انظر :

عبد العزيز...، مرجع سبق ذكره، ص ص 85-87.

محمد ظافر المدني الشاذلي، الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية (القاهرة : دار الإنسان، 1995).

فريد دي يونج، ترجمة عبد الحميد الجمال، تاريخ الطرق الصوفية في مصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995).

36. سوزان السعيد، « احتفال السياحة والطريقة المدنية الشاذلية في واحة سيوة »، مجلة الفنون الشعبية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد 66، 67، سبتمبر 2004)، ص 93.

37. لمزيد من التفاصيل عن المد السلفية في محافظة مطروح، انظر :

د. سعيد المصري، الشرع يحكم في البادية : دراسة لعملية أسلمة المجتمع البدوي في مصر (الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية، سلسلة مراد، عدد 34، 2016).

السلفية على الطابع الصوفي للواحة فقط، ولكن هناك تحد آخر على الصعيد المذهبي، فعلى الرغم من أن المذهب المالكي كان هو السائد في الواحة كما سبقت الإشارة، إلا أن فريق البحث حين التقى بأحد طلبة الأزهر في الواحة، قال أن المعاهد الأزهرية في سيوة تدرّس المذهب الشافعي.

من التفسيرات الواردة التي يمكن طرحها في هذا السياق، هو أنه قد يكون هناك توجه متعمد من الدولة المصرية لفك الارتباط بين الواحة وامتداداتها الليبية لاعتبارات استراتيجية وأمنية، ليقصر الارتباط على علاقات المصاهرة وحركة التجارة، دون أن يمتد إلى فواعل التأثير الثقافي والديني، فيتم إضعاف العوامل المشتركة الصوفية والفقهية، بالسماح للسلفيين بالتمدد والانتشار من جهة، ومن خلال قيام الأزهر ووزارة الأوقاف بالتحكم في سياسات إدارة المساجد ودفع التعليم الديني في اتجاه بعيد عن المذهب المالكي الذي كانت تشترك فيه الواحة تاريخياً مع المجتمع الليبي وجل المنطقة المغربية.

المطلب الثالث : اقتصاد المجتمع الأمازيغي في مصر

تتنوع الأنشطة الاقتصادية داخل واحة سيوة ما بين الزراعة والصناعة والسياحة، وإن كانت الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي في الواحة، أما المشروعات الاقتصادية فلا يقتصر امتلاكها أو العمل بها على أهالي الواحة، حيث تسمح الدولة للمستثمرين سواء كانوا أجنب أو مصريين بالعمل داخل الواحة، كما يرحب أهالي الواحة بالعمالة الوافدة من باقي أنحاء الجمهورية.

أولاً : الزراعة... النشاط الرئيسي لأهل الواحة

تصدر الزراعة قائمة الأنشطة الاقتصادية بواحة « سيوة »، ومن ثم تستأثر بالنسبة الأكبر من الأيدي العاملة؛ فعلى الرغم من تراجع نسبة العاملين بالزراعة، إلا أنها تظل النسبة الأكبر مقارنة ببقية الأنشطة الاقتصادية. وتشير البيانات إلى أن النشاط الزراعي كان يستأثر بنسبة 77.4% عام 1986، لكن هذه النسبة تراجعت إلى 53.9% عام 2006³⁸. ويمكن فهم ذلك في ضوء عدة عوامل، الأول هو توافر مقومات النشاط الزراعي، من اتساع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة، وتوافر المياه الجوفية التي يتم استخدامها في الري، حيث يوجد بالواحة حوالي 220 عين مياه طبيعية، لا يحتاج استخدامها لمضخات ويكون الري بالغمر ليناسب ارتفاع ملوحة التربة. والعامل الثاني هو المعوقات التي تواجه استدامة النشاط الزراعي، وعلى رأسها أن الزراعة تعتمد على موارد مياه غير متجددة، كما أن هناك مشكلات في إدارة الموارد المائية، بما يضر بالتربة

38. وائل عبد الله إبراهيم محمد، « فاعلية السكان داخل النظام البيئي لمنخفض سيوة : دراسة جغرافية »، مجلة كلية الآداب (القاهرة) : جامعة القاهرة، المجلد 74، العدد3، (إبريل 2014)، ص 137.

ويخلق مشكلات بيئية خاصة بالصرف الزراعي³⁹. أما العامل الثالث فيتمثل في التوسع المطرد في بعض الأنشطة غير الزراعية خلال العقدين الأخيرين.

تصل مساحة الأراضي المزروعة فعلياً بالواحة لنحو 20 ألف فدان، تزرع أغلبها بالنخيل وشجر الزيتون؛ حيث يتجاوز عدد النخيل 750 ألف نخلة تنتج سنوياً نحو 84 ألف طن من التمور، يساهمون بقدر كبير في احتلال مصر مكانة مرموقة بين منتجي التمور عالمياً⁴⁰، أما أشجار الزيتون والتي تتجاوز 125 نوع فيصل عددها لنحو 1.6 مليون شجرة توضع الواحة في مقدمة المناطق المنتجة للزيتون في مصر، وهذا بجانب الملوخية والنعناع وبعض النباتات الطبية والعطرية.

ثانياً : الصناعة... نشاط واعد

يرتبط النشاط الصناعي في سيوة بطبيعة الواحة وشخصيتها، حيث تقوم أغلب الصناعات على المحاصيل الزراعية والموارد الطبيعية للواحة، وبالتالي فإن أبرز الأنشطة الصناعية في الواحة هي: إنتاج زيت الزيتون والذي تعمل على إنتاجه 13 معصرة زيتون تتوزع ملكيتها على أبناء الواحة والدولة ممثلة في وزارة التضامن الاجتماعي وجهاز مشروعات الخدمة الوطنية التابع لوزارة الدفاع. وتصنيع وتجفيف التمور والذي تقوم بها 9 مصانع يمتلك أبناء الواحة 8 منهم في حين تمتلك الدولة ممثلة في المحافظة المصنع التاسع والذي يضم 6 خطوط إنتاج. فضلاً عن إنتاج وتعبئة مياه الشرب الطبيعية وهو مجال تعمل فيه شركات عالمية ووطنية كبرى، وإنتاج الملح الذي يتم استخراجه من بحيرات الواحة. ويشكل أبناء الواحة النسبة الأعظم من الأيدي العاملة بالأنشطة الصناعية للواحة، حيث يقتصر وجود الوافدين بالأساس على بعض الوظائف الإدارية.

أضف إلى ذلك بعض الصناعات اليدوية كصناعة السجاد والمنسوجات والمشغولات اليدوية التراثية والتي يدعم استمرارها والتوسع فيها حركة السياحة الوافدة. وقد تأسس في سبيل تنمية هذا النشاط وحدة للصناعات الحرفية فيما يسمى بمجمع الحرف البيئية.

ثالثاً : السياحة في سيوة... ثراء غير مُستغل

تعتبر السياحة واحده من الأنشطة الاقتصادية بـ « سيوة »، ومع ذلك فإن أهالي الواحة مازالوا غير قادرين على تعظيم حجم استفادتهم من هذا القطاع؛ إذ لم تتجاوز

39. لمزيد من التفاصيل عن هذه المشكلات، انظر :

أشرف محمد عاشور، « الواقع الجغرافي بقرى واحة سيوة ومشكلات تنميتها »، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالإسماعيلية (الإسماعيلية : جامعة قناة السويس، كلية الآداب، عدد 9، يونيو 2014)، ص ص 195 - 196.

40. عبد القادر بوفرساوي، « الحديث الشامل عن التمور »، دراسة مقدمة بالمؤتمر الدولي الثاني لنخيل التمور بجامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، أكتوبر 2016.

نسبة إشغال فنادق الواحة في أفضل أحوالها حاجز 50 ألف ليلة فندقية خلال العام، وذلك قبل تراجع معدلات السياحة بشكل ملحوظ على خلفية توتر الأوضاع السياسية والأمنية منذ 2011.

وتتنوع السياحة في سيوة ما بين السياحة الأثرية والثقافية والعلاجية وسياحة السفاري؛ وذلك على خلفية تعدد مصادر الجذب السياحي، إذ تضم سيوة عدداً كبيراً من المزارات الأثرية ومنها جبل الموتى ومعبد آمون وقاعة تنويج الإسكندر الأكبر وقلعة شالي وغيرهم، وكذلك الرمال المستخدمة في العلاج بالدفن والعيون والبحيرات الكبرى التي تضع السياحة العلاجية على قمة السياحة السيوية، لاسيما وأنه تم تصنيف الواحة ضمن أكثر تسعة أماكن عزلة في العالم⁴¹. كما تضم سيوة « بحر الرمال الأعظم » الذي يعتبر عامل الجذب الرئيسي لسياحة السفاري التي تم حظرها مؤخراً بتعليمات من القوات المسلحة على خلفية تزايد عمليات عبور العناصر الإرهابية وتهريب السلاح من ليبيا إلى مصر، أضف إلى ذلك المهرجانات والاحتفالات الداعمة للسياحة الثقافية ومنها المهرجان السنوي للتمور والاحتفال برأس السنة الأمازيغية، أما موسم السياحة في سيوة فيبدأ في شهر أكتوبر ويمتد حتى نهاية أبريل، وهو أمر طبيعي في ظل ارتفاع درجة حرارة الواحة خلال الفترة المتبقية من السنة.

الحديث عن دور ملموس للطابع الثقافي والفلكلوري للواحة في جذب السياحة قد يعد ضرباً من المبالغة، لاسيما وأن السواد الأعظم من السياح يتجه لزيارة سيوة إما للاستشفاء أو للاستمتاع بطابعها الجغرافي والبيئي، كما سبق وأن ذكرنا، أما الطابع الثقافي والذي يعد عنصر جذب رئيسي لأقاليم أمازيغية في بعض دول الشمال الأفريقي فلا يتجاوز حضوره كعنصر جذب سياحي حدود جذب مجموعات سياحية محدودة للاحتفال برأس السنة الأمازيغية. غير أن عدم فاعلية البعد الثقافي في جذب السياح لا يعني أنه فقير الأهمية في العموم، حيث يفرض هذا الجانب نفسه على من يرتاد الواحة، لاسيما على صعيد المشغولات اليدوية التي تعج بها الفنادق والبازارات، ومن ثم تترك بعض الأثر عن الصورة الذهنية التي يخرج بها الزوار في النهاية.

رابعاً : الاقتصاد غير الشرعي.. ارتباط بجغرافية الحدود

شكل اقتراب الواحة من الشريط الحدودي بين مصر وليبيا سبباً قوياً لوجود نشاط التهريب من وإلى ليبيا، وقد ساهمت الأرباح الكبيرة للتهريب في انخراط شباب القبائل

41. لمزيد من التفاصيل عن السياحة العلاجية في سيوة، انظر :

نهلة جابر عامر، منال شوقي، « دور الفنادق العلاجية في تنشيط حركة السياحة العلاجية في مصر والأردن : دراسة حالة واحة سيوة - مصر »، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة (الإسماعيلية : جامعة قناة السويس، كلية السياحة والفنادق، مجلد 11، عدد 1، يونيو 2014)، ص 31 - 46.

بهذا النشاط غير المشروع، لاسيما وأنهم يجيدون معرفة دروب المنطقة بشكل جيد، حيث يصل أجر المهرب لنحو ألفي دولار عن كل عملية، وتتنوع السلع والبضائع العابرة للحدود بمساعدة أبناء الواحة، فتبدأ بالسلع الغذائية والاحتياجات الضرورية كالأدوية وتنتهي بالمخدرات والأسلحة.

وكانت القوات المسلحة في وقت سابق تسمح ببعض عمليات التهريب بغرض تسهيل حصول أهالي الواحة على احتياجاتهم من السلع والبضائع القادمة من ليبيا والمنطقة المغاربية ؛ وكذا توفير الدخل لبعض الشباب، إلا أن الأوضاع الأمنية وتكرار دخول الأسلحة من ليبيا عبر الصحراء الغربية دفع القوات المسلحة لتضييق الخناق على عمليات التهريب وتحذير شباب القبائل السيوية من الاستمرار في هذا النشاط، وهو ما شهد بعض التجاوب من قبل أهل الواحة مع الخطوط الحمراء التي ترسمها الدولة في هذا الصدد.

خامساً : الجيش كفاعل اقتصادي رئيسي

يعتبر الجيش أبرز وأهم الفاعلين الاقتصاديين بواحة « سيوة »، حيث يمتلك الجيش عدد كبير من المشروعات الاقتصادية التي استهدفت تنمية النشاط الاقتصادي للقوات المسلحة من ناحية ؛ ودعم المجتمع السيوي ودمجه من ناحية أخرى، حيث قامت وزارة الدفاع في هذا السياق بتأسيس شركة « صافي » التي بدأت نشاطها داخل الواحة عام 1993 بإقامة مزارع لإنتاج الزيتون والتمر، وذلك قبل أن تتوسع الشركة بالتزامن مع زيارة الرئيس الأسبق حسني مبارك للواحة سنة 1996 وتقوم بإنشاء معصرة لإنتاج زيت الزيتون ومصنع لإنتاج المخلل وآخر لتصنيع التمر ؛ وغيره لتعبئة مياه الشرب الطبيعية، وأخيراً إنشاء مصنع لإنتاج الملح في 2015.

كما حرصت القوات المسلحة على إنشاء أكبر الفنادق بالواحة والذي يستوعب بدوره أعداد كبيرة من السياحة الوافدة للواحة، وإنشاء مستشفى تخصصي (عسكري) تقوم بتقديم الخدمات الطبية مدفوعة الأجر للأهالي، وتعكف القوات المسلحة مؤخراً على الانتهاء من إنشاء الشكاير المنسوجة لتعبئة المحاصيل وتعبئة الأسمدة، وأيضاً البلاستيك اللازم لإنشاء الصوبات الزراعية.

وقد كان للحضور الاقتصادي للمؤسسة العسكرية دوراً كبيراً في توطيد العلاقات بين أهالي الواحة من ناحية والدولة ممثلة في المؤسسة العسكرية من ناحية أخرى، لاسيما وأن جزء كبير من شباب الواحة بات مصدر دخله الرئيسي يأتي من المنشآت الاقتصادية للمؤسسة العسكرية، وهو أمر ساهم في تغذية مشاعر الانتماء للدولة ممثلة في المؤسسة العسكرية، ومن ثم في كسر العزلة التي فرضت على الواحة لقرون

ممتدة. أيضاً ساهمت مشاركة الأهالي في النشاط الاقتصادي للمؤسسة العسكرية وما يتطلبه ذلك من التزام بمواعيد العمل في تعديل نمط الحياة لهؤلاء السكان وأسراهم.

المبحث الثاني : المجتمع الأمازيغي... الفاعلون والمطالب

ويتضمن هذا المبحث استعراض لكل من الفاعلين الاجتماعيين الرئيسيين في المجتمع الأمازيغي، والمطالب الذي يتم تبنيها من قبلهم .

المطلب الأول : الفاعلون الاجتماعيون

تقسم الدراسة الفاعلون بوحدة « سيوة » إلى فاعلين تقليديين وفاعلين جدد.

أولاً : الفاعلون الاجتماعيون التقليديون

يشمل الفاعلون التقليديون، داخل وحدة سيوة مقارنة بالفاعلين الجدد، كل من مجلس الأجداد، مشايخ القبائل، مشايخ المساجد من أبناء الواحة، وكذلك القيادات العسكرية التي ضمت إلى الفاعلين التقليديين رغم حداثة أدوارها.

1 - مشايخ القبائل... نفوذ راسخ

تنقسم قبائل سيوة إلى إحدى عشر قبيلة، وكل قبيلة لها شيخ يكون هو المسؤول عن إدارة شؤونها، باستثناء قبيلة واحدة لها شيخان، وهي قبيلة الطنانين، أكبر قبائل سيوة من حيث العدد، وذلك تكريماً من الرئيس الراحل محمد أنور السادات عند زيارته لسيوة، واستمر الوضع لهذه القبيلة على هذا المنوال.

يُعد شيخ القبيلة في سيوة هو حلقة الوصل بين الدولة وسكان الواحة من المنتمين لقبيلته؛ ويتم اختياره من قبل أفراد القبيلة، ويكون عادة ميسور الحال وحسن الخلق، ولا يشترط بأن يكون مُجيداً للقراءة والكتابة، أو أغني أفراد القبيلة؛ وفي الغالب تكون المشيخة متوارثة، وإن لم يكن ذلك شرطاً حتمياً في جميع الحالات. ويكون تولي منصب المشيخة بالانتخاب بين أبناء القبيلة، ثم ترسل نتيجة الانتخاب إلى قسم الشرطة لاعتمادها والتعامل مع الشيخ الجديد بشكل رسمي، من قبل وزارة الداخلية، التي تجري بدورها التحريات الأمنية المطلوبة عنه وتتأكد من نزاهته، وتنتهي الإجراءات بإصدار قرار التعيين من قبل وزارة الداخلية⁴².

وتشمل آلية التنسيق بين الشرطة وشيخ القبيلة إحالة قسم الشرطة بعض القضايا لشيخ القبيلة للنظر فيها، أو التواصل معه إذا كان لديها رغبة في استدعاء أي شخص من الواحة، ومن ثم يتحرك هو نحو الشرطة للاستفسار عن أسباب الاستدعاء ومن ثم يتم اتخاذ باقي الإجراءات القانونية حسب نوع الاستدعاء أو القضية.

42. يوسف...، مرجع سبق ذكره.

خلال السنوات الاخيرة، بدأ بعض المواطنين داخل سيوة يكسرون قاعدة الالتزام بقاعدة الاحكام العرفية، عبر أخذ مسلك الذهاب لأقسام الشرطة، والسير في مسار تقديم بلاغات قانونية، وبعد ذلك السير في التحقيقات. كما سعت السلطات الأمنية داخل واحة سيوة لكسر هيبة الأحكام العرفية، وتفكيك الجلسات العرفية، لكن هذا لا يعني غياب الجلسات العرفية، لكن كل ما تغير فعلا هو أن القانون بدأ يأخذ مرتبة متوازية مع العرف⁴³.

كما يقوم شيوخ القبائل (أهالي سيوة) بالتنسيق مع قوات حرس الحدود في تأمين جانب الحدود الغربية، وإمدادهم بالمعلومات الرئيسية عن عناصر التهريب، وتسليم لهم بعض المهربين، أو الذي ينتقلون لليبيا بطرق غير شرعية خصوصاً بقريتي « المرقي » و « بهي الدين »، اللتان تتبعان مدينة سيوة، كونهما الممران الرئيسيان لتهريب العمالة والبضائع والمخدرات إلى ليبيا، فهما آخر القرى الحدودية الغربية في مصر. ولعب مشايخ القبيلة دوراً رئيسياً في القبض على آلاف من محاولات الهجرة غير الشرعية، خارج البلاد من خلال الحدود الغربية، وكذلك محاولات تهريب مواد مخدرة وأسلحة.

كما نشط أدوار مشايخ القبائل في التنسيق مع الهيئة الهندسية للقوات المسلحة من خلال إشراكهم من جانب القوات المسلحة كمقاولين في الباطن، في مشاريع الجيش، كمشروع الطريق الذي يربط بين واحة سيوة، وليبيا، وتبقى فقط 38 كيلو من اتجاه الجمهورية الليبية، لتسهيل عملية التبادل التجاري والسياحي بين البلدين. يتولى توفير مواد البناء في هذا المشروع بلال أحمد بلال عيسى، أحد مشايخ قبائل بواحة سيوة، وعضو مجلس الشعب السابق.

يثير هذا النمط من العلاقة التي تربط شيوخ القبائل مع مؤسسات الدولة المصرية، بعض الإشكاليات بشأن طبيعة أدوارهم كشيوخ قبائل، ودلالات ذلك بشأن طبيعة الحياة في سيوة، وكيفية إدارة علاقة الدولة بالمجتمع في هذا النطاق الجغرافي. فمن ناحية أولى، يؤدي هذا النمط إلى تأطير وإخضاع الكيان القبلي للنظم الإدارية للدولة، ومن ثم يتم سحب وظيفه شيخ القبيلة من الأرضية الحصرية للمجتمع إلى مساحة تقاطع مشتركة بين الدولة والمجتمع. وبتعبير آخر، فبدلاً من أن يمتلك شيخ القبيلة السلطة الحصرية على أفراد القبيلة داخلياً، ويكون ممثلاً لها خارجياً، فإن الوضع الحالي تتشارك فيه الدولة السلطة على أفراد القبيلة، من خلال تحويل شيوخ القبائل إلى أحد أدوات الضبط الاجتماعي الذي تمارسه الدولة ضد الأفراد، بشكل غير

43. المرجع السابق.

مباشر عبر التنسيق مع شيوخ القبائل ؛ بالتوازي مع السعي لتفكيك مصادر السلطة القبلية والعرفية، عبر دعم أدوار الفاعلين الدينيين الرسميين وغير الرسميين من جهة، وعبر دعم أدوار المؤسسات الحكومية، سواء المتعلقة بالضبط الاجتماعي أو المؤسسات ذات الطابع الخدمي ؛ وأخيراً وجود أنماط أخرى لتمثيل المصالح الاجتماعية على أساس جغرافي إداري، وهو ما يخلق علاقة اعتمادية من الأفراد لرؤساء القرى والأحياء التي قد تضم سكان ينتمون لأكثر من قبيلة.

على صعيد آخر، يمثل انصياع القبائل السيوية لهذا النمط من العلاقة مع الدولة، والذي تتراجع فيه السلطة المطلقة لشيخ القبيلة، إدراك لطبيعة الاحتياجات والمصالح الخاصة بأهل الواحة ؛ فمن هذا المنظور، فإن هذا التأطير الرسمي من قبل الدولة لمنصب شيخ القبيلة وديناميات ممارسة مهامه، لا يعد فقط تغولا من الدولة على الكيان القبلي واستقلالته، لكنه يمثل في المقابل اختراقاً عكسياً من الكيان القبلي للبيروقراطية الحكومية، التي تتزايد الحاجة إليها لأسباب عدة ؛ فالقبائل السيوية ليست قبائل رحالة لا تحتاج مؤسسات الدولة، لكنها على العكس من ذلك، قبائل مستقرة تعمل بالزراعة، وهي في حاجة دائمة للدور الخدمي والتنموي الذي تقدمه الدولة. إضافة لذلك، فإن الخبرة التاريخية في الصراع بين شطري الواحة⁴⁴، ربما يكون رسخ من قناعة السكان بضرورة وجود طرف ثالث قادر على حفظ التوازنات والحفاظ على الاستقرار، بما يحول دون تجدد هذه التجربة الصراعية في حق مستقبلية.

2 - شيوخ المساجد... حضور لا يتجاوز الشرع

يلعب شيوخ المساجد دوراً نافذاً داخل واحة سيوة، من خلال اضطلاعهم بصدور الأحكام الشرعية في جلسات الأحكام العرفية، بحضور مشايخ القبائل، والتأكد من مطابقتها للشرع، حيث منحهم هذا الدور نفوذاً مجتمعياً وتأثيراً واسعاً داخل الواحة، خصوصاً أن هذا الدور يأتي بقبول من مشايخ القبائل، الذين يجدون حضورهم في الجلسات العرفية عاملاً مؤثراً في التزام أطراف النزاع بالأحكام الصادرة عنهم. ويعقب جلسات الأحكام العرفية دروس دينية للمشايخ، يتحدثون من خلالها عن فوائد تطبيق الأحكام الشرعية، وأهمية الالتزام بها من جانب أطراف الخصومة، كتحديد رئيسي لتطبيق شرع الله. ويُشرف أئمة من مديرية الاوقاف بسيوة على مساجد القرى التي تتبع واحة سيوة، وتخضع من جانب الوزارة لمراقبة مُشددة على الخطب والدروس الدينية.

44. شهدت واحة سيوة توترات داخلية بين أهالي سيوة الشرقية وأهالي سيوة الغربية انتهت بعقد اتفاق تصالح تاريخي يتم الاحتفال به تحت اسم «عيد التصالح» الذي سبقت الإشارة إليه.

ونشط مشايخ الدعوة السلفية بعد ثورة 25 يناير داخل محافظة مطروح عموماً، وواحة سيوة بشكلٍ أخص، حيث تجسد نشاطهم في السيطرة على بعض منابر المساجد داخل المدينة، وزيادة حضورهم بين سكان الواحة عبر الدروس الدينية، وإطلاقهم فتاوي دينية كـ« الفتوى السلفية » التي أجازت، في 2013، جمع أموال وتبرعات من مناجم الملح في الواحة، على اعتبار أن ما يستخرج منها يخضع لزكاة « ركاز الأرض »، والتي أدت لتحفيز سكان الواحة لكسر كلمة مشايخ قبائلهم الذين رفض أغلبهم هذه الفتوى. وأدت هذه الواقعة لوقوع اشتباكات، انتهت بإصابة 6 من سكان الواحة، وكادت الأمور أن تتطور، لولا استعانة شيوخ القبائل بكبار مشايخ الدعوة السلفية في الواحة لتهدئة الأمور، والتدخل لإيقاف مريديها داخل الواحة.

3 - القيادات العسكرية والأمنية... مندوبي السلطة المركزية

لعبت القيادات العسكرية أدواراً فاعلة داخل سيوة خلال الثلاثة سنوات الأخيرة عبر أكثر من جهة ؛ حيث توسع نفوذ هذه القيادات بعد توسع مشاريع المؤسسة العسكرية داخل واحة سيوة، وإشراك عدد من مشايخ القبائل كمقاولين فرعيين في هذه المشاريع، وهي المسألة التي منحت القيادات العسكرية نفوذاً طاعياً على مشايخ القبائل، كما ساهمت في تأسيس جناح شعبي لهم بين مواطني الواحة، بعد توظيف أعداد كبيرة من سكان الواحة في مشروعات الجيش.

ويأتي اختيار محافظ مرسى مطروح، التي تخضع سيوة لها إدارياً، دائماً من جهاز المخابرات الحربية، فالمحافظ الحالي، علاء أبوزيد، كان مديراً لمكتب المخابرات الحربية بالمحافظة قبل تعيينه في منصب المحافظ، وهي إشارة على أن الحضور الطاعي للقادة العسكريين في المحافظة عموماً وفي الأطراف الحدودية التي تتبعها كواحة سيوة على أوجه الخصوص. وينظم مكتب المخابرات الحربية بمحافظة مرسى مطروح إفطاراً سنوياً يتم دعوة فيه كافة مشايخ القبائل بواحة سيوة، ويحضر في هذا الفطار كافة القيادات العسكرية وعلي رأسهم قائد المنطقة الغربية العسكرية.

كما يقوم الجيش بتوزيع كراتين من المواد الغذائية وهدايا وبطاطين على سكان سيوة، على مدار العام، وذلك بالاشتراك مع مديرية أمن مطروح، كما تأسس المجلس القومي للقبائل المصرية، في أغسطس 2014، بدعم وتوجيه من المخابرات الحربية، بعضوية مشايخ قبائل سيوة، ويمتد التنسيق بين القادة العسكريين وشيوخ القبائل بسيوة في الحوادث على الحدود المصرية الليبية، كحادثة اختطاف 60 سائق مصري إلى ليبيا، حيث جري التنسيق بين مدير مكتب المخابرات الحربية بالمحافظة آنذاك اللواء علاء أبوزيد (الذي تم تعيينه في منصب المحافظ فيما بعد)، ومشايخ سيوة والسلوم، وكذلك مشايخ القبائل في ليبيا، حيث نجحت هذه المساعي في إطلاق سراح السائقين المصريين.

أما في « سيوة » فيوجد مسؤول داخل مكتب المخابرات الحربية يُسمى بمنسق شؤون القبائل، تكون مهامه التنسيق بين قبائل محافظة مرسي مطروح، في اختيار شيوخ القبائل، وتزليل أي صعوبات يواجهها أبناءهم، فضلاً عن التنسيق معهم بشأن مواجهة مهربي السلاح على المناطق الحدودية، أو الإرهابيين الفارين إلى ليبيا، كما يبحث معه شيوخ القبائل مطالبهم سواء كانت خدمية أو أمنية كالإفراج عن ذويهم في قضايا تمسهم.

وفي إطار تطبيق الدولة لسياسات الاحتواء التي تهدف إلى إدماج أهالي الواحة لاسيما الشباب منهم تسمح الدولة بإدخال أبناء سيوة للجيش المصري، حيث يؤدون الخدمة الإلزامية التي تمتد لعام أو ثلاثة أعوام، إذ يؤدي أغلبهم خدمته العسكرية داخل الواحة، كما تسمح الدولة بالتحاق أبناء الواحة بالكليات العسكرية. ويعد ذلك دلالة شديدة الأهمية على عمق العلاقة بين الدولة وسكان الواحة، لاسيما وأن هذا الوضع يفرض المقارنة بينه وبين علاقة الدولة بقبائل سيناء على الحدود الشرقية لمصر، حيث لا يتم إلحاق أبناء قبائل سيناء بالمؤسسة العسكرية على الإطلاق، وهو ما يعد مؤشراً على وجود سقف للتعاون وضمن الولاء في علاقة الدولة بالقبائل هناك، بينما الوضع في سيوة يمثل نقیض للوضع في سيناء على صعيد العلاقة المستقرة بين الدولة والقبائل، وهي العلاقة التي لا تواجه أي عوائق ولا تنتابها أي شكوك أو أزمات ولاء في حالة سيوة.

ويوجد مطار عسكري يتبع الجيش المصري داخل الواحة، تنطلق منه الطائرات الحربية لتأمين الحدود الغربية، وبعد مباحثات بين قيادة المنطقة الغربية العسكرية ومحافظ مرسي مطروح، أصبح المطار الحربي بسيوة يستقبل أحياناً طائرات مدنية، لتنشيط الحركة السياحية بالواحة. كما يوجد قسم شرطة يخدم فيها ضباط مباحث وأمن عام، وتتواجد فيه قوة أمنية بشكل دائم، وقد نجحت في ضبط كميات أسلحة ومخدرات مُهربة، عبر الحدود المصرية الليبية.

ثانياً : الفاعلون غير التقليديون (الجدد)

يتشكل الفاعلون غير التقليديون في المسألة الأمازيغية من النشطاء الذين سعوا للمطالبة بحقوق أمازيغ مصر، سواء من خلال تقديم مطالبات رسمية للهيئات الحكومية المصرية، أو عبر تدويل أزمته في المحافل الدولية، أو من خلال تأسيس روابط مستقلة داخل مصر، يتحركون من خلالها ويطالبون بعدم التهميش، والتمتع بحقوقهم كاملة.

ويُعد من أبرز هؤلاء النشطاء الناشطة أمانى الوشاحى، مستشارة رئيس منظمة الكونجرس العالمي الأمازيغي لملف أمازيغ مصر، وكل من عمران الكيلاني⁴⁵ ومهدى

45. عمران الكيلاني : أحد أبناء سيوة وهو راوي للتراث السيوي ويمتلك مقهى بجزيرة الخيال يروى بها في أغلب الأوقات رواياته عن الواحة وتاريخها، وكان الكيلاني أحد ممثلي الأمازيغ بجلسات الاستماع التي عقدتها لجنة الخمسين التي قامت بالتعديلات الدستورية الواسعة للدستور الحالي.

محمد على⁴⁶. وهؤلاء برزت أسمائهم بعد تمثيلهم لأمازيغ مصر في الاجتماعات الموسعة التي عقدتها معهم لجنة التواصل والحوار المجتمعي المنبثقة من لجنة الخمسين لتعديل الدستور في 2013 معهم ؛ لبحث مطالبهم، وإدارة حوار حول مشكلات الأمازيغ داخل الواحة. وتنشط تحركات بعض هؤلاء الفاعلين على مستوى محلي، مثل عمران الكيلاني ومهدي محمد علي، حيث ينشط تواجدهم بين سكان الواحة بسيوة، من خلال عقد اجتماعات موسعة مع شباب الواحة للتوعية بالقضية الأمازيغية، ونقل مشاكلهم للجهات المعنية، أو نشرها على صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي.

لقد سعي البعض لتأطير هذا التحرك في صورة تنظيمية. من بين هذه الصور الترشح للانتخابات البرلمانية كما في حالة عمران الكيلاني، الذي يبلغ من العمر 40 عاماً، وقد ترشح بعد أخذ موافقة مشايخ وأعيان الواحة، حيث نظم لقاءات مستمرة مع سكان سيوة، ومشايخ القبائل كذلك، غير أنه لم ينجح في الانتخابات. إضافة لذلك يتم تشكيل بعض التجمعات داخل الواحة، ودعوتهم للمطالبة بحقوقهم، والتمسك بالتحديث بلغتهم خوفاً من الاندثار.

عمر حمزة، أيضاً ناشط أمازيغي، يحرص بشكل دائم على الحديث باللغة الأمازيغية مع أهالي الواحة، للحفاظ على لغتهم من الاندثار، يعتقد أن التهميش عزلهم عن المجتمع المصري، ويشعر أنه « مواطن درجة ثانية ». ويتمحور نشاط حمزة داخل الواحة، عبر فعاليات شبابية لتوعية النشء بقضية الأمازيغ، وإطلاق دعوات للتمسك باللغة الأمازيغية.

وتمثل أماني الوشاحي، نموذج للفاعلين الجدد، فهي تتحرك على الصعيد الداخلي والخارجي، للمطالبة بحقوق الأمازيغ، والزعم دوماً أنهم مهمشون في مصر، ومحرمون من ممارسة حقوقهم السياسية كاملة. يتمثل نشاط الوشاحي في حضورها في المجال العام في أكثر من قضية ؛ فقد كانت عضو بالحزب الوطني الديمقراطي، ومنسق عام الجبهة المصرية للتضامن الشعبي «تماسك» وهي حركة علمانية ليبرالية، ومنسق حملة المطالبة باللواء عمر سليمان (رئيس المخابرات العامة السابق) رئيساً للجمهورية عام 2011⁴⁷، وعضو حركة مصريون ضد التمييز الديني (مارد)، وعضو اللجنة الوطنية للتصدي للعنف الطائفي، وعضو اللجنة الشعبية للدفاع عن أرض مطار امبابه. وسعت الوشاحي للعب دور داخلي عبر تقديم نفسها كممثلة لأمازيغ مصر، أو من خلال رسم دور لها كفاعل في الشأن السياسي المصري من خلال تقديم طلب من خلال الكونجرس

46. مهدي محمد علي، ناشط أمازيغي له آراء نقدية حيال الدولة المصرية فيما يخص التعامل مع أهالي الواحة، وقد شارك بجلسات الاستماع التي عقدتها لجنة الخمسين المعنية بتعديل الدستور.

47. علي رجب، « أماني الوشاحي : اطلقت حملة عمر سليمان رئيساً لمصر »، حوار صحفي، جريدة النهار، القاهرة، أغسطس 2011.

العالمي الأمازيغي لمراقبة الانتخابات الرئاسية في مايو 2014، وطالبت الرئيس عبدالفتاح السيسي بتعيين ممثل لأمازيغ مصر في البرلمان⁴⁸.

كما سعت أماني لتأسيس أكثر من صفحة على موقع التواصل الاجتماعي « الفيسبوك » كالصفحة الرسمية لأمازيغ مصر، وتُدار بواسطتها، وتنشر بصفة دائمة قضايا المجموعات الأمازيغية في مصر. وسعت بعد ثورة 30 يونيو أيضاً، لتأسيس مركز مصري حقوقي، « الشبكة المصرية من أجل الأمازيغ »، وهو مُشهر قانونياً لدى وزارة التضامن الاجتماعي، ويكون معنياً بشكل رئيسي بالمطالبة بحقوق الأمازيغ، والحفاظ على ثقافتهم، لكن تعارض نشاط المركز مع قانون الجمعيات الأهلية المصري، الذي يمنع تأسيس الجمعيات على أساس طائفي، لذلك قررت توسيع الفكرة لتشمل جميع الثقافات المحلية في مصر وليست الثقافة الأمازيغية فقط، عبر « مركز ميزران للثقافات المحلية » في يونيو 2013. ولعبت أماني الوشاحي دوراً رئيسياً في تأسيس كلا المركزين؛ فهي المؤسس لكليهما، فضلاً عن دورها في جلب التمويل اللازم لأنشطة كلا المركزين، بعد تأسيسهما.

تنطلق فاعلية الوشاحي من علاقاتها بالمؤسسات الأمازيغية حول العالم، حيث تنشط في إقامة برامج مشتركة مع هذه المؤسسات لأمازيغ مصر كإطلاق مشروع لإعادة إحياء اللغة الأمازيغية، والذي جري التنسيق فيه بين الشبكة المصرية من أجل الأمازيغ، وجمعية أمديازن الثقافية بـ « الجزائر »⁴⁹. ولكن في المقابل فإن هذه الفاعلية تكاد تنقلب إلى النقيض في علاقتها بأهل الواحة أنفسهم، حيث لوحظ أكثر من مرة خلال البحث الميداني ظهور حالة من الاستياء، التي انعكست في الحديث وفي تعبيرات وجه المتحدثين من قيادات الواحة وبعض رموزها الثقافية، بمجرد طرح سؤال يتعلق بدور أماني الوشاحي، بما يقطع برفض أهل الواحة أنفسهم قيامها بالتصدي لتمثيل الواحة سياسياً وإعلامياً. لدرجة أن طاهر عبد الغني، وهو أحد مثقفي الواحة، قال إنه كان ينوي رفع قضية أمام القضاء، لمنع الوشاحي من التحدث باسم أمازيغ مصر، غير أنه بعد التشاور مع بعض وجهاء القبائل الأمازيغية نصحوه بعدم فعل ذلك، لأن مقاضاتها سوف يلفت الأنظار إليها وسيمثل مصدر قوة لها، في حين أنهم يعتبرون أنه لا يوجد وزن كبير لدورها، ومن الأفضل التعامل معها بالتجاهل التام⁵⁰.

48. أماني الوشاحي، «الأقليات تبحث عن مقعدها في الدستور.. الأمازيغ تطالب بكونته»، تصريحات صحافية، موقع صدى البلد، نوفمبر 2013.

49. الحسين بوردة، حوار مع الكاتبة الأمازيغية المصرية أماني الوشاحي، موقع عالم الأمازيغ، أبريل 2010، انظر :

http://www.amazighworld.org/arabic/news/index_show.php?id=871

50. حوار أجراه الباحثان مع طاهر عبد الغني، فنان وحناء سيوي، يتركز نشاطه على مسارين، مسار فني يحاول من خلاله الحفاظ على خصوصية الفن السيوي في مجال التجارة، والمستلهم من البيئة المحيطة، أما المسار الثاني فهو جمع التراث القصصي الشفهي الخاص بسكان الواحة، حيث يهتم بجمع الحكايات والأساطير الشعبية والفولكلورية الموروثة، ويقوم بتسجيلها على أسطوانات أو تقديمها في محافل عامة، حفاظاً على هذا التراث من الاندثار. تم إجراء الحوار في واحة سيوة، بتاريخ 3 يونيو 2017.

هذا الرفض من قبل قيادات ورموز الواحة للدور الذي تلعبه الوشاحي يحمل عدة دلالات. فمن ناحية أولى، يعكس هذا الرفض حالة التنافس على تمثيل سكان الواحة وعلى شرعية التحدث باسمهم. ومن ناحية ثانية فإن هذا الرفض، يمكن فهمه في ضوء أن الوشاحي ليست من أهل الواحة ولا تعيش بينهم، بل إنها لا تتحدث اللغة الأمازيغية، ومن ثم ينظر إليها قيادات الواحة باعتبارها دخيلة على قضيتهم، ولديها أجندة مسبقة، وليست معنية بالمشكلات الحقيقية التي يعانها أهل سيوة وتمثل أولوية لديهم في علاقتهم بالدولة.

كما أن هذه الأجندة المطلوبة لدى الوشاحي تثير مخاوف لدى قيادات الواحة، لما قد تثيره من مخاوف وشبهات في تعامل الدولة مع السكان ذوي الأصول الأمازيغية، في حين أن النهج المعتمد من قيادات الواحة في تحقيق مطالبهم، هو التعاون والسعي لكسب ثقة وتعاطف المسؤولين الحكوميين وليس الصدام معهم. ومن ناحية ثالثة، يمكن فهم هذا الرفض من منظور ثقافي، في ضوء سيادة الثقافة الذكورية المحافظة في الواحة، والتي تصل إلى تغطية المرأة بالكامل، بما في ذلك عدم الكشف عن وجهها، وعدم تصديها للعمل العام إلا في أضيق الحدود وبعيداً عن السياسة؛ في حين أن الوشاحي تمثل نموذجاً للمرأة المتحررة والمنفتحة، وهو ما يظهر في نمط الزي المناقض لزي المرأة في سيوة (لاسيما لما يحمله الزي من دلالة على وضعية المرأة في المجتمع المصري)، فضلاً عن اللغة الحادة والجامحة أحياناً (التي تتضمن بعض السباب) التي تستخدمها الوشاحي على صفحات التواصل الاجتماعي، ومن ثم تمثل الوشاحي نموذج صادم للقيم الثقافية والاجتماعية المحافظة السائدة لدى قبائل سيوة، ولعل أبرز الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها على ذلك هو موقف الوشاحي المُعلن على صفحتها بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك بشأن قبولها لفتوى تبيح ممارسة الجنس خارج إطار الزواج وادعائها بأن الثقافة الأمازيغية تبيح ذلك بشروط، ما أثار حفيظة مشايخ القبائل ورموز المجتمع السيوي على نحو غير مسبوق⁵¹.

المطلب الثاني : مطالب المجتمع الأمازيغي

تختلف المطالب باختلاف الفاعلين في المجتمع الأمازيغي، لذا سيتم تقسيم المطالب وفق تقسيم الفاعلين في المطلب السابق.

51. « أمانى الوشاحي، كبيرة أمازيغ مصر تؤيد فتوى الشيخ ميزو عن الزنا.. وتؤكد : ثقافتنا تسمح بممارسة العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج.. ونشطاء : كلامها عن الثقافة في المغرب وشمال إفريقيا... وأمازيغ مصر محافظون مثل الصعيدة »، البوابة نيوز، نوفمبر 2014، انظر :

أولاً : مطالب الفاعلين الاجتماعيين التقليديين

ترتبط مطالب الفاعلين التقليديين بكونها ذات بعد خدمي تنموي بالأساس، من بين هذه المشاكل أيضاً، جودة وسلامة مياه الشرب، والتي تحتوي على معادن ثقيلة تؤدي إلى الكثير من الأمراض في نهاية الأمر، فقد أدى الإهمال من جانب المسؤولين بعدم تشغيل محطات للتنقية داخل الواحة للأهالي إلى إصابة المواطنين بكثير من الأمراض، من بينها الأنيميا والفشل الكلوي، الذي انتشر بين أعداد كبيرة من السكان. وبالنسبة للزراعة، يروي سكان واحة سيوة أراضيهم المنزرعة بدون مقابل، بينما يدفعون مقابلاً لمياه الشرب، وتُتاح الكهرباء في سيوة على مدار 24 ساعة، حيث تحصل عليها من محطة كهرباء ديزل، ومحطة طاقة شمسية بالواحة بطاقة 10.4 ميغاوات، منحة من الإمارات، تغطي سيوة باستثناء قرية الجارة، التي تبعد عن سيوة 260 كيلو متر، حيث الإضاءة هناك من خلال مولدات، لكن ليست على مدار 24 ساعة.

كما تتمثل إحدى المشاكل في غياب مراكز طبية داخل الواحة، فضلاً عن نقص إمكانيات مستشفى سيوة الحكومي، التي تغيب فيها الأجهزة الطبية الحديثة، فضلاً عن انخفاض عدد الأطباء داخل المستشفى، وينعدم في أوقات كثيرة وجود أطباء التخدير، والجراحة، وحالات الولادة، التي تضطر المستشفى لنقلها لمرفئ مطروح وذلك عبر سيارات الإسعاف المتوافرة، كما تتعلق مشكلة أخرى بسكن الأطباء أنفسهم الذين يرون أنه غير آدمي. ويوجد نقص أيضاً في أطباء الأوعية الدموية، والذي يُعد من أهم التخصصات التي تساعد في الإسعافات الأولية. وتبُعد أقرب مستشفى عام أو تجمع عمراني عن الواحة قرابة الـ300 كيلو متر، وهو مستشفى مطروح العام، وقد تقع حالة الوفاة للحالة، قبل الوصول للمستشفى نتيجة المسافة الطويلة.

وهناك مشكلات خاصة بالصرف الصحي، نتيجة للإهمال في تنفيذ المشروع ولتراخي الدولة في الاهتمام برعاية المواطنين، وهناك مشكلات في الصرف الزراعي أيضاً نتيجة عدم وجود مصارف أو محطات للرفع، والتي بسببها تلفت الكثير من الأراضي الزراعية، مما يتسبب أحياناً في غرق المحاصيل؛ بسبب مشكلات الصرف الزراعي. وكان من المستهدف أن ينتهي مشروع الصرف الصحي لواحة سيوة عام 2007، لكنه توقف لمدة طويلة بسبب تعثر المقاول، ثم طرحت وزارة الإسكان مشروع للصرف منذ عام، ويُستهدف الانتهاء منه خلال 3 سنوات، ليشمل مدينتي سيوة وقرية أغورمي، التي تبعد 3 كيلو عن سيوة، أما باقي القرى فالأمر سيحتاج إلى مدة أطول. وأدى الري بالغمر داخل سيوة، مع وجود زراعات غير مستهلكة للمياه، إلى تكون 4 بحيرات صرف زراعي، ما قد يُشكل تهديداً كبيراً على سيوة، لوجود كميات مهولة من المياه، غير المستغلة.

تسيطر كذلك حالة من الإهمال على المنشآت السياحية، والآثار الفرعونية، إذ تهالكت أغلب بنايات مسجد شالي العريق، وأدى توقف عمليات الترميم لمعبد التنبؤات أو معبد آمون بعد ثورة 25 يناير، إلى تشوه جدرانها.

وتوجد مشكلات تتعلق بالنظام التعليم في سيوة، فعدد المدارس في الواحة 27 مدرسة تقريباً، ويوجد بها عجز شديد في كل التخصصات، خصوصاً في أعداد المدرسين، مقارنة بأعداد الطلاب، فقوة المدرسين في سيوة بالمعنيين 600 مدرس منهم 250 مدرساً من سيوة و350 مغترب، وتوجد مشكلة تتعلق بسوء التوزيع الجغرافي للمدارس، فهناك قرى بها مدارس وقرى من دون، مما يضطر الأطفال إلى أن يسيروا حوالي 5 كيلو مترات لكي يصلوا للمدرسة، وهناك مدارس أخرى مساحتها صغيرة جداً لا يسع الفصل فيها إلا 25 تلميذاً.

وطالب مشايخ القبائل الجهات الحكومية بمنح استثناءات لطلبة سيوة في القبول لدى الجامعات، بحيث يتم قبولهم بدرجات أقل من الحد الذي وضع للقبول في الجامعات، لل صعوبات الكبرى التي تواجه الطلاب خلال عملية التعليم في ظل انعدام الظروف. وكان هناك استثناء لطلبة سيوة في القبول لدى الجامعات، خلال عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات، الذي سبق له زيارة الواحة، حيث كان يتم قبول أبناء الواحة بدرجات أقل من الحد الذي وضع للقبول في الجامعات.

أحد المشاكل التي تواجه عوائل القبائل ومواطني سيوة تتمثل في اعتراف الحكومة المصرية بملكية الأراضي المزروعة لهم حتى سنة 80 فقط. ولم تعترف الحكومة بملكية المواطنين للأراضي غير المزروعة وتم اعتبارها أرض « بور » وملك الدولة، كما لم تمنحهم عقود ملكية للأراضي التي يقولون إنها مملوكة لهم، ويبيعون ويشترون من خلال الحجج العرفية والإخطارات الأولية، لكن التنسيق والتوثيق في الشهر العقاري لم يحدث، فلا يمكن تسجيل الأرض في الحكومة. كما يُمثل عدم وجود شهر عقاري في سيوة، مشكلة كبرى لسكان الواحة، حيث يضطر سكان الواحة للسفر مسافة تصل لـ 300 كيلو إلى مرسى مطروح لتسجيل أي إجراء، بجانب غياب هيئة نيابية، حيث يطالب الفاعلون التقليديون دوماً بضرورة إنشاء نيابة جزئية، لنظر القضايا الخاصة بالواحة.

وقد سعى الفاعلون التقليديون لنقل كل هذه المطالب إلى الجهات المعنية عبر أكثر من وسيلة، أبرزها اللقاءات الدائمة مع قادة الجيش والمخابرات الحربية، أو نقل هذه المطالب لأعضاء البرلمان عن دائرة مرسى مطروح.

ثانياً : مطالب الفاعلين الاجتماعيين الجدد

تتميز مطالب الفاعلين غير التقليديين بأنها ذات بعد هوياتي أمازيغي، تبدأ بالمطالبة بإلغاء كلمة العربية من الاسم الرسمي للدولة « جمهورية مصر العربية »،

وكذا الإقرار بوجود أقلية أمازيغية في مصر⁵². وتتضمن كذلك مطالبات بأشكال مختلفة من التضامن مع « المطالب المشروعة للشعب الأمازيغي ». ويعملون على رصد وتوثيق ما يصفونه بـ « أشكال التمييز العرقي » ضد الأمازيغ وغيرهم، والتصدي لها، والعمل على الغائها عبر تجريمها قانونياً. كما تشمل هذه المطالب التصدي لعمليات التهميش الاقتصادي للمناطق الأمازيغية. والعمل على تنميتها، التصدي لـ « سياسة التعريب المفروضة قهراً » على الشعب الأمازيغي، وتقديم المساعدات الانسانية إلى المناطق الأمازيغية المحتاجة إليها⁵³.

وسعي هؤلاء الفاعلون لإيصال مطالبهم، عبر تدويل الموضوع في مؤتمرات خارجية، أو عبر مخاطبة السلطات السياسية الحاكمة في مصر، كتقديم ثلاثة نشطاء من أمازيغ مصر، وهم: (أماني الوشاحي-خالد مسلم-محمود قناوي) في 2011، بتقديم ورقة مطالب إلى رئاسة مجلس الوزراء، تضمنت عرضاً للمشكلات التي تواجههم حالياً، كما تضمنت أيضاً رغبتهم في المشاركة بالحوار الوطني أو لقاء رئيس الوزراء المصري آنذاك عصام شرف⁵⁴.

كما تشمل مطالبهم إصدار قانون ينظم استعمال اللغة الأمازيغية، وإدراجها حتى في لغات المناهج التعليمية (رغم أن هؤلاء النشطاء لا يستطيعون في الغالب تحدث الأمازيغية كما سبقت الإشارة بالنسبة لأماني الوشاحي تحديداً)، واعتبار واحة سيوة دائرة انتخابية مستقلة بذاتها نظراً لخصوصيتها الثقافية، وتمثيل أبناء الواحة بالبرلمان المصري، وتأسيس مجلس قومي للثقافات المحلية أسوة بالمجالس القومية الأخرى. ويصف الفاعلون غير التقليديون أنفسهم لوسائل الإعلام بأنهم جري إقصائهم، بعدة وسائل دينية وقومية وثقافية وسياسية، وأنهم يتم التعامل معهم باعتبارهم أقلية، ليس لها الحق في التعبير عن هويتها.

لا يتحدث أحد من هؤلاء الفاعلين عن مساعي للاستقلال عن مصر، أو حتى الإشارة لهذه المسألة كشكل من أشكال الضغط على السلطة السياسية للاستجابة لمطالبهم، حيث يظل هذا الطلب أحد المحظورات الذي يسارعون في نفيه، والتأكيد على أنهم جزء من مصر. ولكن أحد المطالب الرئيسية للناشطين غير التقليديين، كانت تعديل الدستور

52. عبداللطيف صبح وآخرون، « أماني الوشاحي ممثلة أمازيغ مصر : نرفض استمرار العربية في اسم مصر وليبيا »، اليوم السابع، مايو 2015، انظر :

<http://www.youm7.com/story/2015/5/28>

53. أماني الوشاحي، « تأسيس الشبكة المصرية من أجل الأمازيغ ENFA »، بيان تأسيسي، يوليو 2010، انظر : http://www.amazighworld.org/arabic/human_rights/index_show.php?id=1010

54. « أمازيغ مصر يقدمون مطالبهم لرئيس الوزراء »، موقع عالم الأمازيغ، 21 إبريل 2011، انظر : http://www.amazighworld.org/arabic/news/index_show.php?id=1754

الحالي، خلال ولاية الرئيس المؤقت عدلي منصور، وزعموا أن الدستور لم يمنحهم حقوقهم كاملة، كما قدموا للجنة الخمسين خلال جلساتها مع الأقليات داخل مصر.

في المقابل، احتفي هؤلاء الفاعلون ببعض المواد التي أدرجتها السلطات، كالمادة التي تُشير إلى إيلاء الدولة اهتمامًا خاصًا بالحفاظ على التعددية الثقافية في مصر، والتأكيد على أن الهوية المصرية لها روافد عدة، والنص على مادة تجرم التمييز على أسس عرقية، والإقرار بالتزام مصر الدستوري بالاتفاقيات والعهود الدولية، وهي الاتفاقيات التي تضمن حقوق الأقليات ثقافياً واجتماعياً.

ويلتقي خطاب هذه المجموعات مع المزاعم الحكومية بأن أعدادهم قليلة، وذلك لتبرير تجاهل الدستور لمسألة ضرورة تمثيلهم النيابي، فيؤكدون بدورهم على أن المواثيق الدولية تنص على ضرورة الاعتراف بحقوق الأقليات. وسعي هؤلاء الناشطون لبلورة مطالبهم في ندوات نظمها المراكز الحقوقية في مصر، أو من خلال الظهور على وسائل الإعلام المصرية الحكومية أو الخاصة، أو عبر تأسيس صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات الإلكترونية.

على هذا النحو يمكن ملاحظة الفجوة والاختلاف ما بين طبيعة المطالب التي تصدر عن الفاعلين الجدد والتقليديين، فالفاعلين الجدد تتمحور أجندتهم المطالبية بالأساس على الجانب الثقافي والهوياتي، كما أن هذه المطالب يتم الدفع بها على الصعيد الوطني الشامل لتتجاوز الصعيد المحلي الخاص بالإطار الجغرافي الذي يقطنه الأمازيغ، والسعي لكي يتم مأسسة ودسترة هذه المطالب. وعلى العكس من ذلك، يتضح السمة شديدة المحلية لمطالب الفاعلين التقليديين، النابعة من الاحتياجات المعيشية للسكان، والصادرة من داخل المجتمع وليست واردة عليه من الخارج، ولعل هذا يقدم إضاءة تفسيرية للجفوة الشديد بين الفاعلين التقليديين والجدد، وهو الجفاء الذي يتجلى في موقف قيادات الواحة من أماني الوشاحي عل سبيل المثال، وفق ما تمت الإشارة إليه في موضع سابق.

المبحث الثالث : أنماط وأدوات التعبير في المجتمع الأمازيغي

المطلب الأول : أدوات التعبير عن المطالب

تتمثل أدوات التعبير عن المطالب بالنسبة لسكان سيوة ومشايخ القبائل من خلال الاتصال المباشر بالمسؤولين (رئيس مجلس المدينة-المحافظ-مديري المديرية-رؤساء أفرع أجهزة الأمن بالواحة والمحافظ). ويُمارس رئيس مجلس المدينة أدواراً في تلقي المطالب الخدمية من أهالي سيوة ؛ وتنحصر مهامه في بعض المطالب الخدمية في حدود صلاحياته

كتلقى طلبات توفيق اوضاع الحالات المستقرة للحائزين للأراضي، أو تلقي طلبات عمل من شباب الواحة، أو كوسيط في نقل بعض المطالب، من سكان الواحة، لقيادات الجيش. ويعاون رئيس مجلس المدينة في مهامه نائب رئيس للمركز، وسكرتير مجلس المدينة، وبعض الموظفين الذين يعملون بمكاتب متخصصة معنية بالتخطيط العمراني، الإدارة الهندسية، المرافق والمشروعات. ويتشكل الهيكل الإداري لمجلس مدينة سيوة من مكاتب تختص بتلقي مطالب المواطنين كمكتب خدمة المواطنين، مكتب المتابعة، مكتب شئون البيئة، وقسم العلاقات العامة، ومكتب التخطيط والمتابعة والإحصاء. ولا يُعد شرطاً أن يكون رئيس مدينة سيوة من أهالي الواحة ؛ حيث كان أغلب من يشغل هذه المنصب، من خارج الواحة.

وتُشكل الإدارة المحلية لمحافظة مرسى مطروح أحد أبرز الجهات التي يلجأ إليها سكان سيوة للتعبير عن مطالبهم، لما لها من صلاحيات واسعة تخول لها النظر في طلب تخصيص شقق المحافظة، طلب فحص عداد المياه من قبل المواطنين، طلب تأجير معدات الصرف الصحي، طلب الحصول على مصالحة في مخالفات شئون البيئة، طلب اعتماد مشروع لتقسيم الأراضي، إصدار تراخيص البناء (إنشاء-تعليق-تعديل-إضافة) أو الهدم، الترخيص للباعة الجائلين، الترخيص للمحال الصناعية والتجارية، الترخيص للمحال العامة (مقهى-مطعم-فندق)، الترخيص للملاهي غير السياحية، وأيضاً تراخيص إشغالات الطريق.

ويتمتع مشايخ قبائل سيوة بخصوصية في العلاقة مع قادة الجيش ومكتب المخابرات الحربية ؛ حيث أصبح قائد المنطقة الغربية أو مسئول مكتب المخابرات الحربية هم واجهة مشايخ القبائل في المطالب المستعصية على رئيس مجلس المدينة أو مدير المديرية. كما يوجد 5 رؤساء للقرى التابعة لمركز سيوة، وهم في الوقت الحالي : هود عبدالسلام عبد الحميد رئيس قرية الجارة، يوسف محمود كيلاني رئيس قرية اغورمي، محمود عبد العزيز موسى رئيس قرية أبوشروف، أبوبكر عبدالرحمن « ناصر » رئيس قرية بهي الدين، وأحمد يوسف سلامة القائم بأعمال رئيس قرية المراقى، وذلك وفق القرار رقم (84) لسنة 2017 لرئيس مركز ومدينة سيوة « محمد فهيم » بشأن تعيين رؤساء القرى التابعة للمركز⁵⁵.

أيضاً تشغل الجمعية الزراعية دوراً بارزاً داخل الواحة، فسيوة مدينة زراعية ومعظم اقتصادها قائم على الزراعة. أغلبها حدائق النخيل والزيتون بخلاف زراعات أخرى مثل الخضروات والفاكهة، وغالبية أهالي سيوة مزارعين فالجمعية هي من تأتي بالتقاوي والبذور والأسمدة والكيماوي، وتوفير الأسمدة العضوية « الكمبوست » للمزارعين بأسعار مخفضة. وقد اجتمع مشايخ القبائل نهاية العام الماضي لاختيار قائمة من 5 أشخاص

55. محمد فهيم، مقابلة شخصية.

من أصحاب الخبرة، وجري ترشيحهم في انتخابات الجمعية، وجري انتخابهم، ليمثلوا عضوية الجمعية.

وعادة مايكون المحافظ على علاقة وثيقة بمشايخ القبيلة، وعلى سابق معرفة به قبل شغله منصب المحافظ ؛ حيث يأتي اختيار محافظ مرسي مطروح دائماً من أبناء القوات المسلحة ؛ والمحافظ الحالي علاء أبوزيد، كان مديراً لمكتب المخابرات الحربية بالمحافظة قبل تعيينه في منصب المحافظ، وهي إشارة على الحضور الطاغي للقادة العسكريين في المحافظة كجهات ينقل لهم مشايخ القبيلة مطالبهم بشكل دائم. ويتمتع المحافظ بحضور كبير داخل واحة سيوة ؛ فهو يزور الواحة بصفة دائمة في الاحتفالات، ويتمتع بعلاقات جيدة مع مشايخ القبائل.

من جهة أخرى جري افتتاح مركز سيوة لتوثيق التراث الحضاري والطبيعي، في 2012، والذي يستهدف توثيق كافة العادات والتقاليد، وحرف، وصناعات يدوية، وفن بيئي قديم، وموسيقى، وشعر، ونحت ولهجات السيوية، والمحميات الطبيعية، وطرق الري والبناء القديمة. كاعتراف الدولة المصرية بما يميز الواحة من خصوصيات ثقافية يتم الحفاظ عليها.

الحزب الحاكم (الحزب الوطني الديمقراطي-حزب الحرية والعدالة)

نشط الحزب الوطني داخل واحة سيوة عبر منح عضويته لمجموعة من مشايخ القبائل والأعيان داخل الواحة، تمثلت في سلطات واسعة لإنهاء مصالح سكان الواحة، مقابل حشد الأصوات الانتخابية لمرشحي الحزب. وكان الهدف الرئيسي لاستراتيجية الحزب الانتخابية داخل واحة سيوة، هو تضيق الخناق على التيار السلفي الذي يجد دعواته قبولاً من جانب بعض سكان الواحة، وتحضر قطاعات كبيرة منهم دروس لمشايخ الدعوة السلفية بمساجد الواحة آنذاك، وكسب الكتلة التصويتية لسكان الواحة. وظل الحزب الوطني هو الحزب الوحيد الذي يعرفه سكان الواحة ؛ فالحزب الوطني كان له مقر في سيوة، ونظم بعض الأنشطة داخل الواحة، كإطلاق دعوات لزيارة الواحة والاستجمام بها، ودعوة رجال الأعمال التابعين للحزب للاستثمار داخلها. كما تمثل حضور الحزب الوطني في تعيين أمين شباب له داخل سيوة، وكان ابن أخ كبير قبيلة الوحيدات، والذي تمثل دوره في حشد مئات من شباب سيوة للمعسكرات الشبابية للحزب بمدينة أبي قير بمحافظة الاسكندرية.

علي اثر تلك الأنشطة، والحضور عبر مشايخ القبائل وأبنائهم، انضم أغلب شباب سيوة للحزب الوطني، فضلاً عن عدم وجود للأحزاب الأخرى الذي كان حضورها داخل الواحة هامشياً دون تأثير ملموس، كأحزاب « الوفد » و« الغد » و« التجمع ». وارتبط

الانضمام للحزب الوطني من جانب شباب سيوة بدوافع برجماتية تتعلق بتسهيل مصالحهم، وكسب حماية معنوية بعضوية الحزب خلال تحركاتهم، فلم يكن الانضمام للحزب الوطني من جانب سكان سيوة انتماءً، بل كانت مسألة مجاملات؛ فهناك بعض المصالح التي يمكن إنهاؤها من خلال الحزب الوطني، لأن الوحدة الحزبية لا بد أن يكتمل نصابها كي تنعقد، فيضطر أمين الحزب أن يجمع العضوية التي تحقق له هذا النصاب.

وهنا يجب الإشارة إلى أن الأمر لم يكن بذات القدر مع حزب الحرية والعدالة، وقت حكم جماعة الإخوان المسلمين، إذ اقتصر التواصل مع الحزب على عدد محدود من مشايخ القبائل المعروفين بميولهم الدينية والسياسية. وتمثل حضور حزب الحرية والعدالة داخل سيوة في مقر رئيسي جري افتتاحه بعد ثورة 25 يناير، والذي ساهم في تنظيم بعض الأنشطة والفاعليات له داخل المدينة، كالمسابقات الثقافية والبحثية والدينية، وتنظيم قوافل طبية بمستشفى سيوة المركزي لتخصصات الأنف والأذن والجراحة العامة، وإطلاق حملة « معاً نبني مصر » لزراعة فسائل النخيل بواحة سيوة، وإطلاق قرعة القروض الصغيرة المقدمة من الجمعية الشرعية لأهالي سيوة.

كما تأسس للحزب صفحة على موقع التواصل الاجتماعي « الفيسبوك »، التي نالت إعجاب 150 مواطن، حيث نشرت أخبار وفاعليات الحزب بشكل دائم داخل سيوة، وتروج لأنشطته بين شباب الواحة. واقتصر التواصل مع الحزب على عدد محدود من مشايخ القبائل المعروف بميولهم الديني والسياسي، وهو ما أدى ببعض مشايخ هؤلاء القبائل للتقدم بمرشح لمجلس الشعب على قائمة حزب الحرية والعدالة، والتقدم بأخر لمجلس الشورى على قائمة حزب النور، الذي يتمتع بوجود قاعدة كبيرة للتيار السلفي.

واعتادت قيادات جماعة الإخوان المسلمين، خلال فترة توليهم السلطة، على مقابلة مشايخ قبائل سيوة، كلقاء محمد سعد الكتاتني رئيس حزب الحرية والعدالة، بشيوخ قبائل غرب إسكندرية وقبائل منطقة سيوة والحمام في مارس 2013. وكان ممثل حزب الحرية والعدالة في سيوة هو بلال جبريل عبدالله سعيد ابودراع، الأمين العام للحزب بسيوة، والذي نال بعد ذلك عضوية البرلمان على قوائم الحزب. وبلغ عدد المؤيدين للموافقة على التعديل الدستوري 5861 من إجمالي عدد الناخبين 5962، بينما صوت عدد الناخبين بـ (لا) 64 صوت.

اتجاهات التصويت... ميل واضح للدين والدولة

بالنسبة لانتخابات رئاسة الجمهورية لعام 2012، كان يوجد 6 لجان انتخابية، وبلغ إجمالي عدد الناخبين 12.726، ومثلت الأصوات الصحيحة نحو 6.824، والأصوات الباطلة نحو 93 صوت، وبلغت نسبة المشاركة نحو 52.3%. وبلغ عدد المصوتين لأحمد شفيق نحو 161، بينما نال محمد مرسى نحو 663.

أما بالنسبة للانتخابات الرئاسية 2014، فيوجد بالواحة 8 لجان فرعية تتوزع خمسة منها في مدينة سيوة، وواحدة بقرية بهي الدين، وواحدة بقرية المراقى، وواحدة بقرية أغورمى. وبلغ إجمالي عدد المسجلين في اللجان الثمانية نحو 13,932، وبلغ إجمالي الحضور نحو 1,864، بنسبة مشاركة وصلت نحو 13.38% فقط. ومثلت الأصوات الصحيحة نحو 1,551. ومثل عدد المصوتين للرئيس عبدالفتاح السيسي نحو 1,456، بينما بلغ عدد مرشحي، حمدين صباحى نحو 95 ناخب.

وفيما يتعلق بالتمثيل النيابي الحالي عن انتخابات 2015، تتبع سيوة انتخابياً دائرة الحمام، مع كل من (الحمام-الضبعة-سيوة-العلمين-مارينا) بإجمالي عدد مقعدين برلمانيين بالنسبة للمرشحين الفرديين، يشغلهم حالياً (عام 2018) كل من صلاح الدين عياد، مستقل، ورزق جالى نصر الله، وهو مستقل. كما يُمثل الدائرة في القوائم الانتخابية كل من احمد عبد الواحد رسلان فرحات، ويحمل صفة (عامل-فلاح)، وترشح على قائمة في حب مصر، وهو عمدة مدينة الحمام، وعدلى عبد الواحد رسلان، وصفة المرشح (عامل/فلاح)، ويعمل فلاح. ويضم مركز سيوة 8 مراكز، و8 مقرات، و11 لجنة انتخابية، وعدد الناخبين 13 ألف 593 في انتخابات مجلس النواب الأخير.

الإعلام... إستغلال أمثل للتعبير عن المطالب ورفع المطام

تحضر وسائل الإعلام كوسيلة رئيسية للتعبير عن مطالب سكان الواحة وأبرز احتياجاتها الخدمية، حيث يتوافد على الواحة وسائل إعلام حكومية وخاصة من آن لآخر، لنقل صورة عامة عن السكان، وانتماهم السياسية، ومشاكل الأنشطة الاقتصادية الرئيسية كالزراعة.

وحضرت وسائل الإعلام لنقل مشاكل سكان الواحة، قبل ثورة 25 يناير، وتضمنت تقارير عن أبرز مشاكل الواحة لصحف « المصري اليوم » و« الأهرام » و« روز اليوسف »، و« البديل »، قبل أن تتوسع قائمة الصحف والقنوات الفضائية بعد ثورة 25 يناير، كجريدة الوطن وقناة الجزيرة وجريدة العربي الجديد، والتي نقلت مشاكل صناعة التمور داخل الواحة، وكذلك مشاكل السياحة داخل سيوة.

ويجد مشايخ القبائل في وسائل الإعلام وسيلة رئيسية للتعبير عن مشاكلهم الخدمية، ونقل صورة عامة عن سيوة، للصحف والفضائيات الخاصة والحكومية، ويكتفون عند الحديث عن علاقتهم مع الجيش بالتأكيد على تنسيقهم الدائم مع قادة المؤسسة العسكرية، وأنهم داعم رئيسي لجهودهم في سيوة. ويمثل سيوة في المقابلات الصحفية أو التليفزيونية مشايخ القبائل، رئيس مجلس مدينة سيوة، أو المتحدث الإعلامي للمدينة، أو نشطاء كأماي الوشاحي.

وتنشط وسائل إعلام محلية سيوية كصفحة موجودة على موقع التواصل الاجتماعي « الفيسبوك » باسم مؤسسة واحة سيوة الإخبارية، والتي تأسست في إبريل 2009، ولاتزال تواظب على نشر كل الأخبار التي تتعلق بسيوة، مشاكلها وسكانها، ويصل عدد المعجبين على الصفحة نحو 2266 مشترك، أغلبهم من سكان سيوة⁵⁶. كما يوجد لـ « مؤسسة واحة سيوة الإخبارية » موقع إلكتروني (متعطل عن العمل)، ويتعذر الدخول عليه، لأسباب تتعلق بعدم تحديثه. وتقول الصفحة أنها « تأسست لنقل أخبار واحة سيوة بعد التأكد من الخبر الصحيح من المصادر المسؤولة، عبر التعمق داخل الخبر والتأكد من مضمونه. ويلاحظ أن الحديث عند احتياجات أهالي الواحة أو مشكلاتهم لا يتم الحديث عنها لقنوات أو صحف مملوكة للدولة أو تابعة موالية لها ».

المطلب الثاني : أدوات التعبير الثقافي والتعبير عن الرأي

أولاً : الفاعليات الثقافية والفنية

تشهد واحة سيوة عدد من الفاعليات الثقافية والفنية سنوياً، أبرزها فعاليات احتفالات الواحة بعيد السياحة ومهرجان الحصاد والذي يقام خلال شهر أكتوبر، حيث اعتادت « الطريقة الشاذلية الصوفية » بمدينة سيوة اقامة احتفال كبير بمنطقة « الدرور » في الليالي القمرية من شهر أكتوبر (3 أيام) من كل عام ويتزامن ذلك مع بداية موسم حصاد البلح الزيتون بالواحة. ويطلق على هذا المهرجان أيضاً مهرجان السلام، إشارة إلى انتهاء الحرب بين شطري الواحة. ويشهد هذه الاحتفالات عدد من السياح الأجانب والعرب الذين يحرصون على قضاء تلك الفترة بواحة سيوة. وكان هذا العيد قد توقف لمدة 5 سنوات على خلفية الظروف الأمنية، بسبب مشاكل التهريب على الحدود المصرية الليبية، قبل أن يعود هذا العام (2017).

كما يحتفل الأمازيغ بعيد رأس السنة الأمازيغية « أسكاس أماينو » في معقل الثقافة الأمازيغية في مصر « واحة سيوة »، وتحديداً في قرية « دريم لودج »، في 13 يناير من كل عام، حيث يعتقد الأمازيغ أنه في مثل هذا اليوم 13 يناير سنة 950 ق.م انتصر القائد الأمازيغي « شيشينق الأول » على الفرعون « رمسيس الثالث ».

كما تنظم وزارة التجارة والصناعة، بالتعاون مع جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر، بدولة الإمارات ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (اليونيدو) ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (الفاو) ومحافظة مطروح، مهرجان التمور بواحة سيوة، والذي نظم 2017 للعام الثالث على التوالي، ويهدف إلى معرفة الوضع الراهن لزراعة النخيل والاطلاع على أجود أصناف التمور، بما فيها الأصناف النادرة.

56. <https://www.facebook.com/siwa09231/>

وتنظم محافظة مرسى مطروح بالتنسيق مع مركز مدينة سيوة عدد من الفاعليات والمؤتمرات لمكافحة الأمية، كمؤتمر « القضاء على الأمية غايتنا »، في يناير 2016. وهناك أيضاً « مهرجان الفتة »، وهي إحدى الفاعليات التي تُنظم ضمن عيد السياحة، حيث يصنع عشرات المواطنين فوق سفح الجبل، من الشباب وكبار العائلات والقبائل، الأطعمة التي تشتهر بها الواحة، مثل الفتة على الطريقة السيوية، وهي الأكلة الشعبية في عيد السياحة بالواحة.

ويبدأ مهرجان إعداد الفتة بتجميع الخبز المعد خصيصاً لهذه الأكلة الشعبية التي تشتهر بها سيوة في عيد السياحة، تزامناً مع نحر عدد من الإبل والعجول، ويقوم الجزائريون بذبحها وسلخها وتقطيعها، وتتولى مجموعة أخرى أعمال الطهي في طناجر كبيرة الحجم، مصممة لطهي كميات كبيرة من الطعام، ويقوم الطهاة بإعداد ما يقرب من 1000 من الأواني الألومنيوم السيوية المملوءة بالفتة التي يضعون عليها شوربة الجمال، دون لحوم.

ويحتفل سكان سيوة بمولد النبي بنمط يتماشى مع خصوصيتهم الثقافية، حيث تستعد له النساء بالفول الثابت والبليلة، ويذهب الرجال إلى مقام سيدي سليمان سلطان سيوة، ليقروا القرآن والذكر حتى بعد العشاء.

بشكل عام، نشطت المهرجانات الثقافية بواحة سيوة خلال عهد الرئيس السابق محمد حسني مبارك، حيث جرى تنظيم أكثر من فاعلية بالواحة برعاية سوزان مبارك كفاعلية « الرياضة طريق السلام »، التي جرى تنظيمها في 2010. كما توجد بعض المنظمات التي تأسست بمجهودات أبناء سيوة، كجمعية أبناء سيوة للخدمات السياحية والحفاظ على التراث، التي تنظم عدد من الفاعليات، سواء داخل سيوة أو في العاصمة المصرية، كتثقيفها معرض بعنوان (سيوة التراث... السياحة... السلام)، في سبتمبر 2017، حيث تم افتتاح معرض للصور الفوتوغرافية ولوحات للفنان السيوي يوسف إبراهيم، بالإضافة إلى افتتاح معرض للمنتجات التقليدية واليدوية الخاصة بواحة سيوة وتراثها وفنونها.

كما تنشط الفاعليات الرياضية خصوصاً دورات كرة القدم، التي ترعاها القوّات المسلحة، وتدعم من خلالها نادي سيوة لكرة القدم، وتقوم بتسليم الميداليات والجوائز قيادات عسكرية. ويظهر ذلك في دورة كرة القدم، التي جرى تنظيمها بالملعب الخماسي بنادي الواحة الرياضي، في سبتمبر الماضي، وسلم الجوائز العميد سيد غلاب قائد قطاع سيوة العسكري، ومشايخ القبائل، ورئيس مركز مدينة سيوة.

ثانياً : دور العبادة... تتجاوز الدور الديني

تعتبر المساجد أحد نطاقات التعبير عن الرأي، لاسيما في الأمور الدينية أو المجتمعية، كما أنها أحد الأماكن التي يمكن لأهالي الواحة أن يتوجهون إليها لتحرير

شكواهم ضد أي طرف. وللمساجد داخل سيوة نفوذ كبير مستمد من الدور الذي يلعبه أئمة المساجد داخل سيوة، من خلال اضطلاعهم بصدور الأحكام الشرعية في جلسات الأحكام العرفية بحضور مشايخ القبائل، ومطابقتها للشرع من عدمه، حيث منحهم هذا الدور نفوذاً مجتمعياً، وتأثيراً واسعاً داخل الواحة، خصوصاً أن هذا الدور يأتي بقبول من مشايخ القبائل الذين يجدون حضورهم في الجلسات العرفية عاملاً مؤثراً في التزام أطراف النزاع بالأحكام الصادرة عنهم كما أسلفنا ذلك سابقاً ونحن نتحدث عن الفاعل الاجتماعي التقليدي.

وتعقب جلسات الأحكام العرفية، دروس دينية للمشايخ، تتحدث من خلالها عن فوائد تطبيق الاحكام الشرعية، وأهمية الالتزام بها من جانب أطراف الخصومة، كمحدد رئيسي لتطبيق شرع الله، ويكون هذه الدروس فرصة لأهل سيوة ل طرح مشاكلهم، أو عرض مقترحات لتطوير القرى، حيث تكون المساجد هي أماكن التبرع، من جانب سكان القرية، لتطوير أحد المشاكل.

وسعت مشايخ القبائل، لكسب ود الرموز الدينية والمشايخ في محاولة لتدعيم سلطاتها المعنوية، وكي تكتسب قراراتها بعداً دينياً، يمنحها السيطرة على أبناء قبيلتهم. وعلى الرغم من إشراف أئمة من مديرية الأوقاف بسيوة على مساجد القرى التي تتبع واحة سيوة، وتخضع من جانب الوزارة لمراقبة مُشددة على الخطب والدروس الدينية، إلا أن هناك مشايخ لا يزالون محتفظين بنفوذهم.

ثالثاً : وسائل الإعلام

1 - الصحف والفضائيات - صنّاع الأفلام الوثائقية

تُعد سيوة مادة ثرية لوسائل الإعلام المحلية والدولية لتغطية أوضاعها المعيشية، والأنماط الاجتماعية لسكانها، واستكشاف نمط الحياة السائد بين مجموعة القبائل ينتمون لأصول قبلية أمازيغية، ويتحدثون باللهجة المصرية السائدة، بين عموم الشعب المصري.

أنتجت قناة الجزيرة الفضائية أكثر من مادة وثائقية عن واحة سيوة، وصدت من خلال هذه المادة أبرز المشاكل التي تعيشها الواحة، وتاريخ الواحة وسكانها. وكان فيلم « جنان الأرض : سيوة. واحة صحراوية » أحد أبرز الأفلام الوثائقية التي أنتجتها قناة الجزيرة الفضائية في 2012، عن واحة سيوة، التي ركزت في زاوية مُعاجلتها لهذا الوثائقي، الذي امتد لقرابة ساعة تليفزيونية، عن سيوة كمنطقة خلابة للسياح الأجانب، والمصريين، وكيف تحولت هذه الواحة الصحراوية لواحة من أكثر مناطق العالم جذباً للسياح.

وفي برنامج الملف، التي تذيعه قناة الجزيرة، في 2010، عرضت القناة فيلماً وثائقياً جديداً عن الواحة، يستعرض التركيبة السكانية للواحة، وأنماط التعايش بين القبائل

التي تُشكل السلطة المركزية، والتفاعلات الاجتماعية والسياسية داخل المدينة، ووضع المرأة السيوية داخل المجتمع الصحراوي، ومهامها التي تسمح لها العادات والتقاليد بمزاوتها. وتعرض قناة الجزيرة تقارير تليفزيونية دورية عن الواحة، مشاكلها، تغطية لبعض الاحتفالات، وزيارات لمسؤولين نافذين داخل الدولة، مقابلات مع مشايخ القبائل، الذين اعتادوا الظهور عليها بشكل دوري في المرحلة التي سبقت عزل الإخوان المسلمين عن السلطة.

نالت سيوة أيضاً اهتماماً واسعاً من الصحف الأجنبية خلال تغطيتها للشأن المصري، عبر نشر كُبرى الصحف الأجنبية كالنيويورك تايمز، والواشنطن بوست، لتقارير عن الواحة، قبل ثورة 25 يناير، والتي تحدثت عن الواحة كواحدة من الأماكن السياحية التي تجتذب قطاعات كبيرة من السياح، وتُدر دخلاً قومياً كبيراً، وأيضاً كمكان تاريخي وقعت على أراضيها واقعة مصرع القائد العسكري الفريق « أحمد بدوي » وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة المصرية في مارس (آذار) من عام 1980، وعدد من أبرز القادة العسكريين، عندما سقطت بهم طائرة عمودية، في منطقة سيوة، بالمنطقة العسكرية الغربية، بمطروح. وأيضاً واقعة سقوط طائرة عسكرية مصرية دون طيار بالواحة، نتيجة عطل فني، والتي أدت لمصرع ملازم طيار ورقيب، في أغسطس 2015.

الأمر نفسه ينطبق على قناة العربية الفضائية، بدرجة أقل، في التغطية على قضايا واحة سيوة وسكانها ؛ حيث غطت قناة العربية الأوضاع داخل سيوة عبر تقارير تليفزيونية، ركزت بشكل أساسي على خصوصية سكانها في لغتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية، وجمال الواحة كواحدة من أجمل المناطق السياحية في العالم. واكتفت العربية بتقارير تليفزيونية كل فترة زمنية طويلة، وركّزت في تغطيتها دوماً على الخصوصية الثقافية لسكان الواحة، وأهماتهم الاجتماعية، ودور القبائل كسلطة مركزية داخلها.

لا يمانع مشايخ القبائل من إجراء المقابلات الصحفية سواء لصحف وقنوات تليفزيونية حكومية أو خاصة ؛ فهم يجدون في وسائل الإعلام وسيلة رئيسية للتعبير عن مشاكلهم الخدمية، ونقل صورة عامة عن سيوة. ويكتفون عند الحديث عن علاقتهم مع الجيش بالتأكيد على تنسيقهم الدائم مع قادة المؤسسة العسكرية، وأنهم داعم رئيسي لجهودهم في سيوة.

وركزت وسائل الإعلام الحكومية في لقاءاتهم الدورية، قبل ثورة 25 يناير، على إبراز كلام مشايخ القبائل برفض أي مقترحات أو مخططات لنقل تبعية سيوة إلى ليبيا، بعدما ألمح الرئيس القذافي في إحدى خطبه أمام جمهوره إلى ذلك. وركّزت كذلك على تأكيد السكان المحليين رفض أي مقترحات لتدويل الأزمة في الخارج. وفي الفترة التي تلت ثورة 25 يناير، ركّزت وسائل الإعلام من تغطيتها على سيوة، وصدت تأثيرها الكبير

عن انخفاض معدلات السياحة، كما غطت عدد من المشاكل التي تعلق بالصناعة الرئيسية في الواحة وهي صناعة التمر، وكذلك مشكلة السياحة داخل سيوة.

أغلب الصحف الخاصة تناولت هذه المشاكل في تغطيتها الخبرية، كما ركزت الصحف العربية خصوصاً القطرية على هذه المشاكل بإنتاج تحقيقات في جريدة « العربي الجديد » يستعرض أسباب تراجع صناعة التمر التي كانت مورداً رئيسياً للدخل، المشاكل التي تتعلق بالسياحة العلاجية داخل الواحة التي فقدت الكثير من زعمها بسبب قصور من جانب المسؤولين عن هذا الأمر.

وركزت بعض وسائل الإعلام المصرية الحكومية/الخاصة في تغطيتها لواحة سيوة، على الأدوار البطولية لمشايع القبائل مع الجيش المصري في التنسيق لحماية حدود مصر الغربية، ومنع عمليات التهريب سواء للأسلحة أو المخدرات.

2 - مواقع التواصل الاجتماعي

تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً هاماً كأداة للتعبير عن أهل الواحة، وبالأخص صفحات الفيسبوك، سواء تلك الخاصة ببعض مشايخ القبائل، أو مجموعات خاصة بشباب وسكان الواحة، أو مجموعات مرتبطة بالمسألة الأمازيغية وهي معدة من قبل نشطاء غير أمازيغ. أبرزت هذه الصفحات أمازيغ مصر، التي أسستها الناشطة أماني الوشاحي، وتنتشر الصفحة أخبار الوشاحي وبعض الفاعليات الداعمة لأمازيغ مصر.

كما تنشط وسائل إعلام محلية سيوية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كصفحة موجودة على « الفيسبوك » بإسم مؤسسة واحة سيوة الإخبارية، والتي تأسست في إبريل 2009، ولاتزال تواظب على نشر كل الأخبار التي تتعلق بسيوة، مشاكلها وسكانها، ويصل عدد المعجبين على الصفحة نحو 2266 مشترك، أغلبهم من سكان سيوة. كما يوجد لـ « مؤسسة واحة سيوة الإخبارية » موقع إلكتروني (متعطل عن العمل)، ويتعذر الدخول عليه، لأسباب تتعلق بعدم تحديثه.

ويملك عدد من مشايخ القبائل حسابات شخصية لهم على موقع التواصل الاجتماعي⁵⁷، ينشرون من خلالها أخبار الواحة، وأبرز الأنشطة مع أفراد قبائلهم، يستعرضون لجهود رجال الدولة، والمحافظ. وينتشر « الفيسبوك » بين أبناء واحة سيوة، حيث يكثر استخدامهم عبر تأسيس حسابات لهم باللغة العربية، ويضعون صورة لهم، كما تنخرط بعض السيدات في «الفيسبوك» عبر حسابات بأسماء وهمية.

57. على سبيل المثال :

صفحة الشيخ عمر راجح، انظر :

<https://www.facebook.com/sheikhomarrageh>

صفحة الشيخ فتحي الكيلاني، انظر :

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100011467402000&fref=mentions>

المطلب الثالث : المطلب الهوياتي (المسألة الأمازيغية)

من الصعب تحديد، بشكل دقيق، الموعد الذي بدأ فيه الحديث عن مسألة أمازيغية في مصر، لكن الراجح هو أن الأمر بدأ في التسعينيات مع جهود عالم الاجتماع المصري د. سعد الدين إبراهيم، الذي قام بتأسيس مركز ابن خلدون للدراسات الاثنية، حيث كان عدد من أنشطة المركز تنصب على الاهتمام بالأقليات في العالم العربي، لاسيما من خلال العمل على إصدار تقرير سنوي بعنوان « الملل والنحل والأعراق »، فضلاً عن عقد العديد من ورش العمل والندوات والمؤتمرات، حول « قضايا الأقليات والمهمشون ». وقد غلب على نشاط مركز ابن خلدون التركيز على قضايا الأقليات من منظور نقدي، عبر التشديد على كونهم يتعرضون لاضطهاد عمدي ممنهج من قبل الدولة، وهو ما أثار حفيظة أجهزة الدولة⁵⁸، بينما تلقفت المعارضة والإعلام التابع لها هذا المنحى، بغرض توظيفه في الضغط على النظام. كما تورطت بعض وسائل الإعلام الموالية للدولة في شن هجمات إعلامية على الأمازيغ والتشكيك في ولاءهم، وأدى ذلك إلى قيام بعض المنظمات الأمازيغية خارج مصر في استخدام هذا الأمر لتدويل القضية. وأصدرت منظمات أمازيغية في 2009، بياناً رسمياً تدعو فيه أنظمة شمال إفريقيا للتصدي لهذه الحملة التي تتعرض لها شعوبها، وتحريض شعوب شمال إفريقيا ببلدانها والمهجر لمقاطعة المنتج المصري إعلامياً كان أو فنياً أو اقتصادياً.

وفي المحصلة تحول ملف سيوة إلى أحد الملفات التي تخضع للشد والجذب بين أطراف، ليس من بينها سكان الواحة ؛ بل يمكن القول أن بعضهم كان ضحية هذا المنحى، فكانت السلطات المصرية قد منعت، بشكل غير رسمي، دخول أبناء سيوة كلية الشرطة والكليات العسكرية، لدواعي أمنية وذلك في بداية الألفينات (دون أن يمتد هذا المنع إلى تجنيدهم لأداء الخدمة الإجبارية كباقي المصريين، وهو ما يميزهم عن مواطني سيناء في أقصى شرق البلاد كما سبقت الإشارة). كما تعرض عدد من السيويين للاستبعاد من مناصب قيادية في الدولة وأجهزة سيادية، على خلفيتهم أصولهم الأمازيغية، والتشكك في ولاءاتهم، من جانب بعض الأجهزة والوزارات. وفي عام 2006 استدعى أمن الدولة بعض المثقفين والفنانين من أهالي الواحة، وجرى التحقيق معهم بشأن الأخبار المتداولة عن وجود نزعة استقلالية من جانب مجموعات منتمية لهم.

58. يعتبر سعد الدين إبراهيم أحد أبرز الخبراء في مجال علم الاجتماع السياسي، وقد ذاع سيطه في أعقاب اهتمامه بقضايا الأقليات والفئات المهمشة بالمجتمع المصري، لاسيما وأن طرحه تبنى وجهة نظر معادية للدولة، ما دفع الأخيرة لشن حملة تشهير شديدة ضد « إبراهيم » ومركز ابن خلدون للدراسات الاثنية الذي يعد نافذته المؤسسية لتحقيق أهدافه، وقد استخدمت الدولة في حملتها للتشهير بـ « إبراهيم » عدداً من الكتاب والمثقفين المحسوبين على المعارضة المصرية وقتها وعلى رأسهم الصحفي مصطفى بكرى وعبد الحليم قنديل وجمال أسعد وعبد الرحيم علي وغيرهم.

في عام 2008 قام أحد نشطاء أقباط المهجر، وهو المهندس الراحل عدلي أبدير، بالدعوة إلى عقد مؤتمر الأقليات المصرية والذي تم عقده خارج البلاد، ووجدت دعوة أبدير رفضاً واسعاً من جانب الشخصيات الأمازيغية، وشيوخ القبائل، وحتى النشطاء المعنين بالقضية الأمازيغية كأمني الوشاحي التي رفضت الحضور، وذكرت في حوار صحفي « أن عدلي أبدير ينوي ضرب أسافين بين الأمازيغ والدولة ». ولا يقتصر تدويل أزمة مسألة أمازيغ مصر عند عدلي أبدير، حيث برز اهتمام مؤسسات أمازيغية دولية أخرى بمنطقة شمال إفريقيا، تزج بإسم أمازيغ مصر في بياناتها التي تشجب أوضاع الأمازيغ في العالم العربي. ويُعد من أبرز هذه المنظمات الكونجرس الأمازيغي العالمي.

ورغم هذا الرّخَم الإعلامي الذي حازه الملف الأمازيغي في مصر والذي كان قد نما عبر عقد ونصف على طريقة كرة الثلج، إلا أنه يمكن القول أن موقع الأمازيغ على أجندة عمل المنظمات الحقوقية المصرية يكاد لا يرى، وكأن هذه المنظمات لا تضع الملف ضمن أولوياته، وهو ما يبرز في انعدام وجود أي وثائق أو أوراق صادرة عن هذه المنظمات تعنى بالأمازيغ في مصر. وكأن هذا الرّخَم الإعلامي المحدود كان مدفوعاً بأغراض التوظيف السياسي فقط، ومع غياب هذه الدوافع وتغير السياق السياسي، غاب الاهتمام الإعلامي بالملف الأمازيغي وذهب طيّ النسيان.

هذا التراجع السياسي والحقوقى في الاهتمام بالملف الأمازيغي، ترافق معه اتجاه معاكس عمل على تعويض هذا التراجع، بتزايد الاهتمام بالأمازيغ من منظور ثقافي وفني ودعائي. مع وجود إدراك واضح من قبل الأطراف الفاعلة الحقيقية في الشأن الأمازيغي، وهي القيادات المحلية للواحة من جانب وأجهزة الدولة من جانب آخر، لحيوية البعد التنموي كمدخل لتحقيق الأمن، وهي المعادلة التي يجتمع عليها الطرفين؛ ولعل ذلك هو سبب حالة التناغم والتعاون بينهما بالشكل الذي أدى إلى إزاحة الأطراف الخارجية من ممارسة أي تأثير حقيقي في هذا الملف.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن هذه المعادلة المشار إليها، تثير مخاوف بعض مثقفي الواحة الذين لديهم اهتمام أصيل بالحفاظ على الهوية الأمازيغية، ففي حوار أجراه فريق البحث مع الفنان والحكّاء طاهر عبد الغني، عبّر بصراحة (على طريقة « حاذر من أحلامك فقد تتحقق ») عن هواجسه العميقة من نجاح الدولة في إحداث طفرة تنموية في سيوة، بشكل يحولها إلى نقطة جذب للباحثين عن فرص عمل من بقية مدن مصر، فيتحوّل سكان الواحة قليلو العدد إلى أقلية في محيط من غير الأمازيغ، بما قد يمثل تهديداً للهوية الثقافية لسيوة على المدى البعيد.

خاتمة

سعت الدراسة إلى اختبار الفرضية القائلة بأن ثمة عوائق ذاتية وموضوعية تحُول دون اختتام وجود حراك أمازيغي قوي في مصر، شبيه بما يجري في بقية دول شمال إفريقيا. وقد أثبتت الدراسة صحة هذه الفرضية، سواء قبل الثورة، أو حتى بعدها، حيث لم يحمل معه الربيع العربي ربيعاً أمازيغياً في مصر، على غرار ما حدث في بعض حالات شمال إفريقيا. ولم تكن الفرصة المتأتية مع ثورة يناير هي الفرصة الأولى، فقد سبقتها فرصة أخرى قبل نحو عقد ونصف، وكان الإخفاق في تجذير الخطاب المطلبي الأمازيغي هو المصير الحتمي في الحالتين.

مع بداية الطفرة الحادثة في دور المنظمات الحقوقية المصرية في التسعينيات وبداية الألفية، بدا وكأن المسألة الأمازيغية قد تمثل فرصة جيدة لتوظيفها من قبل هذه المنظمات في خدمة النضال المدني، المتعطش لكسب مساحات جديدة في قضايا التعددية بأبعادها الحقوقية والسياسية؛ لكن التجربة أثبتت أن السكان الأمازيغ لم يتجاوزوا مع هذا الخطاب، ويمكن القول أنه لم يكن هناك مسعى حقيقي من قبل الفاعلين التقليديين للالتقاء مع الفاعلين الجدد في منتصف الطريق، ومن ثم لم يكن هناك فرصة حقيقية للوصول إلى أرضية مشتركة بين الفريقين، تصلح للوقوف عليها والتحرك انطلاقاً منها.

حملت ثورة يناير 2011 إمكانية نظرية على حدوث تلاقي بين الخطابين المطلبيين، الحقوقي الثقافي بحامله المدنيين، والخدماتي التنموي بحامله التقليديين، غير أن التعثر الديمقراطي والتقلبات السياسية والأمنية والاقتصادية التي شهدتها مصر وجوارها الغربي خلال سنوات ما بعد الثورة تسبَّب في الإطاحة بهذه الاحتمالات النظرية للتلاقي، حيث لم تجد طريقها للتحقق على أرض الواقع إلى في أضيق نطاق وفي محطات قليلة، كان أبرزها الخاص بتمثيل الأمازيغ أثناء صياغة الدستور.

هذا الفشل لا يمكن فهمه بمعزل عن أدوار الأطراف الثلاثة الرئيسية، أي الفاعلين الجدد، والفاعلين التقليديين، والدولة المصرية؛ فالفاعلون الجدد أتوا بأجندة مطلبية وأهداف مسبقة واستراتيجيات للتَّحرك تبدو غير مألوفة للفاعلين التقليديين، وفي المقابل

يمتلك الفاعلون التقليديون رؤيتهم الخاصة لمصالحهم المباشرة، التي تنطلق من تفسير ضيق ومفارق للأجندة الوطنية أو العبر الوطنية الحاكمة لموقف الفاعلين الجدد؛ وفي خلفية المشهد، توجد دولة متغلغلة ولديها من أدوات التحكم ما يكفي لعزل الفاعلين الجدد وكسب ولاء الفاعلين التقليديين، الذين تعدهم الدولة الشركاء الحقيقيين في تقرير شؤون السكان الأمازيغ.

البيليوغرافيا

- عبد العزيز عبد الرحمن الدميري، سيوة والساحل... الماضي والحاضر، مطابع ياسو، ط 2، الاسكندرية 2016، ص 8.
- سليم حسن، مصر القديمة ج 7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة 2000، ص ص 22 - 23.
- شيماء عبد الحكم السيد علي عتلم، أثر التغير الاجتماعي في تنمية المرأة في واحة الجغبوب بليبيا وواحة سيوة بمصر : دراسة في الانثروبولوجيا الاجتماعية : رسالة ماجستير، قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة 2014.
- يوسف عبد ربه، ملف سيرة الأمازيغ في مصر : 2758 عاما من العزلة، جريدة البديل، القاهرة، 2008.
- محمد ظافر المدني الشاذلي، الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية، دار الإنسان، القاهرة، 1995.
- فريد دي يونج، ترجمة عبد الحميد الجمال، تاريخ الطرق الصوفية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
- سوزان السعيد، احتفال السياحة والطريقة المدنية الشاذلية في واحة سيوة ، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد 66، 67، سبتمبر 2004، القاهرة، ص 93.
- سعيد المصري، الشرع يحكم في البادية : دراسة لعملية أسلمة المجتمع البدوي في مصر، مكتبة الإسكندرية، سلسلة مرصد، عدد 34، الإسكندرية، 2016.
- وائل عبد الله إبراهيم محمد، فاعلية السكان داخل النظام البيئي لمنخفض سيوة : دراسة جغرافية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 74، العدد 3، القاهرة، إبريل 2014، ص 137.
- أشرف محمد عاشور، الواقع الجغرافي بقرى واحة سيوة ومشكلات تنميتها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس، كلية الآداب، عدد 9، يونيو 2014، ص ص 195 - 196.

- عبد القادر بوفرساوي، الحديث الشامل عن التمور، دراسة مقدمة بالمؤتمر الدولي الثاني لنخيل التمور بجامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، أكتوبر، 2016.
- نهلة جابر عامر، منال شوقي، دور الفنادق العلاجية في تنشيط حركة السياحة العلاجية في مصر والأردن : دراسة حالة واحدة سيوة - مصر، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، الإسماعيلية : جامعة قناة السويس، كلية السياحة والفنادق، مجلد 11، عدد 1، يونيو 2014، ص ص 31 - 46.

خلاصة عامة

سنكتفي في هذه المحطة الأخيرة من الكتاب ببعض الاستنتاجات التي نضعها بين يدي القارئ لعلها تساعده على الاحتفاظ ببعض الأفكار الرئيسة وهو ينهي قراءة الدراسة الكلية بكل تفاصيلها. دراسة اعتمدنا فيها على سُلْم قراءة واحد للحالة الأمازيغية في الدول الخمس التي شملتها الدراسة. ركزت على شبكة واحدة من المحاور السوسيو-سياسية والديموقراطية، تساعد على القراءة المقارنة للنتائج. دراسة اعتمدت على مقارنة نوعية، استُعْمِلت فيها أسئلة مقابلة مطوّلة مع الفاعلين الأساسيين في المناطق التسع التي شملتها الدراسة. أنجزها باحثون (ت) متمرسون من أبناء المناطق المدروسة. حاولوا الإلمام بكل أدبيات الموضوع الصادرة باللغتين العربية والفرنسية. زيادة على ما تم جمعه من معطيات خلال البحث الميداني.

لعلّ من أهم النتائج التي أظهرتها الدراسة أنّ الأمازيغ في دول شمال إفريقيا الخمس مختلفون في وضعيتهم الجغرافية ومواقعهم الاجتماعية وحجمهم الديموغرافي وخصائص نخبهم وغيرها من المتغيرات الأخرى التي حددتها الدراسة، لكنهم يشتركون في نقطة واحدة مركزية، هي دفاعهم على خصوصياتهم الثقافية واللغوية داخل مجتمعات تحولوا فيها مع الوقت الى «أقليات» لغوية، يعيشون فيها على الهامش الجغرافي، في الصحاري والجبال والجزر حتى وإن مستهم موجات الهجرة كباقي مواطنهم الآخرين، دخلوا المدن في بلدانهم وفي الخارج ليعرفوا الكثير من التحولات في مواقعهم الاجتماعية كجزء من التحولات العامة التي عاشتها دول شمال إفريقيا، بعد إستقلال هذه الدول تحديدا. دون أن يعني هذا أنّ الظاهرة الأمازيغية مقتصرة على الريف فقط. فالأمازيغ هم أبناء مدن كذلك، كما هو واضح في أكثر من حالة وطنية. مدينة تحولت إلى فضاء للتعبير عن المطلب الأمازيغي بقوة في السنوات الأخيرة.

بيّن البحث من جهة أخرى كيف اتخذت الدولة الوطنية مواقف معادية بدرجات متفاوتة من هذا المطلب الثقافي واللغوي الذي أخذ مع الوقت أبعاداً سياسية عندما ارتبط بالدفاع عن قضايا اقتصادية واجتماعية وحقوقية أكبر، مندمجا ضمن حركات اجتماعية أوسع، كما كان الحال في الجزائر والمغرب على وجه الخصوص. علما أن

هذا الموقف المعادي للدولة الوطنية في شمال إفريقيا قد تطور إيجابا مع الوقت لحد الاعتراف الدستوري باللغة والثقافة الأمازيغية، كما حصل في الجزائر والمغرب في انتظار تحقيق نفس المطلب في ليبيا التي تحول فيها إلى نقطة استقطاب رئيسي للحراك الأمازيغي الليبي في علاقته بالفاعلين السياسيين الآخرين والدولة وهي تعيش حالة اضطراب وضعف.

مطلب أمازيغي تبنته نخب ثقافية وسياسية وجمعية مختلفة هي الأخرى في سوسيولوجيتها وعقائدها واستراتيجياتها كما بينته الدراسة، ظهرت تاريخيا في محطات مختلفة بخصائص متفردة في كل حالة وطنية وداخل كل حالة، فكان السبق للحالتين المغربية والجزائرية (القبائلية) عكس بني ميزاب والتوارق والحالات الليبية والتونسية والمصرية، مما جعلنا نكتشف أننا لسنا أمام حالة أمازيغية واحدة، بل حالات مختلفة بين الدول وداخلها. تكلمنا عن النخب واستراتيجياتها وعقائدها أو تاريخ ظهورها ووسائلها المستعملة التي تتراوح بين الحزب السياسي في الحالات المتقدمة كالجزائر والمغرب أو جمعية، كما هو حال تونس وليبيا ومصر، التي يناضل فيها أفراد ومجموعات معزولة وقليلة عن المطلب الأمازيغي منذ بداية ظهوره.

ما حققه المطلب الأمازيغي من مكاسب، يؤكد من جهة أخرى أننا لسنا أمام حالة واحدة، بل حالات أمازيغية مختلفة في إنجازاتها، رغم ما يجمع بينها. فقد تمكنت النخب الجزائرية والمغربية على سبيل المثال من تحقيق الكثير من المكاسب كان من ضمنها الاعتراف برأس السنة الأمازيغية كعيد وطني « النابر » (الجزائر 2016)، كما تم دسترة الاعتراف باللغة الأمازيغية، وتدريسها في المدرسة ووسائل الاعلام، كما هو الحال في المغرب والجزائر، بعد نضالات طويلة وهو ما تصبو إلى تحقيقه النخب الليبية (النفوسية على وجه الخصوص) في حالة وطنية مضطربة أمنيا وسياسيا. في حين لا يزال هذا المطلب بعيدا عن الإنجاز في الحالتين المصرية والتونسية لأسباب متعلقة بضعف الحضور الديموغرافي للمواطنين الناطقين بالأمازيغية وعقائد الدولة ونخبها الوطنية التي لازالت تعادي بشكل واضح المطلب الأمازيغي.

نخب معادية نجدها واحدة تقريبا في كل الحالات الوطنية وهي تتمترس وراء مؤسسات الدولة الوطنية، تعلق الأمر بالنخب الوطنية التي رأت في المطلب الأمازيغي «مشروعا استعماريا» يهدد الوحدة الوطنية أو النخب العروبية والإسلامية التي تخوفت من الطرح العلماني والثقافي-اللغوي للنخب الأمازيغية المنافسة وهي تطالب بإعادة النظر في المركزية الثقافية واللغوية للدولة الوطنية، بكل ما يتطلب ذلك من قراءة جديدة للسردية التاريخية الوطنية للدولة والحركات الوطنية قبلها. إذا اكتفينا بهذه

المرحلة المهمة من التاريخ الوطني، ولم تتوسع إلى مراحل تاريخية أقدم معنية هي الأخرى بهذه القراءة المتنازع عليها.

تبين الدراسة من جهة أخرى كيف تقلص مع الوقت العداء للمطلب الأمازيغي من قِبَل الدولة الوطنية ونخبها الرسمية والشعبية بوتائر مختلفة في الحالات الوطنية الخمس المدروسة متجها نحو نوع من القبول. انفراجا لم يكن بين النخب فقط بل داخل المجتمعات ذاتها، التي أصبحت أكثر تقبلاً للاعتراف بتنوعها الثقافي واللغوي رسمياً من قبل مؤسسات الدولة الوطنية وهي تعيش يومياً هذا التنوع في مدنها وقرائها وتمارسه على أرض الواقع في مجتمعات تعرف حراكاً ديموغرافياً كبيراً نتيجة الهجرة وبفعل توفر وسائل النقل وما تفرزه الحياة الاقتصادية من احتكاك. رغم ما يزال يميز بعض المناطق الأمازيغية من عزلة جغرافية كما بينته الدراسة في بعض الحالات كواحة سيوة أو الصحراء الكبرى بالنسبة للتوارق. ضمن جغرافياً أمازيغية بالشمال الإفريقي بينت لنا الخرائط المعروضة كيف أنها معزولة عن بعضها البعض بحيث لا توجد أي منطقة أمازيغية مرتبطة ترابياً بمنطقة أخرى حتى في المغرب والجزائر، بعد التقلص الذي عرفه استعمال اللغة الأمازيغية مع الوقت.

بيّن البحث من جهة أخرى أننا كنا أمام مستويات اندماج وطني مختلفة من حالة وطنية لأخرى وداخل الحالات الوطنية ذاتها بين المناطق الأمازيغية المختلفة، تعلق الأمر بالنخب أو بكل أبناء الجهات التي لازالت تتحدث بالأمازيغية كقوى اجتماعية واقتصادية، داخل المجتمع ومؤسسات الدولة الوطنية. فقد تبين من نتائج البحث أنّ مستوى الاندماج الاجتماعي والاقتصادي لم تعقه فقط بعض خصائص الجغرافيا بكل تداعياتها الاجتماعية والثقافية كانتشار التعليم المختلف من حالة لأخرى، وحتى ما ميز الحضور الديموغرافي والهجرة داخل هذه البلدان وخارجها، بل كذلك متغيرات دينية مذهبية، كما هو حال أبناء المذهب الإباضي الذين تأثر مستوى اندماجهم داخل مؤسسات الدولة الوطنية بحالة « الكتمان » التي تبنتها النخبة الدينية الإباضية كاستراتيجية في غياب الإمامة الإباضية الشرعية، كما هو واضح في الحالة الجزائرية بمنطقة غرداية. استراتيجية تظهر آثارها بشكل جلي في فترات الأزمة التي عاشتها المنطقة.

بيّنت الدراسة أنّ هذه المناطق الأمازيغية تعرف مستويات تنمية اجتماعية واقتصادية مختلفة، مرتبطة بعدة متغيرات تناولتها الدراسة بالتحليل كطابعها الجغرافي وخصائصها الديموغرافية وثقافة نخبها المقاولاتية، في ميادين نشاطها الاقتصادي. تعلق الأمر بالزراعة، الصناعة أو الخدمات ومدى استفادة أبنائها من الهجرة والتعليم والقرب من المدن الكبرى، ومستوى اندماج هذه النخب داخل مؤسسات الدولة الوطنية. ثقافة

مقاولاتية تبين أنها أكثر حضورا لدى أبناء بعض الجهات كبني ميزاب والقبائل وأهل جربة في تونس والسوس بالمغرب، رغم عدم توسيع الدراسة إلى هذه المنطقة المغربية التي عرف أبنائها بحيوية اقتصادية كبيرة، انطلقت من الزراعة نحو العمل التجاري لتصل إلى الميدان الصناعي داخل بلدانها وحتى بالخارج. تماما كما كان الحال مع بني ميزاب في الجزائر.

لا يمنع هذا من إحساس أبناء بعض المناطق، بنوع من الحرمان المسلط عليها باعتبارها مناطق أمازيغية معزولة، مما جعلها تمزج في مطالبها بين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الهوياتي، كما هو حال مناطق التوارق وبعض الجهات الأمازيغية بالمغرب كالريف والأطلس، ضمن حركات اجتماعية مطلبية أصبحت تميز هذه المناطق الأمازيغية، كما ظهر بقوة في 2017 في منطقة الريف. رغم أن البحث بين في حالات أخرى (منطقة القبائل في الجزائر كمثل) أن الأمازيغ لم يستهدفوا بسياسات اقتصادية واجتماعية معادية باعتبارهم أمازيغ، يعيشون مستويات اندماج كبيرة كنخب وجهات وقوى اجتماعية أظهرتها الدراسة بقوة.

بيّنت الدراسة أن أبناء المناطق الأمازيغية مختلفون في مواقعهم الاجتماعية كثيرا، كجزء من تنوع مجتمعاتهم. فالأمازيغي، يمكن أن يكون فلاحا، كما هو حال أبناء واحة سيوة المصرية أو تاجرا كما هو الوضع بالنسبة لبني ميزاب بالجزائر أو جربة التونسية أو عامل صناعي في المهجر، كما كان الحال بالنسبة لأبناء الريف بالمغرب أو أبناء منطقة القبائل بالجزائر أو موظفا، كما هو حال النفوسي الليبي وهو يستقر في طرابلس عاصمة البلد القريبة.

وَضَع عام ينطبق على حال المرأة الأمازيغية التي لازالت تتعرض إلى ضغوط الثقافة الذكورية في هذه المجتمعات، رغم ما حققته من تقدم عن طريق التعليم تحديدا، الذي انتشر بفعل سياسات الدولة الوطنية وزيادة فرص العمل خارج المنزل في أكثر من حالة وطنية. ناهيك عما كان من نتائج للهجرة الداخلية والخارجية.

الأمازيغ الذين لا يشعرون بأنهم يعيشون في بلدانهم كأقلية اثنية أو عرقية حتى ولو تحولوا إلى أقليات لغوية وهم يتكلمون لسانهم الأمازيغي المتعدد حسب الجهات، رغم اشتراكه في حامل لغوي واحد. والذي لم يصل إلى مرحلة الكتابة المنمطة الواحدة، حتى في الحالات التي تم فيها الاعتراف الدستوري باللغة الأمازيغية، كما هو حال الجزائر والمغرب. فلزالت مسألة كتابة اللغة الأمازيغية من الشروخ التي تقسم النخب الوطنية والمحلية الأمازيغية بين الداعين لكتابتها بالحرف اللاتيني، كما هو حال النخب العصرية ذات المنحى العلماني في المغرب والجزائر أو العربي كما هو حاضر لدى بعض

النخب في أكثر من حالة وطنية أو التفيناغ، كما هو الوضع في المغرب وبين توارق ليبيا والجزائر الذي تأخر انتشار التعليم عندهم. زيادة على متغيرات أخرى مرتبطة بالمستوى العقائدي، كما بينته الدراسة بين نخب تقليدية ودينية كما هو حال سيوة المصرية وبني ميزاب والتوارق بليبيا والجزائر، مقابل نخب عصرية ذات توجه علماني، كما هو الوضع في الجزائر (منطقة القبائل) والمغرب.

بيّنت الدراسة، من جهة أخرى وهي تتطرق إلى مكانة المرأة في هذه البلدان، أن السائد في أغلب الحالات هو الزواج المختلط مع أبناء المناطق الناطقة بالعربية، كدليل على هذا التجانس في العمق الأنثروبولوجي لهذه المجتمعات الشمال إفريقية حتى ولو اختلفت في حديثها اليومي بين العربية الدارجة والأمازيغية بمختلف ألسنتها، باستثناءات قليلة، يمكن أن تجد تفسيراتها في العزلة الجغرافية كحالة التوارق، بما يميزهم كمجتمع أميسي تحتل فيه الأم دورا محوريا وبعض ما يميز مذهبيا بعض الجهات لنكتشف في هذه الدراسة أن المذهب المختلف في الحالة الإباضية يعيق الزواج المختلط، عكس ما هو سائد في كل المناطق الأخرى السنية المالكية التي تشترك مع محيطها المعرّب في أشكال تعبير أخرى كالموسيقى والغناء واللباس والأكل وغيرها من أشكال التعبير الأخرى.

زواج مختلط وهجرة داخلية وخارجية، تعيد النظر في الدور المحوري للمرأة كحامية للغة الأمازيغية وتراثها الذي عولت عليه المجتمعات الأمازيغية تقليديا ولا زالت، كما هو حال التوارق، أبناء الثقافة الأمازيغية وبني ميزاب وجربة التونسية، لأسباب متعلقة بالخصوصية المذهبية الإباضية التي تحول الاعتراف بها إلى مطلب رئيس لدى أبنائها من الأمازيغ في الدول الثلاث (الجزائر، تونس وليبيا). تماما كما هو حال التوارق عندما يتعلق الأمر بقيادتهم التقليدية (الأموكال) التي يطالبون الاعتراف بها كوسيط بينهم وبين الدولة الوطنية.

وُضِعَ يمنح المدرسة العمومية مستقبلا، دورا مهما في الحفاظ على اللغة الأمازيغية بعد دخولها كلغة يتم تدريسها في المناطق الأمازيغية (الجزائر والمغرب وليبيا)، ويتم التعامل بها في وسائط التواصل الاجتماعي المختلفة بما فيها الإذاعات والتلفزيون للتعبير والتشبيك بين الفاعلين الفرديين والجماعيين الأمازيغ داخل بلدانهم وفي المنطقة والعالم. واقع سيفرض على النخب الأمازيغية ضرورة تجاوز انقساماتها المنطقية والعقائدية للتصدي الى هذه المهمة التاريخية. المتمثلة في الاتفاق على حروف لكتابة لغتها التي دافعت عنها لأجيال لإخراجها من مرحلة الشفاهية التي عُرفت بها حتى الآن. في تعاون مع وبين الدول الوطنية التي أناطت هذه المهمة بالأكاديميات التي ظهرت في (المغرب

والجزائر) في انتظار تحقيق نفس المطالب في الدول الأخرى. مهام كان قد أنجز جزء مهم منها مثقفون أمازيغ، كما كان الحال مع تجربة مولود معمري بالجزائر وغيره من مثقفي الحركة الأمازيغية في الشمال الإفريقي.

فقد بيّنت الدراسة أنّ فروقا شاسعة، على مستوى العقائد والأدوار، لا زالت حاضرة بين هذه النخب كانعكاس لهذه المجتمعات المختلفة سوسيولوجيا حتى داخل الحالة الوطنية الواحدة. رغم اشتراكها كلها في الدفاع عن الأمازيغية كهوية ولغة وثقافة، فالنخب المصرية السيوية لازالت في غالبيتها نخبة تقليدية قبلية، عكس النخب الجزائرية الأكثر تنوعاً وحدائثاً وسمكاً، كما تظهره حالة النخبة القبائلية صاحبة الدور الريادي الوطني في علاقاتها بالنخبة الترقية والمزابية والمنطقة المغاربية عموماً.

تنوّع نجده حاضرا كذلك لدى النخبة المغربية الأمازيغية بوعائها الديموغرافي الكبير وتنوعها المناطقي والسوسيو-ثقافي وحتى اللببية، رغم ما تتعرض له من ضغوط أمنية وسياسية وانقسامها بين جزئها النفوسية والترقي والتونسية التي تحاول اسماع صوتها بشكل أكثر حضورا مع الوقت ضمن حالة وطنية، تعيش حالة حريات أوسع بعد التغيير في 2011 الذي ساعد المطالب الأمازيغي في كل المنطقة على البروز والتموقع من جديد وليس في تونس فقط، التي انطلقت منها شرارة التغيير. اختلاف بين النخب يفسر في جزء كبير منه النتائج المحققة في كل حالة وطنية. وكيف استطاعت بعض الحالات أن تكون قاطرة داخل نفس البلد وفي المنطقة المغاربية ككل كما هو حال النخبة الأمازيغية القبائلية الجزائرية والمغربية.

كما بيّنت الدراسة، من جهة أخرى، أنّ هنالك نخبةً تتميز بلجوئها إلى أشكال تعبير وتواصل متنوعة ومختلفة في علاقاتها بالدولة الوطنية والمجتمع وهي تتفاوض أو تضغط أو تحتج أو تبدع ثقافيا، تراوحت بين الوسائط الاجتماعية العصرية كالفيديو واليوتيوب وتلك التقليدية كالمسجد والحزب والجمعية، مرورا بالإعلام المكتوب والسمعي البصري الذي دخلته الأمازيغية بقوة في الجزائر والمغرب وحتى ليبيا جزئيا، على شكل قنوات تلفزيونية وإذاعية عمومية وخاصة، عكس تونس ومصر الذي لازال هذا الحضور الإعلامي للأمازيغية متعثرا فيها حتى الآن، لإيصال مطالبها المتنوعة التي يحتل فيها البعد اللغوي والثقافي الأمازيغي مكانة متميزة.

بيّنت نتائج الانتخابات السياسية الدورية التي تنجزها الأنظمة السياسية في هذه المنطقة حضورا للصوت الأمازيغي لم يتجاوز في الغالب الأعم حدود المناطق الأمازيغية، نتيجة للصعوبات التي لازالت تجدها النخب الأمازيغية في التوسع وطنيا حتى وهي تعبر من خلال أحزاب سياسية قديمة، كما هو الحال في الجزائر والمغرب. التي ظهرت

فيها أحزاب سياسية، تبنت المسألة الأمازيغية مباشرة بعد الاستقلال. إنتخابات سياسية دورية لازالت تعاني الكثير من أوجه القصور في التعبير عن رأي المواطن، لا يمكن التعويل عليها دائما لقياس حضور الأحزاب في بلدان عاشت هزة سياسية في 2011، ساعدت المطلب الأمازيغي بالتأكيد على البروز للسطح والتموقع من جديد، كما برز ذلك في جل دول المنطقة بدرجات متفاوتة، مما جعل الدراسة تتكلم عن ربيع أمازيغي كان على رأس المستفيدين من هذا الربيع العربي.

ما بعد الربيع الأمازيغي الذي طرح بإلحاح مسألة المطلب الأمازيغي في إطاره ما فوق الوطني الذي يشمل كل الفضاء الشمال إفريقي، ليس كواقع افتراضي على وسائل التواصل الاجتماعي فقط، لكن كعلاقات مجسدة بين فاعلين فرديين وجماعيين ثقافيين وسياسيين، استطاعوا أن يخرجوا من قوقعة الإطار الوطني والمحلي وهم يعبرون عن مطالبهم المتمحورة حول المسألة الأمازيغية في جو أوسع من الحريات الفردية والجماعية، كما تعبر عنه بوضوح الحالة التونسية، رغم نجاحاتها القليلة حتى الآن أمازيغيا.

في وقت تعرف فيه الساحة السياسية والإعلامية الوطنية في أغلبية هذه البلدان نقاشات حول الدور المحلي والجهوي في ظل استفحال عيوب النموذج اليعقوبي للدولة الذي تبنته النخب الرسمية بعد الاستقلال. والذي بينت نتائج الدراسة وصوله إلى مأزق بعد استفحال فشله في التوزيع العادل للثروة الوطنية بين الجهات. كما يطالب بذلك بعض المناطق الأمازيغية في أكثر من حالة وطنية.

نقاشات تدفع بها الحركة الأمازيغية في هذه البلدان نحو المزيد من اللامركزية التنظيمية والترايبية لصالح الجهات، بما تحمله من حيوية اقتصادية وثراء ثقافي لا يقتصر على المناطق الأمازيغية وحدها بل يشمل كل التراب الوطني، تهدف إلى إشراك أكبر للمواطنين في تسيير الشأن العام.

الفهرس العام

التقديم العام	09
الحركة الثقافية الأمازيغية في المغرب الأقصى : سيرورة تحول	21
مدخل	25
I- المسألة الأمازيغية في المغرب الأقصى : الإطار التاريخي، السوسيوديموغرافي، والاقتصادي	27
1 - الأمازيغية في قلب الأبنية المتعارضة للتاريخ الوطني	27
2 - خريطة الناطقين باللغات البربرية في المغرب	35
3 - الجانب الاجتماعي الاقتصادي للجهات البربرية	38
3 - 1 - الريف : عمالات الحسيمة، الدريوش والناظور	38
3 - 2 - المناطق الأمازيغية في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير	41
3 - 3 - بلاد تاشلحيت : سوس وعمالات ورزازات وسيدي إفني	44
4 - الديناميات الهجرية وتشكل الجاليات البربرية	47
II- الريف : السيرورة المعقدة لميلاد الحركة الأمازيغية	49
1 - الخلفية التاريخية	49
2 - إعادة تشكيل جديد للحركة الأمازيغية في الريف	52
3 - يقظة الوعي بالهوية	55
4 - حراك الريف	58
III- الأطلس الأوسط وميلاد وعي محلي	60
1 - تشكّل المطالب الأمازيغية	60
2 - الانخراط في الإدماج الوطني للأمازيغية	62
3 - نحو مطالب سوسيو اقتصادية وثقافية	67
4 - الفاعل الأمازيغي والتحديات الاجتماعية والسياسية	68
خاتمة	72
ملحق الفاعلين	73

- 75..... البييليوغرافيا
- 77..... الحركة الأمازيغية في الجزائر وتحديات الإندماج الوطني
- 81..... المقدمة والإطار المنهجي للدراسة
- 84..... المبحث الأول : بروز المسألة الأمازيغية في الجزائر
- 87..... المطلب الأول : من سؤال هوية الجزائر إلى الربيع الأمازيغي (1949-1980)
- 87..... أولا : سؤال الهوية
- 89..... ثانيا : حرب التحرير أو غلق القوس حول الأمازيغية
- 89..... ثالثا : الاستقلال واستمرار نفي البعد الأمازيغي
- 90..... رابعا : صحوة الهوية في الأوساط الطلابية بالمهجر
- 90..... خامسا : الجامعة كفضاء حر للتراكم
- 91..... سادسا : الربيع الأمازيغي لسنة 1980 والتحول التاريخي للمسألة
- 92..... المطلب الثاني : ارتدادات الربيع الأمازيغي على منطقتي وادي مزاب والتوارق
- 92..... الفرع الأول : حركة إحياء اللغة والتراث المزابي
- 92..... أولا : احتكاك النخب المزابية بالنخب القبائلية
- 93..... ثانيا : تبني الأحزاب الديمقراطية الحداثية للمطلب الأمازيغي
- 93..... ثالثا : الخصوصية المذهبية
- 94..... رابعا : تعليم اللغة التارقية بداية لطرح النقاش حول الأمازيغية
- 95..... المبحث الثاني : تطور المسألة الأمازيغية في الجزائر
- 95..... المطلب الأول : الإطار السوسيو جغرافي للأمازيغ في الجزائر
- 96..... الفرع الأول : الإطار الجغرافي
- 100..... الفرع الثاني : الإطار التاريخي والسوسولوجي
- 100..... أولا : الخصائص الاجتماعية
- 103..... ثانيا : المرأة الأمازيغية بين التحديث والتقاليد
- 105..... ثالثا : الهجرة من منطقتي القبائل ووادي مزاب
- 109..... أ- توارق كال أداغ
- 110..... ب- توارق كال أزجر
- 110..... ج- توارق كال اهقار
- 111..... الفرع الثالث : المؤشرات الديموغرافية والسوسيو-اقتصادية

- المطلب الثاني : تطور المسألة الأمازيغية بين الاندماج الوطني وما فوق الوطني والانكماش المحلي 116
- الفرع الأول : المسألة الأمازيغية كعامل للاندماج الوطني 117
- أولا : منطقة القبائل كعامل للمسألة الأمازيغية إلى الفضاء الوطني 117
- 1 - التعددية الحزبية تنعش المطلب الأمازيغي 117
- 2 - المقاطعة المدرسية : انفراج القضية في إطار البعد الوطني 118
- 3 - حراك « الربيع الأسود » : محاولة أخرى لحمل المسألة الأمازيغية إلى الفضاء الوطني ... 120
- 4 - قانون المالية 2018 يبعث ديناميكية الاحتجاجات حول الأمازيغي..... 121
- 5 - ناير كعنصر للاندماج الوطني 123
- ثانيا : الأمازيغية عامل جديد لاندماج وادي مزاب في الفضاء الوطني 123
- ثالثا : التعامل السلس مع السلطة التقليدية والاعتراف باللغة التارقية كعوامل لاندماج التوارق في الدولة الوطنية 128
- 1 - الأمانوكال كوسيط بين التوارق والسلطة الوطنية 130
- 2 - الأمانوكال كوسيط بين الإدارة والقبائل 131
- 3 - الاعتراف باللغة التارقية كعامل للاندماج الوطني 133
- الفرع الثاني : المسألة الأمازيغية كعنصر للاندماج ما فوق الوطني أو الإقليمي 136
- الفرع الثالث : المسألة الأمازيغية كعامل للانكماش في المحلي 138
- الفرع الرابع : هل من تأثير للربيع العربي على المسألة الأمازيغية ؟ 141
- المطلب الثالث : الفاعلون والنخب الحاملة للمطلب الأمازيغي 142
- الفرع الأول : الفاعلون الرئيسيون بمنطقة القبائل 142
- أولا : الأسس الاجتماعية للحركة البربرية 143
- ثانيا : الخصوصية القبائلية 143
- ثالثا : تراجع النخب القبائلية 144
- رابعا : النخب القبائلية الحاكمة 145
- خامسا : النخب الاقتصادية 146
- الفرع الثاني : النخب الحاملة للمطلب الأمازيغي لدى بني مزاب والتوارق 147
- أولا : النخب التقليدية المزابية والتارقية 147
- ثانيا : النخب العصرية المزابية والتارقية 149

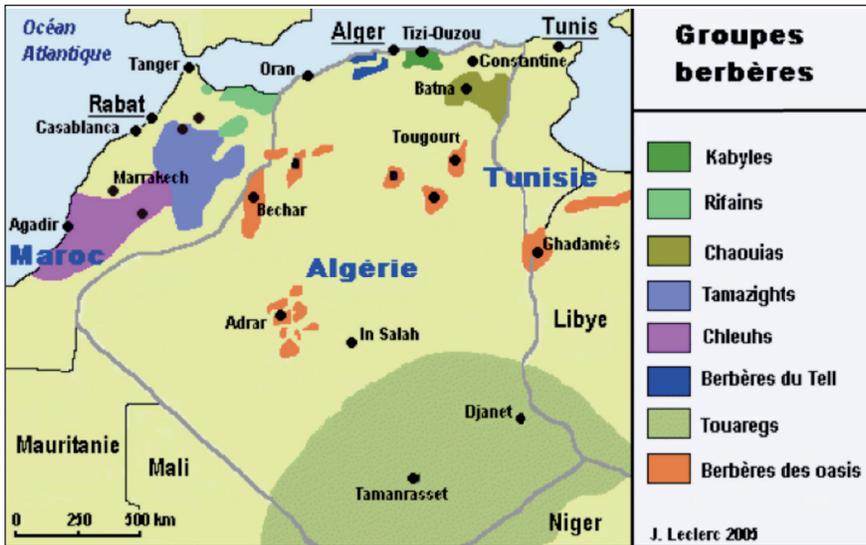
- المطلب الرابع : أشكال التعبير عن المسألة الأمازيغية 151
- الفرع الأول :التعبير النقابي 151
- الفرع الثاني : التعبير السياسي 152
- أولا : الحزب كوسيلة للتعبير 152
- ثانيا : هل تنتخب منطقة القبائل على أساس جهوي 153
- ثالثا : القائمة الحرة كوسيلة للتعبير عن الخصوصية المزابية 154
- 1 - ظهور الأشكال الجديدة التعبير السياسي لدى المزابيين 155
- 2 - تطور مواضيع المطالب للحراك الجديد لدى المزابيين 156
- الفرع الثالث : النظم القبلية كوسيلة للتعبئة 157
- الفرع الرابع :التعبير الثقافي والفني 158
- أولا : الجمعية كوسيلة لإحياء اللغة والتراث الأمازيغي 159
- ثانيا : الأغنية كأقوى تعبير عن الهوية الأمازيغية 160
- الفرع الخامس : التعبير الإعلامي 161
- حوصلة واستشراف 162
- البيبلوغرافيا 167
- المسألة الأمازيغية في تونس : تراث، انبعاث ومقاومات 177
- المقدمة 181
- 1 - « الأمازيغية » وتراثها التاريخي في تونس 182
- أ- اللّحظة الخلدونية 182
- ب - الإتنوغرافيا الإستعمارية 183
- ج - الأب « أندري ليس »، « شيخ » الدراسات البربرية في تونس 184
- د - أركيولوجيا وتاريخ الأمازيغ في تونس ما بعد المرحلة الإستعمارية 185
- 2 - الوزن الديمغرافي والتوقع الجغرافي للأمازيغ بتونس 186
- 3 - المقاومات المؤسّساتية والسياسية في وجه صعود المطالبات الأمازيغية في تونس..... 188
- 4 - النّهضة الهُوِيّاتية الأمازيغية غداة ثورة 2011 189
- I - النّشطاء والطاقت 190
- 1 - البروز السياسي للأقليات الإتنية 190

- 195..... 2 - الجمعيات الأمازيغية التونسية
- 197..... 3 - الطاقات الفردية والجماعية
- 201..... 4 - الإختلافات داخل الحركة الأمازيغية
- 203..... II - مطالب ووسائل تعبير المناضلين الأمازيغ
- 204..... 1 - المسار النضالي : المسالك والملامح
- 211..... 2 - المقاومة الثقافية
- 214..... 3 - مُرافعة لصالح الإعتراؑ بالمُكوّن الأمازيغي في الهُوَية التونسية
- 214..... أ - على المستوى الدستوري
- 217..... ب - على مستوى الأحزاب السياسية
- 218..... ج - في وسائل الإعلام والإتصال
- 220..... حصيلة وآفاق
- 222..... ملاحق
- 224..... البيبليوغرافيا
- 229..... الربيع الأمازيغي في ليبيا : بين مكتسبات الثورة وتحدي الإنقسام
- 233..... المقدمة
- 235..... فرضية الدراسة
- 235..... المقاربة المنهجية
- 237..... المبحث الأول : بروز وتطور المسألة الأمازيغية
- 237..... أولاً : أوضاع وقضايا أمازيغ الشمال
- 237..... 1 - الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
- 242..... 2 - ولادة وتطور المسألة الأمازيغية
- 249..... ثانياً : تطور قضايا أمازيغ الجنوب
- 250..... ثالثاً : أمازيغ الجنوب
- 252..... 1 - تحالفات فرع غات
- 252..... 2 - تحالفات فرع تارجا
- 253..... توارق منطقة الساحل في ليبيا : مصير قضية
- 254..... توارق الساحل في ليبيا

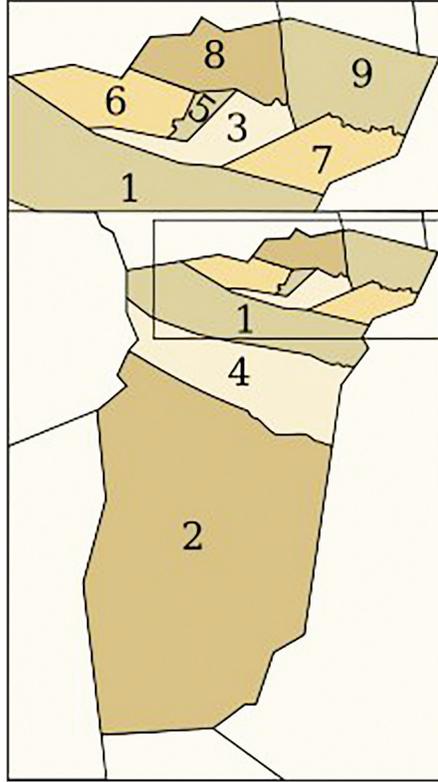
- المبحث الثاني : الفاعلون في الحراك الأمازيغي الليبي 257
- أولاً : أمازيغ الشمال بين الفاعلين التقليديين والجدد 257
- 1 - أسبقية الفاعلين التقليديين 258
- أ - المجالس البلدية 258
- ب - مجالس الشورى والحكماء والأعيان 260
- ج - الميليشيات العسكرية 260
- 2 - بزوغ الفاعلين الجدد 262
- أ- المجلس الأعلى لأمازيغ ليبيا 262
- ب- فاعلون حكوميون 264
- ج- منظمات مجتمع مدني 265
- د- منظمات إعلامية اقتراضية 265
- ثانياً : هيمنة الفاعلين القبليين لدى أمازيغ الجنوب 265
- 1 - التوارق والصراع من أجل البقاء 268
- 2 - المخاض الصعب لبروز مجتمع مدني 269
- المبحث الثالث : أنماط وأدوات التعبير 273
- أولاً : أمازيغ الشمال 273
- 1 - التحولات في نمط التفاعل السياسي 273
- 2 - بوادر العنف في الحراك الأمازيغي 278
- 3 - إحياء المذهب الإباضي 280
- 4 - محورية دور المرأة والشباب 281
- 5 - انتعاش التعبير الفني والثقافي 284
- ثانياً : تفاعلات أمازيغ الجنوب 284
- 1 - التوارق الليبيون ومسألة الهوية الثقافية 291
- خاتمة 293
- الببليوغرافيا 297
- أمازيغ مصر : عزلة جغرافية وقلة ديموغرافية أمام دولة مركزية قوية 299
- تمهيد 303
- أسئلة الدراسة 304

- 305..... فرضية الدراسة
- 305..... العمل الميداني
- 305..... المبحث الأول : المجتمع الأمازيغي ... التاريخ والسمات
- 305..... المطلب الأول : الجغرافيا والتاريخ
- 305..... أولاً : المجتمع الأمازيغي... عزلة جغرافية
- 308..... ثانياً : تاريخ المجتمع الأمازيغي في مصر
- 310 المطلب الثاني : قلة ديموغرافية وخصوصية ثقافية
- 312 سيطرة النظام العرقي والمربوعة
- 313 وضعية المرأة السيوية... عزلة مضاعفة وتحسن طفيف
- 315 الزواج والطلاق... التخلي عن تقاليد الماضي
- 316 الزي الشعبي... خصوصية مقتبسة
- 317 الأعياد والمناسبات... اختلاط الديني بالمجتمعي
- 318 طقوس الميلاد ودفن الموتى... تشبث واضح بالموروث الثقافي
- 319 الحالة الدينية... من التصوف إلى السلفية
- 320 المطلب الثالث : اقتصاد المجتمع الأمازيغي في مصر
- 320 أولاً : الزراعة... النشاط الرئيسي لأهل الواحة
- 321..... ثانياً : الصناعة... نشاط واعد
- 321 ثالثاً : السياحة في سيوة... ثراء غير مُستغل
- 322 رابعاً : الاقتصاد غير الشرعي.. ارتباط بجغرافية الحدود
- 323 خامساً : الجيش كفاعل اقتصادي رئيسي
- 324 المبحث الثاني : المجتمع الأمازيغي... الفاعلون والمطالب
- 324 المطلب الأول : الفاعلون الاجتماعيون
- 324 أولاً : الفاعلون الاجتماعيون التقليديون
- 324 1 - مشايخ القبائل... نفوذ راسخ
- 326 2 - شيوخ المساجد... حضور لا يتجاوز الشرع
- 327 3 - القيادات العسكرية والأمنية... مندوبي السلطة المركزية

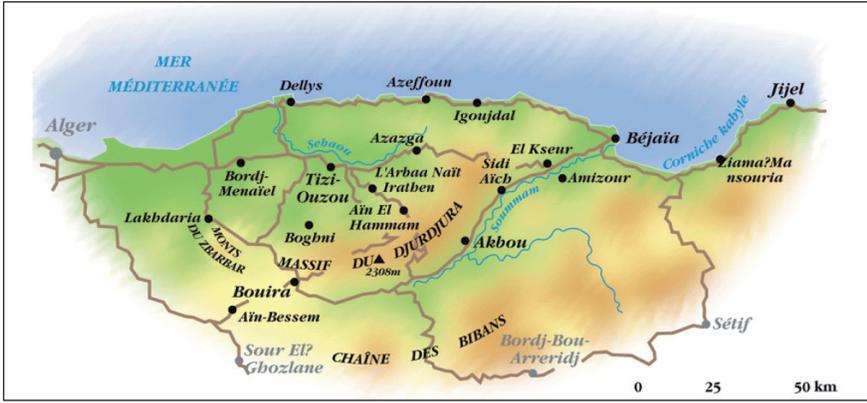
- ثانياً : الفاعلون غير التقليديون (الجدد) 328
- المطلب الثاني : مطالب المجتمع الأمازيغي 331
- أولاً : مطالب الفاعلين الاجتماعيين التقليديين 332
- ثانياً : مطالب الفاعلين الاجتماعيين الجدد 333
- المبحث الثالث : أمط وأدوات التعبير في المجتمع الأمازيغي 335
- المطلب الأول : أدوات التعبير عن المطالب 335
- الحزب الحاكم (الحزب الوطني الديمقراطي-حزب الحرية والعدالة) 337
- اتجاهات التصويت... ميل واضح للدين والدولة 338
- الإعلام... إستغلال أمثل للتعبير عن المطالب ورفع المظالم 339
- المطلب الثاني : أدوات التعبير الثقافي والتعبير عن الرأي 340
- أولاً : الفاعليات الثقافية والفنية 340
- ثانياً : دور العبادة... تتجاوز الدور الديني 341
- ثالثاً : وسائل الإعلام 342
- 1 - الصحف والفضائيات - صنّاع الأفلام الوثائقية 342
- 2 - مواقع التواصل الاجتماعي 344
- المطلب الثالث : المطلب الهوياتي (المسألة الأمازيغية) 345
- خاتمة 347
- البيبلوغرافيا 349
- خلاصة عامة 351



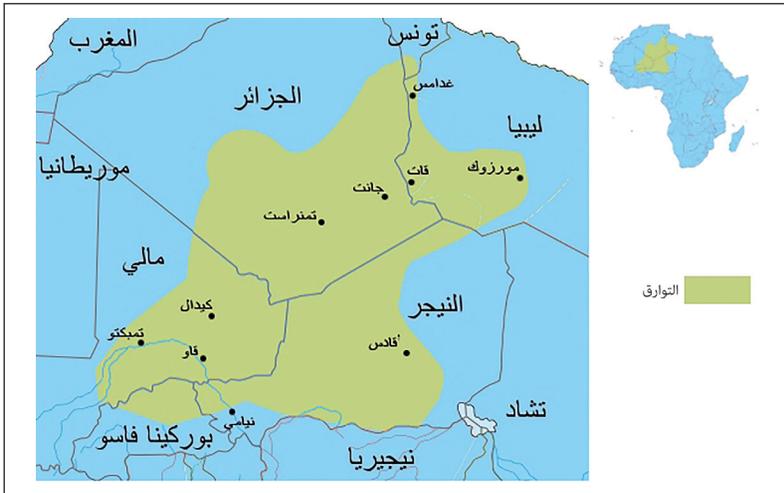
خريطة الناطقين باللغات البربرية في المغرب



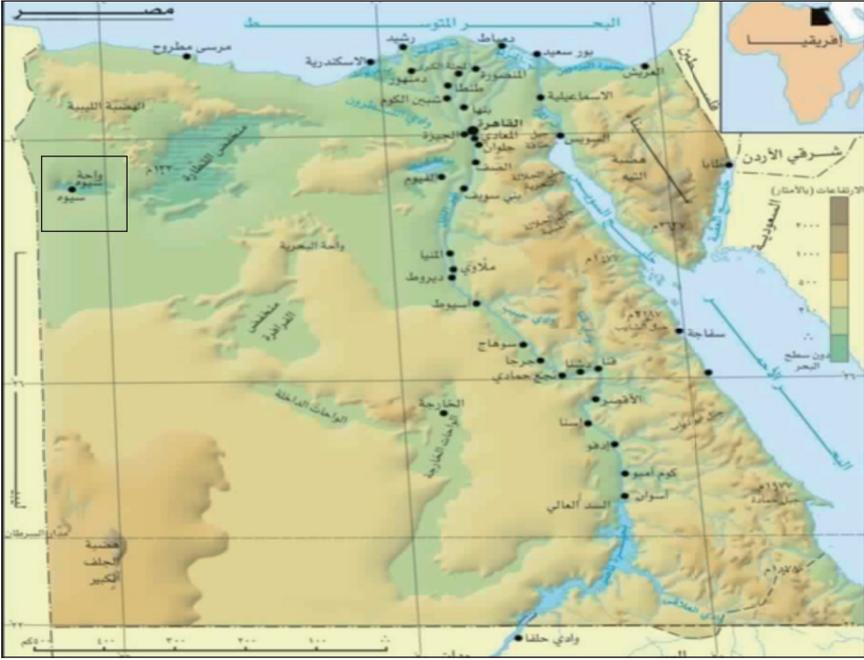
خريطة التقسيم الاداري لولاية غرداية (البلديات ذات الاغلبية المزابية هي : 1-4-5-8-9)



الخريطة الجغرافية لمنطقة القبائل



الخريطة الجغرافية لمنطقة التوارق



خريطة جمهورية مصر العربية وتوضح موقع سيوة في أقصى الغرب



خريطة التقسيم الإداري لواحة سيوة

